

1 - المصادر و المراجع بالعربية

في الفكر و الدين

- 1- ابن ابو بكر جلال الدين السيوطي . " تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي " شرح الفاضل و علق عليه أبو عبد الرحمان صلاح الدين بن محمد بن عويضة. الطبعة الثانية بيروت (لبنان), دار الكتب العلمية - 2002.
- 2- ابن هشام ابو محمد عبد الملك . " السيرة النبوية علق عليها و خرج احاد شهاد " عمر عبد السلام تدمري لدلاء الكتاب العربي, بيروت - 2005.
- 3- الامام ابن أبي طالب علي . " نهج البلاغة " . شرح : الشيخ محمد عبده الجزء الاول بيروت (لبنان), دار الجيل. بدون سنة
- 4- ابن أحمد الو احدي النيسابوري ابو الحسن علي . "في تفسير القرآن المجيد " . تحقيق و تعليق: الشيخ عادل احمد عبد الواحد. الطبعة الاولى. بيروت(لبنان), دار الكتب العلمية 1994 .
- 5- ابن حسن علي عبد الرحمان . " قررة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء و المرسلين " . خرج آياته و أحاديثه : عبد القادر محمد علي. الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الكتب العلمية - 1999.
- 6- ابن نبي مالك . " الظاهرة القرآنية " . ترجمة : عبد الصبور. الطبعة الرابعة, دمشق (سوريا), دار الفكر - 1987 .
- 7- ابن بني مالك . " فكرة الكومنولث الاسلامي " . ترجمة الطيب الشريف. الطبعة الثانية القاهرة (مصر) - 1990 .
- 8- ابن كثير إسماعيل بن كبر " تفسير القرآن العظيم " دار الاندلس للطباعة و النشر و التوزيع (لبنان) بيروت .

- 9- أبو القاسم محمد . " ابوستمولوجية المعرفة الكونية الاسلامية: (المعرفة و المجتمع)
" الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الهادي - 2004 .
- 10- ادونيس علي أحمد سعيد. الثابت و المتحول "بحث في الابداع و الاتباع عند
العرب " . الطبعة الثامنة, بيروت (لبنان), دار الساقى - 2002 .
- 11- اركون محمد . " الفكر الاسلامي : نقدوا جهاد " - ترجمة و تعليق : هاشم صالح
الجزائر , المؤسسة الوطنية للكتاب - 1993 .
- 12- اركون محمد. " الفكر الاسلامي : قراءة علمية " - ترجمة : هاشم صالح, الطبعة الاولى
بيروت (لبنان), مركز الإنماء القومي - 1996
- 13- اركون محمد . " تاريخية الفكر العربي الاسلامي " - ترجمة : هاشمي صالح, الطبعة
الاولى بيروت (لبنان), مركز الانماء القومي - 1998 .
- 14- اركون محمد. " العلمية و الدين - الإسلام, المسيحية - الغرب " - ترجمة : هاشم
صالح - الطبعة الثانية بيروت (لبنان), دار الساقى - 1996 .
- 15- اركون محمد . " معارك من أجل الالسنه في السياقات الاسلامية " - ترجمة و تعليق
هشام صالح, الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الساقى - 2001 .
- 16- اركون محمد . " الإسلام, الاخلاق و السياسة " - ترجمة هاشم صالح, الطبعة الاولى,
دار النهضة العربية مركز الإنماء القومي بيروت - 2007 .
- 17- الاعظمي السلامة حسين علي . " الوجيز في أصول الفقه و تاريخ التشريع "
نقعه, ضبطه, قدم له و أعده للنشر : نبيل عبد الرحمان الحياوي, بيروت (لبنان), دار الارقم
بن الارقم - 2002 .
- 18- اقبال بركة . " الإسلام و تحديات العصر " . القاهرة (مصر), دار قباء - 1999
- 19- امام محمد كامل الدين . " أصول الأحكام الشرعية : الفقه الاسلامي (مفاهيم
مدارس و نصوص) " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2005 .

- 20- الامام البوصيري . " فهرس أحاديث و آثار مختصر الحاق السادة المهرة بزوائد المساند العشرة " . اعداد : السيد حسين عشروي, الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الكتب العلمية - 1998
- 21- البيجاني محمد بن سالم . " الفتوحات الربانية بالخطب و المواعظ القرآنية " الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), دار الرائد العربي - 1987 .
- 22- بي هانتينغتون صامويل . " الإسلام و الغرب آفاق الصدام " - ترجمة : مجدي شرشر الطبعة الاولى, القاهرة (مصر), مكتبة مدبولي - 1995 .
- 23- الترابي حسين . " التفسير التوحيدي " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الساقى 2004 .
- 24- د. الجابري محمد عابد . " العقل الاخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنذاع القيم في الثقافة العربية " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية 2001 .
- 25- د. الجابري محمد عابد . " بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004
- 26- د. الجابري محمد . " التراث و الحداثة : دراسات و مناقشات " . الطبعة الثالثة بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2006
- 27- د. الجابري محمد عابد . " المسألة الثقافية في الوطن العربي " . من سلسلة قضايا الفكر العربي (1), بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2006
- 28- الجبوري علي جميل . " دراسات للحضارة الاسلامية " . الطبعة الاولى, الرياض (المملكة العربية السعودية) - 1991 .
- 29- الجمل سمير . " الرد على اوربا فلاتشي : غضب الإسلام و كبرياء المسلمين " القاهرة (مصر), دار الاحمدى - 2002 .

- 30- جواتيا س.د. " دراسة في التاريخ الاسلامي و النظم الاسلامية ". من تعريب و تحقيق : د. عطية القومي, الكويت, وكالة المطبوعات - 1980 .
- 31- الجوهرى حمد الجوهرى محمد . " العولمة و الثقافة الاسلامية " . الطبعة الاولى القاهرة (مصر), دار الامين - 2002 .
- 32- الحافظ ياسين . " الاعمال الكاملة لياسين الحافظ " . الطبعة الاولى, بيروت(لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2005 .
- 33- خفاجي محمد عبد المنعم . " الإسلام و الانسان " . الطبعة الاولى, الاسكندرية (مصر), دار الوفاء - 2004 .
- 34- د. خليل عماد الدين . " دراسة في السيرة " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار النفائس - 1997 .
- 35- داروين تشارلز . " أصل أنواع النشوء و الارتقاء " - ترجمة : مظهر اسماعيل بيروت (لبنان), دار التنوير - 2007 .
- 36- الرفاعي مصطفى صادق . " تحت راية القرآن " . الطبعة الثامنة, بيروت (لبنان) دار الكتاب العربي - 1983 .
- 37- رؤوف و فيق . " اشكاليات النهوض العربي من التردى الى التحدي " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2005 .
- 38- الرياني الحميد عبد الحميد . " المدخل الى دراسة الفقه الاسلامي " . الطبعة الاولى ليبيا, منشورات جامعة قاريونس - 1994 .
- 39- د. رضوان سليم . " نظام الزمان العربي : دراسة في التاريخيات العربية الاسلامية " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2006 .
- 40- رودنسون مكسيم . " جاذبية الإسلام " - ترجمة : الياس مرقص, بيروت (لبنان) . 2005 .

- 41- الزعاترة ياسر . " الظاهرة الاسلامية قبل 11 أيلول و بعده : تجارب و تحديات و آفاق " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان), الدار العربية للعلوم - 2004 .
- 42- ستروميرج رونالد . " تاريخ الفكر الاوربي الحديث 1601-1977 " - ترجمة : أحمد الشيباني , الطبعة الثالثة, القاهرة (مصر), دار القارئ العربي - 1994 .
- 43- السحمراني أسعد . " العدل فريضة اسلامية و الحرية ضرورة انسانية " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان), دار النفائس - 1991 .
- 44- السحمراني أسعد . " مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), دار النفائس - 1987 .
- 45- د. سعد حسين . " الاصولية الاسلامية المعاصرة بين النص الثابت و الواقع المتغير " الطبعة الاولى , بيروت (لبنان) - 2005 .
- 46- د. الشيخ محمد . " رهانات الحداثة " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان), دار الهادي 2007 .
- 47- الشامي صلاح الدين . عبد المقصود زين الدين . " جغرافية العالم الاسلامي " . الاسكندرية (مصر), منشأة المعارف - 1998 .
- 48- الشعراوي محمد متولي . " معجزة القرآن في خلق الانسان " . الطبعة الاولى القاهرة (مصر), مكتبة التراث الاسلامي - 2001 .
- 49- الشعراوي محمد متولي . " معجزة القرآن في خلق الانسان " . الطبعة الاولى الجزائر, شركة الشهاب - 1990 .
- 50- الشعراوي محمد متولي . " خواطري حول القرآن الكريم " . بيروت (لبنان), دار الارقم بن أبي الارقم, من دون سنة .
- 51- الامام الاكبر شلتوت محمود . " من توجيهات الإسلام " . الطبعة السابعة, بيروت (لبنان), دار الشروق - 1983 .

- 52- د. الشيخ محمد . " رهانات الحداثة " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان) دار الهادي
2007 .
- 53- طرايشي جورج . " نقد العقل العربي : العقل المستقل في الإسلام " . الطبعة
الاولى , بيروت (لبنان), دار الساقى - 2004 .
- 54- الطريقي عبد الله . " وقفية عبد الله الطريقي " - تحرير : د . وليد خدوري , الطبعة
الاولى , بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 1999 .
- 55- الطريقي عبد الله . " الاعمال الكاملة " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان) : م.د.و.ع
1999 .
- 56- د. عبد الغني عمار . " سوسيولوجيا الثقافة : المفاهيم و الاشكاليات من الحداثة
الى العولمة " . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2006 .
- 57- القاضي الشيخ عبد الوارث محمد علي . " شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق
محمد صلى الله عليه و سلم و يليه الاساليب البديعة في فصل الصحابة و اقناع الشيعة
كلاهما " . الطبعة الثانية , بيروت (لبنان), منشورات محمد علي بيضون - 2003 .
- 58- د. عبده بدوي . " حضارتنا بين العراق و التفتح " . الاسكندرية (مصر), دار قباء
1999 .
- 59- العروي عبد الله . " العرب و الفكر التاريخي " . الطبعة الرابعة , المغرب , المركز الثقافي
العربي - 1998 .
- 60- العروي عبد الله . " مفهوم العقل " . الطبعة الثالثة , المغرب , المركز الثقافي العربي
2001 .
- 61- العروي عبد الله . " ثقافتنا في الضوء التاريخي " . الطبعة السادسة , المغرب , المركز
الثقافي العربي - 2002 .
- 62- العروي عبد الله . " مفهوم الحرية " . الطبعة السادسة , المغرب , المركز الثقافي العربي
2002 .

- 63- العزيز خديجة . " الاسس الفلسفية للفكر.....الغربي " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), بيسان - 2005 .
- 64- د. عطية أحمد عبد الحليم . " الانسان في الفلسفة فيوباخ " . بيروت (لبنان), دار التنوير - 2008 .
- 65- العقاد عباس محمود . " مطلع النور أو طوابع البعثة المحمدية " . بيروت (لبنان) منشورات المكتبة العصرية, بدون سنة .
- 66- العقاد عباس محمود . " الفلسفة القرآنية " . بيروت (لبنان), منشورات المكتبة العصرية, بدون سنة .
- 67- العقاد عباس محمود . " المرأة في القرآن الكريم " . بيروت (لبنان), منشورات المكتبة العصرية, بدون سنة .
- 68- د. عويش عبد الحليم . " النزاع بين الدين و العلم في المنهج و الموضوع " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), دار النفائس - 1983 .
- 69- د. عيسوي عبد الحليم . " دراسات في الشخصية الاسلامية و العربية و أساليب تنميتها " . بيروت (لبنان), دار النهضة العربية - 1990 .
- 70- د. عيش محمد . " العقيدة الاسلامية سفينة النجاة " . الطبعة الثانية - 1984 .
- 71- غليون برهان . " اغتيال العقل : محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية " . الطبعة الرابعة, بيروت (لبنان), المركز الثقافي العربي - 2006 .
- 72- د. فرجاني نادر. " هدر الامكانية : بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته " . الطبعة الرابعة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 73- فوكوياما فرانسيس . " نهاية التاريخ و الانسان الأخير " - ترجمة : فؤاد شاهين قاسم جميل . رضا الشامي, بيروت (لبنان), مركز الانماء القومي - 1993 .
- 74- قدورة زاهية . " الفكرة النهضوي في أبحاث و مؤتمرات " . - اعداد و تقديم و توثيق : فاطمة قدورة الشامي, الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار النهضة العربية 2003 .

- 75- قطب محمد . " الانسان بين المادية و الإسلام " . الطبعة الرابعة دار الاحياء الكتب العربية عيسى الحلبي و شركائه - 1962 .
- 76- د. قلعه جي رواتس . " دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه و سلم من خلال سيرته الشريفة " . بيروت (لبنان), دار النفائس - 1996 .
- 77- د. كمال عبد اللطيف . " أسئلة النهضة العربية : تاريخ الحداثة و التواصل " الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2003 .
- 78- لوران فلوري . " ماكس قيبر " . - ترجمة : محمد علي مقلد, بيروت (لبنان), دار الكتاب الجديد - 2008 .
- 79- المحتسب عبد السلام . " اتجاهات التفسير في العصر الراهن " . الطبعة الثالثة, عمان (الأردن) - 1982 .
- 80- محمد ابراهيم مقيدة . " عصر النهضة العربية بين الحقيقة و الوهم " . الطبعة الاولى عمان (الأردن), دار مجدلاوي - 1999 .
- المجدوب عبد العزيز . " أفعال العباد في القرآن الكريم " . تونس, دار العربية للكتاب, 1985 .
- 81- د. مروة يوسف . " أضواء على أزمة الفكر العربي المعاصر " : الفلسفة الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) - 2000 .
- 82- المقدمي المجاعلي . " العهدة في مصالح الحلال و الحرام " . - شرح و تحقيق : مصطفى عبد القادر عطية, الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الكتب العلمية - 1986 .
- 83- المنجد المهدي . " الحرب الحضارية الاولى : مستقبل الماضي و ماضي المستقبل " لطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز الثقافي العربي - 2005 .
- 84- نايف معروف . " الادب الاسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), دار النفائس - 2005 .

85- د.النشوري ناصر أحمد ابراهيم . " موقف الشريعة الاسلامية من تولي المرأة لعقد النكاح : دراسة فقهية مقارنة " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2005 .

86- هيكل محمد حسين . " حياة محمد صلى الله عليه و سلم " . الجوهرة, بدون سنة

الاجتماع :

87- بن نبي مالك . " ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية : - ترجمة عبد الصبور شاهين, الطبعة الثالثة, القاهرة (مصر) - 1986 .

88- الشيخ أبو زهرة محمد . " المجتمع الانساني في ظل الإسلام " . الطبعة الثانية, الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية - 1981 .

89- البيجاني محمد بن سالم . " اصلاح المجتمع : شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم " . - تحقيق و تعليق: عبد الله الخالدي, بيروت (لبنان), دار الارقم بن الارقم - 2000 .

90- بريك ادمون . لايبيدوس ايرا . " الإسلام و الحركات الاجتماعية " . - ترجمة سليمان محروس, القاهرة (مصر), مكتبة مدبولي - 2000 .

91- بيومي أحمد محمد . " علم الاجتماع الديني و مشكلات العالم الاسلامي " . الاسكندرية (مصر), دار المعرفة الجامعية - 1997 .

92- خفاجي عبد المنعم . " الإسلام و بناء المجتمع " . الاسكندرية (مصر), دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر - 2002 .

93- د. رشوان أحمد محسن عبد الحميد . " علم اجتماع المرأة " . الاسكندرية (مصر) المكتب الجامعي الحديث - 1998 .

94- سليم مريم و آخريين . " المرأة العربية بين ثقل الواقع و تطلعات التحرر " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .

- 95- أ. الشرنباصي السيد رمضان علي . " أحكام الاسرة في الشريعة الاسلامية " .
الاسكندرية (مصر), الدار الجامعية - 2001 .
- 96- عبده سمير . " المرأة في المجتمع العربي " . الطبعة الاولى , الاسكندرية (مصر),
مطبعة العجلوني - 1988 .
- 97- عصام نور . مشرفة مصطفى . " العولمة و أثرها على المجتمع الاسلامي " .
الاسكندرية (مصر), مؤسسة شباب الجامعة - 2005 .
- 98- العطار عبد الناصر توفيق . " تعدد الزوجات من النواحي الدينية و الاجتماعية و
القانونية " . الطبعة الثانية, جده (المملكة العربية السعودية) دار الشروق - 1977 .
- 99- د. الفيلاي مصطفى . " المغرب العربي الكبير: نداء المستقبل " . الطبعة الاولى
بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1989 .
- 100- المرسي كمال الدين عبد الغني . " الاسرة المسلمة و الرد على ما يخالف أحكامها
و آدابها " . الاسكندرية (مصر), دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر - 2002 .
- 101- نصار ناصيف . " مفهوم الامة بين الدين و التاريخ : دراسة في مدلول الامة في
التراث " . الطبعة الخامسة, بيروت (لبنان), دار الطليعة - 2003 .

علم النفس و التربية

- 102- خضر عادل . سعد يوسف . " مهارات البحث النفسي و التربوي و الاجتماعي
في عصر العولمة " . القاهرة (مصر), مكتبة النهضة العربية - 2002 .
- 103- السيد عثمان فاروق . " سيكولوجية العولمة " . دار الامن القاهرة (مصر) 2006
.
- 104- د. عادل مصطفى . " العولمة من زاوية سيكولوجية " . الطبعة الاولى , بيروت
(لبنان), دار النهضة العربية - 2006 .

- 106- د. عباس فيصل . " الانسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار المنهل اللبناني - 2004 .
- 107- القاطرجي نهي . " الاغتصاب : دراسة تاريخية نفسية اجتماعية " . الطبعة الاولى بيروت (لبنان), مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - 2003 .

الاعلام و الاتصال

- 106- ابن علي بن ثابت سعيد . " الحرية الاعلامية في ضوء الإسلام " . الطبعة الاولى الرياض (المملكة العربية السعودية), دار عالم الكتاب - 1991 .
- 107- أ. امام محمد كمال الدين . " الاعلام الاسلامي " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة, بدون سنة .
- 108- د. الجديتي مؤيد عبد الجبار . " العولمة الاعلامية " . الطبعة الاولى, عمان (الاردن), دار الاهلية - 2002 .
- 109- الرفاعي عبد الرحمان محمد . " سليمان عليه السلام بين حقائق التلفزة و على التقنية " . الجزء الاول. الطبعة الاولى, الرياض (المملكة العربية السعودية), مطابع دار العلم
- 110- زحلان أنطوان . " العرب و تحديات العلم و الثقافة : تقدم من دون تغيير " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) - 1999 .
- 111- سعيد الحريري منى . " الاعلام و المجتمع " . الطبعة الاولى, القاهرة (مصر) الدار المصرية اللبنانية - 2004 .
- 112- د. عبد الله منى . " الاتصال و الديمقراطية " . بيروت (لبنان), دار النهضة العربية - 2005 .
- 113- عياد حامد سامي علي . " استخدام تكنولوجيا المعلومات في مكافحة الارهاب " . الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2007 .

- 114- فلهوط صابر . البخاري محمد . " العولمة و التبادل الاعلامي الدولي " (دمشق), دار علاء الدين - 1999 .
- 115- د. كاظم نجاح . " العرب و عصر عولمة المعلومات : البعد الخامس " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) - 2002 .
- 116- د. الفقري . " المعلوماتية و المجتمع, مجتمع ما بعد الصناعة و مجتمع المعلومات " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز الثقافي العربي - 2001 .
- 117- اليحياوي يحي . " في العولمة التكنولوجية و الثقافة : مدخل الى تكنولوجيا المعرفة " . بيروت (لبنان), دار الطليعة - 2002 .

في الفكر القومي و السياسي

- 118- ابن بني مالك . " فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ " . - ترجمة : عبد الصبور شاهين . دمشق (سوريا), دار الفكر - 1981 .
- 119- ابن بني مالك . " في مهب المعركة ارهاصات الثورة " . دمشق (سوريا), دار الفكر - 1981 .
- 120- أحمد منصور . " الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار ابن حزم - 2003 .
- 121- أ. امام زطريا بشير . " في مواجهة العولمة " . الخرطوم (السودان), مركز قاسم للمعلومات و الخدمات - 2000 .
- 122- د. الأنصاري محمد جابر . " تكوين العرب السياسي و مغزى الدولة القطرية : مدخل الى اعادة فهم الواقع العربي " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1995 .
- 123- أوليفيه روا . " تجربة الإسلام السياسي " . - ترجمة : نصيرة مروة, الطبعة الثانية بيروت (لبنان), دار الساقى - 1996 .

- 124- أومليل علي . " السلطة الثقافية و السلطة السياسية " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1998 .
- 125- أونيل رون سسكند بول . " ثمن الولاء جورج بوش الابن : البيت الابيض و العالم بول أونيل سسكند الحائز على جائزة بوليتزر " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) الدار العربية للعلوم - 2004 .
- 126- د. الباز داوود . " النظم السياسية, الدولة و الحكومة في ضوء الشريعة الاسلامية " . الطبعة الاولى, الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2006 .
- 127- برادلي أ. تاير . " السلام الامريكى و الشرق الاوسط, المصالح الاستراتيجية الكبرى لأمرىكا في المنطقة بعد 11 أيلول عن العبرية " . - ترجمة بإشراف د. عماد فوزي شعبي, الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) - 2004 .
- 128- د. بركات حليم . " حرب الخليج : خطوط في الرمل و الزمن (يوميات من جوف الآلة) " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1992
- 129- بسيوني عبد الله الغني . " النظم السياسية : دراسة النظرية الدولة و الحكومة الحقوق و الحريات العامة في الفكر الاسلامى و الفكر الاوروبى " . بيروت (لبنان) الدار الجامعية, بدون سنة .
- 130- د. بشارة عزمي . " العرب في اسرائيل : رؤية من الداخل " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2000 .
- 131- د. بلقزيز عبد الإله . " الدولة في الفكر الاسلامى المعاصر " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .
- 132- بولانتزاس نيكولاس . " نظرية الدولة " . - ترجمة : ميشل كيلو. بيروت (لبنان) - 2007 .

- 133- د. البيطار نديم . " من التجزئة الى الوحدة : القوانين الأساسية لتجارب التاريخ الوحدوية " . الطبعة الخامسة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية 1986 .
- 134- الترابي حسن . " السياسة و الحكم و النظم السلطانية بين الأصول و سنن الواقع " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), دار الساقى - 2004 .
- 135- الترابي حسن . " المصطلحات السياسية في الإسلام " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار الساقى - 2000 .
- 136- د. توفيق ابراهيم حسنين . " النظم السياسية العربية : الاتجاهات الحديثة و دراستها " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2005
- 137- تيموتررويرتس جي . هات ايمي . " من الحداثة الى العولمة : رؤى و وجهلت نظر في قضية التطور و التغيير الاجتماعي " . الجزء الثاني - ترجمة سمر الشيشكلي مراجعة : أ. محمود ماجد عمر, الكويت, مطابع السياسة - 2004 .
- 138- د. الجابري محمد عابد . " مسألة العولمة , العروبة و الإسلام و الغرب " الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1997 .
- 139- د. الجابري محمد عابد . " قضايا في الفقه المعاصر العولمة - صراع الحضارات العودة الى أخلاق التسامح الديمقراطية و نظام القم - الفلسفة و المدينة " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2003 .
- 140- د. الجابري محمد عابد . " الديمقراطية و حقوق الانسان " . الطبعة الثالثة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .
- 141- د. الجابري محمد عابد . " العقل السياسي العربي : محدداته و تجلياته " . الطبعة الخامسة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .

- 142- د. الجابري محمد عابد . " الدين و الدولة و تطبيق الشريعة " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .
- 143- د. الجاسوري ناظم عبد الواحد . " أسس و قواعد العلاقات الدبلوماسية و القنصلية : دليل عمل الدبلوماسي و البعثات الدبلوماسية " . الطبعة الاولى, عمان (الأردن), دار المجد لاوي - 2001 .
- 144- د. الجاسوري ناظم عبد الواحد . " تأثير الخلافات الأمريكية - الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة بعد نهاية الحرب الباردة " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2007 .
- 145- جمعة محمود . " الدبلوماسية في عصر العولمة " . الطبعة الثانية, القاهرة (مصر) دار النهضة العربية - 2006 .
- 146- جيف سيمونز . " عراق المستقبل : السياسة الأمريكية في اعادة تشكيل الشرق الأوسط " . - ترجمة : سعيد العظم, الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), دار الساقى 2004 .
- 147- أ. حجازي مجدي . " العولمة بين التفكيك و اعادة التركيب : دراسات في تحديات النظام العالمي الجديد " . القاهرة, الدار المصرية- السعودية - 2005 .
- 148- حرب علي . " حديث النهايات: فتوحات العولمة و مأزق الهوية " . بيروت (لبنان), المركز الثقافي العربي - 2004 .
- 149- حرب , علي . أزمة الحداثة الفائقة : الاصلاح - الارهاب - الشركات . الطبعة الاولى , بيروت (لبنان) : مركز دراسات الوحدة العربية , 2005 .
- 150- حسن عبيد عمر . " العولمة فرص و تحديات " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان) 2004 .
- 151- د. حسن صالح . " أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي (دراسة علمية موثقة) " . الطبعة الاولى, القاهرة (مصر) - 1988 .

- 152- الحصري ساطع (أبو خلدون). " أبحاث مختارة في القومية العربية " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 153- الحصري ساطع (أبو خلدون). " حول القومية العربية " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 154- الحصري ساطع (أبو خلدون). " الإقليمية, جذورها و بذورها " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 155- الحصري ساطع (أبو خلدون). " العروبة أولا " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 156- الحمد توكي . " السياسة بين الحلال و الحرام : أنتم أعلم بأمر دنياكم " . الطبعة الثالثة, بيروت (لبنان), دار الساقى - 2003 .
- 157- د. خليل حسين . " السياسات العامة في الدول النامية " . بيروت (لبنان), دار المنهل اللبناني - 2004 .
- 158- د. رشوان أحمد عبد الحميد . " الارهاب و التطرف من منظور علم الاجتماع " الاسكندرية (مصر) و مؤسسة شباب الجامعة - 2002 .
- 159- رشوان حسين عبد المنصف . " العولمة و آثارها - رؤية تحليلية اضافية " . القاهرة (مصر), المكتب الجامعي الحديث - 2006 .
- 160- روبيدو و آخرين . " الوطن العربي و أمريكا اللاتينية " . بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2005 .
- 161- د. زريق قسطنطين . " الاعمال الفكرية العامة " . المجلد الاول, الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية و مؤسسة عبد الحميد شومان - 1996 .
- 162- د. زريق قسطنطين . " الاعمال الفكرية العامة " . المجلد الثاني, الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية و مؤسسة عبد الحميد شومان - 1996 .

- 163- د. زريق قسطنطين . " الأعمال الفكرية العامة " . المجلد الثالث, الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية و مؤسسة عبد الحميد شومان - 1996 .
- 164- د. زريق قسطنطين . " الأعمال الفكرية العامة " . المجلد الرابع, الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية و مؤسسة عبد الحميد شومان - 1996
- 165- زيادة رضوان حمودة . " سؤال التجدد في الخطاب السياسي المعاصر " . الطبعة الاولى, بيروت (لبنان), دار المدار الاسلامي - 2004 .
- 166- سرور أحمد فتحي . " العالم الجديد بين الاقتصاد و السياسة و القانون : اضطراب في عالم متغير " . الطبعة الثانية, القاهرة (مصر) - 2005 .
- 167- د. سعيد عبد المنعم . " العرب و مستقبل النظام العالمي " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1987 .
- 168- د. سيف الدولة عصمت . " عن العروبة و الإسلام . سلسلة الثقافة القومية (6) " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1986 .
- 169- السيد عليوه . " مهارات التفاوض و العقود و التحكيم الدولي " . القاهرة (مصر), دار الأمين - 2002 .
- 170- السيد عليوة . " اتجاهات العولمة : إشكالية الألفية الحديثة " . بيروت (لبنان) المركز الثقافي العربي - 2001
- 171- الفريق الركن/ الشكرجي طه نوري ياسين . " الحرب الأمريكية على العراق " . عمان (الاردن), الدار العربية للعلوم - 2004 .
- 172- د. الشويري يوسف . " القومية العربية : الأمة و الدولة و الوطن العربي (نظرة تاريخية) " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2002 .
- 173- السفير/صلوخ فوزي . " الواقع الاقليمي و الدولي (قضايا و مواقف) " . بيروت (لبنان), دار المنهل اللبناني - 1999 .

- 174- الطراح علي أحمد . " العولمة و الدولة, الوطن و المجتمع العالمي " . بيروت (لبنان), دار النهضة العربية - 2002 .
- 175- د. طريز أحمد . " التجزئة العربية كيف تحققت ؟ " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2003 .
- 176- د. طلعت أحمد مسلم . " الوجود العسكري الأجنبي في الوطن العربي " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1998 .
- 177- طه طارق . " السلوك التنظيمي في بيئة العولمة " . الطبعة الأولى, الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2007 .
- 178- د. علي عبد اللطيف . الباحثة/ علي طائي حنان . " الاستراتيجية اتجاه الخليج العربي " . الطبعة الأولى, عمان (الأردن), دار المجدلاوي - 2002 .
- 179- عبد الله عثمان عبد الله . " ايدولوجية العولمة : من عولمة السوق الى عولمة تسويق العولمة " . الطبعة الأولى, طرابلس (ليبيا), دار الكتاب الجديد - 2003 .
- 180- د. العظمة عزيز . " العلمانية من منظور مختلف " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 1998 .
- 181- غليون برهان . " مستقبل الديمقراطية في الجزائر " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2002 .
- 182- د. الغويل سليمان صالح . " الاستفتاء و أزمة الديمقراطية (دراسة قانونية-سياسة مقارنة " . الطبعة الأولى, طرابلس (ليبيا), جامعة قاريوس - 2003 .
- 183- د. الفالح متروك . " المجتمع و الديمقراطية و الدولة في البلدان العربية (دراسة مقارنة لاشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدن " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 2002 .

- 184- د. فؤاد عبد الله ثناء . " آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), م.د.و.ع. - 1997 .
- 185- كاستون بوتول . " طاهرة الحرب " . - ترجمة : ايلي نصار, الطبعة الأولى بيروت (لبنان) - 2007 .
- 186- الكبسي عامر . " الفساد و العولمة, تزامن لا توأمة " . الاسكندرية (مصر) المكتب الحديث - 2005 .
- 187- الكعكي يحي أحمد . " العولمة الاسلامية العربية " . بيروت (لبنان), - 2003 .
- 188- كلارك ايان . " العولمة و التفكيك (دراسات مترجمة) " . الطبعة الأولى, أبو ظبي (الامارات العربية المتحدة), مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية 2003 .
- 189- كوستيلون جيرمي تيم . سميث برنراف . " العولمة من تحت : قوة التضامن " . التعريب : أسعد كمال الياس, الطبعة الأولى, الرياض (المملكة العربية السعودية) - 2003 .
- 190- كيركبرايد بول . " العولمة الضغوط الخارجية " . - تعريب : د. رياض الأبرش الرياض (المملكة العربية السعودية) العبيكان - 2003 .
- 191- كيركبرايد بول . ورد كارين . " العولمة الديناميكية الداخلية " . - تعريب : د. هشام الدجاني, الرياض (المملكة العربية السعودية), العبيكان - 2003 .
- 192- كي لا ننج مايكل . " 100 قائد عسكري تضاف لأكثر القادة العسكريين تأثير في العالم عبر التاريخ " . الطبعة الأولى, أبو ظبي (المملكة العربية السعودية), مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية - 1999 .
- 193- لايت مارغوت . سميث كاردن أي . " الأخلاق و السياسة الخارجية " . - تعريب : فاضل جتكرط, الطبعة الأولى, الرياض (المملكة العربية السعودية), العبيكان - 2005 .

- 194- لتشتت فرانك جي . بولي جوان . " العولمة الكوفان أم الانقاد ؟ الجوانب الثقافية و السياسية " . - ترجمة : فاضل جتكر, الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .
- 195- مسعد محمد . " دور الدولة في ظل العولمة (دراسة تحليلية مقارنة) " . الطبعة الأولى, الاسكندرية (مصر), مركز الاسكندرية - 2004 .
- 196- مسعد محي محمد . " ظاهرة العولمة : الأوهام و الحقائق " . الاسكندرية (مصر) دار المطبوعات الجامعية - 2004 .
- 197- مقدادي محمد . " العولمة رقاب كثيرة و سيف واحد " . بيروت (لبنان) المؤسسة العربية للدراسات و النشر - 2002 .
- 198- منصور ممدوح وهبان أحمد . " التاريخ الدبلوماسي للعلاقات السياسية بين القوى الكبرى (1815-1959) " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2003/2002 .
- 199- منصور ممدوح محمود . " العولمة : دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2003 .
- 200- موريس روبان . " تاريخ الأفكار السياسية المقارنة " . - ترجمة : عائدة دعدع قنا, بيروت (لبنان), المركز الثقافي العربي - 2004 .
- 201- نايف معروف . " الديمقراطية في ميزان العقل و الشرع " . الطبعة الأولى بيروت (لبنان), دار النفائس - 2004 .
- 202- د. النشار مصطفى . " ضد العولمة " . القاهرة (مصر), دار قباء - 1999 .
- 203- د. النشار مصطفى . " ما بعد العولمة (قراءة في المستقبل التفاعل الحضاري و " . القاهرة (مصر), دار قباء - 2003 .

- 204- الهزاط محمد و آخريين . " احتلال العراق : الأهداف , النتائج , المستقبل " . بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2004 .
- 205- هويدي أمين حامد . " الصراع العربي الاسرائيلي بين الرادع التقليدي و الرادع النووي " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية 1983 .
- 206- والي خميسس حزام . " إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية مع الإشارة 'لى الجزائر " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2003
- 207- وردم باتر محمد علي . " العولمة و مستقبل الأرض " . الطبعة الأولى , عمان (الأردن), الأهلية للنشر و التوزيع - 2003 .
- 208- ويلسون جيمس . " البيروقراطية : ما الذي تفعله الأجهزة الحكومية و لماذا ؟ " . - ترجمة : د. عبد الله بن مسفر الوقداني . و مراجعة : وحيد بن أحمد الهندي , الرياض (المملكة العربية السعودية), مركز البحوث لمعهد الادارة العامة - 2007 .
- 209- مجموعة من باحثي معهد نيومان (اسرائيل) . " اسرائيل 2060 " . - مراجعة الترجمة من العبرية : الياس شوفاني . عبد الله هاني . تقديم : د. سلمان أبو ستة , المجلد الأول مبادئ التخطيط البعيد المدى , خططها التفصيلية لمستقبل الدولة و المجتمع , الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2005 .

القانون :

- 210- امام حسانين . " حقوق الانسان العالمية و الخصوصية (نموذج السعودية) " .
الاسكندرية (مصر), دار المطبوعات الجامعية - 2004 .
- 211- بندق وائل أنور . " موسوعة القانون الدولي الانساني : معاملة أسرى الحرب و المدنيين و النساء و الأطفال و المساعدات الانسانية " . الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2004 .
- 212- بندق وائل أنور . " التنظيم الدولي لحقوق الانسان " . الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2004 .
- 213- د. البهجي أحمد عصام . " حماية الحق في الحياة الخاصة في ضوء حقوق الانسان و المسؤولية المدنية " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2005 .
- 214- لواء/ د. بوادي حسنين الحمدي . " حقوق المرأة بين الاعتدال و التطرف " .
الطبعة الأولى, الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2005 .
- 215- بيرم عيسى . " الحريات العامة و حقوق الانسان بين النص و الواقع " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), دار المنهل اللبناني - 1998 .
- 216- الجابري محمد عابد و آخريين . " حقوق الانسان في الفكر العربي (دراسات في النصوص) " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2002 .
- 217- الحمراغي أحمد . " قانون حمورابي " . الطبعة الأولى, القاهرة (مصر), توزيع المكتبة القانونية - 2007 .
- 218- حمودة سعيد منتصر . " الارهاب الدولي جوانبه القانونية, وسائل مكافحته في القانون الدولي العام و الفقه الاسلامي " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة . 2006 .

- 218- حمودة منتصر سعيد . " حماية حقوق الطفل في القانون الدولي العام و الإسلام .
الطبعة الأولى, الاسكندرية - 2007 .
- 219- رضوان جودث . " الحقوق الانسانية فعل . التزام " . الطبعة الأولى, بيروت
(لبنان), المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - 1989 .
- 220- رضوان جورث . " مسيرة حقوق الانسان في العالم العربي " . الطبعة الأولى
بيروت (لبنان), المركز الثقافي العربي - 2000 .
- 221- خليفة ابراهيم أحمد . " النظام القانوني المنظمة التجارية العالمية (دراسة نقدية)"
. الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2006 .
- 222- د. زيدان زكي حسين . " حق المجني عليه في التعويض عن ضرر النفس في
الفقه الاسلامي و القانون الوضعي " . الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2005 .
- 223- د. سرور أحمد فتحي . " الحماية الدستورية للحقوق و الحريات " . الطبعة الثانية
بيروت (لبنان), دار الشروق - 1999 .
- 224- سرور أحمد فتحي . " العالم الجديد بين الاقتصاد و السياسة و القانون :
اضطراب في عالم متغير " . الطبعة الثانية, القاهرة (مصر) - 2005 .
- 225- السيد محمد يسري . " حقوق الانسان في ضوء الكتاب و السنة " . الطبعة الأولى
بيروت (لبنان), دار المعرفة - 2006 .
- 226- د. الشافعي حسن . " حقوق الانسان و قانون الطفل و التربية البدنية و الرياضة
عن الشريعة الاسلامية - المواثيق الدولية - الاقليمية - المحلية " . الطبعة الأولى
الاسكندرية (مصر) و دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر - 2005 .
- 227- المحامي/شلاه نزيه نعيم . " الارهاب الدولي و العدالة الجنائية " . الطبعة الأولى
بيروت (لبنان), منشورات الحلبي الحقوقية - 2003 .

- 228- د. عبد الكافي اسماعيل عبد الفتاح . " حقوق الطفل , نظرة تحليلية وثائقية عن حقوق الطفل العربي و المسلم في العالم المعاصر " . الاسكندرية (مصر), مركز الاسكندرية للكتاب - 2005 .
- 229- د. عكاشة محمد عبد المجذوب طارق . " تاريخ النظم القانونية و الاجتماعية " بيروت (لبنان), منشورات الحلبي الحقوقية - 2004 .
- 230- عودة عبد القادر . " التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي " . المجلد الأول, القاهرة (مصر), مكتبة التراث - 2002 .
- 231- عودة عبد القادر . " التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي " . المجلد الثاني القاهرة (مصر), مكتبة التراث - 2002 .
- 232- د. فراج حسين أحمد . " أحكام الأسرة في الإسلام : الطلاق - الخلع - حقوق الأولاد - نفقه الأقارب وفقا لأحداث التشريعات القانونية " . الاسكندرية (مصر) 2004 .
- 233- د. فوده السيد عبد الحميد . " حقوق الانسان بين النظم القانونية الوضعية و الشريعة الاسلامية " . الاسكندرية (مصر), دار الفكر الجامعي - 2004 .
- 234- د. مصباح عيسى محمد . " حقوق الانسان في العالم المعاصر " . بنغازي (ليبيا) 2001 .
- 235- د مغازي محمود محمد عبد الله . " المجلس القومي لحقوق الانسان في ميزان الشريعة الاسلامية " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2005 .
- 236- د. منصور محمد حسين . " النظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الاسلامية " الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2003 .

- 237- د. منصور محمد حسين . " نظرية الحق ماهية الحق , أنواع الحقوق , الأشياء محل الحق ميلاد الحق و حمايته و اثباته الشخصية - القانونية الشخص الطبيعي , الشخص المعنوي " . الاسكندرية (مصر), الدار الجامعية الجديدة - 2004 .
- 238- المنعم فؤاد أحمد . " مبدأ المساواة في الإسلام (بحث من الناحية الدستورية مع مقارنة بالديمقراطية الحديثة " . الاسكندرية (مصر), المكتب العربي الحديث - 2002 .
- 239- موسى أمير . " حقوق الانسان : مدخل الى وعي حقوقي " . الطبعة الثانية بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2002 .
- 240- النشار مصطفى . " حقوق الانسان المعاصر بين الخطاب النظري و الواقع العملي " . الطبعة الأولى , القاهرة (مصر), الدار المصرية - السعودية - 2004 .
- 241- ياسر محمد عبد التواب . " حق المساواة بين الإسلام و المواثيق الدولية (دراسة مقارنة) " . الطبعة الأولى , الشارقة (الامارات العربية المتحدة), مكتبة الصحابة - 2004 .

الاقتصاد :

- 242- ابن بني مالك . " المسلم في عالم الاقتصاد " . الطبعة الثالثة, بيروت (لبنان) 1987 .
- 243- د. أمين سمير . " ما بعد الرأسمالية " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان) - 1988 .
- 244- د. أمين سمير و آخريين . " المجتمع و الاقتصاد أمام العولمة " . الطبعة الأولى بيروت (لبنان) - 2004 .
- 245- د. جابر عبد الرؤوف . " الوجيز في عقود التنمية التقنية " . الطبعة الأولى بيروت (لبنان), منشورات الحلبي الحقوقية - 2004 .
- 246- جلال أحمد أمين . " المشرق العربي و المغرب . (بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطوير النظام الاقتصادي العربي و العلاقات الاقتصادية العربية " . الطبعة الرابعة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1983 .
- 247- جلال أحمد أمين . " العولمة و التنمية العربية من حملة نابليون الى جولة الاوروغواي 1798-1998 " . الطبعة الثانية, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 2001 .
- 248- حشيشي عادل أحمد . " المبادئ الأساسية الحاكمة للاقتصاد الدولي بمراعاة التطورات المسجدة الناتجة عن تنامي مظاهر العولمة في نطاقه " . الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2005 .
- 249- د. ربيع محمد عبد العزيز . " المعونات الأمريكية الاسرائيل " . الطبعة الأولى بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1990 .
- 250- زحلان أنطوان . " البعد التكنولوجي للوحدة العربية " . الطبعة الثالثة, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .

- 251- دراكر بيتر . " مجتمع ما بعد الرأسمالية - ترجمة صلاح المعيوف بن معاند و راجعها : عبد الله بن محمد الحميدان " . الرياض (المملكة العربية السعودية), مكتبة الملك فهد بمعهد الادارة العامة - 2001 .
- 252- د. سنو غسان منير حمزة أحمد علي . " العولمة , الوطن و المجتمع العالمي - دراسة في التنمية و المجتمع المدني في ظل الهيمنة الاقتصادية العالمية " . الطبعة الأولى بيروت (لبنان), النهضة العربية - 2002 .
- 253- د. سلامة مصطفى . " منظمة التجارة العالمية : النظام الدولي للتجارة الدولية " الطبعة الأولى, الاسكندرية (مصر), دار الجامعة الجديدة - 2006 .
- 254- د. صايغ يزيد . " الصناعة العسكرية العربية " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 1992 .
- 255- د. صايغ يوسف . " التنمية المصيبة : من التبعية الى الاعتماد على النفس في الوطن العربي " . الطبعة الأولى, بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1992
- 256- عباس صلاح . " العولمة و آثارها في الفكر المالي و النقدي " . الاسكندرية (مصر), مؤسسة الجامعة - 2005 .
- 257- أ. عباس صلاح . " العولمة في ادارة المنظمات العالمية " . الاسكندرية (مصر) مؤسسة الجامعة - 2005 .
- 258- أ. عباس صلاح . " الادارة و الاستراتيجية في ظل العولمة " . الاسكندرية (مصر), مؤسسة الجامعة - 2005 .
- 259- عبد اللطيف مشهور أميرة . " الاستثمار في الاقتصاد الاسلامي . مقدمة الكتاب بقلم فضيلة الشيخ محمد الغزالي " . الطبعة الأولى, القاهرة, مصر - 1991 .
- 260- عصام نور . " دول العالم النامية و تحديات القرن الحادي و العشرين " . الاسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة - 2006 .

- 261- د. الفارس عبد الرزاق . " السلاح و الخبز و الإنفاق العسكري في الوطن العربي 1970-1990 " . دراسة في الإقتصاد السياسي , الطبعة الأولى , بيروت (لبنان) مركز دراسات الوحدة العربية - 1993 .
- 262- د. الفارس عبد الرزاق . " الحكومة و الفقراء و الإنفاق العام . دراسة لظاهرة الموازنة و نثارها الإقتصادية و الاجتماعية في البلدان العربية " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1997 .
- 263- د. فريد مصطفى نحال . " أساسيات الأعمال في ظل العولمة " . الاسكندرية عباس , نبيلة (مصر), دار الجامعة - 2005 .
- 264- كنعان طاهر حمدي . اسكندر مروان . فرجاني نادر . " هموم اقتصادية عربية : التنمية و التكامل , ... العولمة " . بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية 2001 .
- 265- محمد عبد الفضل . " النفط و الوحدة العربية : تأثير النفط العربي على مستقبل الوحدة و العلاقات الاقتصادية العربية " . الطبعة الخامسة , بيروت (لبنان), مركز دراسات الوحدة العربية - 1985 .
- 266- مشورب ابراهيم . " اشكالية التنمية في العالم الثالث " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان) - 2006 .
- 267- موسى ابراهيم . عيسى عبد الله محمد . " العلاقات الاقتصادية الدولية " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان), دار المنهل اللبناني - 1998 .
- 268- هشام عبد الله . " تقرير البنك الدولي عن بحوث السياسات حول العولمة و النمو و الفقر , بناء اقتصاد عالمي شامل " . الطبعة الأولى , بيروت (لبنان), المؤسسة العربية للدراسات و النشر - 2003 .

2 - المصادر و المراجع باللغة الفرنسية

- Arlette Heynam daot - *libertés publiques et droits de l'Homme* - édition Paris 1992.
- Bouin pierre Yves. – *Mondialisation : perspectives philosophiques* – Paris. L'Harmattan; 2001
- Chiton Chems Edoline. – *géopolitique du pétrole et mondialisation: géopolitique pétrole mondialisation* – Alger, O.P.U, 1998
- Cardebat Jean Marie. – *la mondialisation et l'emploi* – Paris, la découverte, 2002
- Chitour Chens Eddine. – *Mondialisation: l'esperence ou le chaos?*- Alger ANEP, 2002
- Duronsset Maurice . - *La mondialisation de l'économie*- Paris, Ellipses, 1994
- Daniele Lochak - *les droits de l'Homme*- édition la decouverte Paris 2002.
- Daniel Cohen - *la mondialisation et ses ennemis* - édition grasset et fasquelles 2004
- Friedman Thomas. – *La puce et l'olivier : comprendre la mondialisation* – Paris. nouveaux horizon, 2001
- Fatsah Ouguercouz - *la charte africaine des droits de l'Homme et des peuples* publication de l'institut universitaire de haute études internationale- genève 1993.
- Guillochon Bernard . – *la mondialisation : une seule planète, des projets divergents* – Paris, Larousse, 2003

- *Guy Haaracher, laïcité - philosophique des droits de l'Homme - édition université de Bruxelles 1989*
- *Johnet Hoche Elisabeth. Monnier Sabine - Problèmes économiques politiques, économiques monnaie mondialisation-,Paris. Montchrestien, 1997*
- *J. Ferrand, H Petit (EDF) - fondations et naissance des droits de l'Homme- librairie des humanités, france 2005*
- *Jaques Moungean - que sais-je? Les droits de l'Homme- librairie universitaire de France 1980.*
- *Jean luc Mathieu - que sais-je? La défense des droits de l'Homme- édition P.U.F 1993.*
- *Jean louis Buebin - les institutions européennes - librairie vuibert, Paris 2002.*
- Jacque Fantanel - globalisation économique et sécurité internationale office des publication universitaire - Alger 2005*
- *Lockak Daniel. – les droits de l'Homme - , Paris, la découverte 2002*
- *Mattelast Armand. – diversité culturelle et mondialisation – Paris, la découvertes, 2005*
- *Moatassime Ahmed. – Francofonie Monde Arabe : un dialogue est il possible? une interrogation perspective face aux enjeux de la mondialisation– Paris, l'Harmattan, 2001*
- *Mustapha cherif. L'Islam - l'Autre et la mondialisation-édition ANEP Alger 2005*

- *Negrepointi Delivanis . Maria – Mondialisation conspiratrice – Paris. L'Harmattan, 2002*
- *Paul Jean Pierre. – l'Asie et la mondialisation: croissances et crises – Paris. Ellippes, 1999*
- *Rasse Paule Midol Nancy ...- inité diversité les identités culturelles dans les jeux de mondialisation -, Paris, l'Harmattan 2002*
- *Xavier Delsot, Alain Garry Ammanuel Tawil - droits des cultes personnes activités - lien et structures presse universitaire d'ex-en Provence 2005.*
- *Thierry de Montlerial et Philippe MO reur de farges, 2005 - les faces cachés de la mondialisation - durad 2004.*
- *Walteur – Laguen – Anthropologie des droits l'Homme – traducteur : Thierry piélat, Paris, nouveaux horizons, 1979*
- *Walter Laqueur Barry Rabin - anthropologie des droits de l'Homme textes réunis, Paris 2002*

5- الخاتمة :

النظام العالمي الجديد صهيوني المنشأ أمريكي التصور.

يعتبر النظام العالمي الجديد صهيوني المنشأ أمريكي التصور ذلك النظام الذي أسسه و عزز الليبرالية كل من الرئيس الأمريكي رونالد ريغان و رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر و التي عقلت عند ما تسلم " الرفيق " غورباتشوف مقاليد السلطة في الإتحاد السوفيياتي آنذاك بما يلي: هذا الرجل يمكن أن نتعامل معه: بالوعود و الرفاه و مبادئ ميثاق الأمم المتحدة و الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك (business) مقابل (business) بلا من تحفيز العلاقة التجارية و الاقتصادية و إعادة التفكير في الإنزلاقات الاقتصادية في البلدان المتأخرة، أو على الأقل إعادة النظر و التصويب بالنسبة للدول التي ظهرت بعد سقوط الإتحاد السوفيياتي و معه الكتلة الشيوعية، و التي تخلت عن النظم الإشتراكية، و الحال فإن مصير الملايين من البشر أصبحوا تحت وصفات البيروقراطيات التي تدعمها المؤسسات التمويلية العالمية، مثل صندوق النقد و البنك الدولي، و نادي لندن و باريس و عندهم من منظمات التمويل العالمية، التي يسيطر عليها حكماء صهيونيون الذين كان شعارهم كل وسائل الدهاء و الكذب و الإدعاء و الافتراء على إمتداد التاريخ الإسرائيلي في كبريات القضايا، و خاصة منذ الربع الأخير للقرن الثامن عشر عندما إستقلت الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا، تجلّى المنشأ الصهيوني في كافة الأبعاد و الوقائع السياسية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و تبني عبادة المال و حق الاستيلاء على أرض الغير و في عقيدته " الإختيار الإلهي " و إستعار كل المبررات كالغاية تبرر الوسيلة لإبادة الهنود الحمر أصحاب الأرض و أصحاب الحق ثم احتلال و إجتياح شمال أمريكا، و أطلق على العالم الجديد إسم أرض " أرض كنعان " و "إسرائيل الجديدة" حتى أن إسم أمريكا كان فكرة يهودية صهيونية و هي فكرة إبادة شعب و حضارته و ثقافته عن طريق الإرهاب و العنف و التفاخر و يجب الظهور بمظهر القوة، فإنها السبيل الوحيد لإشاعت الرعب و الخوف و توجيه الضربات

القوية التي تربك الضعيف (العدو) و التأثير على معنوياته و تدمير و تخريب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية و السطو على ممتلكات الهنود الحمر و تدبير المكاييد و المؤامرات و التحالف دائما مع القوى لترويع و إرهاب الضعيف حتى يبقى دائما مدعورا. و نعود لغورباتشوف الذي نسي أن الحرب خدعة، و أن الإتحاد السوفياتي الذي تزعمه كان يخوض حربا باردة مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، فكيف يثق بالوعود الأمريكية و المؤسسات المالية و المساعدات الغربية التي تقدم ببراعة منقطعة النظير، غير أن الغرب كان يطلب من الزعيم السوفياتي مزيدا من الإصلاحات لكي يصبح الإتحاد السوفياتي مؤهلا للعمل من أجل الديمقراطية و لتلقي الإعانات الغربية على جميع المستويات، و تحرك الفكر الصهيوني سرا في الظلام ليمنع كل شيء عن الإتحاد السوفياتي قصد ضياعه بما ارتكبه زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي " ميخائيل غورباتشوف "، و تقمصوا اليهود عباءة الاشتراكية و شاعوا آنذاك الأكاذيب تحت شتى الألقعة، و خلقوا متاعب داخل السوفياتي و عملوا على التقرب من ميخائيل غورباتشوف ليشدوا من أزره و يعجلوا بسقوطه في نفس الوقت على الطريقة الغربية، قفز اليهود و من معهم في المجتمع السوفياتي من عملاء يبذل المزيد من الجهود لتكريس الصدع الذي أصاب الإتحاد السوفياتي كأحد قطبي التوازن على الساحة الدولية، و سعوا بعد ذلك لإثارة القلاقل بين غورباتشوف و بوريس يلتسين، و كعادة اليهود متى نجحوا مالوا لصف الأقوى في إطار رعاية كاملة لصالح يلتسين على طول الخط في منافسته ضد غورباتشوف. نجح اليهود و انتصر يلتسن و تسلل الفكر الصهيوني إلى قلب السلطة بعدما إنهار ما كان يسمى بالإتحاد السوفياتي ليحدد معالم العولمة، و ليعمل مع السلطة على صياغة الأطر المناسبة و النظريات و القوانين الاقتصادية اللازمة للدخول فيما يسمى باقتصاد السوق و القضاء على الاشتراكية بالتصور الأمريكي، رغم تعالي و نداءات نواقيس الخطر من بعض الشيوعيين، إلا أن الصهيونية تولت الإشراف على قطاع الخصوصية و بيع كل مقدرات الإتحاد السوفياتي سابقا بأثمان زهيدة بخسة على نحو ما يجري في

الدول المتأخرة حيث آلت ثروات النظام الإشتراكي إلى حفنة أثرياء روسيا الإتحادية و معهم اليهود. يهود الروس الذين أصبحوا يسيطرون على مجلس الدوما (البرلمان) و الذين أحاطوا بالسلطة الروسية و أصبح الشعب الروسي تحت رحمة الصهيونية التي سيطرت على مقاليد السلطة مما أدى إلى الكارثة التي حلت بروسيا الإتحادية بسبب تخريب الاقتصاد و نهب خيرات الإتحاد السوفياتي سابقا، و هللت الولايات المتحدة الأمريكية لتدمير الدب الروسي، بواسطة التحالف القائم منذ منتصف القرن الثامن عشر بين الصهاينة و المستعمرين الجدد لقارة أمريكا الشمالية، و ظلاميتهم و وحشيتهم و قسوتهم الشيطانية ضد الهنود الحمر، و كيف تم تأييد اليهود لإبادة السكان الأصليين من طرف الإستعمار الأنجلو ساكسوني (البيض) البروتستانت، و ما تقتضيه مصلحة اليهود القائمة على الدمار و الخراب، و يسعون في الأرض فساد و ما يجري في فلسطين يوميا من قتل و إبادة و تطهير عرقي للمسلمين و المسحيين على يد العسكر الإسرائيلي خير دليل.

و كما هو متوقع في مثل هذه الحالات تضاعف إسرائيل الإعتداءات و الإجتياح و التوسع في الأراضي العربية بمباركة أمريكية و تركية أوروبية، و أصبحت الثقة المطلقة بالنفس بالطموحات منذ تأسيس الدولة الأمريكية على يد جفرسون، و آدامس، و فرانكين، و باين و غيرهم، أصحاب الإتجاه العقلاني و المذهب الطبيعي، بل منهم من شبه الخروج الإسرائيلي بقيادة موسى عليه السلام من أرض مصر إلى أرض كنعان يعتبر كمثل أعلى للنظام الأنجلو ساكسوني من أجل الحرية و الديمقراطية و حقوق الانسان في 1776/07/4 أي عيد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن التاج البريطاني، كما أشرنا أعلاه حيث امتزج المنشأ الصهيوني لنظام عالمي جديد منذ برهة بالتصور الأمريكي المرتبط بالمنفعة للمعنى الإسرائيلي و القدر المتجلي لكل من الولايات المتحدة الأمريكية و الدولة العبرية التي تزعم بأن يد القضاء و القدر هي التي ترسم الحدود الجغرافية للدول، و أمريكا كإسرائيل في الوقت الحاضر أي في العقد الأول من القرن الحادي و العشرين لا حدود لها بل المجال الحيوي مفتوح أمامها، و ليس في

قوانينها أو حتى في دستورها حدود حتى و هي تحلم بحدود إسرائيل الكبرى من نهر النيل إلى الفرات و من أجل المجال الحيوي خاضت الولايات المتحدة الأمريكية حربين عالميين كي تسيطر على الشرق و الغرب الذي يمتد من القطب الشمالي المتجمد إلى البحر الأبيض المتوسط جنوباً ثم السيطرة على بحر الصين شرقاً أو بعبارة أخرى تتحكم في المجال الحيوي بالنسبة لصنف الكرة الأرضية الشرقية و كذلك لنصفها الغربي، و عندما شعرت و أحست بأن ألمانيا تحاول السيطرة على الجزء الغربي من هذا المجال الحيوي، و دأبت أن الإمبراطورية اليابانية تحاول السيطرة على الجزء الشرقي بدأت أمريكا في إتخاذ الإجراءات الصارمة لسحق الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية و التي مست أكثر من أربعين دولة كما أشرنا سابقاً. و عززت وجودها و ما تقتضيه مصلحتها و توسعها الاستعماري و لنمائها الطبيعي و الاقتصادي و السياسي و العسكري . تبلور دور اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية و خاصة في عهد الرئيس الأسبق ريغان و تعاضم بشكل كبير، حيث شهدت فترة حكم ريغان الأولى 1985-81 توقيع إتفاقية التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة و دولة إسرائيل و تم التوصل إلى إتفاقية التجارة الحرة بين الجانبين، و خلال هذه العهدة الريغانية تم أيضاً دفع التعاون الاقتصادي و العسكري بينهما و تقديم المعونات و الهبات و المنح بدون مقابل، حتى أصبح الأمر بالنسبة لعضوية أي دولة تريد الإنضمام إلى منظمة التجارة الحرة العالمية الاعتراف بإسرائيل و إدانة المقاطعة العربية الاقتصادية جهاراً، و إعتبرها مخالفة لمبادئ حرية السوق و حرية التجارة الدولية. و هذه الأهداف و المطالب للنظام العالمي الجديد تعني بها اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (إيباك) و إسرائيل هي التي توجه السياسة الأمريكية الداخلية و الخارجية لتحقيق مآربها الاقتصادية والسياسية و العسكرية في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا، و إيصال صوت إسرائيل و حذف اسم العالم العربي من القاموس السياسي الأمريكي من خلال وسائل الإعلام الصهيونية المناهضة للحضارة العربية الإسلامية، و التأثير على الرأي العام الأمريكي من خلال الصحف و وكالات الأخبار

و كبريات المجالات و وسائل الإعلام التي تقوم بغسل مخ الأمريكي بهدف خلق تعاطف مع الكيان الإسرائيلي الذي يسعى في بداية القرن الحادي و العشرين دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما وصلت إليه الإمبراطورية العثمانية من تقسيم غداة الحرب العالمية الأولى و التي سماها الغرب آنذاك رجل القرن التاسع عشر المريض. ربما تكون أمريكا رجل القرن الحادي و العشرين المريض، و استئصالها باعتبارها أكبر المنظمات الإرهابية العالمية و تخفيف منابع تمويلها من المواد الأولية في العالم العربي و الإسلامي عن طريق سحب الاستثمارات و الأرصدة من البنوك الأمريكية و الودائع حتى تلقى مصير الإمبراطوريات الرومانية و الفارسية و اليونانية على يد الإسلام، التي تقززت منه و وصفته بالإرهاب منذ بداية الهجمات التي تعرضت لها في بداية القرن الحادي و العشرين لها علاقة بالصراع العربي الإسرائيلي عندما يتعلق بالأمر القومي الأمريكي. تتناحى بسرعة الغطرسة الغربية ضد الإسلام الذي ما زال يعاني من غياب الخلافة الإسلامية، أي دولة الخلافة المركزية التي تتولى القيادة العسكرية و السياسية و الدينية للأمة الإسلامية، و نتيجة لذلك فرضت الولايات المتحدة قيمها المتمثلة بالليبرالية الاقتصادية و العسكرية تحت شعار الديمقراطية و حقوق الإنسان، و بهدف الحفاظ على إسرائيل و تزويدها بكل أسباب القوة التي تزيد في معانات الفلسطينيين و المعاملة السيئة التي يتلقونها على يد اليهود الصهاينة الذين يقومون بارتكاب أبشع الجرائم في أرض القدس و مدينة السلام و بلاد الأنبياء. و إذا كان هذا يسوقنا إلى قضية النظام العالمي الجديد صهيوني المنشأ أمريكي التصور فالملاحظ هل هناك من يتجرأ داخل أو خارج الولايات المتحدة الأمريكية و حليفاتها الأطلسيات على الحديث عن أسلحة إسرائيل النووية و الجرثومية البيولوجية و غيرها من الأسلحة الفتاكة، بينما تتردد التهديدات و الضغوطات على البلدان مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية كي تمنع عن امتلاك التكنولوجيا النووية حتى و إن كانت لأغراض سلمية، لأن اللوبي الصهيوني يلعب دورا فعالا و أساسيا في السياسة الأمريكية و حليفاتها الأطلسيات التي تتبني سياسة إسرائيل في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون و خليفته جورج بوش الابن

الرئيس الأمريكي، و تجلّى ذلك مع بداية غزو العراق عام 2003 عند ما قام الثلاثي اليهودي دونالد رامسفيلد و زير الدفاع و كلن باول وزير الخارجية و كوندوليزا رئيسة مجلس الأمن القومي في زيارات لبعض الدول العربية و الغربية و ذلك لإستجداء الدعم الدولي لاستعمار العراق و أخذ نفطه، و هذا وحده يفسر حماسة بوش الابن لغزو العراق و بمباركة إسرائيلية و سكنت ضوضاء السياسة من جانب الدول العربية و انقشعت الغيوم عنها، و بدأت الشركات الأمريكية بقيادة عصابة بوش الابن و تشيني في نهب كنز العراق الذي يمثل ثلثي إحتياط العالم من الوقود، و ظهرت شهوة واشنطن لبتزول العراق التي تسير السياسة الولايات المتحدة الأمريكية ضد الرئيس الشهيد صدام حسين، و أصبحت ثروة بلاد الرافدين في قبضة نائب الرئيس الأمريكي تشيني الذي يملك مصالح بتزولية هامة و هو يهودي تصله الإمدادات على نسق الإستراتيجية الأمريكية لتحقيق الأمن بالنسبة للذهب الأسود في مخزونها، و الدول العربية معرضة للخطر و الخليج العربي هو مصدر ثلث الإحتياجات البترولية لأمریکا، و كانت منذ برهة متحمسة للسيطرة تماما على البترول العراقي كخطوة إحترازية ضد الشكوك و العقود التي أبرمها العراق مع كل من روسيا و بعض الدول الأوروبية التي أصبحت في خبر كان .

أ- الخيارات المستقبلية للعالم العربي و الاسلامي

لقد تحدثنا من قبل عن قضية النظام العالمي الجديد صهيوني المنشأ أمريكي التصور و الغطرسة الأمريكية التي تتضمن احتكار المواد الأولية بالنسبة لأمریکا اللاتينية و إفريقيا و الإحتكارات، و الربا و الظلم و التفاوت و التمايز الاجتماعي نحو توسيع دائرة الفقر بفضل العولمة التي جاءت بالسوق المفتوحة و حولت السوق المحلية إلى سوق عالمية للإنسانية كالأسواق بسبب ما استأثرت به الولايات المتحدة الأمريكية و ربيبتها إسرائيل، من اجتياح أمريكا للعراق و إسرائيل لأرض السلطة الفلسطينية و تتمان ما تبقى من الأرض العربية الواسعة، و الحاجة تدعو إلى إيجاد رجال لقوله تعالى: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ " سورة الأحزاب آية 23، يعملون، و أدمغة قوم يفكرون، في الخلافة لحراسة الدين

و القيام بالأوضاع السياسية الرديئة في الألفية الثالثة، كإحدى الخيارات بالنسبة للعرب و المسلمين الذين هم منغمسون في الجاه و السلطان و المال الوفير مع وجود الممتلكين و المنافقين الذين يمنعون حق الغير، في بداية القرن العشرين الماضي عندما كان الإتحاد السوفياتي يشكل قوة ردع للولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي ساعد على تأجيل هيمنتها و استعبادها المطلق للشعوب العربية الإسلامية، و اليوم في ظل إتهام الإتحاد السوفياتي كقوة في القرن الحادي و العشرين و ما حصل من تدمير للعراق و تحطيم وسائل الحياة و مقومات البقاء، و اغتصاب جنسي جماعي من جنود الاحتلال للعراقيات تحت تهديد السلاح، و المنطقة العربية هي تحت الاحتلال المباشر أو غير المباشر و حتى السيطرة اليهودية التي تشجع الغول الأمريكي الرأسمالي و نظام الحرية الفردية في استغلال المال ذلك لأنها ترى ظاهرة العولمة فرصة للسيطرة و استغلال الأكرية المسلمة في حاجتها إلى المال، و من السيطرة على القرار السياسي و المالي العربي و من ظهور مؤسسات إعلامية صهيونية ثقافية و دينية لم يعد لها من هم إلا قتل العراقيين و الفلسطينيين و الأفغان باسم الحرية و حقوق الإنسان، و إبادة أكثر من مليوني عراقي و فلسطيني خلال العقد الأول من القرن الحادي و العشرين. و هناك الكثير و الكثير من الحقائق التي يمكن أن تجعل الخلافة واجب و نستدل على ذلك بما فعله و قام به المهاجرون و الأنصار الذين حضروا مؤتمر سقيفة بني ساعدة حين إنتهى الأمر بتنصيب أبي بكر خليفة و هو النموذج الإسلامي الذي يقرر طريقة الإختيار (الشورى)، حيث سهر على استمرار التعاليم الإسلامية و انتشارها و محاربة الحركة الارتدادية أو حروب الردة لأنها كانت ظاهرة ارتدادية بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم عام 632م في المدينة المنورة تشمل بعض قبائل الجزيرة العربية الذين رفضوا النظام الضريبي (ضريبة الزكاة)، و لم يكن الارتداد عن التدين بالإسلام غير أن الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أخضع تلك القبائل للدعوة الإسلامية إلى أن بلغت هذه الدعوة خارج الجزيرة العربية و امتدت إلى البحرين و عمان و على طول ساحل الخليج العربي، إلى أن بلغت مركز القوة الظاهرة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي

الله عنه، هذا كله إنما ينطبق على العرب و المسلمين اليوم الذين يرفضون التغيير و يدفنون الرؤوس في الرمال لذلك يجب أن نكون حذرين، و ألا نسلم و نقبل مغمضي الأعين و الغول الأمريكي يزحف نحو بادية الشام بعدما استولى على العراق قاصدا شمال إفريقيا - و الكثير غيره - منذ سقوط الإتحاد السوفياتي بل هو التعصب الصليبي الغربي الذي دفع الغول الأمريكي إلى شن حروب على الإسلام و المسلمين بحجة التطرف و الإرهاب، في أعقاب 11 سبتمبر 2001، لذلك ينبغي كي لا نقع في شرك العولمة في هذا المجال هو القيام بالوحدة العربية و توحيد العملة كما فعل الغرب الذي يزداد قوة اقتصادية وعسكرية و تقنية التي تناهض جانب التقدم العربي و الإسلامي الذي قام بتحطيم الوحدة القبلية و أقام وحدة جامعة ذاب فيها عامة رؤساء القبائل و إمتيازاتهم و منافعهم أو تسليم بمقولة ابن خلدون (عبد الرحمان). منشأ علم العمران البشري على الأساس الاجتماعي و الإيدولوجي حيث يرفع الخلافة التي تربط بالسياسة و الملك لأنها ترعى مصالح العباد و البلاد في الدنيا و الآخرة، و لأنها تجمع بين الأمة و صاحب الشرع فقال : " الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض و الشهوة، و السياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في طلب المصالح الدنيوية و دفع المضار و الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية و الدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى إعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا به"¹. لهذا نرى أن الخلافة هي سعي دائم بإتجاه تحقيق المصالح العربية و الإسلامية و محاربة المفسدات و الشهوات، التي سادت بين الأمراء و حكام العرب، و ضاع أمن كل شخص عربي و حقه، فالظلم و التحقير و الرشوة فيما يتعلق بكل حق، و الغبن كما رأيناه في الماضي نراه في الحاضر، و لهذا لا يسع العرب و المسلمين بعد اليوم إلا أن يقيموا الخلافة التي تميزت عن الديمقراطية الغربية المعاصرة بالقوة التشريعية و القوة الإجرائية.

¹ ينظر. مقدمة ابن خلدون . دار الكتاب اللبنانية . بيروت . الطبعة الثالثة 1982. ص 178

أما ما يتعلق بالقوة التشريعية أن هذه القوة هي القرآن الكريم الذي يتألف من الأحكام و المعاملات التي هدأت بها النفوس البشرية و أمن كل إنسان على حقه، فلا ظلم لأحد على أحد، و اختفت الرشوة و التحقير من دنيا المعاملات لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي و المرتشي و الرائش و هو الوسيط الذي يسعى بين الطرفين، و لقوله سبحانه و تعالى: **".. وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بَعَثَ اللَّهُ ۖ أَوْفُوا.."** سورة الأنعام الآية 152، و يقول أيضا: **" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ "** سورة النساء الآية 58، لأن الله سبحانه و تعالى هو الحكم العدل فهو الحكيم و الحكم الذي لا يحكم إلا بالحق و لا يقول إلا الحق و لا يفعل إلا الحق .

أما ما يتعلق بالقوة الإجرائية أن حق الجماعات يتطلب من الخليفة أن يكون قويا يسمع للضعيف و للقوي، قائم بحق الله و العبادة فليتدبر نوعية الاختيار بالنسبة للرجال الذين يحققون مصالح العباد الدينية و الدنيوية، و يقيم التوازن بين جلب المصالح و دفع المفسدات إن العبرة في القيام على شؤون الجماعة ليست البتة بالكم البشري و إنما هي في الإسلام بالكف و أن تسلط السواد الأعظم من الناس على المصلحة العليا للجماعة مرفوض في الإسلام، ذلك بأن تدبير هذه المصلحة يقتضي درجة من العلم و الحكمة لا تتوفر بذلك السواد، إن العبرة في تولى شؤون الجماعة في الإسلام للإيمان و العلم اللذين هما يرفعان أصحابهما درجات فوق من عداهم، إنها إذن و دون ما حاجة إلى إجتهد (حكومة الخيرة) و ليست البتة سلطة السواد الأعظم المهياً للغوغائية¹ ، و مما يغرز قناعات العرب و الدول الإسلامية بإحتضان الخلافة الإسلامية التي زرعت روح الإنسانية (الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره المرء كثير بأخيه)، و نادى بمساواة الناس حتى لا يتلهى حكام العرب و أغنيائهم و كبرائهم (المجالس الوطنية، مجالس الأعيان و الشورى) أعظم مظاهر غمطا لحقوق العرب و المسلمين،

¹ ينظر. التخلف تخلف الفكر الإسلامي المعاصر. مصدر سبق ذكره. ص 35

و جمع الثروة متأثرين باليهود إبتداء من تعاليم المسيح عندما دعى للتطهير من المادية التي كانت شائعة في بني إسرائيل و في الإمبراطورية الرومانية كلها يوم أرسل الله سبحانه و تعالى سيدنا عيسى بن مريم لمحاربة المادية المتطرفة، و مهما يكن من أمر فإن اليهود لا يهتدون لقول الله تعالى : " وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الثَّوَرَاتِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدُ.... " سورة الصف الآية 6، نرى عداة اليهود للمسلمين منذ القدم عداة سببه فكرة الشعور بالاستعلاء العنصري في التكوين النفسي اليهودي (شعب الله المختار)، عندما تجاهر اليهود بالعداوة و كانوا يتحرقون على الإسلام و المسلمين بالحقد و الغدر، بل كانوا أصحاب دس و مؤامرة و إحداد و كفر و تهاون بتعاليم التي حض الله عليها و أمر كل يهودي بتقديسها و هم يختارون أنواعا من الحيل، للإيقاع بالمسلمين منذ الهجرة إلى المدينة المنورة و نار شرهم تطفئ حينا بعد حين و بيان ذلك أنه إذا كان بهم قوة تجرأوا فكشفوا العداوة و الغدر و أخذوا في السخرية و التحقير و الإستهزاء و التكذيب و التضحيك، قصدوا بها تحذيل المسلمين و توهين قواهم المعنوية² فرموا النبي صلى الله عليه و سلم بتهم هازلة و شتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون لقوله تعالى : " وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ " سورة الحجر الآية 6، و هذه طبيعة اليهود الرذائل و الدنيايا و إذا خافوا على أنفسهم طلبوا الإستكانة و إلتزموا الهدوء و السكوت حتى تكون بهم قوة ازدادوا جرأة و جسارة و في كل ما تقدم، تزداد بادىء ذي بدء هجمات اليهود على الإسلام و أتباعه، لذلك رأينا أن الإسلام هو الذي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وصاغ العقول و هذب النفوس و رسم الحقوق و حدد الحدود و صان نظام الجماعة بالقوة، و الحدود لا تقام إلا بالقوة و أيضا تنفيذ الأحكام، و القوة لا بد أن تحصر في يد رجل واحد، هو الخليفة الذي يقوم

² ينظر. فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. الرجيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام . الطبعة

بِحفظ أحكام الدين و رعاية مصالح العباد و الجماعات و استمرار الدعوة على منهج النبوة،
تؤهله تحمل الأمانة، ذلك لأن مؤسسة الخلافة الإسلامية إنما قامت على الشورى و إستقلال
القضاء و وحدة الأمة و الدولة و سيادة الشريعة و هيمنتها كما فعل الخلفاء الأربعة رضي
الله عنهم، لقوله تعالى : " وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.. " سورة البقرة الآية 143، و ثم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر
لقوله تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. " سورة آل عمران الآية 110، و إزالة فتنة اليهود من الأرض كلها،
و إظهار الإسلام الحق على كل الحقوق الوضعية و تحكيم شريعته السمحاء لقوله تعالى : "
وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " سورة الأنفال الآية 39 و لقد
تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للحالة السياسية للأمة الإسلامية التي تحالفت عليها
الأمم و هددت أمنها الوطني و استقلالها الاقتصادي و السياسي عندما قال: " يوشك الأمم
أن تدعي عليكم كما تدعي الأكلة التي قصعتها، قال قائل أمن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم
يومئذ كثير و لكنكم غثاء كغثاء السيل و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة و
ليقدفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله و ما الوهن قال حب الدنيا و
كراهية الموت " أخرجه أبو داوود في سننه، و الواجب على المسلمين القيام بواجب الأمر
بالمعروف و النهي عن المنكر للحكام الذين يقومون بالتنافس و السعي للوصول إلى السلطة و
المنافسة غير الشريفة و احتلال المناصب من أناس قد فازوا بثقة المواطنين و عزلوا عن المناصب
و بلغوا رتبة الأفضلية و الأسبقية، و هؤلاء و غيرهم لهم دور باحتضان الخلافة للعمل
السياسي، و الاهتمام كما فعل الصحابة و هم كلهم عدول و قد شهدت لهم الإنسانية
المنصفة و مدحت و أثنت عليهم في أقوالهم و أفعالهم و أخلاقهم عندما قاموا بفتح الأمصار
و البلدان و الأقاليم، و ما بذلوه من حسن معاملة النصارى و اليهود الذين عاشوا في الأفاق
المفتوحة مع الفاتحين قرون طويلة ساد فيها التسامح الديني في نسيج العلاقات العربية مع

النصارى و اليهود و غيرهم، لأنهم قد امتثلوا لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوصاهم بتقوى الله و الورع و الأمانة في تبليغ الكتاب و السنة للناس كافة .

ب - مناقشة العولمة :

و حتى نصلح من ذات النفس العربية لتصبح قابلة للهدى بالشورى و ترضى بتطبيق المنظور الإسلامي، و تدعو للإيمان الذي يأتي من الله سبحانه و تعالى هو الهدى الحق و ليس الذي في أهواء الصهاينة و في بيئة هيمنتهم الثقافية الأنجلوساكسونية على أمة غريبة تتعاقب عليها ظواهر و تنظيمات اقتصادية و مذاهب تجارية منذ القرون الوسطى ظاهرة دينية تتعلق بهوية الإنسان و ثقافة الأمة، و الأمة العربية و الإسلامية تعيش حالة من التمزق، في ظل تصرف الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر و تداعيتها، بعد الإلتحاق بالسياسة الأمريكية كل من الصين و الإتحاد الأوروبي و روسيا و كافة دول ذات النزعة الليبرالية المتحمسة لمنطق (من ليس معنا فهو ضدنا)، و مما لا شك فيه أن اليهود يتحملون ظاهرة التحسس التي تسود الأنظمة العربية الإسلامية في ظل الأجواء المسيطرة، ضد جميع أشكال التعاون و أتماطه بين الدول العربية و الإسلامية، و الغرب الذي وجد مناخه و ضالته بتواطؤ مع كيان الصهيوني على العرب و المسلمين بدعم صليبي عنصري و لا سيما في الثقافة الأنجلوساكسونية التي ابتدعت الخلافات بوحى من الكيان الصهيوني بين الدول العربية و الدول الغربية التي تقف ضد الإسلام منذ الحروب الصليبية التي مر عليها أكثر تسعمائة سنة و حتى القرن الحادي و العشرين و تحقير العرب و المسلمين و إظهار معاداة الإسلام للآخرين مجرد كونهم لا يعتنقون عقيدته و شريعته، باعتبارهما العقيدتين الراسختين منذ خمسة عشر قرناً في الدول العربية و الإسلامية و الوحيدتان الباقيتان للأمة العربية و الإسلامية من قوة و سلاح تقف بهما في وجه العدوان الأمريكي و الصهيونية العالمية اليوم و الإتحاد الأوروبي غداً، أما تطبيق الولايات المتحدة الأمريكية لظاهرة العولمة و معها الإتحاد الأوروبي و إستراتيجية القطب الواحد بعد احتلال العراق، أصبح الوطن العربي يواجه التهديدات التي

باتت تهدد كيانه للقضاء على مجمل النظام الوطني العربي الذي دخل مرحلة التفكك و الصراعات الداخلية بدل التنسيق الفاعل في الجانب السياسي و الاقتصادي و وضع إستراتيجية أمنية على المدى الطويل، وفق التصورات الإسلامية في سبيل تحقيق الإتفاق أو الرضا العام بخصوصها و الأفضل إتخاذ إجراءات و تحديد السياسات و الأدوات و الخطوات اللازمة و الاستعدادات للتعاون الذي ينطبق على التواصل الجغرافي فالدول العربية تمتد على مساحة كبيرة تقدر بـ (14,2) مليون كم¹ فالوطن العربي يتربع على مساحة تمثل امتدادا إقليميا لا توجد بينه عوائق أو مواقع طبيعية تعيق أو تمنع التواصل و الإتصال الجغرافي، لذلك ساهمت التفاعلات بين أبناء الشعب العربي الممتد من الخليج و الجزيرة العربية و المشرق العربي حتى المغرب العربي الكبير حتى و إن وجد ما لا يحمد عقباه (إسرائيل) التي فصلت الطريق البري الرابط بين المشرق و المغرب العربيين، و ساهمت في إضعاف النظام الإقليمي العربي غير أن هناك شمول في الدين الإسلامي في: النظام - التنظيم - القواعد- التشريعات، و هي تكامل مكونات الشعب العربي الذي يجب أن يعمل بإنسجام مع الدول الإسلامية لتوفير الظروف البيئية المواتية للديمقراطية و الدعوة لحقوق الإنسان، و هي ليست نتاج عقل بشري لكنها تتخذ من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة القائمة على التوازن بين الدنيا و الآخرة، و التوازن ليس غبار أبراج نيويورك عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن تخلص أو أن تلقي القبض على من قاموا بالهجمات و بالتفجيرات ضد أبراجها و من إحتتموا بها من جور أوطانهم، إلا أن التيار اليهودي الذي ينظر إلى الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، ألقى المسؤولية الكبيرة على الدول العربية، رغم أن الإنسان العربي نزاع إلى الخير بفطرته، إلا أن اليهود و هم شر فساد خلقي يتضمن اضطهاد الإنسانية لدرجة تثير الدهشة على الإطلاق، و فساد فطرة و هؤلاء المنكرين

¹ ينظر. الدكتور. عبد اللطيف علي المباح و حنان علي الطائي . ثورة المعلومات و الأمن القومي العربي . الطبعة الأولى. دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان.الأردن 2003. ص 56

للعُدل الإلهي تتركز على المكابرة و العلو على المخلوقات البشرية، حتى أنهم يقولون: "وَ
بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا، وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ ۖ وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَبُوهُ وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُ ۖم وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا " سورة النساء الآية 156، 157، 158 و أيضا " وَ أَخَذِهِمُ الرَّبُّ
وَ قَدْ نُهِوا عَنْهُ وَ أَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ " سورة النساء الآية 161، فكذبهم
الله تعالى، و اليهود تواطؤهم على الكذب و المعاصي و الكفر و العمل السيئ، هو غاية التي
تلائم طبيعة الصهاينة، زعماء عصابات المافيا في الولايات المتحدة الأمريكية الإرهابية و التي
تقوم بالتلويح تجاه السياسيات العربية و تصفها بالإنحطاطية و العنصرية معتبرة إياها من
نتاج القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و
انتشارها الواسع، و التي تحرض الشباب الإسلامي على المتابعة و الإندفاع، و الإكتفاء و
الإقتداء و الإنقياد بضرورة الإلتزام بالأسس المتعارف عليها في المنظور الإسلامي، كاللغة العربية
التي بها نزل القرآن الكريم لقوله تعالى : " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " سورة
الزخرف آية 3، و أيضا " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ " سورة فصلت آية
3، فاللغة العربية هي الوحي التي تدور حولها العوامل المؤثرة في تحركات الأفراد و المجتمعات التي
تساوى فيها العقيدة الإسلامية التي تتأثر و تؤثر في نفس الوقت بعدة جوانب مرتبطة بالطبيعة
البشرية مثل الهوية التي توجه التحديات المستقبلية للقرن الحادي و العشرين، و السعي على
إبقاء ثقافة الأمة ضد تنامي و تزايد المخاطر الخارجية التي تهدد كيان و مصالح الشعب العربي
الذي يمتلك ثروات هائلة بها تنهض الأمة، إذا تضافرت و تكاملت الجهود عربيا و إنصاف
لغة القرآن التي هي لغة الأمة العربية و لغة المسلمين و لغة دولهم، و بما يسمح بتجميع و
تماسك و انسجام الدول العربية التي تتحدث بلغة القرآن، التي هي من أهم عوامل الإستقرار
السياسي و الاقتصادي إذا ما قورنت بالإتحاد الأوروبي و الدول الغربية، الجزأة لغويا بشكل

كبير المتحدة اقتصاديا و سياسيا قصد تأمين مصالحها في الوطن العربي فهو يمتلك حظا وافرا من النجاح، إذا قام بترتيب البيت بالإمكانات و الطاقات المادية و البشرية التي تمنحه ميزات في البنية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الإعلامية كونه صاحب تلك الحكمة الإلهية المتناهية حينما جعل الله تعالى دستور هذه الأمة آخر كتاب، الذي أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه و سلم، و ما أعظمه من كتاب إذ لم يقصر إرتباط الأمة الإسلامية بالتشريع بل شرع بلوغ الكمال الإنساني.

أما العولمة فهي تزداد توغلا بعد سقوط جدار برلين الشهير، في ثورة ألمانية سلمية أعادت توحيد شطري البلد الجرمانى الذي حافظ على هويته الثقافية و اللغوية من طغيان الغزو الإنجليزي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية المتخفية برداء العولمة الاقتصادية و التي تتحكم في الإنترنت بلا منازع، و اللغة الإنجليزية هي لغة الإنترنت و الظاهر أن المشرق العربي يدرس اللغة الإنجليزية و المغرب العربي يدرس اللغة الفرنسية غير أن اللغة الإنجليزية تعتبر اللغة الرئيسية لمناهج التعليم في دول الخليج العربي و مصر و السودان و في بعض الدول الإسلامية كباكستان، و تعلم اللغة الإنجليزية في إزدیاد مستمر في أغلب دول العالم لذا يجب مقاومة الإحتياج العولمي الأمريكي الإنجليزي و لاسيما للدول العربية و الإسلامية، بالرجوع للغة القرآن العظيم و دعاء الإسلام، للمحاولة النهضوية بالعودة إلى التراث العربي الإسلامي و التمسك بهما، حتى نتمكن من مواجهة مجمل تحديات المستقبل السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الثقافية التي تواجهنا، و لا تنقضي حينما نزور بلد غربي الذي يطالبنا لتعلم من جديد و بفتح الباب على مصراعية أمام ثقافته و التحلي عن لغة الضاد في بلاد العرب و الإسلام، و لاسيما أن أسماء المحلات التجارية و الإرشادات و التوجهات الصوتية في المطارات العربية و الإسلامية كتبت باللغة الفرنسية، بخلاف اللغة العربية الرسمية فهل نجد لها وجود أو أثر في دول الإتحاد الأوروبي بل يشمئز ممن يتكلم باللغة العربية الفصحى، بالنسبة للجاليات المسلمة التي تعيش على أرضه و حتى يكون لنا الإعتزاز بقيم

الإسلام للقيام بدور نشر الوعي الراشد نستغل شرائح جديدة من الطبقات الاجتماعية الغربية ذات الإنتماء الاجتماعي التي تأخذ صورة الولاء للعالم العربي والإسلامي، و ينعون على دولهم المؤامرات، التي هي على شكل مؤتمرات اقتصادية يتولون فيها إذلال المشاعر الداخلية التي تتمثل في الهوية النفسية و المادية و المعنوية و الاجتماعية التي تنطوي على خاصية الثقافة و الحضارة الإسلامية التي منحت الإنسانية الشعور بالثقة و الأمن و الإستقرار و الطمأنينة فالهوية الإسلامية يجب أن يمهد لها في بلاد الغرب الذين يردون و يتحمسون للتعرف على الثقافة العربية، و الدين الإسلامي و ذلك لتقوية شأن الجالية المتواجدة في الدول الغربية و في أنحاء العالم و يكون لها تأثير سواء في الشأن السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي أو المحلي و حتى تكسب الجالية الإسلامية طابعا سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا، و حتى لا تذوب في الثقافة الغربية و خاصيتها الفكرية و تصوراتها لمستقبل العولمة من خلال البرامج الإعلامية التي ترسخ قيم الغرب و حضارته بكل أبعادها و الإستهزاء و السخرية بالحضارة المسماة عربية إسلامية، و هذا راجع لتلاشي قوى الأمة العربية الإسلامية و قدراتها الإختراعية و التخلي عن توجهات القيم الإسلامية بمباركة أمريكية التي توظف كل شيء لخدمة مشروع العولمة، بما في ذلك المؤسسات المالية الدولية.

الخلاصة

إن النموذج الغربي (الأوروبي الأمريكي) لا شك أنه يمثل جاذبية خاصة، في مجالات حقوق الإنسان و الحريات الفردية و النمو الديمقراطي، و لكنه فيما عدا ذلك فجع سطحي، و هو ينطوي على هدر القيم الاجتماعية، و إنحرافات السوق الغاشمة، و تهميش القيم الدينية و الأخلاقية، فلا يبقى إلا النموذج الرأسمالي المتطرف .

1- الإسلام و تحديات العولمة :

لئن كانت المرأة قد احتلت مقام السعادة الخالدة التي كفلها لها الإسلام بالنظر إلى الحياة السابقة الذليلة و الشقاء و الإحساس بالنقص و الإنقياد على طول الخط للرجل الذي كان هو الأساس في إتخاذ قراراتها و في تقرير مصيرها، فغلب عليها الشعور بالإنتماء و الإذعان و الخضوع الكامل لأي أمر يصدر من ولي أمرها، و لم يكن يسمح لها البتة النقاش أو إبداء الرأي بحجة أنها ناقصة عقلا و جاهلة و ضعيفة لا تستطيع التمييز بين الصواب و الخطأ أو بين الحسن و القبيح، و بين النافع و الضار، كذلك كان يحضر عليها الإستفسار و التساؤل عن أي شيء يخصها بل تزجر، فهي مصدر للخزي و العار و لهذا إحتلت قيمة الإذعان و الطاعة العمياء مكان الصدارة و القيادة و الريادة بين القيم الإسلامية التي رفعت مكانتها، بالفعل انطلقت الدعوة الإسلامية من شبه الجزيرة العربية لتتحدى الكافر الذي يختلف بمقتضى العقيدة و الإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم و هو الدين الإسلامي و هو الوحي، و الذي هو شرع الله تعالى الذي يحقق غايات الإنسان بإستخدام الجهاد لإحباط الظلم و الطاغوت و الإجرام و الإعتداء على حقوق الغير، و هكذا تحمل الإسلام مسؤولية التصدي للتحديات و إحباطها منذ القرن الثامن إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي و عندما تملمص المسلمون من الجهاد و إسدال الستار إلى عن الإجتهد و صار أمرهم أحزاب و شيوع كل حزب بما لديهم فرحين. و الحقيقة إن التحدي للكافر بدأ يوم كانت الهجرة من مكة إلى المدينة خطوة تسبق الإستبسال في جهاد و هجوم لقوله سبحانه و تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ أَعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَ بِأَسَ الْمَصِيرُ " سورة التوبة آية 73، أمر الله سبحانه و تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم بجهاد الكفار و المنافقين و الغلظة عليهم¹، ما أشبه الليلة بالبارحة الكل يتشرف للأسف بإحترام حقوق الإنسان في الوقت الذي أهدرت الولايات المتحدة الأمريكية كافة الحقوق و الحريات و المبادئ الأساسية للقانون الدولي الوارد في ميثاق الأمم المتحدة، و على ذلك يمكن

¹ ينظر ابن كثير، مصدر سبق ذكره ص 418

القول بأن الإسلام قديماً تحدى الكافر يوم كان الفتح المبين (فتح مكة) و كان إنتصاراً و قهراً و إحباطاً للتحدي الطاغوت، تم تصاعد مرة أخرى التحدي الذي أعلنه أهل الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم عصياناً و تمرداً على الإسلام و دولته الفتية،¹ و لقد تصدى الخليفة أبو بكر رضي الله عنه و تصدى المسلمون معه كأمة واحدة ضد الردة و أهلها، فكان جهاداً قويا و صارماً و حازماً و حاسماً لمواجهة و إحباط التحدي الذي أعلنه أهل الردة، و هذا هو الدفاع عن الإسلام و المسلمين معاً، لذا حقق الجهاد إنتصاراً و أبطل المتاعب التي كادت تضر بالإسلام و المسلمين، و من ثم تعاضم شأن الدولة الإسلامية الفتية، و بسبب هذه الحرب استخلص و استوعب المسلمون درساً فيما يتعلق بمفهوم الجهاد، و لا شك أن الإسلام إستطاع فرض التحدي الكبير خارج جزيرة العرب، عندما واجه دولة الفرس و الروم تحرك بكل استبسال، لكي يواجه أكبر دول العالم آنذاك حتى لا يتعرض للغزو الشامل بعد ظهور الدعوة المحمدية، و النهوض بالرسالة الإسلامية التي أوجبت على المسلمين نشرها بالإرشاد إلى الوسائل التي تطهر المجتمعات من الجهل، و تطهر الأرض من الكفر و الشرك بالتوحيد، و كان على الدولة الإسلامية الفتية أن تواجه التحدي و ترسيخ المبدأ العسكري لقوله سبحانه و تعالى: " وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ... " سورة الأنفال آية 60، و ورد في قوله صلى الله عليه و سلم: " ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا لقوة الرمي " ² صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما قاله و قد حدث هذا الآن في العراق عندما قام العدوان الأمريكي البريطاني على بلاد الرافدين، حيث تم إعداد القوات و تجهيزات بأحدث الأسلحة و المعدات التكنولوجية و إستخدم الضربات الجوية و الصاروخية و بالقصف البحري مما أدى إلى سقوط العراق بفعل العدوان الأمريكي البريطاني، و حتى الآن فإن آلات الحرب الحديثة يتوقف مفعولها على الرمي لذلك حث الإسلام على تعلمه لا سيما الشباب، و ليتهم تعلموه مع التكنولوجيا، و قال في هذا الصدد رسول الله صلى الله عليه و

¹ ينظر. الدكتور صلاح الدين الشامي و الدكتور زين الدين عبد المقصود . منشأة المعارف . الإسكندرية 1998 ص 529

² ينظر. كيف نفهم القرآن الكريم . مصدر سبق ذكره ص 9 و 10

سلم : " من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا أوقد عصي " ومر النبي صلى الله عليه و السلم على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه و سلم : " إرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، ارموا و أنا مع بني فلان قال فأمسك أحد الفرقين بأديهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما لكم لا ترمون؟، قالوا كيف نرمي و أنت معهم؟ قال النبي صلى الله عليه و سلم (إرموا و أنا معكم كلكم) " هذا و قد أحسن الإسلام و المسلمون صنعا عندما رموا أعداء الإسلام على كل الجبهات و التصدي لهم بالهجوم و التحرك بمرونة، حتى بات التفوق الإسلامي حقيقة و الإنتصار واقع، على الفرس و الروم معا، و أصبح الإسلام يصول و يجول حتى فرض وجوده و وسع امتداده على مجمل أراضي العالم القديم. و إنتشر في الأندلس و تحدى أوروبا و وصل إلى شبه جزيرة البلقان و إلى البواقي شمال فرنسا، و من أهم ما تمتع به الإسلام على اللآتين و هيئات الكنسية و المجتمع اللاتيني، هو العدل وردع الظلم لعدوان و ترك أمر الحرية الدينية في مجال العقائد و الأفكار و النظريات، التي تحمل نظرة مختلفة عن الكون و الإنسان و الحق و العدل عدلا و الباطل باطلا و الظلم ظلما و البغي بغيا، و العنق عنقا، و الإرهاب إرهابا، و التطرف تطرفا و هذه معايير غير ثابتة تختلف من مكان إلى مكان و من زمان إلى زمان،¹ و الإسلام صالح لكل زمان و مكان و تحدى أوروبا على الصعيدين العسكري و الثقافي على عدة جبهات متفرقة، و كان شأنه غير شأن المر الصليبي الكاسح على البلاد الإسلامية بعد سقوط الأندلس عام 1492م في أيدي الإسبان و الطاليان، إن الإسلام يختلف إختلافا حاسما مع الغزو الذي تمارسه الإمبراطوريات و الدول الإمبريالية في العصر الحالي أو في قديم الزمان بإستخدام العنف على مختلف مستوياته، و العدوان و الظلم و التسلط و البغي و الإرهاب من خلال إسباغ صفة الباطل و التحقير على المستضعفين و المسحوقين أصحاب الأرض و أصحاب الحق، بينما جيوش الثورة الإسلامية عندما خرجت من جزيرة العرب راحت تدعو الشعوب و الأمم و الأقوام إلى

¹ ينظر. منير شفيق الإسلام . في معركة الحضارة . الطبعة الأولى. دار البراق للنشر. تونس 1981، ص 88

إعتناق الإسلام و الدخول فيه طواعية، و في ظل الإسلام الذي سوى جميع البشر على قدم المساواة في الحقوق و الواجبات علما أن الدين الإسلامي يمنع إكراه الإنسان على إعتناق ما يراه يخالف تفكيره " لا إكراه في الدين "، لقد حاول الغرب أن يضع على قدم المساواة كلا من حكم الإسلام و حكم الإستعمار، و ذلك دون أن يرى أو يدرس و يتقصى الحقيقة ليرى الفرق الشاسع في الغايات و الأهداف فالإسلام لم يشتهر سيفه في وجه المستضعفين إطلاقا و إنما شهره في وجه الأكاسرة و القياصرة الطغاة الذين كانوا يتحكمون في البلاد و العباد بواسطة جيوش جرارة، من أجل إستبعادها و خضوعها و فرض تبعية شاملة كاملة من قبل الطغاة، و الشعوب المتبلاة بالرومان أو الفرس أو اليونان ذاقت العنف و العبودية و الإستغلال و الإستبداد و الرق و الأعمال المرهقة و الاحتقار، و نهب الخيرات و إستغلال الطاقات و إحتكار الثروة بعد حقنة و تعزيز جاهها و سطوتها و نفوذها، على حساب الأقاليم المغلوبة على أمرها. بينما عمل الإسلام منذ القرن السابع الميلادي إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي على توحيد الإنسانية لأنه يحمل مشروعا إلى سائر الأمم و الأقاليم و الشعوب، و الذي يقوم على أساس العقيدة و الإيمان بأن للكون خالق واحد لا شريك له لقوله سبحانه و تعالى: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " سورة الاخلاص آية 1، و لا إله غيره، و ليس كمثلته شيء و لم يكن له شبيه إطلاقا، على كل حال فإن المبادئ التي يقوم عليها منظور الدين في الإسلام تشمل كل جوانب السلوك الإنساني و كل قطاع من قطاعات الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الروحية، و من أجل هذا يصح أن نعتبر الأخذ بالإسلام هو الطريق الصحيح لمعالجة المشاكل الراهنة أو اللجوء في كل الأحوال إلى روح الإسلام و نهجه في معالجة مصائب الاختلافات الثقافية و الدين، و الخلافات حول القضايا السياسية تتراوح من حقوق الإنسان إلى الهجرة و إلى التجارة حيث تعامل الإسلام مع الكافر معاملة حسنة منذ ظهوره بوصفه دين عالمي غايته تقديم رسالة حضارية للإنسانية تنهي الصراع الذي ميز الأحقاب التاريخية و ما زال و هو الصراع بين الحق و الباطل، أو بين الصور النموذجية للعمولة منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، عندما

بدأت موازين القوى تميل لمصلحة الغرب الأوروبي الذي إنتقل من ظلمات العصور الوسطى إلى نور الإنبعاث الحديث عهد الحرية و المساواة و الإخاء، أو عصر النهضة الذي يمثل الإنتقال من المرحلة الإقطاعية إلى الرأسمالية و الخلاص من نظام القنانة و الإنتقال إلى عهد المساواة و المواطنة، و إلغاء محاكم التفتيش و إنما الجحد على التفكير و العكوف على دراسة العلوم الطبيعية و إكتشاف أمريكا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، و الوصول إلى رأس الرجاء الصالح ثم إكتشاف الطريق إلى الهند و الصين و انطلقت قوى القراصنة الأوروبية من برتغاليين و إسبان و إيطاليين ثم البريطانيين و فرنسيين و هولنديين و بدأ إحتلال إفريقية من طرف الدول الأوروبية و واصل الإحتلال زحفه صوب شواطئ الهند و الصين و ثمة السيطرة على سائر جنوبي شرقي آسيا، و شهدت الدويلات و السلطنات العربية الإسلامية في المشرق العربي شراسة الإحتلال الأوروبي الذي لم ينس الهزيمة التي ألحقت به، تحت راية الصليب، في الحروب التي إستمرت منذ القرن الحادي عشر الميلادي و التي دامت قرابة ثلاثة قرون إستعاد من خلالها المسلمين بيت المقدس و إستردوا سلطانهم على ولاية الشام، تحت الوحدة الإسلامية و كان الصليبيون قد إستفادوا مما عرفوه عن الإسلام من الإيمان بالله الواحد و رفع الوساطة بين الله عز وجل و الإنسان، ثم حركة الإصلاح الديني التي قام بها كل من مارتن لوثر، و كالفن اللذان قاوما الظلم الذي كان مسلطا على الناس باسم الله! و باسم قداسة البابا الممثل في الكنيسة التي كانت تقيم الجحد على حرية التفكير في المجتمع الأوروبي. بعد هذا التحرر تفتن الصليبيون لبلاد المسلمين و ما تحتوي عليه من خيرات الدنيا، و أنها تحتل موقع جغرافي حيوي بين القارات، ثم إن المسلمين بإسلامهم يكونون خطر على المسيحية و من ثم يجب استئصالهم باستخدام القوة العسكرية و إرهابهم في شراسة القتال كما فعلوا بهم عندما طردوهم شر طردة مذعورين من الأندلس، لكي يندفع الإستعمار الغربي الصليبي إلى بلاد المسلمين، فهي بلاد الثروة و الكنوز و المحاصيل الزراعية و تبقى كأسواق مفتوحة لبيع منتجاته الوافرة، و ليعمر في أوروبا بلاده الأصلية بقدر ما تصل إليه يديه و ما يحصل من الأراضي الجديدة و ليكون لأوروبا الثروات الطائلة على حساب المسلمين أصحاب الأرض و

أصحاب الحق، و كان الاستعمار الأوروبي ذكي جدا عندما قام بإثارة نزعات إختراعها كي يكسب نفوس بعض ضعفاء العقول، و الناشئين تحت سلطته و مودتهم بتوسيع أمور عقائدية طائفية عشائرية قبلية، حتى يستطيع تعميق الفجوة بين الأشقاء، و العمل الدائم على زيادة الهوة و العنصرية في الأمة الإسلامية حتى لا تستبسل في محاربه أو تستنفد قواها مواجهته عندما تحرك روح الجهاد الإسلامي الذي يخشاه الغرب و هو يعلم علم اليقين أن روح الجهاد يعني المقاومة و المثابرة و الصمود و التحدي و الإستبسال عند اللقاء في مواجهة التحدي الأوروبي، لذا يعمل الغرب الصليبي على إبقاءه في حالة تمزق و ضعف و تخاذل و إبعادهم بكل الوسائل بنية حاقدة عليهم منذ فتح الأندلس و منعهم من كل إبداع أو إختراع و بخاصة في البحوث الطبيعية، و تشجيعهم على إنحطاطهم و تفتيت قوتهم في المعادلة الدولية و جعل بعضهم يناوئ بعض و ينزل به إلى مستوى التفكير الصياني حيناً أو يخلق بجانبه في الحسابات الدولية، حتى يحرم الدول العربية و الإسلامية من إستغلال مواردها الطبيعية، و حتى يوفر الغرب موارد هذه الدول لصناعته و يستغل الأيدي العاملة الرخيصة قصد تأمين سوق مفتوحة لبيع منتجاته و بضائعه في مستعمراته و محمياته، في نطاق العولمة المالية، حيث يعتبر الغرب الصليبي أن مهمته تقتصر على نهب خيرات بلاد الإسلام و إستعباد العباد عن طريق القوة العسكرية و التدخل المباشر في الشؤون الداخلية و فرض الأمر الواقع على المسلمين و جعلهم في حالة الإستتباع أو عولمة الإستتباع، و يدخل ذلك في نطاق التصفية الجسدية كما هو الحال بالعراق و أفغانستان و غيرها من بلاد الإسلام و إنشاء فئات ظاهرها موالاة الغرب و تطوير أساليب الفتك و القتل مع تصفية جسدية لأبناء جلدتهم كما فعل بالهنود الحمر أصحاب الأرض في القارة الأمريكية و أستراليا، دون حساب إنسانيتهم كبشر أو حتى التفاهم حول مستقبلهم في نطاق علاقة الغالب بالمغلوب، بل الغرب الصليبي من ثقافة و لغة و أدب و تاريخ و قيم الأقوام المهزومة، و هو ما يعني إبادة على بكرة أبيها لتكريس هيمنته و فرض نمط ثقافته في إطار العولمة الليبرالية الجديدة، بهدف فرض الأوضاع الغربية الصليبية و تحكيم قبضته على زمام حجم كبير من التجارة العالمية متكاملة

لتحديات العالم الإسلامي و إستعمال العنف ضده، و منع أي تحرك إسلامي قد يآثر في الإتجاهات أو الإستراتيجيات الصليبية الغربية القائمة على التحدي و العدوان و الهمجية و البربرية و تطوير العالم الإسلامي حيث يضعف و يعجز و يتخاذل و يركن إلى الإستكانة في مواجهة التحدي الغربي الصليبي الأوروبي الذي كان وليد الإستفاقة الإسلامية، و بدأ بتضييق الخناق على العالم الإسلامي بشكل مباشر، و خاصة بعد إتفاقية سايكس-بيكو¹ و هكذا تم القضاء على دولة الخلافة العثمانية و بها إفتقد المسلمون المواجهة مع الغرب الصليبي الذي أنشأ دويلات إسلامية غير قادرة على الصمود و التحدي في أوضاع متردية في حضيض و ضياع غارقة في التخلف السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي و الثقافي، و قابلة للإذعان و لشروط الغرب الصليبي المتفوق عدة و عتاد، سواء تمثلت التبعية في الإستعمار المباشر و الإنبطاح على المقياس الصليبي الغربي، الذي يجعل من الضروري تمجيد الإتجاه الإستعماري الذي جفف ضرع الأمة الإسلامية بإستخدام ظاهرة العولمة الإقتصادية و حقوق الإنسان، لمحاربة الإسلام و هز كيائها هذا عنيفا بقدر ما يمكن من التمزق و الضعف من خلال التسلط و تفرغته من روح الجهاد، بل سعى الغرب الصليبي بكل الحيل الظاهرة و الباطنية إلى ترسيخ التناقض و التضاد بين الفئات الإسلامية و العمل بكل جد و نشاط لتكريس التعارض بين مصالح الأمة الإسلامية حتى يعمق الهوة الفاصلة بين المسلمين مع إقامة الحدود السياسية الإصطناعية التي قضى عليها الإسلام، حتى تتجاوب مع النعرات العشائرية الإقليمية و النعرات القبلية و خلق العراقيل التي تقف دون توحيد أو تنقل الأشخاص و سفرهم من قطر عربي إلى آخر، حتى تجعل الدول الأوروبية العداوة و التشتت و الصراع دائم

¹ كان التحالف بين بريطانيا و فرنسا و روسيا القيصرية و إيطاليا في سنة 1915 خلال الحرب العالمية الأولى على اتخاذ الاجراءات و التدابير لوضع مطالبهم في الاقسام الآسيوية من الامبراطورية العثمانية على اسس دقيقة و متينة , فعين السيد مارك سايكس و جورج بيكو لإجراء المفاوضات في هذا الشأن سنة 1916 م بمدسنة سان بطر سرج الروسية و التي كانت على الشروط الآتية:

1- إن تحصب روسيا القيصرية على ولايات ارمينيا التركية

2- إن تحصل فرنسا على سوريا و ما جاورها

3 - إن تحصل بريطانيا على القسم الجنوبي بلاد ما بين النهرين مع بغداد و المحميات حتى ميناء حيفا و عكا في في فلسطين ثم تعطي إيطاليا رقعة واسعة من تركيا و هي منطقة ازمير ياسر محمد عبد التواب مرجع سبق ذكره ص 99

بين الدول العربية و الإسلامية، و بعد أن إفتقد المسلمون روح الجهاد أدلهم الإستعمار الإستيطاني أو الإستعمار الإستراتيجي بطشا بعدما قسمت التركة التركية الموروثة على يده و الغرب الصليبي مزق الأرض و أهلك الحرث و النسل و كرس الصراع بين الأمة الإسلامية، و إن تظاهر بإقامة علاقات دبلوماسية بعد الإعتراف بالدول المستقلة في نصف القرن العشرين الماضي، ليدخل الغرب الصليبي هذه الدول في بداية القرن الحادي و العشرين في أزمات و إنعدام الوزن و جعلها تتخبط بواسطة ظاهرة العولمة في المشاكل السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية حتى وجدت نفسها تحت لعبة العولمة و أثارها السلبية على العالم الإسلامي .

2- العولمة و الإستلاب الثقافي و الحضاري :

لقد سبق و أشرنا إلى أن معظم الدول العربية الإسلامية خضعت للإحتلال الغربي الصليبي الأجنبي بكل أشكاله و إختلفت و تباينت و تفاوتت في نيل إستقلالها السياسي، فمن مملكة إلى مشيخة إلى جمهورية ديمقراطية شعبية إلى جماهيرية عظمى إلى جمهورية عربية إلى إمارة سلطنة¹، فهي جميعا عاشت التفرقة و التجزئة و الاختلاف، بدل الوحدة و المصير الذي يتجلى و يلتقي في الثقافة و الحضارة الإسلامية الإنسانية التي تمتاز على سابقتها و المعاصرة لها، و لاحقة بها، في رأينا غير قابلة للتغيير أو الذوبان أو الإنصهار أو التبديل أي أنها حضارة إنسانية عالمية موجهة إلى جميع البشر لأن جوهرها هو الإسلام، و الإسلام هو التوحيد، بمعنى الكلمة أنها طفقت تبحر و قد كان مقود السفينة بيدها، و قد دعت الإنسانية كلها إلى إعتناق الإسلام و إتخاذه منهجا و عقيدة و عمل صالح لأنه سماوي الهي واحدا متكاملا ينطوي تحت المبدأ الإسلامي الأول " لا إله إلا الله "، مما يعني أن ثقافة التوحيد الإسلامية هي الأساس الذي يقوم على المنظور الإسلامي للحضارة الإنسانية التي إستوعبت الأقوام و الشعوب و الأجناس ذات العناصر المتباينة لتعيش و تحيا في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف، هذه الحضارة التي لم تكن عنصرية بأي شكل من الأشكال أو وجه من

¹ ينظر. الدكتور حزام خميس والي .من سلسلة أطروحات الدكتوراه (44) إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية . الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت 2003، ص 53

الوجوه أو لون من ألوان التمييز، و التي نزلت على محمد صلى الله عليه و سلم بوادي مكة غير ذي زرع في شبه الجزيرة العربية، ثم انتشرت في مكة و المدينة و الطائف فتشمل بعد وقت قصير جزيرة العرب بأسرها، و تمتد فتشمل بلاد الهلال الخصيب و إيران و العراق، و مصر و المغرب العربي الكبير و إسبانيا و الأندلس إلى غاية البواتي شمال فرنسا و تشمل أيضا وسط آسيا، لقد كانت الإمبراطورية الإسلامية ذات قوة في القرن الثامن الميلادي وفتت في وجه الحروب الصليبية و الصليبين موقف قوة لفترة تزيد على ثلاثة قرون 1100-1300،¹ انتهت بالفشل و بإستيلاء المسلمين على بيت المقدس و استردوا الولاية على الشام و إنتصرت الإمبراطورية الإسلامية في الحرب على الغرب؛ لكن هزيمة الصليبية كانت إنحراف عن الكنيسة إذ بدأت تكافح تحت تأثير ما عرفته عن الحضارة الإسلامية من الإيمان برفع الوساطة بين الله تعالى و بين الإنسان الذي هو مقدم على سائر المخلوقات، و بحرية حقه في التفكير وله مطلق الحرية في شرح الكتاب المقدس اكتشفت الصليبية الغربية في الحضارة الإسلامية حرية الرأي، حرية العقيدة، حرية الإقامة و حرية الانتقال، و حرية الفكر، و حرية الدولة، و لذلك كانت الحضارة الإسلامية و التحكم على طرفي النقيض لا يجتمعان فليس للإنسان أن يتحكم بغيره، و ليس للدولة أن تتحكم في الناس و لكن لها أن تحكم عليهم إذا خرجوا أو اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم و انحرفوا عن جادة الصواب²، و الحكم بالنسبة للحضارة الإسلامية هو رقابة الدولة و السهر على مصالح الناس و حماية أمن المجتمع و توفير الحاجيات و الأمان لمواطنيها و التحكم في الناس هو سلب حرياتهم و الإعتداء على حقوقهم و تقييد تحركاتهم، و هنا نرى بأن الحضارة الإسلامية التي جاء بها الإسلام، و التي ركزت على التوحيد بين الشعوب و الأديان في نطاق العلاقات الودية و الصفاء و حسن الجوار في إطار منظم و قوانين تنظم العلاقات بين الأفراد و الجماعات و الدول، و ترتقي إلى

¹ ينظر. الدكتور عبد اللطيف عبد الهادي . الحركة الصليبية عصر بلدوين الثالث 1143م-1163م . جامعة غريان . ليبيا 2006،

² ينظر. الدكتور جميل عائد الجبوري . دراسات في الحضارة الإسلامية . جامعة الملك عبدالعزيز المدينة المنورة 1991، ص 40

الأمام و هي صيغة لنشر التوحيد الإسلامي في كل ما يتعلق بالعبادة و الأحكام و ظهور عموم الرسالة الإسلامية و شمولها للناس كافة، في دعوة إتباع الديانات السماوية للدخول في الإسلام، الذي يؤكد ما بين أيديهم من الكتب، و يصدقها و يصحح ما حرف منها، مصداقا لقوله سبحانه و تعالى: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " . سورة آل عمران آية 64، و قوله سبحانه و تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ ۖ مَفْعُولًا " سورة النساء آية 47 و هكذا نرى بأن الحضارة الإسلامية عامة و شاملة و كافة للإنسانية باعتبارها خاتمة الرسالات السماوية، أي الثقافة الإسلامية الموجهة من الله سبحانه و تعالى إلى جميع الإنسانية و الإسلام إرتضاه الله لجميع خلقه و هو أقوم دين و محمد صلى الله عليه و سلم خاتم الرسل و الأنبياء، مصداقا لقوله سبحانه و تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ ۗ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " سورة الأحزاب آية 40 و قوله عز وجل: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا... " سورة المائدة آية 3 ، و بهذه الآية الكريمة نرى جوهر العقيدة الإسلامية هي التوحيد، أي الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق الرازق، المبدع القادر الجبار المبتكر، الذي بيده الموت و الحياة و النشور، هذا المبدأ التوحيدي الذي حرر المؤمن من أي ضغط، و من أي تحقير، و من أي عبودية و إضطهاد، من خلال إنتشار حرية الفكر العربي الإسلامي، و إن الفكر الغربي الصليبي قد حقق نجاحا هائلا عندما إتصل بالثقافة العربية التي حققت خلال العصور الوسطى إزدهارا بفضل القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، إذ نشأت علوم دينية و لغوية و أدبية و نتاج فكر عام، و صارت الثقافة الإسلامية فيما منذ نزول الوحي على محمد صلى الله عليه و سلم و حتى اليوم تنفصل عن الحضارة الإسلامية و صارت الثقافة العربية ثقافة الإسلام، ربما ساهم فيها المسلمون أو غيرهم، من

عرب أو عجم أصبحت الثقافة الإسلامية بنظر المسلمين عقيدة وشريعة و حضارة عالمية و حتى ينظر المسيحيين واليهود معا إلى الثقافة الإسلامية على أنها دين و دولة، إذ يقصد بها تجميع تعاليم الإسلام و عقائده، أما العولمة و الإستلاب الثقافي و الحضاري كما أعلن منظروهما بخصوص الثقافات الحية مثل الثقافة العربية الإسلامية و غيرها، يجب إختراقها و إستلابها و إختلاسها بأسلوب¹ فتنة التكنولوجيا و الإنترنت و التقنية المتقدمة، في مجال الإقتصاد و التجارة العالمية التي تعلن من يدخل في عهدتها و لا يتبع منهجها فهو كافر بالسوق الكونية السلبية ذات الإنتماء الصهيوني الأمريكي الأروبي، فالعولمة تسعى بكل وسائلها الإستيلابية إلى سلب و قهر الثقافة و الحضارة من خلال تهميش و تفتيت الأمة الإسلامية، و ذلك بفرض منضومات ثقافية و إحياء المذاهب الطائفية و الإستجابة لمطالب الأقليات العرقية الدينية التي في حال إحيائها تلعب عامل مساعد في التأثير على البنية

¹ - سلبت الشيء سلبا و الإستلاب : هو الإختلاس و الأسلوب بالضم: هو الفن، يقال أخذ فلان في أساليب القول، أي في فنون منه، و عند الأدباء (الأسلوب هو الرجل نفسه)

و من كلمة الإستلاب أي الإختلاس: قال المتنبي

إنما أنفس الأئيس سباع يتفرسن جهرة و إغتبالا

من أطاق التماس شيء غالبا و إغتصابا لم يلتمسه سؤالا

و هو من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة و المسألة طبع الموت و النفس لا تحب الموت، فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة أما السلب في القرآن قوله تعالى: "و إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه" سورة الحج اية 73 ، السلب نزع الشيء من الغير على القهر، لا يستنقذوه منه إلا بقدر على إستنفاده و احده و رجعة إليه، و معنى الآية الكريمة : و إن يسلبهم الذباب إلا لآهة شيئا مما عليها من طيب لا تستنقذ آهة ذلك منه على ضعفه (ضعن الطالب و المطلوب) أي عجز الطالب و هو الآهة أن تستنقذ من المطلوب و هو الدابة ما سلبها إياه من الطيب و لو حققنا وجدنا الطالب الآهة أضعف و أضعف، لان الذباب (المطلوب) حيوان و الآهة جماد و هو غالب الطالب، و ذاك مغلوب و هي الآهة و عن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران و رؤوسها بالعسل و يغلون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، و إذا إستوعبنا موضوع السلب بشيء من الإستيعاب فنجد الإستلاب كذلك في قوله سبحانه و تعالى: "و عزني في الخطاب" سورة ص آية 23 .

عزني : غلبني و في المثل (من عز بك) أي من غلب سلب، كما قال إمرؤ القيس

يا شاة ما قنص له : حرمت علي وليتها لم تحرم

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي : فتجسسي اخبارها لي و اعلم

قالت رأيت من الاعادي غرة : و المشاة ممكنة لمن هو مرتم

فجواب جارية إمرؤا قيس قالت بأن المرأة من ضمن الذي مولع على الغلبة و القوة كما نرى في عصرنا هذا و بشيء من الأسباب و التوسع في موضوعنا هذا و عن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرا الآية " فلا تعجلف عليهم إنما لهم عدا " سورة مريم اية 84، ثم قال : إذا كانت الأنفاس بالعدد و لم يكن لها مدد فما أسرع ما

تنفذ : إن الحبيب من الأحباب مختلس : لا يمنع الموت بواب و لا حرس مختلس هو مستلب

و كيف يفرح بالدنيا و لذتها : فتى يعد عليه اللفظ و النفس

و يقول المتنبي لذلك : و ما الموت إلا سرق دق شخصه : يصول بلا كف و يسعى بلا رجل

قال المتنبي في الرثاء ، الرثاء إذا بكيت الميت و عددت محسنته و الشيء بالشيء يذكر كما يقال ..

هذه الامثال و الابيات مأخوذة من صفوة التفسير في مرجع سبق ذكره ص 250¹

الأساسية للحضارة و إضعاف الثقافة للأمة الإسلامية من أجل تهيأت الدول العربية و الإسلامية بقبول هيمنة الثقافة و القيم الأمريكية بالقوة، و الاعتراف لها بالزعامة و القيادة المنفردة بإستخدام النزعة العسكرية و تبني حقوق الإنسان و شرعة الديمقراطية و العدالة و الإخاء و الحرية و المساواة تحت سيطرتها، باعتبارها الوريث الشرعي لأوروبا العجوز التي سيطرت على العالم العربي و الإسلامي خلال القرنين الماضيين عندما تم إقتسام أراضي الإسلام بالقوة من القرن التاسع عشر و إلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين الماضي حيث نالت الشعوب العربية و الإسلامية الإستقلال و الكرامة و الوطنية و الحرية التي أصبحت مفاهيم أساسية في ضمير هويتها، لكن الغرب الصليبي عاد بأساليب تخفي نواياه السافرة الاستعمارية كالذباب بحثا عن مواقع جديدة للنهب و السلب و الاختلاس، بسبب الأنظمة السياسية العربية التي تقف وراء طبيعة فح المعلومات المتمثلة في التقنية المتطورة و التي هي أخطر التحديات الحالية للثقافة العربية الغائبة عن التصنيع و الخلق و الإبداع في حياة الإنسان العربي، و لذا تسعى العولمة التي تنمو كالطفيليات إن لم نتصدى لها بإلحاح و إلى ضرورة إحياء الموقف السابق و إستخدام الوسائل التي تمكن بعد قليل من السنين أن تجهز أسطولا جويا يتجاوز عدده المئات من الطائرات الحربية، على أن الغرب الصليبي الذي نحشاه و الذي ينبغي أن نعد له العدة و القوة المادية لما بيننا و بينه من العداوة التاريخية، لا يزال خطره القاتل قائما بإستخدام الأسلحة الحديثة و الآلات و المعدات الحربية ذات التكنولوجيا العالية، فإذا عملنا منذ الآن بإمتلاك الطائرات و القاذفات، و المدافع و الأساطيل البحرية و القنابل، و الدبابات و حتى الأسلحة الكيميائية و الجرثومية و النووية بهمة و نشاط و بذلنا المال في هذا السبيل فواجب على المسلمين العمل به و إمتلاك هذه الوسائل للدفاع عن أنفسهم و الوقوف في وجه الغرب المتصهين، نكون من الدول التي سيرهب جانبها في الألفية الثالثة إن شاء الله، و من الطبيعي أن ينظر الغرب الصليبي إلى الثقافة الإسلامية التي تحمل كل القيم الحضارية و الخلقية بعين الإفتراس و التدليس للمقدسات الإسلامية و نخاسة الفكر العربي من خلال إظهار قوته المادية

و تقدمه التقني و العلمي الذي يحمل معول التهديم لكل القيم الثقافية و الحضارية و تشويه صورة المسلم و طمس معالم هويته تجاه التكتلات الحضارية الإقليمية و الدولية في المستقبل بسبب الابتعاد عن سيرة محمد صلى الله عليه و سلم التي كانت حجر الرخى المؤدية إلى إصلاح المجتمع العربي الذي ألبأته الطبيعة القاسية إلى الترحل في أنحاء الصحراء بحثا عن الوديان المعشوشبة يقيم حولها و يعيش حالة الكدر و الغد، في جاهليته و التي إنصهرت بمفاهيم ثقافة الإسلام الذي حمل بفتوحاته إلى أعظم و أرقى مراكز الثقافة و الحضارة في العالم، و أمد الإنسانية بالثقافة نواقد حضارية راقية في الأندلس و صقلية و لكن اكتساح المغول لبغداد في القرن الثاني عشر الميلادي و سقوط عاصمة الخلافة الإسلامية الأولى و تفكك عرى الفعالية الإستنهاضية للخلافة العثمانية، أدى إلى هيمنة إستعمارية صهيونية و تشتت الحضارة و الثقافة الإسلاميتين و دخول العرب و المسلمين في صراع مع الغرب الصليبي للإحتناض بالعبقيدة الإسلامية النقية و هي الوسيلة الوحيدة لفرض قيم الحضارة الإسلامية التي ذابت فيها حضارات أمم و شعوب و أقوام كالمغول الذين كانوا أكثر بربرية و فضاضة، و قسوة و غلظة و سفك الدماء و هتك الأعراض و تدمير و تخريب القرى و المداشير و العمران، و هلك الحرث و النسل و إبادة الإنسان و إتيان الفواحش، حتى جعلوا المدن و القرى كالرميم لكن هؤلاء المخربين لم يلبثوا أن بدأوا يدخلون في الإسلام أفواجا و لم يقضي على إجتياحهم وقت قصير لبلاد المسلمين بفضل القرآن الكريم و السنة الشريفة، و صارت حضارة الإسلام و ثقافته حضارتهم و ثقافتهم التي لا تذوب في حضارة الغرب الذي ما زال حتى اليوم و بعد سقوط بغداد للمرة الثانية في بداية القرن الحادي و العشرين و الغرب يسعى إلى سلب ثقافة العرب و المسلمين أصحاب القرآن العظيم و السنة الشريفة الأساس للحضارة و الثقافة التي لا تتغير و لا تذوب و لا تنصهر في ظل العنعنات الطائفية و حتى سياسة التمريك، التي تدفع بعض الأوباش الذين سادوا بفعل إستيلائهم على السلطة بمساعدة الأمريكان خلال غزو العراق ستنتهي خياراتهم على يد المقاومة الشرسة في المنطقة العربية التي تتحدى الغرب الصهيوني في مصيرها لأنها مؤمنة بأنها صاحبة الحق على

الأرض و ذات حضارة و ثقافة علميتان، آمنت بمفاهيم ثقافة و حضارة الإسلام التي تجمع بين العلوم الدينية و الدنيوية لقوله سبحانه وتعالى: " وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ.." سورة التوبة آية 71، و الولايات المتحدة الأمريكية الماحنة و الماكرة و المفلسة و الجاهلة، فمآلها إلى شقاء الإستعباد و فقد صورتها بسبب مواقفها العدائية تجاه الإسلام، و هي دولة عدوانية خارجة عن القانون الدولي في المجالين الأخلاقي و الإنساني بنظامها الإتحادي الذي إستولى على أمريكا الشمالية تقريبا و ذلك بسن قوانين التجارة و التي بفضلها إستطاعت توحيد أسواق ولايتها، إلى سوق كبيرة تحولت إلى منشأة ضخمة تتحقق فيها الإحتكارات على نطاق واسع و تضخ فيها كافة المواد، الشيء الذي أكسب الرأسمالية الأمريكية قوة إقتصادية ضخمة و قوة سياسية و عسكرية و خاصة بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى 1918-1414، إذ تم إخضاع الدول العربية لنظام (الإنتداب) بعد تقسيم التركة التركية السرية الذي تزامن مع وعد وزير الخارجية البريطاني بالفور بإنشاء وطن للشثات اليهودي على أرض فلسطين العربية، و نجاح مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية 1939-1945 كأحد السيناريوهات الأمريكية التي أدت إلى التحالفات السياسية ضمن عملية الإستلاب الثقافي و الحضاري، تتسارع الأحداث في الوطن العربي إستجابة للحرية و لتحدي العولمة الجارفة.

3- العولمة و العولمة المضادة :

إذا كانت أنظمة أو مفهوم الإستلاب يشيران بمدلولهما الدقيق إلى الإختلاس الذي يتم بواسطة القوة العسكرية و الإقتصادية و السياسية و الثقافية من أجل الهيمنة، أي هيمنة الأغنياء الأقوياء على الضعفاء الذين يملكون أسلحتهم. أعني الإسلام و المسلمين أصحاب الدعوة و العقيدة و العبادة و الأحكام و القواعد و المبادئ و النظم التي نادى بها الإسلام

و الأسس التي قامت عليها علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى، عندما وصلت الحضارة الإسلامية إلى أعلى من العظمة، عمرانية كانت أو علمية تحت العقيدة الإسلامية التي كانت تعمل بغير إكراه، و كانت الدولة العقيدية قائمة على أصول التفكير السليم و تنفذ بكل إخلاص نظمها، و تدافع بكل تфан عنها، مما جعل تنامي مشاعر الإنتماء للمستضعفين الذين كانوا يحملون عقيدة التوحيد الذي عزز حقوقهم، و سمح لهم بممارسة العمل الذي هو أساس أي نشاط اقتصادي، و الذي كان تداوله تحت إشراف قريش كأبي سفيان بن حرب و العاص بن وائل، و عتبة بن ربيعة، و غيرهم من المرابطين¹ و لذلك انتقل الانتماء الطائفي و العشائري لدى الفرد العربي على مستوى الحياة الاجتماعية برمتها للدولة الإسلامية التي تؤمن الأمن و الكفاية الذاتية و الرخاء الإقتصادي في الحياة العربية بعد إمتصاص الحقد الذي إقتلعه رسول الله صلى الله عليه و سلم من قلوبهم، و حل مكانه الحب و الاحترام، و هذا ما دأب عليه الإسلام و أمر بإتباعه في جميع شؤون الحياة الاجتماعية حيال المجتمع الإنساني (و لاسيما قادة الجيوش الإسلامية) أمرهم بالتسامح و الحلم و التحمل، و الصبر وسعة الصدر و العفو عند المقدرة، و قادهم جميعا بكل إهتمام و ترغيب و بدون تعصب و تمييز طائفي و جغرافي و عشائري و عرقي الذي ينخر عظام الحضارة و الثقافة بسبب الولاءات الضيقة، في غمرة أبناء الحارة و العشيرة و القرية و القبيلة تحميه و تتفاءل و تتشاءم منه و كانت القبيلة تعتبر الوحدة السياسية عند العرب زمن الجاهلية، و أبناءؤها ينتمون إلى أصل واحد تربطهم رابطة العصبية لأهل العشيرة و رابطة العصبية تدعو إلى نصره القبيلة ظالمة أو مظلومة أو العكس، و أكثر ما تقوم العصبية على الدم، و لذلك رفض الإسلام بل حارب العصبية و راح يقيم الدولة على قواعد شعبية مؤمنة تمتلك مقومات وجودها و تنمو و ترقى بالكفاءات المؤمنة و الخالصة فيها.

و في هذا السياق يمكن التمييز بين الإسلام الذي أنشأ أمة قد إستولت على أكثر من نصف الكرة الأرضية، بل كونت شعب إسلامي ينظر إلى سائر الأمم نظرة الأخوة بين الناس بدون

¹ ينظر. الدكتور. عبد اللطيف. مشهور أميرة. الاستثمار الاقتصادي الإسلامي. مصدر سبق ذكره ص 187

تفرقة بين الحقير و الأمير، و الغني و الفقير، و تمييز العنصر بالعنصر و بدون تمييز بين السلالة و السلالة، و بين الجنس و الجنس و بين الطبقة و الطبقة، و من هذا نرى ما للإنسان من أثر و يمكن أن نستنتج منها أنه أساس اجتماعي تبنى عليه المساواة في الحقوق و أن العدل الذي يدعو له الإسلام يجب أن يسود في شؤون الأفراد و يسود في المجتمع الإنساني، حتى يستقر الأمن و الوئام و الأنا و التحابب بين جميع أفراد الأسرة الإنسانية و ليست العولمة التي تريد أن تحكم بغير ما أنزل الله، إذ بدأت تتآكل جل الشركات الوطنية في طريق صاعد سيعم حتى الوحدات الخاصة و الفقيرة في حركة الخوصصة، حيث تزيد ضغوطات العولمة و يزيد نفوذ رجال الأعمال في التأثير في سياسيات الدولة و قراراتها و يظهر ذلك بصورة خاصة في التحديات التي تواجه الدول العربية و الإسلامية في إطار التكتلات السياسية و الاقتصادية و العسكرية و الاجتماعية و الثقافية، على مستوى القارات و تبذل جهودا كبيرة، فالواقع أن العولمة ليست الخيار الوحيد من الإنقياد بإزاء الغرب الصليبي الذي يتفوق بالعلوم التطبيقية (التكنولوجيا) حيث يستشعر نفسه بطريقة مرموقة و يملي بطريقة غامضة شروطه تحت الدعاوى التي تترجم عموما المبادئ و الأهداف، كالذي حدث في مؤتمر برشلونة عام 1995، الذي أرسى العلاقات الأوروبية العربية و بعده مؤتمر مالطا 1997، و شتوتغارت عام 1999، و يقال عن هذه المؤتمرات هي تطوير و دعم علاقات التنسيق و التعاون بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط تجاه القضايا ذات الإهتمام المشترك. هي التي دفعت الإتحاد الأوروبي إلى تأسيس شراكة مع دول عربية متوسطة و الحقيقية هي تأمين الحدود الجنوبية الإتحاد الأوروبي من مخاطر إنتشار الإسلام السياسي و الهجرة غير المرغوبة فيها أو غير الشرعية و محاربة الإرهاب، و المحافظة على النظام الإقليمي العربي الذي يخدم مصالح الإتحاد الأوروبي الذي عاوده الحنين إلى القارة السمراء التي أصبحت فاقدة للسيادة، و بالتالي يجب تغليب مصالح الإتحاد الأوروبي على المصالح الوطنية الإفريقية في ظل العولمة و إحترام حقوق الإنسان، و قيام التعددية السياسية و التسامح الديني و إحترام الآخر، و المساواة في السيادة و تنفيذ القرارات الدولية، و إيجاد تسوية للصراع العربي الإسرائيلي سلميا، و لا سيما قراري

مجلس الأمن رقم 242 و رقم 338 و مبدأ الأرض مقابل السلام الذي أقره مؤتمر مدريد 1991، و وظف مؤتمر لشبونة عاصمة البرتغال الذي إنعقد في بداية الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 2007، و يتضح من تكرار هذه المؤتمرات و إنعقادها المستمر هو محاربة الإسلام الذي إستطال الخلاف بشأنه و اشتهر بين الإتحاد الأوروبي و الولايات المتحدة الأمريكية التي أظهرت العداء للمسلمين في العالم. بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، و ما يجري الآن في بلاد العراق من حرب إبادة للمسلمين و انتشار الواسع و المتعالي للولايات المتحدة الأمريكية و ثقافتها و سياستها تجاه العالم الإسلامي، و إن كانت تسعى لتحسين صورتها في علاقتها الإقتصادية مع الدول المعتدلة و الصديقة، مبتدئة باجتماع أنابوليس¹ بين فلسطين و إسرائيل و بعض الدول العربية على استحياء، بصرف النظر عما يحدث من قتل و تشريد للشعب الفلسطيني صاحب الأرض و صاحب الحق، من طرف إسرائيل و الدوافع المعلنة لسلوك العدوان الإسرائيلي المتكرر في تصدير الأراضي العربية و هدم و ردم البيوت فوق رؤوس الفلسطينيين الذي يتواصل يوميا، كانت هذه رؤى و لا زالت تشغل فكر بعض الساسة العرب الذين تربطهم رابطة الليبرالية التي تقوم على المادة، و العرب يتأرجحون بدل الإنطلاق إلى الوحدة بعد الإستقلال و الاندماج الإقتصادي الذي كان و لا يزال خلال الأعوام الخمسين الأخيرة من القرن العشرين الماضي لما كان الاتجاه الشعبي، إلى قيام تكتل إسلامي عربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي بمؤسسات مالية و تبني عملة موحدة، و كذلك قيام سوق عربية إسلامية برفع الحواجز الجمركية كما هو الحال الآن في الإتحاد الأوروبي الذي تم مسيرة التعاون الإقتصادي و عملته اليورو تفوق الدولار الأمريكي، بل صارت عملة دولية و ربما تحل محل الدولار في وقت قريب إذا إستمر هذا الأخير في التديني بسبب الحروب الأمريكية

¹ - إنعقد إجتماع في بداية الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 2007 بأنابوليس بالولايات المتحدة بين الإسرائيليين و الفلسطينيين و بعض الدول العربية و من المؤكد أن الإسرائيليين هم الذين يتحدثون عن السلام و يقومون على الأرض أي الواقع بقتل و سحق كل من يريد أن يدفع عن فلسطين و يصادف الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 2007 الإفتتاح الثاني للقمة الإفريقية الأوروبية التي إنعقدت بلشبونة عاصمة البرتغال و التي أثرت فيها الديمقراطية و حقوق الإنسان الإفريقي و الطاقة و حرارة الأرض و المحجرة من الجنوب إلى الشمال و الشغل و إنشاء لجنة الحكماء للنظر في القضايا الإفريقية أو المتمثلة في توطيد الأمن و لإستقرار

العدوانية على العراق و أفغانستان و فلسطين، و بسبب الهزة القوية التي ضربت الولايات المتحدة في شهر سبتمبر 2001.

و لذلك فالعالم العربي يحقق التكامل الإقتصادي و الديني في ظل الجامعة العربية من خلال أداء دورها السياسي، ذلك لأن الأمن العربي في حاجة ماسة في الوقت الراهن إلى تكتل ينتظم طبقا للأوضاع الدولية التي يجتازها العالم بإعتبارها فترة الهيمنة و التحالف على الإسلام و المسلمين بعد إنحيار الإتحاد السوفياتي، و الحرب الأنكلو أمريكية على العراق و تشجيع دول الإستعمار الكبرى الغربية التي كانت تروي نار الحرب بما لديها من سلاح و عتاد مدمر ضد الإسلام و أتباعه بحجج، كتحرير الإنسان العربي من دائرة العنف السياسي المدعوم بالقانون و الأنظمة، و هذا ما أكدته المحريات السياسية و وسائل الإقناع الغربية الصليبية بإستمالة لبعض الدول العربية أو إخضاعها بفعل القوة العسكرية أو السياسية، بل إنها وسيلة يعتمدها الغرب الصليبي بصورة غير شرعية و لا قانونية ضد الدول العربية التي ترفض توجهاته بصورة قانونية، و لكن المهم في ذلك هو ما توصل إليه أستاذنا مالك بن نبي رحمه الله من مواجهته للغرب و رفضه للهيمنة الليبرالية، فبالنسبة إليه مثلا : هناك مبادئ إسلامية و مقولات سياسية للإسلام يجدر القبول بها بصفة عامة و هي فكرة كمنويلث إسلامي (Commonwealth Islamique)¹ يعكس التنسيق العربي- الإسلامي تجاه الغرب الصليبي - الصهيوني الذي وصل إلى مستوى الخطورة، نظرا لأهمية تطابق وجهة النظر الأمريكية الإسرائيلية فشاركة السياسية - الأمنية التي حققتها إسرائيل و تفوقها العسكري و التقني على جميع الدول العربية مجتمعة، يعني بطبيعة الحال رد فعل في هذا الشأن و إتخاذ مبادرة مالك بن نبي التي إقترحها كمشروع و ميثاق الإستقرار و الأمن بالنسبة للدول العربية و الإسلامية التي تشكل أمة من تنوع السلالات و العوالم الإسلامية عديدة .

أ-العالم الإسلامي الأسود أو الإفريقي

¹ مالك بن نبي. فكرة كمنويلث اسلامي. ترجمة الطيب الشريف بإشراف ندوة مالك. الطبعة الثانية 1410-1990م 1460 القاهرة طبع بالجزائر من دار الفكر - دمشق بالتعاون مع الملكية للاعلام و النشر و التوزيع 38 مزرعة رشيد كوريقه - الجزائر ص 17.

ب-العالم الإسلامي العربي

ج-العالم الإسلامي الإيراني (فارس و أفغانستان و باكستان)

د-العالم الإسلامي الماليزي (أندونيسيا و الملاوي)

هـ-العالم الإسلامي (الصيني المغولي)

هذا التقسيم لمالك بن نبي رحمه الله² نقلناه نقلاً لكي نستطيع أن نعي الأمة الإسلامية وعياً صحيحاً، و نطبق القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة حسب مقتضيات و حاجات العالم الإسلامي الذي هو بحاجة إلى التكتل و التفاعل و التكامل مؤكداً حقيقته الروحية و المادية التي تتصل جذورها بالماضي، و تتجه تطلعاتها إلى المستقبل و بصفة عامة فإن الظروف الدولية الحالية توفر المناخ إذا أسقطنا الطائفية و الفرقة و الإنقسام و التعصب و الهوى، و نعود إلى الدين الإسلامي الأصيل في تراثنا القومي و الوطني، إذ تعتبر بلاد العرب مهبط الأديان السماوية و هي جميعها من عند الله تعالى تدعو إلى الأخوة و الألفة و حسن الجوار و تدعو إلى الإتحاد بين جميع المسلمين، و الإسلام دين شامل مستقبلي كان و ما يزال و سيبقى إلى أن يرث الله الأرض و من عليها الطاقة الباعثة من أجل حقوق الإنسان و التحرر، و حل المشاكل الإقتصادية التي أفسدتها العولمة التي تفرضها الليبرالية على الضعفاء فهو كنز الذي لا ينفد، و ذخيرة المؤمن و في كل هذه الحالات نعود إلى العهد الأول للإسلام و نقف عند حصار الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما قال لأصحابه قبيل دخول الثوار عليه في بيته و سفك دمه بغير وجه حق " لئن قتلوني لن يصلوا بعدي جميعاً أبداً و لن يقاتلوا عدواً جميعاً " هذه المقولة للخليفة الشهيد قد أستجيبت، على أن العرب لم يزالوا و لن يزالوا يحملون قميص عثمان على مر الأيام، و لقد كان اغتيال الإمام عثمان أول فتنة صدعت وحدة المسلمين و فرقت شملهم و لم تجبرهم بعد.

و السؤال هو : كيف نوحّد العرب بعد مقتل عثمان و ما هي الأسس التي يجب إتباعها ؟

² نفس المرجع ص 42

أولاً : إن إعادة قراءة الأفكار و المبادئ الإسلامية التي شوهدت الإستشراق و المستشرقون و البعثات التبشيرية المسيحية التي أوجدها الإستعمار مع إستصحاب أبحار اليهود في ذلك الوقت، لأن اليهود كانوا يتوطنون في البلاد العربية حتى قبل النبوة و لديهم المعلومات المتوفرة من الغلو في تعظيم القبور و لاسيما قبور من يسموهم بالأولياء و إتخاذ المساجد عليها و صرف الكثير من العبادة لأهلها كالدعاة و الإستغاثة و الدبح و النذر، و غير ذلك و لما وقع أيضاً بسبب الجهل و الإبتعاد عن الشريعة الإسلامية، في غالب الدول العربية و الإسلامية من تحكيم القوانين الوضعية و الأهواء و الآراء البشرية و الإعراض عن حكم الله و رسوله و عقيدة السلف الصالح و عقيدة الكتاب و السنة التي هي أعدل الأحكام و أحسنها¹.

ثانياً : إستقطاب الكفاءات و الأدمغة العربية و الإسلامية العلمية و إقناع المسؤولين و الحكام العرب من أصحاب السلطة و صناع القرار، و من العلماء بضرورة إحياء دار السلام و العروبة، و بذر الإخاء و الوحدة التي بذرها الإسلام لم تمت أبداً، فبقيت كامنة في النفوس، و ذلك لأسباب الوحدة الدينية و الدعوة و الإخلاص في العمل و التمسك بالكتاب و السنة و مجانية العوامة و الهوى و البدعة و لزوم طريق أهل السنة و الجماعة الذي كان عليه الصحابة و التابعون، و مضى عليه السلف الصالحون يكون متبعاً للعلماء المتخصصين داخل الدول العربية و خارجها للمساهمة في مشروع إعادة الخلافة، الذي قد طوى في طيات التاريخ بقرار إلغاء الخلافة من طرف مصطفى كمال عام 1924م و تنجح إذا كانت الجهود العربية مشتركة، متعهدة بالمسؤولية المادية و المعنوية و عدم التآرجح و الانقسامات الطائفية و الإقليمية و المذهبية و الجهوية بين الدول العربية، و إبراز و تتبع دور و طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة و الجماعة من الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين إتبعوهم بإحسان، و إتباع وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك حيث قال: "

¹ ينظر. الدكتور. العبود بن عبدالرحمان عبدالله. عقيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية و أثرها على العالم الإسلامي. الجامعة

عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " و قال أيضا : " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم و لا من خدلهم حتى تقوم الساعة " و أن يكون القرآن الكريم دستور للمسلمين الذين يعتقدون بأنه أصدق حق و خبر الهدى، إلى جانب هدى محمد صلى الله عليه و سلم و يؤثرون كلام الله على غيره لأن الحق المبين و هذه حقيقة تاريخية تقود الإنسانية في كل زمان و مكان لا تحتمل الجدل و لا النقاش.

ثالثا: تأسيس هيئة علمية من ذوي الكفاءات العالية في أقطار الدول العربية و الإسلامية تكون مهمتها تولي التنسيق بين الجماعات الإسلامية و الجمعيات و مراكز الدراسات و البحوث العلمية و الفكرية، و تشجيع فئات الشباب بالتخصص في العلوم التطبيقية (التكنولوجيا) و الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و النفسية بالإضافة إلى إنشاء سوق مشتركة قابلة للتطور تربط الحقائق بالوقائع الإنسانية العربية الإسلامية و بفلسفة المجتمع الإسلامي ككل، و الارتباط بالحضارة و الثقافة و الوشائج التي جعلت و مازالت تجعل هذه الثقافة الإسلامية متكاملة، و توحيد العملة على أساس التكامل الاقتصادي و الإهتمام بالجالية في ديار المهجر، لاسيما ذوي الاختصاصات ليسهل التعاون و العمل في فروع أقطار الدول العربية و الإسلامية، و توحيد الرؤى الفكرية و السياسية و الاجتماعية للأمة الإسلامية و قبول النقد الذاتي، مبتدئين بدراسة هموم الإنسان العربي و المسلم في مظهر حضاري بعيدا عن السفسطة، فالعوامل الجغرافية السياسية تربط مواطنوا البلدان العربية و الإسلامية منذ خمسة عشر قرنا بعوامل كثيرة، قد حفزت شعوب الدول العربية الإسلامية لكي تأخذ بزمام الإبداع و الإضافة لحساب التقدم الحضاري و القيادة الحضارية، و مع ذلك ينبغي أن نلفظن أيضا إلى المجاهدة العسكرية خاصة بعد إحتلال فلسطين و أفغانستان و العراق، بعد نمو شعور العداة و تخيل الولايات المتحدة بإمكانيات هزيمة المسلمين عسكريا من قبلها، على الرغم من أن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية تربط بينها في إطار إستراتيجية تعرف بالأصدقاء العرب، كالكويت و السعودية و قطر و الإمارات العربية المتحدة و الأردن و مصر، عندما

يطلق على هؤلاء في التماهي (العربي مع الأمريكي) ناشئ من كون الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على أغلب الدول البترولية الخليجية بل تشتري المواد الإستراتيجية لتشغيل مصانعها بأقل الأسعار و بأحسن الأثمان، ثم تعيد تصدير مصنوعاتها إلى الدول الآنفه الذكر بأعلى الأسعار في العديد منها، و تنظر إليها على أنها دول إسلامية في النهج الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، هو تهديد ليس فقط لوجود الكيان الإسرائيلي بل للعالم الغربي أجمع كذلك تمثل الدولة الإسلامية فكرة العداوة و العنف بمختلف أنواعه ضد المعالم الغربية، و هكذا يجب أن يقف العرب و العالم الإسلامي في وجه الإلتجاه الغربي الذي لا شك في تصرفاته التي وجدت أثناء إحتلال العراق أنها كانت حربا تكميلية للحروب الصليبية التي أثبتت الحقد الأمريكي الذي خرب الوزارات و المديريات و أحرق و نهب و سرق المصارف و المخازن و البنوك، بمساعدة شرادم من الإتهازيين و العملاء و السارقين و كان للولايات المتحدة الأمريكية أن تفرغ العراق من كل مقومات الحياة الإنسانية و السياسية و الإقتصادية و العسكرية و الاجتماعية و الثقافية، حتى تصبح بلاد ما بين النهرين مستعمرة تابعة للنتاج الأمريكي بيد أنها مستعمرة مخربة ينقع البوم إطلالها، و برغم هذا فإن نظرة الغرب الإستعمارية قد بدأت بالحديث عن الشر المطلق و تلحظ قوى إسلامية تحل محل الأتباع و تقف بكل تأكيد ضد مصالحه الحيوية و تقدم المصالح الصهيونية .

4- العرب و العولمة:

يمكن القول أن العولمة ليست الخيار الوحيد في إختيار معيار يعتمد في التفرقة بين الدول الليبرالية المتقدمة و الدول العربية و الإسلامية ذات الإمتيازات الدينية و الفقهية و القانونية و التنظيمية، و التي تؤكد بإستمرار التكتل و الوحدة و عدم الإنقسامات المذهبية و الطائفية التي لم تكن موجودة زمن الرسالة، لقوله سبحانه و تعالى : " وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا " سورة آل عمران آية 103، و أيضا : " وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اختلفوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ .. " سورة آل عمران آية 105، و قال أيضا : " وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ

رَسُولُهُ وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " سورة الأنفال آية 46، و أيضا: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا أَوْصَى بِهِ نُوحٌ وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا أَوْصَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَفْرُقُوا فِيهِ " سورة الشورى الآيَة 14، إن هذا البعد الاجتماعي لمعنى التوحيد قد جاء به محمد عندما هاجر إلى المدينة المنورة معلنا المبادئ الأولى لمنهج العمل التكاتلي و التحالفي بين مختلف الفرقاء الذين وحدهم الإسلام، و صاروا فريقا مسلما في مهاجر مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم¹ و التحديات التي واجهها آنذاك باستمرار مقاومة باسلة، و وحدة دينية واعية و تقاليد شوروية أصلية، و الذي ما زال أقوى طمأنة للمسلمين العرب في مواجهة الأهوال التي بلغت معها القلوب الحناجر و تواردت من أجلها الظنون الفوارق، و واجب على العرب متابعة رسول الله صلى الله عليه و سلم متابعة في الاعتقادات و الأقوال و الأفعال، و قد يستوحى العرب كثيرا مما فعله رسول الله صلى الله عليه و سلم من استعمال القوة العسكرية لتوحيد الأمة الإسلامية و القضاء على أية محاولة للانفصال بكل الوسائل المتاحة و قيادة الجماهير الإسلامية عبر الوطن العربي و الإسلامي إلى التكتل و التعاون الاقتصادي و العسكري و تبني العمل السياسي الوحدوي، يرافقه عمل وجوب إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " سورة آل عمران الآيَة 31، و إزالة إعوجاج بعض حكام العرب الذين يقومون بقرارات عشوائية كإقفال و غلق الحدود أو تجميد التعاون العربي أو المؤسسات القائمة، و عدم إحترام الإتفاقيات في غياب الإرادة السياسية و عدم إحترام موقف شعوبهم و مصلحة الأمة العربية الإسلامية، الأمر الذي يصعب التبادل و الانسجام لقيام مشاركة جماهيرية في إتخاذ القرارات التي تتناول العالم العربي و الإسلامي فيما يتعلق بمصيره، و كذلك غياب الديمقراطية و عدم الإهتمام و التباطؤ في مختلف أشكال حماية حقوق الإنسان في كل الأحيان، و حكام العرب و مؤسساتهم الدستورية تنشط خارج نطاق الكتاب و السنة، و من ثم يتحول العمل

¹ ينظر. مروة حسين . النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية . الجزء الأول . الطبعة الرابعة . بيروت 1981 ص 33

الوحدوي إلى شعار عاطفي و إيديولوجي في إنتشار نزعة العشيرة و ما يرفقها بل ما نتج عنها من إستمرار النظم الإستبدادية. و التجارب أثبتت على أرض الواقع كتجربة الإتحاد الأوروبي التي قامت إبتداء من إستشارة جميع الأطراف فيما يتعلق بالتعاون و الانضمام بما في ذلك صيغ التصويت من طرف المواطن الغربي بعد إقتناعه بالنتائج و المنافع التي سوف تتحقق أو تحققت للأطراف المنضوية تحت لواء الإتحاد الأوروبي و لهذا يجب على العرب و المسلمين الأخذ بعين الإعتبار في أي مشروع يدعو إلى الوحدة و إقامة خلافة إسلامية جدية، بالعمل على إحترام حق المواطن العربي المسلم و عدم تحييد أي موقف أو فكرة تدعو إلى التعاون الاقتصادي و السياسي يؤدي بالضرورة إلى تعاون جماهيري وحدوي جدي، بالعمل لبناء الوحدة الوطنية العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي لقوله تعالى: "... وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ..." سورة المائدة آية 2، ففي الظروف التي

يمر بها العرب و العقيدة الإسلامية بعد أحداث 2001/09/11 فيها إشارة و إيضاح و فتح عيون العرب و عقولهم على المخاطر و المشاكل التي سوف تتعرض لها الأمة العربية و التي تهدد كيانها و مصيرها بالنسبة للقرن الحادي و العشرين، فلا بد من تكتل في مختلف الحقول السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العسكرية و الفكرية لملاً فراغ الإتحاد السوفياتي الذي إنهار و أصبح العرب أمام العولمة التي أعلنت سقوط الإمتيازات و المساواة في الحقوق لجميع الشعوب، و هذه هي غفلة و غلطة العرب الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا و سنة تحت ستار من المظاهر الدينية و عباءتها كل حزب بما لديهم فرحون، و إذا العولمة تؤثر في مستوى بني قبلية و عشائرية و طائفية متأتية و راسخة على صعيد المعاش و الواقع العربي الذي يشهد قشور التكنولوجيا تساعده لإقامة البنية المجتمعية التحتية، حتى يستطيع أن يستحوذ على تجليات الرؤى الداخلية و إنتهاك حقوق الإنسان عندما تسمح الظروف بذلك، و إن كان يبرز و يتظاهر بالنزوع إلى الديمقراطية و التعددية الحزبية و إحترام حقوق الإنسان كمواجهة، عندما تدعو مصالحه الذي أوردتها المواثيق الدولية فهو يرى إضاعات العولمة بدأت من سنة 1989 كما هو مفصل في تاريخ البشرية و الذي يعادل بالنسبة للعرب في أهمية سنة 1492، الذي

شهد خروج العرب من التاريخ بعد سقوط غرناطة و إستيلاء الإسبان على أجزاء من المغرب العربي جاءت سنة 1989 لتنتقل العالم كله إلى عالم جديد تخطى الإيديولوجيات عندما أطلق الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب تسمية " النظام العالمي الجديد"، بعد انتصار الليبرالية على الاشتراكية إثر سقوط " حائط برلين " و معه حلف وارسو بعد إختيار الإتحاد السوفياتي و إنتصرت التكنولوجيا على الإيدولوجيا و تحقق حلم الرأسمالية بXBث و دهاء لتحقيق قيم الرأسمالية التي إقترنت بحقوق الإنسان و الديمقراطية، و ظهرت مفاهيم العولمة السياسية و الاقتصادية و الثقافية و العسكرية التي تركز على مفهوم الأحادية القطبية أي " المعمولة بلا حدود " و مفهوم الإقتصاد أي " سوق عالمية بلا حدود "، و مفهوم السياسية يرتكز على الكون و عسكرت العالم (الولايات المتحدة عسكرت سفارتها) عندما أصبح الفكر الإشتراكي عاجزا إزاء العولمة و أعطى لخصومه سلاحا يخلصون به، حيث أصبح العالم يتخلى تدريجيا عن عاداته و تقاليده و أعرافه القديمة و ينخرط في العولمة الناهضة بالتطور المتسارع في التكنولوجيا و ما صاحب ذلك من تركز رأس المال و السيطرة و القوة الاقتصادية، و تحول علاقات العرض و الطلب و تجلياتهما وفق العولمة الإقتصادية و العرب هم ضمن مجموعة 77 أو ما يسمى (كتلة الدول ال77) و هي الدول النامية¹ و بالتالي فإن الدول العربية و الإسلامية بقيمها الدينية و السياسية و الاقتصادية، يجب عليها إقامة السوق العربية المشتركة و ليس من الضروري دفعة واحدة و إنما يتم الإنضمام تدريجيا و في حال توفر الإرادة السياسية و القناعة الدبلوماسية، و إقامة حوار جاد من داخل النظام العربي بدلا من إستيراد النصائح من طرف الشركات ذات الإستثمارات الأجنبية في الدول العربية، و بخاصة تلك التي تسيطر عليها الإدارة الأمريكية و الهيمنة الصهيونية بعد حرب 6 أكتوبر 1973 عندما تضامن العرب و أظهروا للعالم بكل وضوح آمالهم في التحرر و الخلاص، الذي كاد أن يؤدي إلى نتائج سياسية بدون شك تكون إيجابية للقضية الفلسطينية لو لا تدخل وزير الخارجية الأسبق

¹ ينظر. الوجيز في عقود التنمية التقنية . الدكتور عبد الرؤوف جابر . منشورات الحلبي الحقوقية . الطبعة الأولى 2005 بيروت ص

هنري كيسنجر و من بعده الرئيس الأمريكي جيمي كارتر و بمساعدة السادات رئيس مصر الذين أجهضوا تينك الظاهرتان التضامن و الإتحاد، عبر عقد إتفاقيتين في مرحلتين منفردتين بين مصر و إسرائيل أدتا إلى سلم منفرد فيما يخصهما، و كذلك الضغوط التي مورست خلال إنعقاد مؤتمر الدوحة الإقتصادي بقطر من طرف الإدارة الأمريكية قصد إخفاقه، كل هذا يعني أن ضغوط المراكز الليبرالية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية تستمر في العمل إلا بالرجوع إلى حقائق الإسلام و مبادئه و اهتمامه و غايته بشكل يخدم الوطن العربي، و لذلك يتعين علينا كعرب القيام بتنفيذ إتحاد وحدوي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي يهدف إلى تحقيق مشروع وطني ضروري متكامل، إذ تنضم إليه كل الأمم التي تدين بالإسلام مع توطيد العلاقات مع الإتحاد الأوروبي و أمريكا و العالم رغم التحديات الأمريكية و الصهيونية، بعد احتلال العراق و الإعتداءات المتكررة على الشعب الفلسطيني، و بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية مما يشكل تهديدا للوطن العربي و إجراء مصالح عربية ضمن جامعة الدول العربية مع إشتراك المؤتمر الإسلامي و العمل مع منظمته لإقامة منظومة أمنية إسلامية لوضع قواعد تناوب و تنازع القوى العظمى حتى ندرك الدور العظيم الذي قام به الإسلام في بناء الشخصية العربية و الشخصية الإسلامية، و الحضارة العربية الإسلامية، سواء على صعيد المنظور الإقتصادي و السياسي لإقامة إتحاد عربي إسلامي الشيء الذي سوف يدعم توسيع السوق العربية الإسلامية حجما و تنمية قصد تأمين صناعات ثقيلة و لماذا صناعة حربية متطورة، تمنح العرب و الإسلام المهابة و الإحترام و مجاهدة الأمريكان و الصهاينة اللئام، و مركز تفاوضي عربي قوي تجاه المؤسسات المالية و ككتلة إقتصادية تجاه التكتلات الكبرى و تمكين الدول العربية و الإسلامية المكونة للإتحاد من معاملات تفضيلية، لا تسري على الدول غير المنضمة تحت لواء الإسلام و إجبار الدول العربية على إحترام حقوق الإنسان و ممارسة الديمقراطية التي في ظلها تنمو التنمية التي هي الشغل الشاغل للقيادة السياسية و كل التطلعات الباقية في الوطن العربي، و في هذا السياق تكون الكتلة الإقتصادية العربية المزمع إنشاؤها غير منغلقة بل تكون منفتحة على العالم الخارجي، و بفرض رسوم على الإستيراد من

الدول الأجنبية التي هي في نفس الوقت تفرض رسوما على إستيراداتها من النفط العربي، و حتى من منتوجات البيتروكيماوية العربية، و إقامة نظام ضرائبي متكامل على جميع مواطنيها، كما تفعل الولايات المتحدة و اليابان و الإتحاد الأوروبي، فلو توافر للأقطار العربية المغاربية نظام ضرائبي حديث لكان نموذج تأخذ به أقطار دول الخليج العربي و من ثم تحدد الأولويات و لا تذهب إلى الإستدانة من الخارج لتمويل عجز موازين مدفوعاتها، و لا ريب أن يقام نظام ضرائبي عصري يساعد السوق العربية المشتركة إلى تحقيق كبير من التكامل الإقتصادي العربي، و من ثم إستعاب الإستثمارات و الإستهلاكات من داخل الوطن العربي دون اللجوء إلى الخارج و الحاجة الملحة و في الوقت الذي تحول فيه العالم إلى أحادي القطب حتى و إن كانت مرحلة عابرة كما درسنا في التاريخ السياسي، إلا أن الإسراع إلى الكيفيات التي تبني بها الوحدة العربية، إذا كنا نريد حماية الكيان الثقافي الإسلامي. فأولى بنا أن نتحصن بالقرآن العظيم و السنة النبوية الشريفة التي هي المثابرة و الصمود و التحدي و الإستبسال في مواجهة العنف الصليبي، الذي يواجه وحدة الوطن العربي و الإسلامي و أصبحت له أيدي طويلة تمتد لكي تضرب بكل قوة الدول العربية و الإسلامية، و تهاجم و تغير و تحتل بلاد الإسلام في عقر داره و تحت شعار حقوق الإنسان و الديمقراطية و الحرية، و لكي يبقى على تناحر الدول العربية و الإسلامية و إختلاف الإتحاد فيما بينها، جاءت ظاهرة العولمة كسبب من أسباب إخفاق عملية التكامل الإقتصادي العربي و حتى الإسلامي زيادة على ضعف التنمية الإقتصادية بالنسبة للوطن العربي و الإسلامي. فإن هذا يحتم علينا أن نلجأ إلى إحياء المشروع النهضوي العربي الذي يعتبر أحد المكونات الكبرى للحل الذي يواجه الضغط الأمريكي و الأوروبي و ظهور فساد الحكم العربي الإستبدادي بعد الاستقلال، و ميل الحكام العرب إلى السياسة الأمريكية المظلمة و المشحونة بالأكاذيب بعد إحتلال العراق دأبها الغش و المكر و الخداع، و أخلاقها الفساد في الأرض بالكذب و نقد العهود، و خلف الوعود و إغراء العداوة بين المسلمين لقول الله تعالى: " وَ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.. " سورة البقرة آية 120، و إذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة نرى أن الكفر كله ملة واحدة، و هذا

هو الحال في القرآن الكريم يذكر الأمم الذي وحد بينها و ضم صفوفها و ألف بين قلوبها أن الصراع بين الكفر و الإيمان صراع قديم، نشأ مع الدولة المركزية في المدينة المنورة بوصفها المؤسسة التي تضمن بقاء و إستمرار جماعة الله عن طريق حمايتها ضد اليهود و الروم و الفرس و الأعداء الخارجين عن القانون الإلهي و الحفاظ على وحدتها الداخلية في وجه الفتن و الإنقسامات التي يمكن على أن تحصل بعد أن أصبح الإسلام ملكاً لمن دخل فيه، فدخل بناء الإيمان و التقوى و الإستعداد لتقبل قواعد الإسلام و مراعاة حقوق القرابة و الصحبة و الحوار و إنتقال البضائع و رؤوس الأموال و الأفكار داخل الإمبراطورية الإسلامية و تبادل الآراء و الأفكار و الأساليب الإنتاجية بين الولايات الإسلامية و المناطق البعيدة بدون حواجز أو عوائق جمركية، كل ذلك ساهم في توحيد الأفكار و الأساليب الإنتاجية مؤدياً إلى وحدة سياسية ثقافية حضارية إستطاعت الإستبداء و البقاء بالإنتماء الإسلامي الذي لا ينحصر في بقعة جغرافية حسب مصطلح الإقليم الشعب في إطار الدولة العصرية، و إنما هو الإنتماء الإسلامي الثقافي الحضاري ذو مدى يشمل كل من يدين بالإسلام و ساهمت تجربة المؤاخاة التي نجحت في تقوية و تهيئة مبدأ الأخوة الإسلامية الذي كان له عميق الأثر، بحيث أنه جعل هوية المواطن تتحدد على أساس إنتمائه المعتقدي الإيديولوجي أثر مما يحددها إنتماؤه للقبيلة و الأرض و الدولة، كون الأمر الذي يقرر هوية الفرد ليس مكان ولادته و إنما إنتماؤه للإسلام، و هو مسلم يستطيع أن يختار بإرادته الحرة مكان إقامته و يزاوّل النشاط التجاري أو الحرفي أو المهني الذي يقرره أصله الاجتماعي و مؤهلاته، لذلك يستطيع الفرد أن ينتقل من بغداد إلى مراكش و يستلم مناصب كبيرة و عالية دون محسوبة و عوائق،¹ هذا ما يفسر لنا أن الخلافة الإسلامية أصبحت مطلباً لجميع المسلمين كونها دعوة و عقيدة و شريعة تعتبر المسلم أخاً للمسلم بغض النظر عن العرق و السلالة و اللون و الأصل، و بها صارت صدور المسلمين مملوءة بالعزة و رؤوسهم مرفوعة بالكرامة إلى السماء، إذا الشعوب العربية

¹ ينظر. الفضل شلق. الملة و الدولة. جدليات الجماعة و السلطة في المجال العربي الإسلامي. الطبعة الأولى. دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع. بيروت 1993. ص 43

و الإسلامية الموصوفة بقوله سبحانه و تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " سورة الحجرات آية 10، و تتصف بدرجة عالية من الكرامة و الاستقلال و زينت لهم الأخوة بما جاء به الإسلام من الخير، و القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها؛ و الإسلام أحسن و يشعر المسلمون أنهم جسد واحد، و بناء واحد و لاسيما المساوات بين الأجناس عندما تجادل أبو ذر الغفاري و إشتط الغضب بالصاحبي فقال للزنجي: " يا ابن السوداء " و بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه العبارة المتينة فأنكرها أشد الإنكار و قال للصحابي : " أعيرته بأمه؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية " و مما قال صلى الله عليه و سلم: " طف الصاع، طف الصاع "2 ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح " قد ندم الصحابي الجليل على كلمته و تأنيب كلمات الرسول صلى الله عليه و سلم و يروي أنه ألصق خده بالأرض و قال للأسود " قم فطاً على خدى " و بهذا ألغى الإسلام اللون و الحدود، فلا نقول جزائري و مغربي و تونسي و مصري و حجازي و عراقي و تركي و صومالي و سوداني و بربري، و الجنس البشري واحد و اللغة واحدة و الدين واحد، و يقرؤون القرآن واحد، و المودة واحدة، و الرحمة واحدة و الأغراض و المقاصد واحدة و يتفوقون على شيء واحد، و علماءهم و تجارهم و عمالهم و صناعاتهم مجتمعون على شيء واحد، و هو التنمية العادلة على مستوى الوطن العربي و التي تهدف في القرن الواحد و العشرون إلى تحديات مخاطر العولمة التي تتحكم فيها الليبرالية المتوحشة، التي تعمل دائماً على التباطؤ و التي أوحى إلى الأنظمة العربية ببيع منشآت القطاع العام إلى الخواص بدينار رمزي في العديد من الدول العربية و تحرير التجارة من القيود التي كانت تحمي التجارة الداخلية تحت شعار ما يسمى بالخصوصية الاقتصادية و حرية الأسواق، و ما نجم عن هذه الإجراءات من خلق و غلق أبواب الرزق لعديد من الأعمال، تحت توجيهات صندوق النقد و البنك الدوليين اللذين تسيطر عليهما الولايات المتحدة الأمريكية قصد دفع بعض الدول إلى الإستدانة أو إلى إعادة جدولة ديونها حتى يتطبع القطاع الخاص إلى التوسع و

² ينظر محمد العز . حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام و إعلان المم المتحدة مصدر سبق ذكره. ص 15

* طف الصاع أي جاوز المد حده

الانتقال إلى الليبرالية كوسيلة لسحق القطاع العام، مما أدى إلى سوء توزيع الثروة الوطنية، و إلى تفاقم ظاهرة البطالة و إستفحالها لدى فئات الشباب و تزيد الهجرة إلى الإتحاد الأوروبي الذي أوصد أبوابه في وجه العمالة العربية، بينما شريحة أو حفنة قليلة من الوطن العربي تتمتع بثروات تقدر بالتريليونات، بسبب تراجع دور الدولة و إنهيار القطاع العام من طرف الطفيليين غير المنتجين و انتشار ظاهرة تبييض الأموال و غسلها و الإعفاءات الضريبية الخاصة بأصحاب الجاه و السلطان، و إستفحال ظاهرة التهريب (الحلابة) و الحراقة الهجرة غير الشرعية ذات طبيعة خطيرة و هي ركوب البحر بزورق عتيق و إسترداد الكماليات و مقاومات البذخ الإستهلاكي و الإخفاق في تحقيق تنمية على مستوى الوطن العربي و استعمال القوة العاملة أو الطاقة الشبانية، مما أدى إلى إرتفاع نسبة البؤس و الفقر في الدول العربية و نقص الرعاية الاجتماعية و ضعف التحصيل الضريبي و انتشار الرشوة و المحسوبية و المنسوبية و تزايد النمو الديمغرافي و عدم تنظيمه و التسرب المدرسي، و التبعية الاقتصادية و الغذائية و الأمنية و التمزق و التشرذم العربي و الإسلامي و لتحقيق مشروع نهضوي يتعين توافر ما يأتي :

أ- العمل على تحقيق صناعة ثقيلة على الصعيد الوطني العربي و العمل على إيجاد التوازن الإقتصادي العربي، و إقامة سوق عربية مشتركة من منظور إسلامي عربي لدعم التنمية العربية مع إقدام للعمالة من الدول ذات الكثافة السكانية مثل مصر، السودان، الجزائر و المغرب الأقصى و توظيفها في الأقطار العربية ذات الكثافة السكانية القليلة كالكويت و قطر و الإمارات العربية المتحدة و حتى السعودية العربية، و تكون الأولوية لليد العاملة العربية إضافة إلى الإجراءات التسهيلية و إزالة الحواجز بالنسبة لتنقل العمالة من قطر إلى آخر فضلا عن ذلك، فإن العمالة الأجنبية الوافدة للدول الخليجية قد تخلق في القرن الحادي و العشرين مشاكل تستغلها الليبرالية بحجة الأقليات و تحت شعار حماية حقوق الإنسان لذلك نرى من الواجب إحلال اليد العاملة العربية محل اليد العاملة الأجنبية.

ب- إعادة تشكيل و تأسيس الدولة الإسلامية على الأسس التي أسسها رسول الله صلى الله عليه و سلم، في المدينة المنورة على العدل و المودة و الإخاء و المساواة بين جميع الناس و

هي العوامل التي أتاحت لها فرص النشوء و الإستمرار و الديمومة منذ القرن السابع الميلادي، و صارت على نهجها الدول الإسلامية التي جاءت بعدها، على شكل الدولة السلطانية، كالدولة الأموية، و الدولة العباسية البويهية التي أبقت على الخلافة العباسية و السلاجقة الذين حملوا راية إعادة الحكم لأهل السنة و الجماعة إلى بغداد جنة الدنيا و دار السلام، و كذلك الدولة الفاطمية التي مارست هي الأخرى الخلافة و كذلك الدول التي قامت بالمغرب العربي الكبير كالمرابطين و الموحدين الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية و اضطروا إلى عبور مضيق جبل طارق بن زياد لمحاربة و مواجهة الزحف و التقدم و الهجوم الصليبي المسيحي في الأندلس، كما قامت دول في الشرق العربي كمصر و الشام المواجهة و محاربة التقدم الصليبي المسيحي و المغولي، مثل الزنكيين و الأيوبيين و المماليك و إلى غاية قيام الإمارة العثمانية و إحتلال فسنطنطينية عاصمة بنزطة في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي. إذ كانت كل هذه الدول دول الخلافة الإسلامية تكتسب شرعيتها من تأدية الوظيفة الدينية و الدنيوية لصالح المجتمع الإسلامي و الذي بواسطته تكتسب قوتها¹ و وحدتها¹ و لا يمكن مواجهة العولمة و خطرهما الداهم الذي يزحف ليصل إلى قلب الوطن العربي، إلا بقيام التماسك العربي المبني على إنسجام إسلامي و تنظيمي، كما تأسست الجماعة الإسلامية و انضمت تحت لواء الجهاد و تأجج في نفسها الحماس لنشر تعاليم الإسلام الذي شكل تحديا أساسيا في الإنتقال من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمان.

و في تقديري أن العرب قد مارسوا سيادتهم على أمم و شعوب، بسبب ولاؤهم لدينهم و لريهم قرونا طويلة ضمن الخلافة الإسلامية التي أخضعت الروم و الفرس و المجتمعات التي تعربت، فالعرب اليوم يريدون أن تكون لهم الدولة القوية، بعد أن خبروا مرارة الإنقسام و الطائفية و ذاقوا ويلاتها يريدون أن تكون السيادة و الريادة و القيادة في القرن الحادي و العشرين ممكنة، إذا حصل الإعتراف بشرعية الخلافة الإسلامية إعترافا كاملا و وضعوا دستورا

¹ ينظر. الفضل شاق . الأمة و الدولة. جدليات الجماعة و السلطة في المجال العربي و الإسلامي. الطبعة الأولى. دار المنتخب العربي

بمقياس الألفية الثالثة، و تركوا الحياة الأرستقراطية و الإقطاعية السياسية، و انخرطوا في الدعوة الإسلامية بمعزل عن المصالح لا رواء غريزة حب السيطرة، و تأمين الشهوة و تحقيق الشهرة و الإستبداد بالسلطات و إستبعاد العباد و التحكم في البلاد و ضمن هذا السياق تنتهي الأطماع و يتحول الكل إلى الإستعدادات التي تتجلى في التصاعد و الهيمنة الإقتصادية التي تعولت و جرى توظيفها في خدمة الرأسمالية المتوحشة، أرى أنه إذا كانت العولمة تريد البلدان العربية أداة طبيعية في يدها و من ثم تطويعها قصد قمع الحركات التحررية الإسلامية لا بد من قيام نظام سياسي عسكري إقتصادي تحت تكتل إسلامي ليعت من جديد قيام الخليفة الذي يكون مقيدا بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم الدستور الإلهي لتصبح الأمة الإسلامية تتمحور و تتجاوز النظام الرأسمالي المعولم بطبيعته، و إذا تيسر لها أن تسيطر على خيراتها في ظل الخليفة واحد، و القاضي واحد و الدين واحد، و الله واحد، يثبت لها التبادل و التحري القوي و المتين و الحقيقة إن اليهود يتحكمون في الهياكل الإقتصادية و المالية و السياسية و التوجهات و التغيرات على المستوى الأوروبي و الأمريكي، و قد وصفهم القرآن الكريم بالتعنت فهم القائلون لطالوت : " انى يكون له الملك علينا و نحن احق بالملك منه و لم يؤت سعة من المال " سورة البقرة اية 24، و هم الذين عرفوا الحق فحججوه و حاولوا أن يصدوا الإنسانية عن إستكبارا في الأرض، و استحبوا العمى على الهدى و كرهوا ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه و سلم، خيهم الله و أبطل أفعالهم لقوله تعالى : " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " سورة البقرة الآية 109 ¹.

ج - إعطاء القطاع العام دورا بعيدا المدى في عملية التنمية و ميكنة الزراعة و خلق منافسة بينه و بين القطاع الخاص، و إخضاع المشاريع التميؤينة للرقابة الصارمة حتى لا يكون إنخفاض

¹ البيهاني بن سلم إصلاح محمد (المجتمع شرح مائة حديث مختاره مما إتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم) تحقيق عبدالله الخالدي

في الإنتاج قد يؤدي إلى إنخفاض الدخل الوطني في الدولة الإسلامية، و بالتالي يؤثر في حصة المواطن في توزيع الثروة و في الإكتفاء الذاتي العربي داخل إستقلالية القرار السياسي و بدون تبعية .

التبعية : هناك تبعية متشابكة بالنسبة للدول العربية في عدة مجالات و حقول ناجمة عن التمزق السياسي و الإخفاق في إيجاد خلافة إسلامية تنعكس إيجابا على المجتمع الغربي في مجال الإقتصاد من أجل هذا مارست الليبرالية المتوحشة ضغوط على الدول العربية قصد الإسراع في الخوصصة و نشر ثقافة حرية الأسواق من أجل تأسيس مصالحها و مصالح الإبتاع .

د - تجهيز الصناعة الحربية و إعطاءها الدور الأهم على مستوى الوطن العربي و عدم تجزئته و وضع إستراتيجية بعيدة المدى تعمل ضد التهديدات الصهيونية لقوله تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ يَخِيبُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ**" سورة الصف الآية 4، لابد من الحصول على الأسلحة الفتاكة و المدمرة كتلك التي ترسلها الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل بدون مقابل، و اليهود يملكون المال و الإعلام و يوجهون السياسة الأمريكية الخارجية لما يحقق للصهاينة الإستعلاء العنصري و العسكري و من ثم تحقير العرب و في ضوء حقائق كهذه و جب تنظيم جيش عربي موحد تتجلى فيه الإمتيازات و العدة و العناد في تزايد مستمر لبناء صناعة حربية ذات ملامح هجومية يقينا لا شكاً، و علما لا ظنا¹ و عند العرب من الله برهان في اليهود إذ يقول الله سبحانه و تعالى : " **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**" سورة المائدة آية 78 .

هـ - يتعين إعطاء أهمية قصوى للأدمغة العربية التي رحلت في المقام الأول من المهندسين و التقنيين الساميين، و الباحثين العلميين، و الأطباء و العلماء الذين غادروا الجزائر و المغرب و تونس و باقي البلاد العربية و كذلك رجال الأعمال الذين فروا من الحروب الأهلية أو الأنظمة

¹ ينظر. الشيخ ياسين عبد السلام. الإسلام و الحداثة، ط1 سلا الرباط 2000ن ص 246 إلى 249

الدكتاتورية في مناطق الوطن العربي و أصحاب المؤهلات الذين يعرفون وحدهم آليات الإقتصاد من مقاولين و صناعيين و تجار، و إيجاد حلول لليد العاملة المتخصصة من الآن فصاعدا لتحقيق أنجح الطرق إذا ما توفرت البيئة الصالحة و التربية السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الحد من الخوصصة و العمل على الحرية الإقتصادية داخل الوطن العربي - كما قلنا أعلاه -، و توزيع عادل للثروة النفطية و الدخول و الحد من إستفحال الفقر بالنسبة للمواطن العربي سحب الأموال العربية من البنوك الغربية و إستثمارها داخل الوطن العربي و تجهيز المعدات الفلاحية في المجتمع العربي، و محاربة تهريب الأموال إلى الخارج بعد تحويلها إلى عملات صعبة و محاربة الإستهلاك و تمويل المرافق العامة و الإنفاق على الصحة العمومية و الرعاية الاجتماعية .

و- يتعين إشباع الحاجات الغروية للمواطن العربي كتأمين عمل و إيجاد سكن و التعليم في جميع أطواره يكون مجانيا و خلق الحوافز و الإكراميات بهدف تطوير الإختراعات و الإعفاءات للمستثمرين العرب و الامتيازات لهم في مجالات عديدة و رفع القدرة الشرائية للجندي البسيط و المعلم و الممرض و الحماية الاجتماعية للمرأة و الطفل و لقد أدى القرن الحادي و العشرين المعلومات و عولمته الثقافية إلى توسيع بيئة حياة الإنسان و توازنه و استرداد لإنسانيته و وفاقه مع مجتمعه. يستطيع الوطن العربي في الوقت الراهن توفير المعرفة و نماذج تطبيقها في الجامعات و توفير الجوانب الفلسفية و التربوية و الإدارية و التكنولوجيا و الإقتصادية بإعتبارها أهم المجالات المبينة المتخلة التخصصات و نشر تقنيات المعلومات إلى مختلف قطاعات المجتمع المدني، و تبادل المعلومات و الإتصال بشبكات الحاسبات و بنوك المعلومات لإسترجاع ما يحتاجه الباحث من بيانات و معلومات حتى يتم توضيح الأدوار التي تقوم بها الجامعات في توجيه النظام التعليمي الجامعي في إتجاه مطالب و حاجيات التنمية الثقافية و العلمية و الاجتماعية و الاقتصادية لمواجهة تحديات العولمة.

ز- يتعين الإنفتاح و عدم الإنغلاق على ثورة المعلوماتية ما أمكن مع مراقبة الأطباق الفضائية بكافة أشكالها، إذ أظهرت أوجها عدة من وجوه التحول الثقافي المبتذل من ثقافة الغرب و

بخاصة تلك الأفلام التلفزيونية التي تعتمد على الإرهاب و العنف و الجنس و تحاول تعميم قيم السوق الساقطة، كما يجب مراقبة الأفلام التي يسمح بإستيرادها من الغرب لتعرض في القاعات السينمائية أو حتى على شاشات التلفزيونات داخل الوطن العربي و مقاطعة الأفلام التي تعرضت لإهانة العرب و إثارة الغضب بعد أحداث 2001/09/11 .

و التساؤل في العقد الأول من القرن الحادي و العشرين هو من سيقوم بتطبيق و بتنفيذ مشروع الإتجاهات العربية بإعتبارها تتعاس و تتخلف و تتقهقر في مجالات التكامل الإقتصادي، و في مجالات التنمية في مجالات سياسية و مجالات أمنية من خلال ما ذكرنا أعلاه بعضا من عناصره، فإن الدول الغربية قد إنتهكت حرمتنا و إنتزعت حقوقنا من يد خلافتنا (الخلافة العثمانية) بسبب إختلافنا و إبتعادنا عن ينابيع العقيدة الإسلامية و القرآن و السنة و طريقة السلف الصالحون، و في إعتقادي تعبئة الجماهير من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وراء الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها الشيخ جمال الدين الأفغاني¹ و أن تتواصل دعوة هذا المصلح على تعبئة الجماهير العربية مع الإجراءات السلمية المرغوب فيها، كانتشار الشورى التي هي حق من حقوق الإسلام و ليست منحة من سلطان أو رئيس أو تشريعا من الأمم المتحدة أو قرارا صادرا عن مجلس الأمن يتطلب التطبيق و لا يبق كإسرائيل التي تسخر من القرارات الدولية و إنما الحقوق لكل إنسان في الإسلام ملزمة بحكم ما منحه الله سبحانه و تعالى، لذلك لا يجوز الإعتداء عليها و لا يسمح بالتنازل عنها يياشرها حب الحق حقه كالشورى كقوله سبحانه و تعالى: "... وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..." سورة الشورى آية 38، و لما كانت الجماهير العربية تؤمن بالشورى أو الديمقراطية كجوهر تسعى و تهتم بالإنسان كإنسان، و تسهر على حماية حقوقه من التفريط و الإهانة، فإن هذه تحتتم على

¹ ينظر. الدكتور. مهدي فضل الله. العقل و الشريعة. مباحث في الاستمولوجيا العربية الاسلامية الطبعة الثانية ابريل 2002 بيروت لبنان، لقد كان الشيخ جمال الدين الافغاني (1838م-1897م) يدعو كافة المسلمين من جميع المذاهب الى التضامن و الاتحاد في ايطار الجامعة الاسلامية و التي بواسطتها تطمح الامة الاسلامية الى فرض المكانة السياسية و الاقتصادية و العسكرية و تسد النزعة امام اطماع الدول الغربية و انه لا سبيل لأمة العربية الاسلامية و الامة العربية الاعلى اساس انتخاب الخليفة و قد فوقن اهل الحل و العقد المجلس الشعبي الوطني مجلس الامة للقيام بالانتخاب و بالاختيار

الجماهير العربية أن تلجأ إلى مطالبة الحكام بالنهوض بأداء الدور الذي يؤدي لتوصيل التوازن بين الإنسان المسلم من جهة و حق المجتمع الإسلامي من جهة ثانية، و إن السياسيين و الأحزاب هم المسؤولون عن الحقوق بالنسبة للجماهير العربية بإعتبارها همزة وصل في تسويغ القبول للديمقراطية التي تشكل طريقا في التداول على السلطة في الوطن العربي .

مقدمة:

موضوع هذه الأطروحة هو دراسة حقوق الإنسان في ضوء العولمة و ما تبثه من ترويج و تسويق و رعاية للحضارة الغربية الاستعمارية الاستدمارية، التي تنحو نحو العلمانية التي بدأت رباحها تجتاح الدول العربية الإسلامية، حيث صارت العولمة ظاهرة إقتصادية و سياسية و ثقافية و عسكرية و اجتماعية و رأسمالية و متعددة وجوه أخرى، تغزو بها الثقافات و الحضارات تحت شعار حقوق الإنسان و نشر الحرية والديمقراطية، كما بذر القرن التاسع عشر بذاره، عصر الاستعمار و القرن العشرون عصر التكنولوجيا فإن القرن الحادي و العشرين هو قرن العولمة، و إنتشار الإتصالات و الإعلام و الكمبيوتر و الإنترنت و التنافس على الأسواق، بعد إختيار الاتحاد السوفياتي وتفكك المعسكر الإشتراكي، بدأت العولمة في ترسيخ الفكر الرأسمالي، لتصبح الشعوب و الأمم قاطبة عاكفة على الليبرالية الغربية، لتكريس الهيمنة و تفرض أنماطا ثقافية و حضارية أمريكية بعد أن أعلنت الأيديولوجية الشيوعية هزيمتها، و رفعت الراية البيضاء، جاء دور المنظور الإسلامي و حضارته التي كانت واضحة المعالم غايتها تقديم رسالة الإسلام و مدينته و أخلاقه و سلوكه لكل إنسان من أفراد الإنسانية كغذاء روحي و مادي و في نفس الوقت لا يتنافى الدنيوي و الأخروي لصورة الحياة و الممات ثقافيا إيدلوجيا ممقوتا، بل دعا أتباعه المؤمنين بإتباع الحق، و أمددهم بتشريع كان السبب في عالمية الدعوة الإسلامية الإنسانية التي تخاطب جنس الإنسان على المستوى الكوني، بغض النظر عن اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين أو الهوية، أو الرأي السياسي، أو العرقية أو الكينونة إذ يقرر كرامة الإنسان تعلق على سائر المخلوقات كونه صنع الله تعالى و الإنسان هو أرقى الحيوانات التي هي أضخم قوة بدنية، بل سخرها الله تعالى له لخدمته و لمنفعته، وبهذا الصدد قال الله تعالى: " **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَ مَنَافِعُ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** " سورة النحل الآية 5، و بهذا يتضح مدى تسخير الكون لصالح الإنسان على طول الخط و كل من الحيوان و النبات و من معهم يخدمه بقدره الله سبحانه و تعالى، قال الله: " **وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ** وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ " سورة إبراهيم الآية 33، إلى جانب هذا

التسخير الذي منحه الله سبحانه و تعالى للإنسان، كما منحه حق الحياة و حق التعبير و حق التدين و حق الزواج و حق الحرية و حق المساواة و حق التملك دون تمييز بسبب السلالات كحقوق أساسية يتوقف عليها مصير كينونته الإنسانية أي الطبيعية و الاجتماعية، و أسجد له الملائكة بطريقته سبحانه و تعالى ليفهم الإنسان أنه مقدم على سائر المخلوقات، لكي يجد طريقه إلى تطبيق الحق ليحقق له إنسجاما مع غيره من البشرية و أن ينجوها من الظلمات إلى النور ليبين لها طريق الحق من دون مشاكل أو صراعات.

و إذا انتقلنا، بعد ذلك إلى العولمة نجد أنها تتبنى إستراتيجية تدويل، الهوة بين بلدان الشمال الغنية و بلدان الجنوب الفقيرة التي جرى إفقارها منذ قرون على يد الإمبريالية و قد عقدت العولمة هذه الصورة، إذ أنها زادت نسبة الفقر في الكثير من بلدان الجنوب و حتى بلدان الاتحاد السوفياتي السابق، و العولمة تنتهك مصالح الأكثرية الساحقة من سكان المعمورة.. فهي تفتقد إلى الشرعية السياسية، وهي موبوءة بالإنقسامات و المصالح المتضاربة، بسبب تحكم حفنة من الناس في السوق العالمية التي تتعرض عادة للأزمات بسبب غياب نموذج محدد بوضوح للإقتصاد المفترض كونه عالميا، و تحديد واضح للنظام الإقتصادي و كيف يختلف في الوقت الحالي عن الأنظمة السابقة. و هكذا نرى أن المجتمعات و البلدان التي عاشت تحت ظل الإسلام حقبا عرفت الإستقرار و الإزدهار خلال فترات طويلة، و خاصة تلك التي دانت بالإسلام، و الاحتكاك به، كما في قوله سبحانه و تعالى : " وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة سبأ الآية 28 و لذلك كان المنظور الإسلامي يدعو في جميع العصور إلى شريعة الحق وإلى نظام إقتصادي عالمي عادل و تبادل مباشر تتوفر فيه الخيرات المادية لإنقاذ البشرية من الاستبداد السياسي و الاستغلال الإقتصادي و المالي و التفكك الاجتماعي نتيجة للتوجهات السياسية المركزة بيد الدول المتقدمة اقتصاديا، و تبقى الدول المتأخرة هامشيا في عالم الاستثمار و التجارة.

هذا الإنحراف العميق الذي تعيشه الدول المتأخرة سيقى المجال المسؤول و الدافع وراء عاصفة الحروب، و نحن نرى هذا المثل في الدول الإفريقية و الآسيوية، و نحن نلاحظ أن الحق الأعلى و

هو الله سبحانه منح الحق لأعز مخلوق و هو الإنسان لكي يحدد لنفسه الغايات الدنيا، و حتى يسلك الإنسان سبيل الحق الذي هو ليس هدية أو منحة أو عطية تكرم بها مخلوق، و لا تنازلاً من سلطة سياسية أو جماعة خير، أو عطية أو هيئة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن، بل الحق هبة من الله لقوله تعالى : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " . سورة الأنعام الآية 153، فلو فكر الإنسان بأن الله سبحانه و تعالى هو الحق و هو الذي أنشأه و صنعه بيده من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجها بشرا سويا، له شخصيته و له مكانه و ذاتيته و بهذا التكريم الالهي أصبح الإنسان متميزا مقدما مفضلا على الملائكة طالما صنعه الله و نفخ فيه من روحه، يستحق الحياة الكريمة في مقام الإعتبار الأول و له الحقوق و عليه الواجبات، وإسقاط العولمة و رواسها الجاهلية و مشتقاتها الديكتاتورية و الفروق الاجتماعية الأرستقراطية بمنتهى التوحيد الخالص، كما هاجم المنظور الإسلامي إعتقاد العولمة المشهور فاللامساواة الاجتماعية و اللاتجانس الاجتماعي و التقسيم الطبقي للمجتمع أمور دائمة و حقائق لا يأتيها الباطل من بين يدها و لا من خلفها، و ذلك بتذكير الإنسانية بنشأتها الأولى، لقوله سبحانه و تعالى : "وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ" سورة الواقعة الآية 62، و لهذا كان المنظور الإسلامي يدعو و يعولم مبادئه بالتأكد على الفطرة الإنسانية، و يقدم الحلول العملية التطبيقية، دون أن ينظر إلى الفروق الاجتماعية، بل يحافظ على الضروريات الذي قال بها العلماء الخمس (الدين، النفس، العقل، العرض، المال) التي تقوم عليها حياة الأمة الواحدة ذات المبادئ الواحدة و المجتمع المفتوح أي يسمح بانتقال الأفراد من طبقة إلى أخرى بناء على عبقرياتهم و امتيازهم، من خلال الإختراعات و الاكتشافات و الابتكارات، و عدم الإتكالية و الإعتماد على الغير في إشباع الحاجات و حتى لا تتداعى عليه الأمم آجلا أو عاجلا، ساوى بين الأجناس البشرية في الميادين السياسية و الاقتصادية، و الاجتماعية، و الثقافية، و أبطل القوانين و التشريعات و الأنظمة و الأعراف و الممارسات التي تشكل تميزا ضد بني آدم، و القضاء على العادات و الأنماط الاجتماعية و الثقافية القائمة على نظرية

تفوق جنس على آخر، و لهذا يجب أن نفصح عن علامات الخطأ المعولة و عن الوضع الصحيح لتداعيات الحاضر و تحديات المستقبل لقوله سبحانه وتعالى : "...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَ رَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ". سورة الزخرف الآية 32، هذا هو الإعلان الإلهي للتعاون و قضاء مصالح الإنسانية بعضها لبعض حتى تنتظم شؤون الحياة، و ليست ظاهرة العولة التي هي سريعة الانتشار و تعمل على تذويب الحدود بين البلدان و الشعوب و تنميط الإنتاج الرأسمال الذي وضعته البلدان الليبرالية و إدماج أسواق المال و السلع حتى يتناسى الإنسان من خلالها ثقافته الأصلية و يتأثر بثقافات و حضارات مستوردات بدون حصول على التكنولوجيا لإنتاج ما يراه يناسب و يساند ثقافته و حضارته، مما يؤدي به إلى تبعية و يكون دون شخصية مجرد مقلد لثقافات و حضارات، فإنه إذا لا يكون تفاعل منظم و لا اتزان مع ظاهرة العولة التي هي ظاهرة غريبة جاءت لخدمة مصالح الإمبريالية الغربية على حساب الأمة العربية و الإسلامية و العولة هي الغزو الثقافي بواسطة الشركات العملاقة العابرة للقارات من خلال المنظور الإقتصادي و تأثيره و إختراقه لكثير من طبقات المجتمع، و لذلك فقد يكون من السهل خلق الإحباطات عن طريق القيام بالأعمال المتمركزة و الإندماج بشكل كبير حتى يصبح أشبه بالتنويم المغناطيسي. في حياة البلدان المتخلفة، مما يؤدي إلى غلق المؤسسات العمالية العمومية و تسريح العمال و تأثير المستورد على المحلي، و يجعل اليد العاملة في مأزق إجتماعي بدون رؤية مستقبلية واضحة و القلق النفسي التي تتعرض له البطالة و خصوصية غير مباشرة لبعض ثروات البلاد و التلاعب بمصير العباد، و العولة تقوم بالانتقال الذي لا يحقق العدل و المساواة و لا ينظم العلاقة بين أسواق العمل أكثر عولة من الأسواق الأخرى على أساس المنفعة المادية المشتركة بينها في قرنا الحادي و العشرين، و العولة تقوم على إشاعة حقوق الإنسان و الديمقراطية و الحرية الشخصية و الإستجابة لمتطلبات العصر و التكنولوجيا بمفهوم الليبرالية. التي أخذت حيز كبير في أدبيات العلوم الإنسانية و على هذا الأساس تصبح حقوق الإنسان مشكلة الحكم المركزية في الدول العربية

الحديثة، يبدو غياب الديمقراطية و صعوبات تحقيقها يفسر طبيعة الأنظمة السياسية العربية ذات الطابع التسلطي، التعسفي لجل أو أغلب دول الوطن العربي والإسلامي مما أدى إلى عدم الإستقرار السياسي و الأمن الوطني و الوئام المدني و كثرة الرشوة و المحسوبية و المنسوبية و الفساد الأخلاقي و القمع و القهر و التحقير و الانغلاق على العالم الخارجي و الظلم و التعسف في إستعمال السلطة و الضباية التي تلحق الأنظمة السياسية في الوطن العربي، حتى أصبح الإنسان العربي يرتعش خوفا من المفاجآت التي ستواجهه في المستقبل و التي لا يعلمها إلا الله، و حتى و لئن وجد في الدول العربية من دعا إلى الديمقراطية و حقوق الإنسان بصيغتها الأمريكية و بصبغتها الأوروبية، حتى ينال مباركة الاتحاد الأوروبي و رضا الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه يجد نفسه تحت حماية القوى العظمى المتواجدة على ترابه عسكريا في جل الأقطار العربية و الإسلامية سواء بصيغة قواعد عسكرية أو جيوش، أو خبراء عسكريين الذين يحضون بالقبول لدى الأغلبية من حكام العرب، و هنا نرى أن حماية النظم السياسية و غياب الإستراتيجية العربية للتصنيع الثقيل الحربي، و اعتماد السياسة الوطنية، بما يعزز تنسيق شؤون التكنولوجيا الحربية العربية و إنفتاح الوطن العربي على العالم المتطور الالكترونيا و خلق شعور بضرورة التفوق العربي على الصعيدين الإقليمي و الدولي و بناء نموذج وحدوي حتى يكون قاعدة صلبة للصناعة الثقيلة، بالشكل القادر على التحكم في التكنولوجيا لمواجهة التحديات العولمية التي تواجه الأمة العربية في القرن الحادي و العشرين زادت الضغوطات السياسية للإحتفاظ بجواجز التأخر و قيوده و السخرية بشكل لا نستطيع أن نبدي أو نخمن قضية العولمة .

(1) - تحديد مشكلة البحث:

إن أهمية معالجة مشكلة البحث و تحديده ينصب على حقوق الإنسان في ضوء مفهوم العولمة و التعارض مقارنة بالمنظور الإسلامي الذي حدد طبيعة حقوق الإنسان، بقدر من القداسة

في الماضي و الحاضر و المستقبل، كقوة سياسية و عقيدية و روحية، و كمرشد ضد الإنسلاخ و تكريس إنتصار الليبرالية الهمجية على العالم الثالث، و منه الدول العربية و الإسلامية لتحطيم كيانتها الصغيرة في المنافسة الإقتصادية و السياسية و العسكرية و الاجتماعية و التكنولوجيا و المهارات المعرفية بعد إنحيار الإتحاد السوفياتي و أيديولوجيته و التحول المتصارع الذي دفع بأوروبا الشرقية على وجه العموم إلى النموذج الليبرالي بشكل مندمج عمليا وإستراتيجيا، فالعولمة أصبحت ظاهرة متغيرات النظام العالمي الجديد و وجدت الرضا و القبول بالطريقة التي تمارسها ضد الوطن العربي، و كذلك التهديدات المحتملة ضد الدول الإسلامية التي تتحرك ببطء نحو التعولم من طرف الأنظمة السياسية الغربية أي الدول العظمى السبع أو الثماني (العشرين و الأربعة و العشرين)، و لكن المنظور الإسلامي الذي كان أكثر من ديانة بالمعنى الواسع للمعتقدات و الشعائر و الطقوس الدينية التي تشكل ركائز عقيدية، و ضوابط السلوك أنه نظام سياسي و إقتصادي و عسكري و اجتماعي شامل، ينطلق من الكتاب و السنة لمعالجة القضايا الناشئة في المجتمع الإنساني يعالج شؤون الناس في وقت الحاضر و يخطط لشؤونهم في المستقبل، و يزود عن الفقراء لقوله تعالى : " **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنُ السَّبِيلِ** ". سورة التوبة الآية 60، لن نجد من يقرر هذه الحقوق على النحو الذي جاءت به الآية الكريمة التي ثبتت حقوق الفقراء بهذا الوضوح، مهما بلغت الشرائع و القوانين الوضعية في الدفاع عن حقوق الإنسان و حتى مفوضة الأمم المتحدة لهذه الحقوق و لا المنظمات الدولية التي تشاغلت بضياح حقوق الإنسان، كما فعل المنظور الإسلامي الذي تصح قوانينه لكل زمان و مكان، فهو عقيدة و شريعة حقيقتين منذ خمسة عشر قرنا نظام له مبادئه المتحضرة، عندما صب جام غضبه على الطغيان و الاستبداد و الفساد و جاء بالسنن التي تحكم العالم و تضبط رقي و تقدم و تطور المجتمع الإنساني و ليس عن طريق الإعتماد على العولمة التي جاءت لتقوية الأقوياء في الأنشطة الاقتصادية و التجارية و الإعلامية على مستوى المعمورة و لها حضور في المؤسسات

المالية الدولية و التي فتحت باب الاستدانة من خلال الإملاءات و الإدعاءات لشروط صندوق النقد الدولي و البنك الدولي و منظمة التجارة العالمية لتطويع سيادة الدول العربية الإسلامية فيما يتعلق بالقرارات السياسية فتضعها رهينة القوى العظمى و الإستباحة الشاملة للقضاء على التضامن و الاتحاد ضمن إطار المنظور الإسلامي الذي يضم جميع المسلمين من كل الأجناس و يخاطب العقل و يحضر الإنسان على التأمل و النظر و الإعتبار و التبصر بينما العولمة تخاطب المادة على الصعيد اللبرلة الإقتصادية و الثقافية بالبساطة الخادعة، كحقوق الإنسان و الديمقراطية و العلمنة و الأقلمة، و الحقيقة تعمل العولمة على تعميق و تعزيز ممارسة أشكال الفصل و التمييز بين الأوروبي الأبيض و الإفريقي الزنجي و الأسمر العربي، لقد أصبحت العولمة ظاهرة على المسرح الكوني تضطلع بدور الإختراق إلى الثقافات و الإجتياح للحضارات في حقول الإقتصاد و التجارة و حتى الواجبات السريعة بدأت ترسيخ أقدامها في الدول العربية الإسلامية بالذات تقريبا، و وجبات سريعة لمأكولات غربية تقليدية تتم بصورة متزامنة، مع نمط الثياب الغربي و تناول سندوتشات الهامبرغر، ليتضح لنا أن الثقافة الغربية أصبحت شديدة التناغم مع فكرة إستحداث ثقافة طعام جديدة، و نجحت إستراتيجية العولمة في سباق تحول و فرض أنماط الحياة لبعض الدول العربية الجاذبة لمبيعات شركات المطاعم الغربية رغم أن الوطن العربي يتمتع بروابط عريقة راسخة و وثيقة بالدول الإسلامية و طالما تعرض لدغدغة شعوره الديني من طرف بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية و دول أخرى من جهات كثيرة، حول تبني ظاهرة العولمة و ممارستها، بقى مترابط متماسك بالمنظور الإسلامي لإستحياء المشروع النهضوي لمعالجة مشاكل القرن الحادي و العشرين المطروحة فقد ثبت أن تنبؤات المكاسب التي ستحصل عليها الدول المتأخرة أو النامية من جولة أورغواي عام 1992، و التي أسست منظمة التجارة العالمية، كانت فخ يتصف بالمبالغة زاد في إتساع الهوة و الفجوة التي كان يخشى منها بين الشمال الغني و الجنوب الفقير و الذي سبق له أن ناضل على مدى سنوات كثيرة لمكافحة الفقر و البطالة عادت الفجوات التي ما تزال تخريرية بشكل خاص في إفريقيا. بالفقر و البطالة و الحروب هم مرة أخرى في إزدیاد في

الدول المتأخرة بسبب العولمة ذاتها و التي عرضت نفسها كبديل لحل مشاكل الفقر و الحروب و البطالة، و لكن وعودها لم و لن تحقق إلا الرجوع إلى مآثر المنظور الإسلامي و هو المثال الأعلى، جاء لصالح الإنسانية، بينما العولمة جاءت لطالح الإنسانية .

(2) - أهمية البحث :

أولاً:

بيان حقوق الإنسان في مفهوم العولمة و في إطار نطاقها الضيق بعد ترشيح المنظور الإسلامي ليكون هو العدو القادم بالنسبة للغرب و هو السيناريو الذي طرح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، عندما توالى تصريحات الرؤساء الغربيين، المعادية للإسلام، و شاع اليهود المواجهة القديمة الجديدة بين الصليب و الهلال و هما الإسلام و المسيحية الديانتين الكبيرتين المتجاورتين منذ القرن السابع الميلادي، بعد أن أعلنت و روجت الولايات المتحدة الأمريكية و من معها الحرب ضد المجهول و ضد الإسلام بحجة حقوق الإنسان و الديمقراطية، حينما شن الإعلام الغربي المتصهين حملة تحرش عالمية جاءت بوحى من اليهود، و ضارة بالدول العربية الإسلامية حتى التي هزلت الإستمالة الصهيونية الأمريكية و المؤثرة في السياسة الخارجية و مبدأ بوش الرئيس الأمريكي (الإبن) القائم على تجريم الجاليات العربية المسلمة و وصفها بغير وافية، بالنظر إلى الدور المحوري الذي يلعبه اليهود الأمريكان في التشجيع على ضرب الدول المهزولة بكافة الوسائل و إتخاذ رقابة صارمة و إجراءات تحقيق التي تتبعها العولمة التي إعتبرت الدول العربية داعمة للإرهاب و بدأت ظاهرة إحتقار العربي المسلم برسومات كاريكاتيرية من طرف المؤسسات الإعلامية التي فقدت البصر و البصيرة بعد غزو أفغانستان و احتلال العراق من طرف العلوج الأنجلوساكسونيين الذين قاموا بالإبادة الجماعية و انتهاكات حقوق الإنسان و السجناء الأشباح، و لا شك أن هذه السجون تشهد أبشع صور التعذيب أكثر من سجناء أبو غريب و الإغتصاب الذي يمثل أهمية كبيرة و قضية شرف بالنسبة للمسلم، هو سياسة الأمريكان و منهجيتهم في التعذيب و الاعتقالات و الإختفاءات القسرية و الإختطافات بجميع أشكالها و الحرمان من النوم رغم أن

القانون الدولي يحضر هذه الأفعال بما فيها الإختفاءات و التعذيب الوحشي و اللإنساني و المهين لكرامة الإنسان، غير أن الرأسمالية و البروستانتسية المسيحية المتطرفة أخرجت سيف المحاج اللاعقلاني و اللإنساني و الأخلاقي في حق شعب مسلم يسمونه العلوج سوء العذاب يذبجون الأبناء و الرجال و يغتصبون النساء لتحقيق إهانة المسلمين و طموحهم بالإستلاء على خيرات بلاد ما بين النهرين بالاستخدام للقوى في أبشع صورها من خلال سياسة حفنة من اليهود الأمريكان تتحكم في المؤسسات المالية و تجارة السلاح و توجيه الرأي العام بالنسبة للولايات المتحد الأمريكية في ظل عولمة حقوق الإنسان و الآليات التي تستخدمها و لا تزال تعمل من أجل إرهاب الدول العربية و الإسلامية التي ابتعدت عن العقيدة الإسلامية الكتاب و السنة و ينايعهما، و سيرة السلف الصالح، و اقتباس العلوم التكنولوجية العصرية التي هي أساس التقدم المادي، كما فعلت كوريا الشمالية التي استفادت من علوم و صناعات من الصين و روسيا و الأمم المتحضرة من كل العلوم و الفنون و التكنولوجيا الحربية المتقدمة و أصبحت بعيدة عن الغرب و بلائه .

ثانيا:

بيان أهمية تكريم الحق سبحانه وتعالى للإنسان و لو لا عناية الله تعالى له، ما كانت تثار حقوقه من طرف العولمة التي ملأت الدنيا و لا زالت بما تحويه من ديمقراطية ينبغي أن تكون شفافة و حقوق يجب على كافة الدساتير أن تسعى لحمايتها و قوانين للحفاظ على كرامة الإنسان، و إن كانت العولمة بدأت تؤول الكلائية طغيان و تسلط النظام العالمي السياسي الأحادي القطب على حرية الفرد و المجتمع و الأمة، حتى و إن كانت الأسس الليبرالية لمشروع المجتمع المدني و التي تكثف في نظرية العقد الاجتماعي، و هي النظرية التي تمت صياغة مقولاتها و مفاهيمها الأساسية، من قبل مصلحو و مفكرو عصر الإنبعث و التنوير الأوروبي في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر. **توماس هوبس، جان لوك جان جاك روسو،** فرسان ظاهرة الإصلاحات و أبعادها الإقتصادية و ما جرت به في زيادة إتساع الفجوة بين من يملكون و من لا يملكون. ولكن المنظور الإسلامي منح للإنسان حقوق كاملة

غير منقوصة و أوصى بأنه لا يجوز الإنتقاص منها. و هي الحقوق اللصيقة بالإنسان كما يقول العقاد - رحمه الله - " لم تعلن في ثروات العالم الدينية حقوق عامة للإنسان قبل ثروة الإسلام في القرن السادس الميلادي لأن الإنسان نفسه لم يكن عاما فيوليه الدين حقوقا عامة، وإنما ولد هذا الإنسان العام يوم آمن الناس بإله يتساوى لديه كل إنسان و يوم نيّطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل قبيل" ¹ غير أن ظاهرة العولمة سحقت هذه الحقوق تحت طموح الليبرالية التي تخترق بنار الحقد و الأنانية ضد الإنسان العربي المسلم الذي جردته من إنسانيته و صار لديها مجرد آلة تجعل منه إنسان بلا روح و مدلولاتها عدم وجود الحافز الفردي الذي هو في الواقع أساس كل إختراع و إبداع بالنسبة للإنسان العربي. و من ثم تم إلحاق الإساءة والأذى بالهوية العربية الثقافية و الحضارية الإسلامية منذ عصر الإنحطاط و دخول العرب في سبات عميق غداة سقوط غرناطة سنة 1492م، و إلى أيامنا هذه يضاف إلى ذلك تدخل الغرب في شؤون العرب و تفاقم الخلافات و الإنقسامات بينهم و استعصى عليهم عادة التقييم لنظم المجتمع : الذي ولد شابا مكتملا؛ ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي جاء للناس كافة من عرب و غيرهم و على إختلاف اتجاهاتهم و مشاربهم و تباين عاداتهم و تقاليدهم، و بخاصة الحياة الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية و الفكرية التي تتجلى واضحة للعيان تلك التحديات المتمثلة في الخوف الرهيب من المنظور الإسلامي إلى أبعد نقطة في النفسية الأمريكية بما يجري في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا من الخصال العالية في حياتهم، و المكانة العظيمة بإنزال الناس منازلهم.

ثالثا:

بيان أن كيان الأمة الإسلامية لا يقوم في المستقبل حتى ترجع إلى حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم خلافة على منهاج النبوة: " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاصا فيكون ما شاء الله أن يكون

¹ ينظر. العقاد محمود عباس . حقائق الإسلام و أباطيل خصومه . دار الإسلام ، القاهرة سنة 1376 هـ ، ص 139

ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله ان تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة¹، و عليه لا بد للمسلمين من ولي أمر يقوم بالقيادة السياسية الموحدة لمواجهة تحديات ظاهرة العولمة و ذلك بتطبيق ما ورد في الشريعة الإسلامية، التي تتحدى تحديات ظاهرة العولمة بالشرع الإلهي المتمثل بالقرآن العظيم و السنة النبوية الشريفة و التي بلغت من الروعة و الكمال حدا جعل حقوق الإنسان الوضعية عاجزة لما نراه من إمتهان لكرامة الإنسان في عصرنا المخزي! بسبب التحالف مع الشيطان الأكبر من طرف الأنظمة السياسية العربية في إحتكارها للحكم و بالتحديات العسكرية و الظلم و الإجراءات التعسفية ضد جماعة الأحرار و الأشخاص على إختلاف أسمائهم و مسمياتهم، و مناوأتهم في مجتمعاتهم من خلال وضع ظروف خاصة خارجية و داخلية لا يسمح بنجاح أي ممارسة ديمقراطية، فالأمراء يسيطرون و الرعية تطيع، لذلك تصبح حالة المجتمع الإسلامي الشك و الخوف و الأزمات السياسية و الاقتصادية التي تواجه كافة الأنظمة السياسية العربية و الإسلامية بسبب غياب المنظور الإسلامي لو طبق على نطاق الأمة الإسلامية في إطار العلاقات و على المستوى السياسي و المستوى الاقتصادي و مستوى علاقة الحكام بالمحكومين و إقامة العدل بوصفه حق متلازم و لصيق بالإنسان مقابل توزيع الدخل الوطني بشكل عادل على المواطنين، لقوله سبحانه و تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ۖ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ أَوْ الْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۗ وَ إِن تَلُؤُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ ۖ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " سورة النساء، الآية 135

و أيضا : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ۖ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ " سورة المائدة الآية 8 .

¹ ينظر. أرقده صلاح الدين . التخلف في الفكر الإسلامي المعاصر. الطبعة الأولى، دار النقائس للطباعة و النشر و التوزيع بيروت

فالعدل واجب حتى مع الخصوم و الملاحظ أن العدل و الحق وردا في القرآن العظيم و الحديث النبوي الشريف. من ذلك ما روي عنه صلى الله عليه و سلم حيث قال : " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة و أدناهم منه مجلسا إمام عادل و أبغض الناس إلى الله و أبعدهم منه مجلسا إمام جائر " هذا الحديث يبين لنا منزلة الإمام العادل، فمن اتبع ما كان عليه محمد صلى الله عليه و سلم و أصحابه؛ فهو بدون شك ناجح من المحسوبة و الجاه و البدع، مع صدق القول و العمل؛ بحيث يستحيل أن يتصف الحاكم بالظلم. قال الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ " سورة النساء، الآية 58، و قوله أيضا : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ بِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْجَارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. " سورة النساء الآية 36، و معنى ذلك أن المنظور الإسلامي حث و نص على إكرام الفقراء و المحتاجين و أصحاب الحاجات و تقديم المشورة و ليست العولمة التي كتبتها يد البشر مهما كانت يد الكاتب أمينة إلا أنها قاصرة عن إعطاء الحق و إقامة العدل، بقوله صلى الله عليه و سلم " ما آمن بي من بات شبعان و جاره جائع " و العولمة لم تحض على إطعام الجياع بل اضطرتهم إلى السرقة و التسول لإشباع بطونهم.

(3) - خطة البحث:

إن دراسة حقوق الإنسان تستلزم وضع خطة واضحة المعالم لغرض دراسة هذه الحقوق الذي تناولها المنظور الإسلامي و قدسها بنصوص قرآنية عظيمة و سنة نبوية شريفة في المجالين الدنيوي و الآخرى حتى صارت حق الارتواء للإنسان الذي تستنكر العولمة حقوقه و إن كانت تزعم لنفسها الدفاع عنها بواسطة العهود و المواثيق و التشريعات و القوانين الجارية على الإنسان شيء آخر، حيث تطالعنا كل ساعة أنباء إنتهاكات صارخة لحقوق

الإنسان و خاصة حالات الآلاف من فلسطين و تعذيب مئات العراقيين و في شتى أنحاء المعمورة، و ما ستؤول إليه في مطلع القرن الحادي و العشرين، بشكل عام، و حقوق الإنسان الجنوبي الذي يتعرض للإحتراق و التداعي في ظروف العولمة الأحادية القطبية التي تفرضها الليبرالية يوماً بعد يوم على الدول العربية الإسلامية بشكل خاص. و لإثبات ذلك قمنا بدراسة هذه الحقوق و ما تشكله من تطور مثير على صعيد العلاقات الإقليمية و الدولية و التدخل في شؤون الآخرين و ما ينطوي على تصرفات و إنتهاكات تتغير حسب المظهر الذي تتخذه الدولة أو الدول النازية عن طريق القوة، تجبر الدولة المغلوبة على الركون إلى الإحتلال.

تأسيساً على ما تقدم، تكمن خطة البحث في كونه يتناول موضوعاً قديماً قدم الإنسان قمنا بتقسيم الأطروحة إلى بابين مسبقين بفصل تمهيدي و مختومين بفصل ختامي، خصص الفصل التمهيدي لتحديد و تعريف ظاهرة العولمة و بيان الحقيقة و الآليات التي قيلت لتعريف مفهومها و مميزات التي صارت تقفز بسرعة حتى أصبحت سريعة التغيرات على مستوى العالم، و كرست الباب الأول لإيضاح الجوانب العامة لظاهرة العولمة و اشتمل على ثلاثة فصول، الأول تناول الجوانب الثقافية و الثاني مخصص لتحديد الجوانب السياسية أما الفصل الثالث، فانصرف لدراسة الجوانب الاقتصادية أما الباب الثاني فقد أفردته لحقوق الإنسان و تحديات العولمة من المنظور الإسلامي و يتضمن ثلاثة فصول، الأول : مفهوم الإنسان بين العولمة و الإسلام، أما الثاني : فقد خصص لحقوق الإنسان في الإسلام بإعتباره شريعة حق بينما الفصل الثالث جاء لبيان حقوق المرأة و العولمة في ظل الإسلام فيما خصص الفصل الختامي للإسلام و تحديات العولمة و الخيارات المستقبلية للعالم العربي الإسلامي من خلال أحياء المشروع النهضوي العربي .

لقد حاولت أن أنفض بهذا الثقل، و أنا عالم بعبء دراسة العولمة و الخلط الهائل من الأسماء كما نرى و نجد شائعا في الكتابات الفرنسية و الإنجليزية و الأمريكية بصدد مفهوم العولمة التي لا يزال يغمرها الغموض، و لا زالت وعرت المسالك، إذ نجد كل الفرنسيين يستعملون في

أغلب الأحيان مفهوم العولمة (mondialisation) على حين أن نجد المصطلح الشائع إستعماله في إنجلترا هو (globalisation) و التي تعني كروي عالمي كوكبي كوني و كذلك الأمريكان كثيرا ما يستخدمون أيضا في بعض الأحيان مصطلح westernisation الذي يعني الغربية و الأمريكية، و قد شاعت عندنا في الفترة الأخيرة و داعت العولمة و خاصة و أنا أقلب صفحات العولمة التي لم تمدني بأكثر من نتف مبعثرة و مشتتة في بعض الكتب منها السياسية، و منها الإقتصادية و القانونية فالموضوع شائك بسبب الظروف القاهرة التي تمر بها الأمة الإسلامية، مما اضطرني أن أبحث في كل المصادر التي أنا في الأمس الحاجة إليها، و أنا أومن أنه لاغنى للإنسان العربي، قديما و حديثا، و على الدوام التمسك بالقرآن الكريم الذي تحدى العالم و الدنيا كلها و الإنسانية جمعاء، و لا يزال و سيبقى يتحدى، إدانا بأنه كلام الله سبحانه و تعالى، و بصدق رسالة محمد صلى الله عليه و سلم الذي بنى الأمة الإسلامية على الإصلاح وفق روح كل عصر و مصر و أن تعترف بحق القوى السياسية و الاجتماعية و المشاركة في التداول على السلطة لحماية حقوق الإنسان، ليتيسر لمن توفرت فيه المؤهلات العلمية، و المواهب العقلية، التي تجعل من كل حريص على الإستقامة بالرجوع إلى منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، على تدبير أمور المسلمين على درجات الكمال و الكرامة الإنسانية .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإجتماعية
قسم علم الإجتماع

رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة بعنوان :

حقوق الإنسان في ضوء مفهوم العولمة " تداعيات الحاضر و تحديات المستقبل من المنظور الإسلامي "

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد العلاوي

إعداد :

بوسكين محمد

أعضاء لجنة المناقشة

جامعة وهران	رئيسا	أ.د عبد اللاوي محمد
جامعة وهران	مقررا	أ.د العلاوي أحمد
جامعة وهران	مناقشا	أ.د بن شهيدة أحمد
جامعة وهران	مناقشا	أ.د بلحاج العربي
جامعة سيدي بلعباس	مناقشا	أ.د بورحلة علال
جامعة تلمسان	مناقشا	أ.م بشير محمد

السنة الجامعية : 1429-1430 هـ / 2008-2009

ظاهرة العولمة:

العولمة ظاهرة اجتماعية ولها أشكال متعددة وهي من أكثر الظواهر إثارة للجدل، منذ أن إنهار الإتحاد السوفياتي في التسعينيات من القرن الماضي وسقوط الإيديولوجيا الماركسية اللينينية كنظام سياسي مرة واحدة، وسقوط حائط برلين عام 1989 بمساهمة الولايات المتحدة الأمريكية في إختيار القطب الإشتراكي بين عشية وضحاها. و إنعكاساته الاجتماعية السالبة و السريعة على باقي دول أوروبا الشرقية و قد حدث ما حدث، حيث فرض على الإنسان التهيؤ و التحسب للتغير في كل الإتجاهات كي يواكب التطورات الكبيرة في حياته و عمله و ملبسه و معيشته و غيرها. عندما انفصلت مجموعة دول أوروبا الشرقية و انسلخت عن الإتحاد السوفياتي بعد الإنهيار المفاجئ، إستأسدت الولايات المتحدة الأمريكية و إنفردت بدور قيادة العالم، و كشفت النقاب عن النظام الإقتصادي العالمي الجديد القائم على أساس حرية التجارة و حقوق الإنسان و حقوق الأقليات و الديمقراطية و حرية التعبير حيث تحقق إنتصار ظاهرة العولمة على باقي الظواهر الاجتماعية الأخرى و تبارى أصحاب المؤسسات و الشركات العملاقة و معهم وزراء المالية و الإقتصاد في الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الغربية الغنية، في إقناع دول الجنوب المتأخرة و شعوب العالم، بأن ظاهرة العولمة هي نموذج جديد و وصفة علاج تشفي من الأمراض الاجتماعية و تحقق الازدهار و الرفاهية و الرخاء و المساواة و العدل بين جميع أبناء الجنس البشري على المعمورة. غير أن ظاهرة عولمة حجاب تخفي وراءه الولايات المتحدة الأمريكية نوايا كثيرة و خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث تم غزو أفغانستان و إحتلال العراق من أجل السيطرة على النفط العربي و حماية إسرائيل، علاوة على ذلك تثبيت العلاقات العسكرية و الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية على النمط الأمريكي عبر دول أوروبا الشرقية التي انفصلت عن الإتحاد السوفياتي سابقا، و التي أصبحت مرتحنة كلية لسياسة صندوق النقد الدولي و البنك الدولي و إحالتها إلى المعاش أو التقاعد و يتضح لنا أن ظاهرة العولمة ذاك الشيء الذي يبدو لنا فنراه و نلاحظه ثم ندركه بجواسنا. و بالتالي نجتهد و نسعى لتفسيره و الإلمام بتحقيق

أمره. و ظاهرة العولمة هي إحدى الظواهر الاجتماعية كون العالم كله صار أحادي القطب، حيث سيطرت الولايات المتحدة الأمريكية و ربيبتها إسرائيل و بريطانيا على قارة أوروبا العجوز و الدول المتأخرة التي لا تهتدي إلى التوازن و الإنضباط أيام كان القطب الإشتراكي يمثل تحديا لجبروت الرأسمالية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية و كابح لها. أما في الوقت الراهن فلا رادع للغرب و لا كابح و لا ضابط. فقد تطاولت أمريكا عندما تخلى الفكر الشيوعي عن هيمنته على الكتلة الإشتراكية و حلف وارسو فيما كان يعرف بأوروبا الشرقية بعد إنحيار الإيديولوجيا الماركسية اللينينية التي كانت سائدة أثناء الحرب الباردة كقوى تحكم العلاقات و التوازن بين مختلف العرقيات المشاركة و المنظوية تحت مظلة النظام الشيوعي على الصعيد العالمي. حينئذ دخل العالم كله في فلك الرأسمالية الغربية الشرسة تحت ظاهرة العولمة الأمريكية (سيناريوهات) و الدول العربية. في النظام الإقتصادي الجديد العالمي الخاضع للهيمنة الغربية و من ثم فإن إدراكنا و مشاهدتنا و إنتباهنا إلى ما يجري عبر العالم يعتبر من ظاهرة العولمة للقرن الحادي و العشرين.

و ظاهرة العولمة صارت تقفز بسرعة حتى صارت سريعة التغيرات بحيث يعجز الإنسان الذكي عن متابعتها نهيك عن إستعابها أو الإلمام بها نظرا لوثبة خطواتها و تطوراتها، هذه الظاهرة تظهر بها طبيعة الأشياء متداخلة متشابكة و متأصلة في جميع الميادين و على كافة المستويات و ليست مبعثرة و منفصلة. و ظاهرة العولمة لا تتحدد لجهة أو إقليم، و إنما آثارها تظهر في مناطق على مستوى العالم كما حدثت سنة 1980 المفاجأة التي صادفت علماء الإقتصاد و علماء السياسة و علماء الأنثروبولوجيا و علماء الاجتماع و القانونيين. و غيرهم كثير تتعلق بالشركات العملاقة المتعددة الجنسية التي كانت تسيطر و تتحكم في المعمورة، عندما بدأ التفكير في إعادة هيكلتها و تنظيمها، حتى تكون أكثر حرية و تتمتع بالإستقلالية إستجابة للمنافسة الشرسة و القوية بينها، كما فعلت النمرور¹ الآسيوية عندما انتهت مبكرا لظاهرة العولمة التي برزت بداية الثمانينات نتيجة للتقدم التكنولوجي السريع مما أدى بها إلى فتح

¹ ينظر د. منصور ممدوح . العولمة . دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية 2003، ص - 34

حدودها أمام الشركات العابرة للقارات، حينئذ انتقلت لها رؤوس الأموال و العنصر البشري المتخصص و التكنولوجيا و المعلومات الثقافية، مما أدى إلى نمو سريع و زيادة في الإنتاج و زيادة في الإستثمارات الأجنبية و زيادة في النمو الإقتصادي و التقدم الاجتماعي بالنسبة لهذه الدول الآسيوية التي سبقت غيرها و فتحت حدودها أمام الشركات المتعددة الجنسية فهولت بسرعة إلى تصحيح نظم هياكلها السياسية و الإقتصادية و البيروقراطية و الاجتماعية إستجابة لسياسة تناسب حرية الأقوى تمهيدا لإبتلاع الأضعف و غيرت بعض النظم القانونية و أساليب التعامل لينتعش إقتصادها في ظرف قصير جدا. إن فتح الباب على مصراعيه أما الشركات العملاقة العابرة للقارات زاد في إنتقال رؤوس الأموال و حرية تنقل الأشخاص و التكنولوجيا، أنشأ شبكة كونية تغطي المعمورة بواسطة مراكز متصلة بعضها ببعض أدى إلى توليد الثروة فيها. و زيادة الإنتاج حيث تعتبر كل شركة من الشركات العملاقة العابرة للقارات تتميز بخاصية المراكز التابعة لها على مستوى المعمورة متصلة فيما بينها¹ حيث الإنتاج يتم أو عملية الإنتاج تتم في الحارة التي يكون فيها كلفة الإنتاج منخفضة، و الطلب على هذا المنتج مطلوب بدون عوائق جمركية أو بيروقراطية، أو حواجز أخرى. حيث تصبح هذه الشركات العملاقة هي في واقع الأمر صاحبة القرار في الدولة المضيفة و هي التي تتولى الإستثمارات في مناخ إقتصادي و سياسي مناسب و تحقق لها الأرباح الطائلة فترضى على الدولة المضيفة. و ظاهرة العولمة بالمصطلح الليبرالي تعني إزالة الحواجز والقيود والبيروقراطية التي تفرضها حكومة البلد الموجود فيها الشركات العملاقة العابرة للقارات على جميع الأنشطة بما فيها السياسية و الإقتصادية و إزالة جميع العوائق قصد تسهيل المبادلات التجارية و هذه تتعلق بدول الجنوب على الخصوص أو ما يعرف بدول العالم الثالث. و ما يدعم هذا الرأي ما أعلنه الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش (الأب) عندما إنعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة و محاربة المخدرات في البرازيل 1992 حين قال: "إن العولمة هي الولايات المتحدة الأمريكية بكياناتها العسكرية و السياسية و الإقتصادية و الإعلامية " إذ ليس على ما يبدو نظرا للتقنية

¹ ينظر. رشوان عبد المنصف حسين . العولمة و آثارها (رؤيا تحليلية إضافية) جامعة أم القرى 2006، ص - 50

الإلكترونية التي تتوفر عليها و التي تشغل حيزا كبيرا من النشاط و الفعالية و الحركة الإقتصادية في السوق العالمية الواحدة، فهذا ما عشناه و ما نلاحظه و ما ندرکه بواسطة وسائل الإعلام المختلفة و بحواسنا و أبصارنا عن إختراق القنوات الفضائية و الإلكترونيات و الحواسب و الإنترنت و وسائل الإتصالات العصرية و العلوم الطبيعية و الاجتماعية، طبعاً هذه الأنشطة تحقق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعلاقات الدولية، و من ثم خلق منافسة شديدة فيما بعد بين الشركات الأمريكية المصنفة، الكبيرة و باقي الشركات العالمية بحيث يكون نفوذ الأمريكيان هو الأقوى في السوق العالمية عبر سياسة إبتلاع الشركات الأصغر، و مثل هذه الظاهرة ما حدث في السنوات الأولى من ظاهرة العولمة عندما تم إبتلاع البوينغ، شركة الطائرات الأمريكية المعروفة لشركة ماكدونالد دوغلاس الصغيرة لتجعل شركة بوينغ الجديدة واحدة من أكبر الشركات المصنعة للطائرات العسكرية و المدنية في العالم و بإرادات كبيرة من ملايين الدولارات. و مثل شركة مرسيدس بانز الألمانية مع شركات كرايزلر الأمريكية أيضا بملايين الدولارات و كذلك في ميدان النفط إندماج شركة النفط البريطانية بريتش بتريلوم (BP) مع شركة أموكو (AMOCO) حديثاً و بمجموع ضخم من ملايين الدولارات.

و هكذا يتضح أن ظاهرة العولمة، ظاهرة إجتماعية و ليست نظرية شأنها شأن أية ظاهرة إجتماعية كظاهرة سقوط الفكر الشيوعي عندما تخلى عن هيمنته كقوى عالمية كانت تحكم العلاقات الدولية و تضبط التوازن العالمي بين مختلف الأمم المستظلة تحت مظلته على الصعيد العالمي و بإخياره سنة 1990 من القرن الماضي إنبطح العالم كله تحت رحمة الرأسمالية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بحلول القرن الحادي و العشرين قرن ظاهرة العولمة.

1 - مفهوم العولمة:

سجل مفهوم العولمة في عقد الثمانينات إزدياد كثافة التفاعلات و العلاقات على مستوى المعمورة بين الدول فيما يتعلق بالإقتصاد و السياسة و الثقافة و ذلك بربط التجمعات المحلية المتباعدة إلى تكتلات مقارنة قصد تحقيق الوحدة فيما بينها مثل العالم العربي المشترك في دين الإسلام و اللغة واحدة فيها و التاريخ مشترك و من تم برز مفهوم العولمة في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لبيان طريقة التغيير و تطورها في كل الإتجاهات. العولمة -

إصطلاحاً- هي تعميم الشيء على مستوى المعمورة و يقال عولم على صفة فوعل و تعني العالمي و الشمولي أي جعل الشيء عالمياً¹ و هناك إجماع بين المتبعين للحياة الدولية على أن الأدلة العلمية و العملية و السياسية و الإقتصادية و الثقافية و الاجتماع و السلوك و الأحداث و الأنشطة في التغيرات الكبيرة للواقع العالمي يؤكد بروز ظاهرة جديدة في المجتمع الإنساني و يرى بعض المراقبين أن هناك أربع عمليات أساسية للعولمة، و هي كما يلي، المنافسة بين الدول العظمى. و الابتكار التكنولوجي و إنتشار عولمة الإنتاج و التبادل و التحديث² و يعرفها الدكتور محمد عابد الجابري حيث يقول: "العولمة نظام يقفز على الدولة و الأمة و الوطن و في مقابل ذلك يعمل على التفتيت و التشتيت و إضعاف سلطة الدولة و التخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما إلى إستيفاظ أطر للإنتماء سابقة على الدولة، أعني القبيلة و الطائفة و الجبهة و التعصب المذهبي و النتيجة تفتيت المجتمع و تشتيت شمله"³

و يرى البعض أن العولمة حقيقة على أرض الواقع و قد تطور مفهوم العولمة الذي برز بداية القرن العشرين الماضي نتيجة التقدم التكنولوجي كما أن العولمة كظاهرة لا تتحدد بقارة معينة

¹ بنظر.د.منصور ممدوح محمد . العولمة. دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، مصدر سبق ذكره ، ص 11

² ينظر.السيد ياسين . (في مفهوم العولمة) ورقة قدمت إلى : العرب و العولمة : بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة ، بيروت أبريل 2000 ، ص 25

³ ينظر.د. الجابري محمد عابد. قضايا في الفكر المعاصر. العولمة صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق التسامح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998، ص 149.

من القارات أو تخص أمريكا و اليابان و أوروبا و جنوب شرقي آسيا، أو أمريكا الجنوبية و إنما آثارها واضحة و ملموسة من خلال التغيير الذي أحدثته في التركيبات الإقتصادية و العسكرية و السياسية و على جميع المستويات حيث تورطت العولمة العسكرية في الحرب على العراق و التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية و ثلة من أتباعها كالعجوز بريطانيا. و الباقي مأمور بالتمويل و إعادة الإعمار ما خربته هذه الحرب على شعب فقير من العالم الثالث. و يرى البعض أن مفهوم العولمة هو ما كان يطلق عليه في القرن العشرين الذي ذهب بدون رجعة الاستعمار والإمبريالية. و يعرفها مرة أخرى الدكتور محمد عابد الجابري¹ " أن العولمة التي يجري الحديث عنها هي نظام ذو أبعاد تتجاوز نطاق الإقتصاد لتشمل مجالات السياسة و الفكر و هي تشير إلى محاولة تعميم نمط حضاري يخص بلد بعينه (هو الولايات المتحدة) على بلدان العالم أجمع فالعولمة ليست إذن مجرد تطور تلقائي للنظام الرأسمالي، بل أنها و بالدرجة الأولى دعوة التي تبني نموذج معين، أو بعبارة أخرى إنها تشمل إيديولوجيا تعكس الإدارة الأمريكية للهيمنة على العالم و أمركته، وهي تلجأ في سبيلها إلى تحقيق ذلك. إلى مجموعة من الوسائل منها:

أ- إستعمال السوق العالمية كأداة للإخلال بالتوازن القائم في الدول الوطنية و ينظمها، و لا سيما فيما يتعلق بالرعاية الاجتماعية.

ب- اتخاذ السوق للانتخاب (بالمعنى الدارويني للكلمة) أي لإنتقاء الأقوى على إعتبار أن البقاء للأصلح و مؤدى ذلك أن الأمم و الشعوب غير قادرة على المنافسة ليس أمامها من مصير غير الإنقراض و الإندثار أو الذل أو الإنبطاح أو الخضوع أو الركوع و جلوس القرفصاء و إنهاؤها و فقدان فاعليتها أو التبعية، و يرى فريق من المعنيين بمفهوم العولمة وأنا معهم أن الحضارة الغربية قد إنتصرت على الحضارة الشرقية و أعنى الإتحاد السوفياتي كقوة عظمى و خصم عنيد خرج من الخارطة، و لم يبق صراع عسكري أو مواجهة بين الشرق و الغرب، و بدأت جبروت المعسكر الغربي بلا نظير، باستثناء الصين الشعبية، لا يواجه الغرب على الأقل

¹ ينظر. د. الجابري محمد عابد. قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سبق ذكره، ص 125

في الوقت الراهن أي تحد عسكري و حتى إقتصادي لأنه يهيمن على جملة المؤسسات السياسية، و الأمنية، كما على المؤسسات الإقتصادية الدولية مع اليابان حيث تتم تسوية قضايا العالم السياسية و الأمنية، عمليا تحت الإدارة الأمريكية و بريطانيا و فرنسا، و قضايا العالم الإقتصادية تحت الإدارة الأمريكية أيضا مع الألمان و اليابان و التي تخضع جميعا بعلاقات الغالب و المغلوب و المنقذ حيث تمخضت السيطرة الأمريكية على اليابان بإلقاء القنبلة الذرية و هزيمة الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، و حتى اليابان أقل شأنًا بالنسبة للدول الغربية بينما الألمان الغرب واليابان غير الغرب و حتى القرارات المتخذة في مجلس الأمن الدولي تصب لصالح المصالح الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أو في البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي طبعًا هي في الواقع تخدم بالدرجة الأولى مصالح الغرب و يجرى على قدم و ساق لتقديمها إلى العالم كما لو كانت عاكسة لرغبات الأسرة الدولية. و مصطلح الأسرة الدولية هو بالذات نوع من التهذيب متشذب و ملطف قصد إضفاء الشرعية الدولية عليه و على أفعاله و تحركاته و هو في حقيقة الأمر ذر الرماد في العيون و بكاء التمساح حتى يخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الغربية. و عن طريق إستخدام البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي مع المؤسسات الإقتصادية دولية تدعم مصالح الغرب الإقتصادية. و في الوقت يفرض على الدول المتأخرة جملة الخطط و الإملاءات و السياسات الإقتصادية التي تخدم مصالح و يراها تستجيب لسياسته. و من ثم تقوم بنهب أموال الآخرين بفرض القواعد اللاديمقراطية و الشاذة و من ثم خنق الحرية عن السلوك الإقتصادي المبرم و إضفاء الشرعية الدولية سواء وافق مجلس الأمن أم لم يوافق بإستخدام القوة العسكرية كما فعل مع الشعب العراقي عندما قام بطرده من جميع المنظمات الدولية بعد تحرير الكويت 1991 ثم محاصرته عن طريق عقوبات اقتصادية ثم الإجهاز عليه بأسلحة جد متطورة بعد فرض العقوبات كما فعل مع ليبيا عن طريق مجلس الأمن بتسليم المتهمين بتفجير طائرة البان آم (103) (Pan am) وكان له ما أراد. بعد إلحاق الهزيمة بأكبر الجيوش العربية المتمثلة في القوات العراقية لم يتردد الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في فرض هيمنته و إلقاء ثقله

على سائر العالم العربي و الإسلامي و لعل مما يدعم ما قلناه، هي تلك الطريقة التي ترمي الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل بها العالم العربي و الإسلامي عندما توظف المؤسسات العالمية، و استخدام القوة العسكرية ضد الدول التي تراها مارقة و غير مارقة بداءة بالموارد الإقتصادية لإدارة العالم العربي و الإسلامي بما يكفل لها السيطرة و الهيمنة و من ثم حماية مصالحها عن طريق بعض الحلفاء عندما أغرس أفكاره و مفاهيمه عن طريق الحضارة الغربية التي هي تناسب الجنس البشري بلا منازع قام بإختراق باقي القيم بما يدعيه من أفكار و مفاهيم غريبة تختلف جذريا عن نظيراتها في العالم العربي و الإسلامي، فالأفكار العربية المتمثلة في حرية التعبير الفردية و حقوق الإنسان و بالليبرالية، بالدستورية، بالمساواة، سيادة القانون، بفصل الدين عن السياسة أي الكنيسة عن الدولة. هذه المفاهيم ليست لها في غالب الأحيان إلا أصداء باهتة بالنسبة للمنظور الإسلامي.

2 - مميزات العولمة:

إتسم القرن الماضي بالتناقضات و المفارقات و التباينات الصارخة، و الفجوات في توزيع الثروات بين الشمال و الجنوب، و الإنتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان و العنف الذي وقع فيه لم يقع في أي قرن من القرون الخالية غير أنه شهد تغيرات كبيرة سواء في النواحي الاجتماعية و السياسية و الثقافية و التكنولوجية. كما شهد تصدعات و تفككات إيديولوجية بيد أنه قرن بذلت فيه بعض المحاولات و جهود لا يستهان بها كإعادة فلسفة حقوق الإنسان ضمن سياق دولي و المجتمع المدني حيث تميزت هذه المفاهيم بعولمة كونية تستهدف التطورات السريعة و المتتالية من جانب القوى المسيطرة على الثورة المعلوماتية و الريادة و القيادة التكنولوجية في الإقتصاد العالمي حيث يستقطب مفهوم العولمة و يتميز باتجاهين:

الاتجاه الأول:

يؤيد بحماس و هو تيار متفائل يغلب عليه بدون تحفظ عولمة الإعلام و الإتصال و الإقتصاد و السياسة و الثقافة، إذ يرى في هذه الجوانب أنها تهدف إلى تحقيق نوع من التفاعل الإيجابي، و التكامل على مستوى الإنسانية جمعاء، و من ثم تظهر جليا مزايا و

إيجابيات مفهوم العولمة في جميع الميادين. و يمثل هذا وجهة نظر الدول الغنية و الغربية (دول الشمال) و من ثم فالعولمة بالنسبة لهذا التيار فهي قائمة على إضفاء صفة التناسب بحيث تنتمي المجتمعات الإنسانية الساكنة في هذه المعمورة إلى منظومة مجتمعات واحدة. و في نفس الوقت ينتمي الإنسانية إلى إحساس إنساني واحد و من ثم فإن المجتمع الإنساني يعيش في نظام عالمي واحد في إطار كيان إقتصادي و سياسي و ثقافي ممكنا، لا غرابة إذا في ظل حكم الدولة العالمية الديمقراطية حتى و إن كانت التقاليد الدينية و العرف و العادات تختلف من مجتمع إلى مجتمع فمع مرور الوقت تكتسب قدرا أكبر من الأهمية بمقدار ما تقدم على التعامل بالوضع الجديد الذي يجبر الأفراد و الجماعات إلى إنتاج مفهوم الإنسانية عام من دون تخصيص ينبثق منه مجتمع عالمي جديد، حيث يتخلى عن بعض القيم الموروثة و عن النزعات الأصولية بإعتبارها حاجز أمام ما يعتبرونه تخلف و جهل بالنسبة لأنماط الحياة الإنسانية السائدة و الراقية فيما بين الدول المتقدمة و الغنية.

الاتجاه الثاني:

فهو التيار المتشائم و يعارض بشدة عولمة الإقتصاد و السياسة و الإعلام و الثقافة و يرفض كل إيجابيات العولمة و ينظر إليها بمنظور المؤامرة بإعتبارها نعيًا للتعددية الثقافية و تسييدا لقيم الربح و الخسارة لأنها تمثل محاولة من جانب الدول الغنية و الأكثر تقدما لفرض آليات السوق و هيمنتها سياسيا و عسكريا و اقتصاديا و ثقافيا على دول الجنوب في مجالات الإعلام و الإتصال و المعلومات علاوة على التحكم و الإعتداء على حرية الأشخاص و وسائل الإعلام و من ثم تقويض سلطة الدولة الوطنية لصالح الشركات الإحتكارية متعددة الجنسية و التشكيك في إيجابيات العولمة بإعتبار هذه الإيجابيات إن وجدت فهي مكاسب سوف تكون من نصيب حفنة من أرباب العمل و مدراء الشركات و السياسيين بينما يجني المتأخرين أي دول الجنوب غير الفقر و التخلف و هضما لحقوق الإنسان في جميع المجالات. و التيار الرفض للعولمة يطالب بالإغلاق و التقوقع و من ثم الإعتتماد على الإكتفاء الذاتي و يقول في هذا الصدد محمد عابد الجابري "أن هذا الإغلاق قد يكون متصورا أو مقبولا عندما يكون الطرفان

المتصارات متقاربين من حيث القوى و القدرات أما حينما يتعلق الأمر بظاهرة عالمية تحتاح جميع المجتمعات و تتسرب إلى داخل جميع البيوت و تفعل فعلها عن طريق السيطرة و الإستمالة من خلال خطط و برامج محبوكة على درجة عالية من الكفاءة في التخطيط والمهارة في التنفيذ فإن تبني موقف الرفض و الإنغلاق معناه الموت و التهميش التام و إنعدام القدرة على التأثير".¹

و مهما يكون من أمر إختلاف وجهات النظر بشأن مميزات العولمة فهي نتاج حتمي لما تولد من أعمال و تحرر السياسات الغربية من أية قيود أخلاقية أو ضوابط قيمية. لما تولد من أعمال و أفكار تضفي مشروعية العولمة على كافة الأصعدة السياسية و الإقتصادية و العسكرية و الثقافية و التكنولوجيا و الاتصالات، و ما أدت إليه في مجال الإقتصاد المعاصر الذي يقوم على تدوير العجلة الإنتاجية و تجزئة مراحل تصنيع المنتج النهائي في أكثر من دولة إستجابة لحاجة الإقتراب من مواقع المواد الأولية و البحث عن عمالة أكثر مهارة و أقل تكلفة ثم الإمتيازات و التمتع من الإعفاءات الضريبية في الدول الجنوبية، هذه الطريقة يتم إظهار التطور الاقتصادي المعاصر الذي تشكل به مميزات العولمة بجميع أبعادها نقطة الإنطلاق في العلاقات الإقتصادية الدولية، و هو إنشاء مجموعة الشركات العابرة للقارات و التي تتمتع بمزايا كثيرة الإستغلال القانوني الذي يمكنها من إكتساب جنسية الدولة التي تتعدى فيها الجانب من العملية الإنتاجية مع إرتباطها في نفس الوقت بالشركة الأم التي تسيطر من حيث الواقع على مجموعة الشركات التابعة من خلال نظام محكم للاتصالات و المعلومات أي أن التطور التكنولوجي سجل محل الدولة في نظم الرقابة و التسيير مما يجعلها محايدة. و نتيجة لهذه المميزات للعولمة الغربية الساعية لإستقطاب دول الجنوب إلى جانبها في مرحلة الحرب الباردة و هذا المفهوم كان بمثابة التهيؤ للعولمة و للقرن الحادي و العشرين أو بعبارة أخرى التفاوض حول الإستسلام لمفهوم العولمة و حول نظام إقتصادي و إجتماعي يتماشى و مصالح حفنة من البورجوازية الرأسمالية الغربية و من ثم تحويل العالم إلى بيت كوني بجميع أطيافه.

¹ ينظر.د. الجابري، محمد. مصدر سبق ذكره ، ص 143.

و نشير إلى أنه هناك عدة عولمات اللامحدودة منذ أن أطلق مارشال ماكلوهان مقولته المشهورة: "لقد أصبحت الكرة الأرضية أشبه بالقرية الكونية"¹ حين ظهر التلفزيون مما جعل الإنسان ينغزل عن الآخرين ويبقى ضمن حدود الدولة التي ينتمي إليها و عندما ظهر جهاز الفيديو تقوقع الإنسان داخل منزله و عندما ظهر الكمبيوتر مع ظهور شبكة الشبكيات (الإنترنت)، صار بمفرده و داخل حجرته و مع ظهور الصور المرئية على الشاشة تجسدت كل التناقضات المعلوماتية و الثورة التكنولوجية. غدا الإنسان منعزلا في حجرته إلا أنه يتم التواصل مع بني جنسه عبر الفضاء الإلكتروني البيت الكوني. و قبل كل هذه التكنولوجية كان التلفون يرن و هو الذي ساعد على أداء مهام و تحسين النشاط التجاري عبر مساحة البيت الكوني. و هكذا فإن مميزات العولمة هي التحول من الممارسات و المعايير على نحو متزايد على الطريقة التي تشكل بها القواعد المحلية من فئاتها الضيق إلى فئاتها الواسع، كعملية فاعلية تطويرية تكنولوجية و تغيير في العقل و السلوك الإنساني في الممارسات اليومية مع تحقيق الأهداف المرسومة للمنظمات و التركيبات البنيوية. و من مميزات العولمة أيضا أنها لا تقف عند حواجز أو تمنعها قوانين و تكون هذه الممارسات من قوى فاعلية متمثلة في الأشخاص و الأفراد و مجاميع الشركات العملاقة العاملة بطرق و أشكال و صيغ مماثلة و متشابهة من الممارسات و بشكل عام و شامل و مترابط. بحيث تعتبر التطورات التكنولوجية و الاقتصادية و العسكرية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية المساهمة على تدويل الممارسات و إنتشار المصالح عبر الحدود الوطنية¹ إلا مظاهر لعملية العولمة و تقدمها و تطورها. مما يجعل للعولمة ديناميكية الحركة و تدويل و الإنتشار و تجاوز و تحطي الحدود الوطنية و التفاعل مع سلسلة التغيرات السريعة التي تنصهر فيها و تذيب فيها الحواجز الجمركية.

3 - مقومات العولمة:

¹ ينظر بي هنتنغون سامويل، بيتر إل . بيرغر عولمات كثيرة (التنوع الثقافي في العالم المعاصر) تعريب د. فاضل جتكر، الطبعة العربية الأولى مكتبة العبيكان، الرياض 2004 ، ص 62

¹ ينظر. الدكتور البهي محمد . الفكر الإسلامي و المجتمع المعاصر (مشكلات الحكم و التوجيه) . دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982، ص 79

لا ريب في أن للعمولة وسيلتين أساسيتين لمقوماتها هما: ثورة المعلومات التكنولوجية و العصرية و النقود أي رأس المال المتمثل في الشركات العملاقة و العابرة للقارات كما قلنا سابقا، و دورها الضروري قصد توفير الإستثمار الخارجي المباشر، حيث يعتمد الإستثمار الأجنبي على البنى التحتية كقاعدة متطورة و العمال المهرة. و هذا ما يتطلبه مبدأ العرض و الطلب في السوق الكبير بلا حدود. حيث تعتبر التكنولوجيا و النقود المحرك النابض بالنسبة لعملية الإستثمار بطبيعة الحال لا يمكن التفكير بدونهما، و الاستغناء بالنسبة للإنتاج الحديث. لأن التكنولوجيا و النقود هما عمليتان تاريخيتان ترجعان إلى خمسة قرون قد خلت و في عام 1492² و هو العام الذي سقطت فيه غرناطة و طرد المسلمون و معهم حتى اليهود من الأراضي الإسبانية و قيام الرحلات البحرية حيث تم إكتشاف العالم الجديد و إلى غاية 1989 عام سقوط حائط برلين و سقوط الإتحاد السوفياتي و إنهيار الإيديولوجيا اللينينية الماركسية و تفكك كتلة دول أوروبا الشرقية و هو تغيير وضع الإنسان نحو الأفضل و إلى الحين؟.

و يلاحظ أن تعزيز دور التكنولوجيا في الجانب الإيجابي و رأس المال يستطيعان تحقيق الفاعلية بالنسبة للصناعة المدنية و العسكرية و الابتكار و الإكتشافات العلمية مع التطبيقات الميدانية بدون عوائق بيروقراطية و مكانية يزيدان من تحقيق قدر كبير من المرونة الإنتاجية و تدعيم مكانتها أكثر من مناطق الإستثمار. من الواضح أن التطور التكنولوجي بدأ مع بداية القرن العشرين الماضي مدعما بحركة رأس المال و اليد العاملة المتخصصة التي حققت طفرة كبيرة في ميدان الإقتصاد و السياسة و الثروة و السلاح. و مع بداية منتصف القرن العشرين ساهم التطور التكنولوجي في إستخدام رجال آليون (Robots) مكان العمال مما أدى إلى كلفة رخيصة و صار الإنتاج مضيئا للأسواق. و خلال هذه الفترة ظهرت الصناعة اليابانية عالميا حيث بدأت تهيئ المنتج للتصدير على مستوى القارات مما زاد في التنافس الحاد على إيجاد الأسواق العالمية. حيث أحدثت الثورة التكنولوجية تغييرا كبيرا في العلاقات الإنسانية و على

² ينظر. د. صلاح أحمد هويدي . تاريخ أوروبا الحديث . الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية 2001، ص

مستوى المعمورة في المصطلحات و المفاهيم المكانية و الزمانية. و اختصرت المسافات و عامل الوقت و صار الإنسان يطلع على حوادث العالم في وقت قصير و صارت الحياة الإنسانية ذات صلة في جميع الميادين السياسية و العسكرية و الإقتصادية و العلمية و التربية عندما ظهرت الإتصالات السلوكية و اللاسلوكية، أرضية و فضائية و صار العالم الإنساني بأسره فقيره و غينه قويه و ضعيفه يشاهد الأحداث اليومية في نفس الوقت و الأخطار التي تجري على العالم.

قلنا بأن تكنولوجيا رأس المال لعبت دورا هاما في الإستثمار و عقلانية خطوات الابتكارات بين الشركات العملاقة حيث ضاقت السوق الداخلية تحت المنافسة ولم يبق أمام هذه الشركات الكبيرة إلا الخروج خارج الأسواق الوطنية و البحث عن الأسواق العالمية و الحصول على مجالات جديدة في أسواق العالم الثالث. حيثما تجد تسهيلات و رفع القيود أمام التكنولوجيا و حركة رأس المال زائد التخفيضات التجارية و الضرائب و أمور أخرى. و بذلك صارت الشركات متعددة الجنسيات تحقق قدر كبير من الربح مع تدعيم مكائنها عبر دول العالم الثالث، و بناء نظم إنتاجية بيد حفنة من الأشخاص و لكن لها أيضا دور هام في وضع خطط و ترتيبات و إجراءات أكثر ليونة و مرونة حتى تضمن حركة رأس المال على مستوى المعمورة. هذه الشركات العملاقة لها الريادة و القيادة لما تتمتع به من سلطة القرار في توجيه الإقتصاد العالمي و المحلي و حكومات العالم حتى أطلق عليها بعض العارفين بما يسمى بالدبلوماسية التجارية لما تجلبه من خير و فير أو شر مستطير نحو إقتصاد السوق بحيث أن الدولة لا دخل لها في النشاطات الإقتصادية، بالنسبة لحركة رأس المال و التكنولوجيا و إنتقالهما بين البلدان و الشركات المتعددة الجنسيات و ما يتبعها من الكيانات الكبيرة الضخمة و التغيرات الجارية في ظاهرة العولمة إلى جانب المؤسسات المالية صاحبة القرار على المستوى الدولي مثل صندوق النقد الدولي، و البنك الدولي لأن مقومات العولمة شاملة و مركبة ذات تسلسل قيادي لمنظمة الإقتصاد و التعاون و التطور في الشمال الغني، و خلق طفرة جديدة لمقومات الترتيب و التعاون من خلال مؤسسات النقود في آفاق المعمورة.

4 - مشروع العولمة:

يتجلى مشروع العولمة من مشروع التنمية¹. حيث كانت التنمية ذات علاقات دولية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت معالم و دعائم الإقتصاد الرأسمالي العالمي و أن مشروع العولمة تطور خاصة في مرحلة الحرب الباردة من الناحية الجيوبوليتيكية لهذه الفترة، خصوصا عندما طرح مشروع مارشال لبناء أوروبا بالحرب العالمية الثانية و استعمل الدولار كاحتياط للنقد الدولي و ظهر مفهوم العالم الحر بالبيرالي مقابل العالم الشيوعي و الذي يدعى العالم الإشتراكي أيضا. و دخل العالم العولمة كإيديولوجيا قائمة على إعادة هيكلة الدولة تحت الإملاءات الجديدة للشركات المتعددة الجنسيات من أجل تحسن كفاءة المشاريع الإقتصادية و الاجتماعية في منتصف القرن العشرين الماضي و أعدت من جديد صناعة أسس الرأسمالية من خلال إعادة هيكلة كبيرة و ضخمة للنظام العالمي على إتمادات قروض بعيدة الأجل قصد تشجيع الإستثمار. عندها كانت العولمة كرؤية لتنظيم المعمورة كما كان مشروع التنمية.

و أصبح مشروع العولمة كبديل لمشروع التنمية. لأن مشروع العولمة يسعى لترسيخ الرأسمالية لكن بشكل يختلف من خلال تسيير الإقتصاد العالمي بحيث أن كل الدول مأمورة بشكل أو بآخر أن تتبع الطريقة الغربية بدون نقاش و التي تتكلم أو تتمرد تهمش أو تحاصر من طرف البنوك. و مؤسسات المساعدة و حتى من طرف المنظمات غير الحكومية و المجتمع المدني لأن بوادر مشروع العولمة مرتبط بمؤسسة معينة للرأسمالية، و ليس كمشروع التنمية الذي كان مشروعا ناشئا من إستقرار الرأسمالية العالمية بعد أزمة ما بين الحربين العالميتين.

و جميع هذه الرؤى هي رؤى مرتبطة بمصالح و منافع إستراتيجية أمريكية في إطار نظام سياسي يرتبط قيامه بتوفر شروط رجال المال و الأعمال الأمريكيين، و النخب التي إرتبطت بمشروع العولمة كرؤية لتنظيم العالم من خلال إدارة إقتصادية عالمية تحت المظلة الأمريكية. و التي سبق

¹ ينظر. الزعترية ياسر. الظاهرة الإسلامية قبل 11 أيلول و بعده، تجارب و تحديات و آفاق، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، بيروت 2004، ص - 20 .

لها أن وظفت المجاهدين الأفغان قصد تدمير الإتحاد السوفياتي و مستخدمة العرب أيضا في حرب البلقان حتى تنفرد هي بالعالم و بالتالي تشديد هجماتها على الدول التي تعارضها و التي إشتدت معاناتها كثيرا بسبب الإنفراد الأمريكي الصهيوني، العالمي أثناء الأعوام بعد إنتهاء الحرب الباردة و غياب أية قوة موازية. و عن طريق مشروع العولمة صارت الشركات العملاقة و العابرة للقارات المتعددة الجنسيات هي الحكومات الحقيقية التي تتحكم في البيت الكوني. على أساس أنها مؤسسات قوية تمتلك النخب السياسية و البنوك و المؤسسات المالية الضخمة و لها شخصيتها و دورها و أهميتها في إدارة النظام الإقتصادي العالمي، وفق النظرة النفعية الأمريكية و الإستفادة الذاتية بالنسبة للنخب السياسية و الإدارية من تلك الشركات، و هذا بعد أن كفر العالم الثالث في تسيير الإقتصاد المركزي و المخطط بالمنهجية الإشتراكية بعد إختيار الإتحاد السوفياتي و الكتلة الإشتراكية. عادت مدرسة الاقتصاد الحر برؤيتها الربح ثم المزيد من الربح، مع الإنحلال السلوكي و حتى القيم الأخلاقية التي تدعو إلى العدالة الاجتماعية و قد إعتمدت مدرسة الإقتصاد الحر في هذا الظرف الراهن على السلطة التي منحها لها صندوق النقد الدولي و البنك الدولي و منظمة التجارة العالمية كأناصر لمشروع العولمة¹ حيث كانت النخب ذات المصالح بمشروع العولمة ملهمة و مؤمنة أيضا بحرية التجارة و الإقتصاد و بنية إعادة هيكلة الدول و الإقتصاديات السياسية على النموذج الغربي المتحدي للحدود الوطنية. و حالما إمتد هنا البعد المتخطي للحدود الوطنية عن طريق الشركات العملاقة العابرة للقارات في أوروبا و اليابان و دول العالم الثالث، حيث اليد العاملة الرخيصة و متطلبات السوق العالمية من الصناعة الموجهة للتصدير ضمن إستراتيجية تصنيع و إغراق الأسواق العالمية. حيث أصبحت الفئات المستهلكة و المنتجة تحت رحمة سماسرة العولمة، مما يدل على أن الإقتصاد العولمي هو نفسه غدا مطالب في إعادة هيكلة الظروف التي تعالج وفقها الحكومات السياسية، الإقتصادية و شروط البنوك العالمية خاصة البنك و صندوق النقد الدوليين. و ترك الفئات

¹ ينظر. دوب موريس. دراسات في تطوير الرأسمالية. تعريب الدكتور حامد رؤوف عباس ط الأولى دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية 2003، ص-200

الاجتماعية و الشرائح الضعيفة في المجتمعات تعاني العجز و المرض و الفقر و الجهل بسبب عدم إستطاعتها المنافسة و من ثم تغدو ذات متربة و مسكنة و يُتم و تتزايد الأدلة من الواقع المعاش على أن مشروع العولمة "الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ألمانيا، فرنسا، بريطانيا إيطاليا، كندا و روسيا"، أحدث شرحا كبيرا بين عالم الرأسمالية الأمريكية و دول العالم الثالث من حيث التفاوت الكبير و المضاعف عندما إحتلت الولايات المتحدة الأمريكية ثورة التكنولوجيا بمفردها و حرمت باقي الدول المتأخرة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 عندما عمدت إلى عسكرة قوتها و إطلاق مشروعها العدواني على الدول الإسلامية و العربية للمزيد من السيطرة و التحكم في ثروتها ضمن إستراتيجية مدروسة مسبقا حجج كاذبة كمحاربة الإرهاب و الدفاع عن أمنها القومي و نشر الديمقراطية و إستخدام الدعاية في الحرب على العراق أسلحة الخداع الشامل و هو السيناريو و العكاز التي تتعكز عليها أمريكا حتى تكون لها حيازة عقود الإعمار و عقود التنقيب عن البترول العربي، و حتى و إن كان يظهر للعامّة و أنا منهم بأن هناك صراع حاد بين الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان و الإتحاد الأوروبي حول مجموعة من القضايا كالتبادل التجاري و سياسة الطاقة و التنافس حول الأسواق الكوكبية و الكيانات الإقتصادية هذه كلها إستراتيجيات ملموسة و مدروسة أمريكا مسبقا و خاضعة للهيمنة الأمريكية و صراع المصالح بين الدول الكبرى. " اللهم إنّي أسألك نفسي "

5 - جدلية العولمة:

يدرك المراقبون و المتبعون للعولمة بداءة من عصور الإنبعاث و النهضة و التنوير قد تعكزت على مجموعة من القواعد و الأسس الفلسفية المهمة و الممهدة للنهضة كالأتي:

أ- فلسفة الكيانات القائمة على القوة المتحررة عن المبادئ الأخلاقية، و الذي جاء بها ماكيفللي في كتابه الأمير و النصائح التي قال بها كفصل الدين عن السياسة و الأخلاق و المثل العليا و أبدلها بمفهوم العلمانية على السياسة الغربية و تحريرها من قيود رجال الدين و هيمنة الكنيسة.

ب- فلسفة التاريخ الهيكلية و القائمة على الفكر الجدلي القائم على الصراع لظواهر العلاقة على مر العصور التاريخية على نظام البقاء للأصلح و الجديد يتلغ القديم.

ج- المدرسة الداروينية الاجتماعية القائمة على أساس البقاء للأقوى و الأصلح، حيث يعتبر الصراع قانون للتطور في عالم الأحياء حيث يقول في كتابه " أصل الأنواع " أن الأكثر تكيف مع الطبيعة يهزم الأقل تكيفا (فكرة الانتخاب الطبيعي).¹

و من ثم إضفاء صيغة الضعفاء على المتأخرين عن الركب و يعد هذا أمرا طبيعيا يتماشى و طبيعة الأشياء و القوانين الكونية.

د- المدرسة النفعية اللامحدودة و مساهمة الفكر الغربي الذي يجعل الهدف الأسمى هو تحقيق المنفعة الفردية و التي بها يتم تحقيق المنفعة العامة للمجتمع كله. يظهر لي مما سبق أن المرتكزات الفلسفية التي قام عليه الفكر الغربي المعاصر تهيئة ملامح التطور و شجعت النزعة الفردية و ما طرحته على الفكر و السلوك الاجتماعي في ممارسة الأنانية و الإنتهازية و القوة كقوانين طبيعية غير قابلة للتبديل أو النقاش، و من هذا المنطق راح الفكر الغربي يفرض أنماطه على باقي الأفكار الأخرى فرضا، حتى أصبح العالم بدون قوانين أو قواعد حتى وإن وجدت فهي تخدم الفكر الغربي، بادئ ذي بدء منذ أن أنشأت الدول الأوروبية الست (فرنسا و ألمانيا و بلجيكا و إيطاليا و هولندا و اللوكسمبورج)¹ سنة 1951 هيئة عليا للصلب و الفحم اعتبر بعض المراقبين أن هذه النواة الأولى و الخطوة الجريئة في طريق الوحدة الأوروبية، كما ظهرت حركة دول عدم الإنحياز سنة 1955 عندما عقد أول إجتماع لها في باندونغ الإندونيسية و حضره ثلثة من رؤساء إفريقيا و آسيا و كانت الإنتفاضة الكبرى للشعب الجزائري في تاريخه المعاصر يوم أن أعلن الكفاح المسلح ضد التواجد الإستعماري الإستيطاني، في الفاتح من نوفمبر 1954 و إستمر هذا الكفاح الذي شارك فيه الشعب بكل فئاته تحت قيادة جبهة التحرير

¹ ينظر. داروين تشارلز (1809-1882) عالم طبيعي بريطاني، وضع نظرية في تطور الأحياء ، عاج خلالها مسائل نفسية و أخلاقية ، أبرز مؤلفاته كتابه : أصل الأنواع 1859، التعبير عن الإنفعالات في الإنسان و الحيوان 1872، أصل أنواع نظرية النشوء و الإرتقاء، ترجمة إسماعيل مظهر، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع و التجارة بيروت 2007 ، ص-127

¹ ينظر. الأستاذ صلاح عباس. العولمة في إدارة المنظمات العالمية. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2005، ص-16

الوطني ولم يخل بالتضحية بالنفس و النفيس في سبيل إستعادة إستقلال البلاد و تحرير العباد حتى ككل هذا الكفاح بالنصر المبين و أعلنت الجزائر دولة مستقلة جمهورية ديمقراطية شعبية سنة 1962، و انعقد فيها مؤتمر دول عدم الإنحياز في الجزائر (العاصمة) 1973 حيث إتخذ قرارا دعا إلى إستحداث "نظام اقتصادي" دونما لبث أن حصل على تصديق الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1974. حيث أقدمت الأمم المتحدة على تبني نوع من إيدولوجيا تنموية، بمعنى إعطاء أولوية عليا لحاجات العالم الثالث بدأ الجدل القائم بين الشمال الغني و الجنوب الفقير. و بحلول نهاية القرن العشرين و بداية القرن الحادي و العشرين كانت العولمة قد هيمنت على باقي المفاهيم الأخرى عبر العالم من خلال سياسات إقتصادية و اجتماعية و ثقافية تخضع لقواعد دولية محورها الحصار و تقليص دور الحكومات في المجالات التي كانت تتحكم في تنظيمها و ترك المجالات للحرية في إطار سياسات الإنفتاح دون فرض قيود توقف أو تحد من ممارسة هذه الحرية. و لعل هذه الحرية هي إحدى المؤشرات الباعثة على الإنبهار بالغرب في الترويج للديمقراطية و رعاية و صون حقوق الإنسان و حريات المحكومين. حتى غدت الأحداث العالمية مطبوعة بطابع عمليات العولمة في أرجاء المعمورة. و صار لها أنصار و خصوم بالنسبة لجدلية العولمة حيث وعى بعض الأفراد بما جرى في العالم من عمليات تدويل الإقتصاد إلى الإتفاقيات التي تغير الكيانات العملاقة إلى حركة تنقل رؤوس الأموال و الأشخاص و الأموال الخيالية بالنسبة للصفقات التجارية.

إيجابيات العولمة:

يرى أنصار العولمة أن إنتشار التكنولوجيا على نطاق واسع و تدفق رؤوس الأموال من طرف الدول الغنية يزيد من أتعاب الدول الفقيرة. هذه الظاهرة عملية قديمة و ليست جديدة و إنما كانت موجودة منذ بداية القرن التاسع عشر، فحيثما نستشف مصالح الدول المتطورة و نظيرتها النامية و التي ساهمت في تقليل الفجوة بين الأغنياء و الفقراء، و كذلك الأمر ينطبق على بعض البلدان الآسيوية بالرغم من المشاكل المالية التي عاشتها هذه الأقطار مؤخرا. كما توجد إنعكاسات إيجابية للعولمة بالنسبة لسوق العمل حتى و لو كان في جزء ضئيل من هذه

السوق عالميا. حيث تعتبر زيادة التعارف و التفاهم المتبادلين بين أمم المعمورة و كذلك عن طريق توظيف كافة وسائل الإتصال الجماهيرية و التوجيه بإعتماد مبدأ تدفق المعلومات و الأفكار عبر الكلمة و الصورة في سبيل تحقيق المعرفة ثم التأثير مثلما هو الحال في العولمة الإقتصادية التي إستطاعت تحطيم الحواجز الجغرافية الجمركية و كذلك بالنسبة لثقافة الحريات و إستطاعت أن تحطم حواجز اللسانيات بين المجتمعات الإنسانية و المثال على ذلك أن إسبانيا و إيطاليا كانتا قبل توحيد عملة اليورو تعانيان اللامساواة و تفاوت المداخل و ضعف في الفعالية الإقتصادية. و نما إقتصاد هذين البلدين عند تطبيق ماستريخت "Maastricht" و تم لهما توفر رأس المال عبر المجموعة الأوروبية بحكم الآليات الإقتصادية و التي تمثل خصوصا على الإعتماد بين الإقتصادية و المجموعة الأوروبية، حيث رفعت كافة الحواجز الجمركية و صارت سوق مشتركة و مذهبها في ذلك هو تحرير التجارة من جميع القيود و حرية السوق و تشجيع القطاع الخاص و الإستثمارات الأجنبية و نشر مجموعة من القيم السياسية و الاجتماعية و الثقافية داخل دول الإتحاد الأوروبي، يرى أنصار الإيجابيات بالنسبة للعولمة أنها تقوم على الديمقراطية و التعددية السياسية و إحترام حقوق الإنسان الأوروبي، كما تحافظ على الفردية التي كانت في زمن النظام الرأسمالي هي القاعدة الأساسية التي رسمت الطريق و السلوك الإنساني الغربي، و أنصار العولمة لا يقتنعون من خلال الآليات الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بتشكيل نسق من القيم بالنسبة لقارة أوروبا و أمريكا أو العالم العربي الإسلامي، بل يريد أنصار العولمة أن تكون كونية حيث تقيم جميع القارات و تخترق جميع الثقافات. كما يطمعون و يطمحون إلى إيجاد صياغة ثقافية كونية تحظي و تهيمن على جميع جوانب النشاط الإنساني، فهنا لكل مشروع العولمة بإتجاه صاعد يضغط بقوة في سبيل إيجاد صياغة نسق ملزم من "القواعد الأخلاقية الكونية" و مطروح في الوقت الراهن على الأقل مشروع أمركة العالم في الساحة الفكرية العالمية، و هنالك مشاريع أخرى بعضها مستمد من الأديان السماوية الثلاثة. و من المؤكد أن الخبرة الإنسانية الطويلة و الممتدة، و ما يطلق عليها "الثقافة المدنية" و التي تتمحور على الحرية السياسية و التعددية الفكرية و إحترام الرأي الآخر و مكانة المجتمع

المدني و إحترام حقوق الإنسان. و يرى أنصار العولمة أن الثورة الإتصالية بما تحتوي عليه و تتضمنه و تمتلكه من قنوات فضائية و أقمار صناعية و التي تبث الرسائل عبر قنوات الأجهزة التلفزيونية كي يشاهدها القاصي و الداني بالنسبة لسكان الأرض بثا مباشرا بالإضافة إلى الثورة الهائلة إلى شبكة الإنترنت في زيادة الإتصالات و التفاعل الثقافي و تبادل المعلومات على مستوى سكان الأرض غير أن المشكلة هناك هجوم على العولمة يثيرها المناهضون.

سلبيات العولمة:

هو النقاش الدائم حول العولمة الذي يثيره بعض المراقبين من العالم الثالث و غيره أن تدفق هذه المعلومات و الوسائل الإعلامية و الثقافية تأتي من الدول الغنية الرأسمالية دول الشمال ذات المركز المرموق, بكل قوته و عنفوانه و قدرته التكنولوجية و التي تصب في وعاء دول العالم الثالث صاحب الاقتصاديات المتدهورة و صاحب النخب الحاكمة التي تعيش في رغد و حياة ميسورة عموما. و إنما المشكل هو مشكل عموم البشر الذين يعيشون في هذه الدول المتأخرة، يعيشون عيشة حال فقر مدقع و مرض و جهل و تسلط قمعي و تحقير، بالإضافة إلى الكيانات السياسية و الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات و التي تروج ظاهرة العولمة قصد تدويل الإقتصاد كوحدة كاملة في مناطق العالم مع التحكم في التجارة في مناطق المعمورة و إتباع سياسة الإختفاء الفعلي للمزارعين و الفلاحين المحليين قصد تدمير الزراعة و الفلاحة. بالنسبة لدول الجنوب حتى تتم السيطرة الفعلية على هذين القطاعين في الدول المتأخرة، تلجأ هذه الأخيرة إلى صندوق النقد و البنك الدوليين في محاولة تحقيق بعض النمو في بلدانها إلا أنها تفرض شروط قاسية من طرف صندوق النقد الدولي تتمثل في إيديولوجيا سياسة متطرفة بحيث يطلب من الدول المقرضة فتح أبوابها على مصارعها أمام الإستثمارات الأجنبية المباشرة و تقديم

كافة التنازلات و المبادئ و إتاحة الفرصة للإحتكارات الأجنبية حيث تصبح الثروة تمتص من طرف النخب السياسية و الشركات العملاقة و تشرع العولمة لمكافحة رأس المال و ليس العمل الذي يعطي للعامل حقه بل يلبيه مما يؤدي إلى إغناء الأغنياء و إفقار الفقراء، كما يراها صندوق النقد الدولي. الذي يتظاهر ظاهريا بمحاولة مساعدة الدول الفقيرة و خاصة الدول الإفريقية حيث المجاعة و الحرمان في مناطق تعاني الإضطرابات السياسية و القبلية و العشائرية في دول العالم الثالث، فإن صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي يقدمان الإقراض إلى النخب الحاكمة في مشاريع غير نافعة كالنقود التي تقترض من أجل شراء السلاح، و ما شابه ذلك، و هذا القرض بشروط. و يكون الفقراء هم وحدهم الهدف لتحمل عبء الصفقات التجارية بين سمسرة السلاح و النخب السياسية الحاكمة هي المستفيدة على كل حال من هذه النقود المقترضة و الشعوب هي التي تدفع الثمن و تقدم التنازلات و التضحيات بسبب سياسات الحكام أو سوء الفساد المالي أو الإدارة. كقطاعات التربية و الصحة لعموم المواطنين التي هي تدفع الثمن غالبا و العولمة مطمئنة.¹

رغم تظاهر المواطنين مثلا في لوس أنجلوس و في سياتل التي عقد فيها مؤتمر منظمة التجارة العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية و تمخض أن العولمة هي هدف ينبغي الهرولة و السعي إلى بلوغه و تحقيقه بأي ثمن و بأي طريقة لأنه حتمي تاريخي، و ظهر في هذا المؤتمر صراع بين الدول الصناعية الغنية فيما بينها (الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا العجوز) و أيضا بين الدول المتأخرة. و هل أحسن مثال ما قاله الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون في ملتقى دافوس " اليوم و في بداية قرن جديد، العالم برمته يجد نفسه في مفترق طرق و ليس أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية، و الدول الثرى في آسيا فقط العولمة تحدث ثورة في الطريقة التي تعمل بها و الطريقة التي تعيش بها، و ربما أكثر أهمية الطريقة التي تربط كل واحد بالآخر عبر الحدود القومية، فقد إنتزعت الأبواب و أشادت شبكة إتصالات بين الدول و الأفراد، و بين

¹ ينظر. شيريك بيار . البنك الدولي دراسة نقدية. ترجمة أحمد فؤاد. دكتور رمزي زكي، الطبعة الأولى القاهرة 1994 ، ص- 65
البنك (المصرف) الدولي للإنشاء والتعمير مقره واشنطن أنشأ عام 1944.

الإقتصادات و الثقافات ، علينا أن ندرك أولاً أن العولمة جعلتنا أكثر حرية و أكثر استقلالاً " و اعتماداً على ما قاله أيضاً الرئيس الأمريكي بوش الابن فإن صندوق النقد الدولي هو صاحب البرامج الخاصة بالملكية و الخصوصية ، أي تشجيع الإستثمارات الخاصة و أخذ أموال الفقراء و إعطائها للنخب الحاكمة و الكيانات العملاقة من الشركات المتعددة الجنسيات، و لا يتم تمثيل الإنسان في الدول الإفريقية من قبل السلطة عندما يجري التفاوض بالنسبة لصندوق النقد الدولي و إنما يعاد ترقيم من مقدار منخفض إلى مقدار جد عال أي ما يعرف بإعادة الجدولة أي زيادة الثروة التي تذهب إلى جيوب الطبقات العليا في المجتمع موضوع القرض و تبقى العامة و أنا منهم هم الخاسرون حيث أن العولمة تدمر كل شيء بإذن أمريكا. تدمير حقوق الإبداع و الإختراع الفكري و الأدبي و تدمير أيضاً البيئة و هي بإختصار في نظر المناهضين ستؤدي بشكلها الحالي إلى نهاية سلطة الدولة و تأتي بنظام بديل الذي يهدف بالنظام العالمي الجديد أي المواطن العالمي الغربي يفعل ما يراه بدون اللامبالاة في القيادات السياسية في الدول المتأخرة. و تذهب حرية الإنسان و حقوقه إذا بقيت العولمة بشكلها الحالي كما تعيشها حالات الصومال و البوسنة و دارفور و رواندا حيث ظهرت العنصرية و العشائرية و القبلية و الحروب الأهلية و تراجعت حقوق الإنسان و الديمقراطية.

6 - تحديات العولمة في الوطن العربي و الإسلامي:

بعد مناقشة أهم المفاهيم الرئيسية للعولمة، نتناول تحديات العولمة في الوطن العربي و الإسلامي فكما سبق أن أشرنا ليست العولمة شيئاً محددًا بذاته نقف إلى جانبه أو ضده و إنما هي مجموعة مختلفة الإتجاهات المتعارضة أحياناً، و التي يجب الوعي بها و التعامل معها و ما يصاحبها من فهم و واقعية، كما ينبئنا التاريخ، عندما نحاول أن نتعرض إلى بعض تحديات العولمة، فإننا لن ولم نتمكن من إحصاء كل التحديات، بيد أنها جميعاً تتأثر أو تتأقلم بطريقة أو أخرى بمفاهيم "العولمة" التي أشرنا إليها سابقاً. غير أنني هنا أريد أن أتناول بعض تحديات العولمة بالنسبة للوطن العربي و الإسلامي. و يمكن تلخيص المسألة بالعبارات الآتية:

لعل الحروب الصليبية التي وقعت في القرن الحادي عشر و استمرت قرابة ثلاثة قرون بين الغرب المسيحي و المشرق العربي المسلم، و كان الإنتصار فيها حليف المسلمين، و الإتهام للمسيحيين، حيث إستعاد المشرق المسلم بيت المقدس و بسط سلطانه على ولايات الشام بيد أن الغرب المسيحي إستفاد هو الآخر من هذه الحروب و الأحداث الدينية تحت راية الصليب، إستفاد من هزيمته بحركة الإصلاح الديني تحت قيادة مارتن لوثر و جون كالفن تحت تأثير ما عرفوه عن الدين الإسلامي من حرية في التعبير و شرح الكتاب المقدس و من رفع أيضا الوساطة بين الله تعالى و الإنسان، و بحرية التفكير و النقد البناء في جميع مجالات الحياة.¹

و من أجل هذا قاموا بمقاومة الكنيسة مقاومة ضارية و عنيفة، كما قاموا أيضا بمقاومة الظلم القائم باسم الله، و إختاروا مجال المعرفة و قاموا بتحرير الفكر الغربي و حرروا أيضا البيت الأوروبي من الرق البشري في المجتمع الغربي الذي كانت تباركه الكنيسة و رجال الدين طوال القرون الأولى و الوسطى و يمارسه السادة الأشراف و حتى النبلاء أصحاب الإمتيازات و الوجهاء في المجتمع الغربي هذا من جهة و من جهة ثانية قاموا بسيورة تعاونية حقيقية عابرة للحدود الغربية مخترقة للمجتمعات الأوروبية شاملة للثقافات، حيث تم التعاون و الإتحاد ضد المسلمين بإسبانيا و طردهم من آخر معقل لهم بغرناطة عام 1492 فتحرروا و إستعادوا حريتهم و إنسانيتهم و قاموا بتكوين المجتمع الغربي من جديد على أسس علمية بعيدا عن سلطة الكنيسة و رجال الدين و عكفوا على الدراسة الطبيعة و قطعوا فيها أشواطا كبيرة في الفن و الإبداع و الإختراع . يبدو أنهم لم ينسوا الحروب الصليبية و الذل و الهزيمة التي لحقتهم تحت راية الصليب و لم ينسوا أيضا أن العرب المسلمين بإسلامهم يكونون في نظرهم مجموعة إرهابية متوحشة ضالة، و أن بلاد العرب و المسلمين فيها الخيرات الحسان بلاد الفصول الأربعة و هي أحسن بلاد العالم. كما أنها مركز الحضارات و ملتقاها، ثم فكروا و خططوا لغزوها على المدى البعيد، فبدؤوا بالرحلات البحرية و البرية منذ القرن الخامس عشر

¹ ينظر. الدكتور البهي محمد. الفكر و المجتمع الإسلامي المعاصر. مصدر سبق ذكره، ص 13 و ص 143

حيث وصلوا إلى أمريكا الشمالية، ثم طافوا حول إفريقيا و وصلوا إلى القارة الهندية ثم الصين الشعبية، و بعد قيام الثورة الصناعية بدؤوا بالهجوم على قارة إفريقيا و آسيا حيث البلاد العربية الإسلامية. و هذا مرورا بعصر الإنبعث حيث تطورت المجتمعات الغربية و دخلت الدول العربية و الإسلامية عصر الإنحطاط، بينما تخلص الغرب من نظام الإقطاع و دخل النظام الرأسمالي ثم تحول إلى نظام حرب التجارة عند قيام الثورتين الفرنسية 1789 و الأمريكية 1776 بدأ العصر الاستيطاني كما حدث عندنا بالجزائر، حيث إستعمرتنا فرنسا من 1830 إلى 1962، حيث قضت على الهوية الثقافية و طمس الشخصية الوطنية العربية الإسلامية و تشريد أبناء الوطن أصحاب الأرض و الحق فيها إلى مجرد أهالي. قلنا بدأ عصر النهب و إستيلاء على أملاك الغير إلى غاية إندلاع الحربين العالميتين ثم جاءت فترة الإستقلال و الحرية. ثم فكر و قدر أيضا الغرب في بلاد العرب و المسلمين أكثر حذقة بأن الثروة موجودة بكثرة لذا يجب نسق الحكومات بمفهوم العولمة أي التحدي عن الطريق التكنولوجي، و عولمة الإنتاج و التبادل الحر و حرية حركة رؤوس الأموال و الأشخاص و السلع عبر حدود الدول دون أي إجراء جمركي أو أي عقبة أخرى، أما المسلمون في الوقت الراهن صار أمرهم إلى أحزاب و شيع و صارت أراضيهم إلى دويلات و مملكات و سلطنات، قد تناوى بعضها بعضا. و شاعت بينهم الروح الممزقة و عليه تحذهم العولمة لتعمر و تستولي على الثروات الباطنية و الظاهرة، بقدر ما يصيب شعوب البلدان العربية و الإسلامية من حرمان. يواجه العالم العربي و الإسلامي حاليا ظروف العولمة و فتح و إزالة العوائق أمام التجارة و رؤوس الأموال و مطالب بالإندماج في الإقتصاد العالمي، لأن جغرافية الحدود قد إنتهت مع الثورة التكنولوجية الجديدة. و لا بد من أن نشير إلى أن صندوق النقد الدولي أصبح و سيلة في يد الكبار فيما يتعلق بالقرارات السياسية بالنسبة للدول المتأخرة و الأكثر فقرا، خاضعة للإملاءات و صياغة قوانينها داخليا و خارجيا و شروط الكبار، بمعنى أصبح أمام الدول المغبونة و المحقورة عدة تحديات تواجه تحركات مسؤوليها و عدة قيود حيث صار القرار الإداري خاضع للقرار السياسي الذي أصبح يمثل قيادا كبيرا و عائقا حقيقيا لمشروع التنمية في إطار الإنفتاح و عليه صار الإحساس

بالنرفزة و القلق لدى الدول العربية و الإسلامية حيث صار النظام العالمي الجديد في كافة المجالات يظهر منحاز على طول الخط للدول الغنية و المتقدمة تكنولوجيا و يضع عقبات و يخلق مشاكل عدة بالنسبة للدول المتأخرة، و هذا تحدي ما بعده تحدي، لذا يجب إعادة صياغة القرارات التي تتخذ ضد الدول المتأخرة قصد حمايتها في مجالات حقوق الإنسان و المشاريع التنموية المستديمة و مساعدتها لتبني احتياجاتها الاجتماعية و الثقافية و السياسية و تعزيز حقوق الإنسان.¹

7 - الإسلام والصراع الدولي:

قلنا أن هناك عدة مسميات للتحدي حيث تعد الدولة هي الفاعل الحقيقي للعلاقات الدولية، و إنما صارت الشركات العملاقة الإقتصادية و التجارية و الصناعية متعددة الجنسيات هي التي تمارس حقوق سياسية على دول العالم العربي و الإسلامي، كما في ذلك الإملاءات الثقافية و إيديولوجيا و الإعلام، ثم الشبكات المسماة بالمافيا، و التي تعمل في الظل و تستقطب قطاعات كبيرة من النشاطات التجارية بما فيها تبييض الأموال و هلم جرا و التي تتغني بحقوق الإنسان و الديمقراطية، و خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و التي أدت إلى نسف المركز التجاري العالمي و محاولة ضرب واشنطن و ضرب أيضا مقر وزارة الدفاع الأمريكية، إنهمرت على الإسلام و المسلمين. و خاصة الدول العربية بالإتهامات و السب و الشتم بالألفاظ البديئة من طرف ساسة الديمقراطية الغربية، يتجلى ذلك من خلال الهجمة الشرسة الأمريكية على أفغانستان و الحرب على العراق بعد الإحتلال العسكري و التهديدات ضد إيران في هذه الآونة و التي تمثلت في الولايات المتحدة الأمريكية و دول أخرى، إن هذه الفترة تميزت بإستهداف الدول العربية و الإسلامية، لأن ماضيها يشرفها في كل نواحي الحياة من أجل هذا إنطلقت أمريكا و من ورائها الدول الغربية و الصهيونية إلى ما عرف بالنهب الإقتصادي في بلاد الرافدين التي كانت سبب في وصول الحضارة الإنسانية إلى ما وصلت إليه في الوقت

¹ ينظر. المجدوب أسامة. العولمة والإقليمية ومستقبل العالم العربي في التجارة الدولية . الناشر الدار المصرية اللبنانية 2001 ص-

الحالي من تحكم في التكنولوجيا بجميع أنواعها و مبتكراتها. و إن كانت الحرب كما يقال "المنتصر في الحرب و المهزوم كلاهما خاسر إجتماعيا"¹ إلا أن الصراع بدأ مع مرحلة الكشف الجغرافية بعد سقوط غرناطة بالغرب و الحروب الصليبية بالمشرق العربي حيث هزمت الدول الغربية شر هزيمة كما قلنا. غير أن الإحتكار و الإبتزاز اللذان هما شعار البراجماتية الغربية و التي تتعامل بهما الدول المتقدمة مع القضايا السياسية و الإقتصادية فنجد من ذلك مثلاً: في النظريات الميكيفاللية التي تظهر الخداع و الظلم و العنف و إنتهاك حقوق الإنسان تحت دعوى أن الغاية تبرر الوسيلة و ذلك نتيجة للصراع القائم بين المفهوم الإسلامي الذي يتضمن أن الدولة في خدمة المواطن و هي في نفس الوقت عبودية لله و طاعته. و تعمل أيضا جاهدة على التكافل الاجتماعي و إشاعة الأخلاق و المعاملات الحسنة، و تقوم بالدفاع عن القيم الفاضلة، بينما نجد في النظم البراجماتية الإباحية في كل شيء تحت دعوى الحرية، و هي في الأساس تقوم على إبتزاز حاجات الإنسان. بحيث يهملها جمع المال من كل الطرق و بشتى السبل و الوسائل حتى تصبح طبقة متميزة و أخرى محرومة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن تحصل على أدنى شيء من التراحم و التعاطف و الحنان المتبادل، لأن الصراع القائم بين الإسلام و الغرب هو صراع عقائدي إقتصادي سياسي ثقافي. و الدول الغربية في النظام البراجماتي تقتصر مهمتها بالدرجة الأولى في حماية المواطن و الأموال و المحافظة على الأمن و الدفاع عن الأرض. و من ثم البحث عن المواد الأولية و عن الأسواق في الدول المتأخرة لتسويق منجاتها و خاصة في غمار إستعباد و إستعمار الدول العربية و الإسلامية إستعمارا إقتصاديا و دينيا، ثم إستعمارا عقائديا و سياسيا و ثقافيا و فكريا. لأن النظام الإستعماري قائم على أساس ربوي، بينما الإسلام دين المواءمة صالح لكل زمان و مكان.

قلنا بأن الربا جوهر العلل التي يشكو منها العالم و يعاني مما يحمل من أضرار بالمنتج و المستهلك كليهما و يوفر للرأسمال الغربي الربح و المنفعة على حساب الإنسان المغبون و المقهور. عندها تنظر الدول الغربية الرأسمالية للإنسان على أنه كائن مادي و من ثم فهي

¹ ينظر. الدكتورالعزاوي طارق . الفكر و التاريخ الإقتصادي. الطبعة الأولى. مطبعة الزهراء ، بغداد 1971 ص- 52

تتفاعل معه و توفر له المناخ بحيث تبعده عن ميوله الروحية و حتى الأخلاقية، لأن فلسفة الدول الغربية هي فلسفة قائمة على فصل الاقتصاد عن الدين و المبادئ الإنسانية، و أن الصراع القائم في الوقت الراهن هو صراع متعدد المظاهر السياسية و الإقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و الإستراتيجية، و قد حدّ في بعض مناطق العالم إلى الحرب على أساس التطهير الديني و العرقي مثل ما حصل في صربيا حيث تم قصف السكان المسلمين بالصواريخ في البلقان و حتى العاصمة سراييفو و البوسنة، حيث تم تشريد أكثر من مليون مسلم و مذبح شعب البوسنة و الهرسك و ما قامت به قوات الصرب في البوسنة تحت قيادة السفاح سلوبودان ميلوسوفيش الذي مات في سجنه حتى كتابة هذه السطور و كذلك ما جرى للألبان المسلمين في كوسوفا من مآسي دموية على إمتداد أربعة أعوام، و ما زالت آثار هذه الحرب العرقية قائمة حتى الآن في بلاد البلقان. حيث بدأت أزمة الصراع بعد إنحيار الإتحاد السوفياتي كما شرحناه آنفا، مما أدى إلى مذابح و عمليات الإبادة الجماعية و التطهير الديني و العرقي في نفس الوقت، حيث كانت طبيعة الصراع مؤامرة دولية ضد المسلمين من أجل تفتيت وحدتهم حتى لا يشكلوا قومية إسلامية في قلب أوروبا كباقي الدول التي انفصلت عن الإتحاد السوفياتي. و حين نرى بقايا الصراع في سجن أبو غريب في العراق من الإساءات التي وقعت للعراقيين على يد العلوج و أفراد طواقم الشرطة العسكرية و المخابرات الأمريكية تمثل الإنتهاكات لحقوق الإنسان و حرية المواطن كما تقول أمريكا.

و منذ الأيام الأولى لإعلان الحرب على أفغانستان و العراق إعتقلت القوات الأمريكية و من على شاكلتها نحو خمسين ألف مسلم في غوانتانامو، حيث تعرض هذا العدد من المسلمين لإساءات على درجة مختلفة من العذاب و التنكيل و القسوة في جميع مواقع الإعتقال الجبري و في ظل ظروف مختلفة و حتى داخل بعض الدول الأوروبية. هذه الإساءات كانت عبارة عن الإنتقام من المسلمين و الإسلام لأن الرأي العام الأمريكي و الرئيس و الكونغرس رأوا في أحداث 11 سبتمبر 2001 ضربة موجعة من نوع مختلف فالإرهابيون كما قالوا و الذين قادوا طائرات الخطوط الجوية قصد إقتحام المراكز التجارية العالمية و البنتاغون. لم يكونوا كما

اعتادت أمريكا عندما تحارب في أراضي خارج التراب الأمريكي و إنما هذه صراعات قديمة و خاصة بالقضية الفلسطينية، كانت هذه الضربات موجهة إلى قلب التماسك السياسي و الإقتصادي بالنسبة لأمريكا كقوى عالمية حيث قتل عدد كبير من الأشخاص الشيء الذي جعل الكونغرس الأمريكي يقر قانونا بالسماح باستخدام القوة العسكرية، و هذه سياسات و إستراتيجيات هي في الحقيقة إستجابة السياسة الإسرائيلية القائمة على العنف في أراضي فلسطين المغتصبة. و من ثم أصدر الرئيس الأمريكي قرارا حازما و عازما بأن معاهدة جنيف التي تتعلق بأسرى الحرب من أفغان و لا تنطبق على الصراع مع القاعدة. و معنى هذا فإنه يجب إستخدام وسائل و أساليب أكثر عدوانية ضد المسلمين بإعتبارهم مقاتلين خارجين عن القانون. و من ثم إستعمال وسائل أكثر فظاظة و من ثم وجبت ضرورة الصمود و المواجهة عن طريق إستخدام سلاح النفط ضد أمريكا و سحب الأموال العربية من البنوك الغربية الموالية لإسرائيل رغم أن الدول الغربية الآن هي في أعز عنفوانها لأن الصراع قديم بين الغرب و الإسلام و التوتر موجود و عدااء من طرف المسيحية الغربية من العصور الوسطى و حتى اليوم، كون الإسلام خصم قوي رغم الهيمنة الإستعمارية الأوروبية على العالم العربي و الإسلامي.

8 - التقدم التكنولوجي كأداة للقهر:

أستطيع أن أقول أن الإسلام و الصراع الدولي ظاهرة تاريخية منذ الحروب الصليبية و سقوط غرناطة من ظواهر العلاقات الدولية بأنها ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد و متشابكة الخيوط، و يرجع ذلك إلى تعدد الأسباب و الأبعاد و تداخل مسبباتها و مصادرها و تشابك خيوطها و تفاعلاتها و تأثيراتها المباشرة و غير المباشرة، و الصراع في واقع الأمر هو تنازع الأفكار و الإرادات الدينية و حتى الوطنية، لأن الصراع هو أيضا إختلاف في العقائد و في إنتهاج سياسة تختلف عن سياسة أخرى. و الصراع الإسلامي بالنسبة للدولي متنوع المظاهر و مختلف الأشكال، فهو صراع على طول الخط عقائدي و إقتصادي و إيديولوجي الإيمان و الصراع الحالي هو صراع الضغط، و صراع التنازل و التهديد و العقاب و الإستخفاف و الإذعان و التدمير للثقافة و السيطرة و التسلط و الإنتقام و هذا جميعه لإرضاء إسرائيل. و وفقا لهذه

الإشارة، فإن التناقضات الإيديولوجية بين العقيدة و القوى العولمية العظمى الكائنة و المتمثلة في صاحبة الجلالة أمريكا تتمثل في التقدم التكنولوجي كأداة للقهر بصفة مبدئية بوسائل الصواريخ الذكية الموجهة إلكترونيا بحيث تصب أهدافها على نحو متزايد فنيا و تكنولوجيا حتى يمكن أن تكون ذات قدرة فعالة بالنسبة لمختلف الظروف التي تقع فيها مثال الحرب على الإرهاب في أفغانستان و إحتلال العراق حيث تعتبر التهديدات الأمريكية للأنظمة العربية السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية جادة في ميدان حقوق الإنسان و من ثم فإن أمريكا الكبرى و منذ عهد أول رئيس لها جورج واشنطن عام 1789 و حتى كتابة هذه السطور تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أطول عمر بالنسبة للديمقراطية في العالم و هي الدولة الأقوى و الأكثر نفوذا.

إنه بعد الحرب العالمية الأولى رجعت إلى تاريخها الذي وضعه مؤسسو أمريكا و إقتبست تصورهم و خاصة من الرئيس الأمريكي جيمس مونرو 1823¹ و الرئيس وودر ويلسون. كانت الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس جيمس مونرو منعزلة.

أ- مبدأ العزلة

ب- مبدأ الحياد و تجنب الأحلاف

ج- مبدأ أخلافية أهداف السياسة الخارجية.

يظهر لي أن مبدأ العزلة يرجع للرئيس الأمريكي جيمس مونرو و هو ما يعرف بمبدأ مونرو حيث أعلن مونرو مبدأه أمام الكونجرس الأمريكي في 13 ديسمبر 1823. و قال: " إن كل محاولة تقوم بها الدول الأوروبية لفرض نهجها السياسي على نصف الكرة الأرضية تشكل خطرا على الولايات المتحدة الأمريكية" ثم راح الرئيس مونرو يقدم ثلاثة خطوط أصبحت فيما بعد

¹ ينظر. ممدوح منصور ، د.وهبان أحمد . التاريخ الدبلوماسي بين القوى الكبرى. دار الجامعة الجديدة الإسكندرية 2003

بمثابة الإطار الذي يحكم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية بالنسبة لباقي العالم و تجاه أوروبا العجز لفترات زمنية طويلة. حيث يشمل هذه الخطوات:

- أ- إن القارة الأمريكية لا يصح أن تصبح في المستقبل مجالاً للإستعمار الأوروبي من جديد.
- ب- أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنوي أن تتدخل في الشؤون السياسية للدول الأوروبية.
- ج- لا تقبل الولايات المتحدة الأمريكية تدخل الدول الأوروبية في شؤون القارة الأمريكية "فأمريكا للأمريكيين" كما قال ماسنيسا إفريقيا للأفارقة.

و بناءً عليه إنطلقت الولايات المتحدة الأمريكية من مبدأ مونرو على تحقيق أمنها و صيانة كيانها الإستقلالي و الحفاظ على القيم الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الإقتصادية. ثم تتدخل في القضايا الدولية منذ الحرب العالمية الأولى حيث نسفت مبدأ مونرو و من على شاكلته، عندما أقر الكونجرس الأمريكي مبدأ الرئيس ترومان عام 1948 الذي يبيح و يوجز تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في شؤون الدول الأخرى¹ بل فرض حتى المخططات السياسية و التوجهات الإقتصادية العسكرية تفرض فرضاً على باقي الدول و بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى و كانت قد إكتملت خطط أمريكا العظمى و إتخذت مبدأ الدولة العملاقة حيث كانت تهيمن على الأمريكيين في المرحلة الأولى ثم في المرحلة الثانية، إتجهت صوب أمريكا الوسطى و الجنوبية عندما تمت لها السيطرة على بحر الكاريبي و قناة الباناما بعد شقها ثم قامت بالإستثمارات في جميع القطاعات كما إستولت على المواد الأولية في القارة الأمريكية ثم عمدت إلى الإحتكارات النقدية بالنسبة لأمريكا اللاتينية و المتمثلة في الفواكه و القهوة و المطاط و السكر و الكاكاو و الغراء، ثم سيطرت الولايات المتحدة على الصناعات الإستخراجية المتمثلة في البترول الموجود بالمكسيك و حتى فنزويلا و سيطرت على النحاس في الشيلي و البيرو ثم إستولت على القصدير في بوليفيا، كما إستغلت المناجم و المصانع و سيطرت على السكك الحديدية و إستولت أيضاً على شركات

¹ كما جاء في نص قانون دون نيكلز الذي أصدره الكونغرس الأمريكي 2001 أنه يحق و يجب تدخل الولايات المتحدة في شؤون

الطيران بالنسبة لأمريكا الجنوبية كانت هذه هي إحدى إنطلاقات الولايات المتحدة الأمريكية نحو تحقيق مخطط إزدواجية القارات، قارة أمريكا الشمالية التي بيدها القوة العسكرية و النمو الديمغرافي السريع و المؤهل، و التكنولوجيا المعقدة التطوير، ثم رأس المال الضخم، و في أمريكا الجنوبية توجد اليد العاملة الرخيصة و المواد الأولية و الأسواق الإستهلاكية للمنتوجات أمريكا الشمالية و خلال هذه الفترة فترة الثلاثينيات من القرن العشرين الماضي، هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية هيمنة كاملة على القارة الأمريكية و بدأت بالتغلغل في قارة آسيا إلى غاية أستراليا قصد إيجاد المعادن و المحاصيل النقدية في قارة إفريقيا. على أن الولايات المتحدة الأمريكية خططت على المدى البعيد عندما شاركت في الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول الحلفاء ضد دول المحور تحت قيادة ألمانيا و اليابان و إيطاليا آنذاك. و خلال الحرب رأت الولايات المتحدة الأمريكية من صالحها أن تفرض على الحلفاء إستراتيجية إقتصادية للعملة عندما تضع الحرب أوزارها و أتم لها ما أرادت من إتفاقية "بريتون وودز" بالولايات المتحدة الأمريكية خلال السنوات الأولى من الأربعينيات من القرن العشرين المنصرم، و أثناء هذه المفاوضات تم إنشاء المؤسسات الرئيسية التي سيدور في رحابها الإقتصاد المعولم كما يلي:

أ- أصبح الدولار عملية عولمية و كمقياس للقيم الأمريكية و في نفس الوقت وسيلة للتبادل و هيمن على باقي العملات العالمية بحيث يساير و يواكب متطلبات العصر و له صلاحية التجديد.

ب- تأسيس البنك الدولي للإنشاء و التعمير و وظيفته تتمثل في الإقراض للمدى الطويل قصد الإسهام في تطوير التنمية العولمية و ذلك عام 1942.

ج- تأسيس صندوق النقد الدولي و مهمته الإقراض للمدى القصير بواشنطن و كذلك البنك الدولي.

د- حصلت الإتفاقية العامة للتجارة الحرة الجمركية بمنظمة (GATT) عام 1948 و إلى غاية 1995 حيث تم إعتقاد (GATT) التجارة العالمية (WTO).¹

ه- بالنسبة للأمم و الشعوب المغلوبة على أمرها أنشأت ما أطلق عليه آنذاك بـ "منظمة الأمم المتحدة للتجارة و التنمية سنة 1962 و 1964. و يتضح تأثير الولايات المتحدة الأمريكية في شؤون جميع الدول، و تم فرض عليها المخططات السياسية و العسكرية متجاهلة المواثيق و المعاهدات الدولية التي أبرمتها هي كمؤتمر الأمن و التعاون الأوروبي عام 1975، و المعروفة بوثيقة هلسنكي، و التي تدعو إلى منع إستعمال القوة أو التهديد بإعتبار أن ذلك يشكل إعتداء و خرق للمعاهدات الدولية و عمل لا أخلاقي و عدم مشروعيته و مع ذلك فإن أمريكا تهاجم بدون مبرر و في الوقت الذي تختاره و تراه ملائم لبدأ الهجوم و تدعي و تعتبر في نفس الوقت أنها العالم الحر و هي حامية حمى الديمقراطية، غير أن الولايات المتحدة تحتلب أموال العرب المسلمين منذ الحرب العالمية الأولى (1914-1918) إلى يومنا هذا، رغم أن منذ ما يزيد عن أربعين عاما أصبحت الدول العربية و الإسلامية ذات سيادة مطلقة و إستقلال تام لمعنى الكلمة، علما أن الدول العربية تعتبر قلب العالم من الناحية الجيوبوليتيكية و ترتبع جغرافيا من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي على خيرات العالم، بحيث تحتوي على جميع المواد الأولية في العالم بكميات كبيرة و لها موقع إستراتيجي بين القارات و مركز عبور و بلاد الثروة المادية بلاد الكنوز الدفينة و البحار الدافئة و الأراضي الخضراء و المحاصيل الزراعية المتنوعة الوفرة و التي لا تنفذ و بكميات ضخمة و على رأسها الطاقة الهيدروكربونية ممثلة بالبترو و الغاز الطبيعي، بحيث يوجد لدى الدول العربية ما يقارب 72% من إحتياجات العالم من بترو و حوالي 25% من إحتياجات العالم من الغاز الطبيعي.¹

¹ ينظر. بول كير كيرا، وكارين ورد . العولمة الديناميكية. تعريب هشام الدجاني، مكتبة العبيكان الرياض 2003، ص-146

¹ ينظر. فهد بن عبد الرحمن الثاني . جيوبوليتيكية الإقتصاد العربي من . الجزيرة العربية إلى أمريكا الكبرى المستقبل العربي 275 .

على أن الفكر الوطني العربي أصابه العقم الذي حل بالأمة العربية و أبقاها مقيدة، و لم ينفعها إستقلالها و لم تعي الدروس المستخلصة من تجربة الحرب التحريرية، حيث أن هذه الدول سادتها الإختلافات الفكرية و المصالح الشخصية على حساب المصالح العليا للأمة العربية و الإسلامية تمشي بتدبير مع الدول الغربية، لذلك كان الغرب يؤيد دولة ما و يخلق في أخرى التوتر و التناقضات بينها حتى تنهار دولة ما. أضف إلى ذلك أن الإنجليز و الفرنسيين و الأمريكان و إسرائيليين قد إستحوذوا على الأراضي المقدسة بفلسطين. أما العرب فصارت أراضيهم إلى دويلات و سلطنات كما قلنا و صارت عقيدتهم إلى أقوال الفقهاء و المتكلمين، و قد يناوئ بعضها بعضا و ينزل بعضها عن مستوى الحياة الإنسانية حيناً أو يهين بعضهم بعضا في غالب الأحيان، و شاعت فيهم الخرافات، كما كثرت فيهم الأحزاب السياسية و تضاربت الآراء و الأقوال. بينما تكتل الغرب كتلا قوية من أجل تمزيق المسلمين.

كلمة شكر



الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد عبده و رسوله، خاتم النبيين و المرسلين و إمام المهتدين و على آله و صحبه مطالع أنوار التنزيل و مغارب التأويل الذين قاموا بالحق و كانوا به أحرى و على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين و بعد :

ما كان لهذه الأطروحة أن تستوي على قدميها و شكلها و هيئتها الحالية من غير معونة من الله جلت قدرته و أسأله أن يرشدني إلى الحق و يوفقني و يصلني و يلحقتني و يكرمني لما يحبه و يرضاه.

كما أتوجه بالشكر و العرفان إلى الأخ الدكتور الأستاذ أحمد العلاوي الذي أعتز بقبوله الإشراف على هذه الأطروحة و الذي أولاني عناية خاصة خلال هذا العمل كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر أيضا إلى الأساتذة الدكتاترة عبدالأوي محمد و بن شهيدة أحمد و بلحاج العربي و بورحلة علال و بشير محمد راجيا من الله تعالى أن يصدد خطاهم و يرشدهم لما يحبه و يرضاه ، و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل و ساعدني من قريب أو بعيد.

و في الأخير لا أشك أنني إنسان قاصر، عن بيان و إظهار الحق على الوجه الأكمل. و إنما الحق هو الله ذو الجلال و الإكرام و لرسوله محمد صلى الله عليه و سلم الصادق الأمين في أخباره و معاملته السمحاء للإنسانية .

الفهرس

مقدمة عامة:

- 1 -1 تحديد مشكلة البحث..... 1
- 8 -2 أهمية البحث 8
- 13 -3 خطة البحث..... 13

فصل تمهيدي :

- 20 -1 مفهوم العولمة 20
- 23 -2 مميزات العولمة 23
- 27 -3 مقومات العولمة 27
- 29 -4 مشروع العولمة 29
- 32 -5 جدلية العولمة 32
- 38 -6 تحديات العولمة في الوطن العربي و الإسلامي 38
- 41 -7 الإسلام و الصراع الدولي 41
- 44 -8 التقدم التكنولوجي كأداة للقهر 44

الباب الأول : الجوانب العامة لظاهرة العولمة

الفصل الأول: الجوانب الثقافية

- 52 -1 العولمة و الهوية الثقافية 52
- 55 -2 النظام الإعلامي الدولي الجديد..... 55
- 62 -3 ثورة المعلومات و الاتصالات..... 62
- 68 -4 تعدد المفاهيم 68
- 78 -5 تعدد الألوان الحضارية 78
- 89 -6 عولمة المشكلات الاجتماعية 89
- 100 أ- الأسرة اللانمطية 100

102ب- مفهوم جديد للجنس

الفصل الثاني : الجوانب السياسية

1131- العولمة السياسية

1192- عولمة السيادة

1263- عولمة الديمقراطية

1364- الإستكبار و الهيمنة

1445- حرية التعبير

1526- حقوق الإنسان بعد 11 سبتمبر 2001

1667- أمريكا و الإسلام السياسي

الفصل الثالث : الجوانب الاقتصادية

1771- التجارة الحرة بلا قيود و لا حدود

1842- منظمة التجارة العالمية و الهيمنة الاقتصادية

1883- الإستثمار العالمي و توسيع الأسواق و إنهاء العملات

1934- شروط البنك و صندوق النقد الدوليين

2015- الهيمنة الأمريكية على التجارة العالمية

2106- الإقتصاد العربي في عصر العولمة

الباب الثاني : حقوق الإنسان و تحديات العولمة من المنظور الإسلامي

الفصل الأول : مفهوم الإنسان بين العولمة و الإسلام

2231- الإنسان في مفهوم العولمة

225أ- تحرير الأسرة

227ب- المساواة بين الرجل و المرأة في ممارسة الجنس

228ج- إنهاء السلطة الأبوية و القيم الأخلاقية

2332- الإنسان في منظور الإسلام

- 234 أ- التكريم الإلهي للإنسان
239 ب- الإنسان سيد الخليفة

الفصل الثاني : حقوق الإنسان في الإسلام

- 246 1- حقوق الإنسان و العولمة.
250 أ- التعددية السياسية هي شعار العولمة
254 ب- حق الأمن الفردي بعد 11 سبتمبر 2001
257 ج- حق حرية التعبير هو شعار النظام العالمي الجديد
259 2- حقوق الإنسان من منظور الإسلام
263 أ- حق السلامة الشخصية
267 ب- حق الأمن الفردي
270 ج- حق العمل و العيش و الضمان الاجتماعي
274 د- حق الملكية و توزيع الثروة
278 هـ- الحقوق الإقتصادية و العدالة الضريبية
285 و- حرية الرأي و التعبير و التجمع
290 ن- حقوق الأقليات في الإسلام
292 ر- حق التعليم
300 ز- حقوق الدفاع و الضمانات القضائية في الإسلام

الفصل الثالث : حقوق المرأة و العولمة في ظل الإسلام

- 308 1- حقوق المرأة هي قميص عثمان في نظر العولمة
311 أ- الدعوة على تحرير المرأة
314 ب- المساواة بين الرجل و المرأة
320 ج- الإباحية و إنحيار القيم الأخلاقية
323 د- إستعمال أنوثتها

- 327 هـ- العولمة القديمة : الغزو الثقافي
- 333 و- العولمة الحديثة : التفرد الثقافي و طمس الهوية الثقافية للأمم
- 340 2- وضع المرأة في الإسلام
- 347 أ- المرأة و حقوقها في الحرية
- 351 ب- المرأة و حقوقها الإجتماعية و الإقتصادية
- 358 ج - الرد على الشبهات على وضع المرأة من طرف دعاة العولمة
- 363 1- عدم مساواة المرأة للرجل في الميراث
- 368 2- عدم مساواة المرأة للرجل في .. الشهادات
- 370 3- تعدد الزوجات
- 375 4- إستئثار الرجل وحده في حق الطلاق
- 381 5- الحجاب
- 385 6- العقوبات القاسية مما يتصل بالمرأة و حقوق الإنسان
- 390 د- طغيان نظام العولمة
- 393 هـ- لطائف التشريع الإسلامي فيما يتعلق بحقوق المرأة
- 397 و- ضرورة التحرر الحقيقي

فصل ختامي

- 405 1- الإسلام و تحديات العولمة
- 412 2- العولمة و الإستيلاء الثقافي و الحضاري
- 419 3- العولمة و العولمة المضادة
- 427 4- العرب و العولمة
- 441 5- الخاتمة : النظام العلمي الجديد صهيوني المنشأ امريكي التصور
- 446 أ- الخيارات المستقبلية للعالم العربي و الإسلامي
- 452 ب- مناقشة العولمة

459 قائمة المصادر و المراجع
491 الفهرس

1 - العولمة والهوية الثقافية:

بعد سقوط حائط برلين و الإتهيار المفاجئ للمعسكر الشيوعي عامي 1990/1989 و دخول العالم في نظام دولي غير مسبوق تغيرت فيه الأحداث التاريخية في ظل ما أصبح يعرف بقرن العولمة بإنهاء الحرب الباردة مع إختفاء الإتحاد السوفياتي نهائيا عن الساحة الدولية و سقط معه نظام الكتلة الشيوعية بالنسبة لأوروبا الشرقية و صولجانها المؤسساتي الذي كان يحكم بيد من حديد، من الطبيعي أن تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم و تصبح محور التفاعل الإقتصادي و السياسي و الإيديولوجي نظرا لحجمها و زعامتها، مما أكسبها فرض السيطرة و التأثير في النظام العالمي بشكل كبير، حيث إحتفظت بوضع القوة المهيمنة الرئيسية التي تميل إلى الأسلوب الفردي في إتخاذ القرارات و تطبيق السياسات العصا الغليظة تجاه الموضوعات الدولية المختلفة، يضاف إلى ذلك أسلوب الولايات المتحدة الأمريكية في تطبيق تشريعاتها القومية خارج التراب الأمريكي و ذلك لصيانة مصالحها الحيوية. و بناء عليه باتت الولايات المتحدة الأمريكية القوى العظمى الفريدة، من خلال مظهرها السياسي و العسكري و الإيديولوجي تيسرت لها إمكانية فرض الأمر الواقع و التحكم في مجريات الأحداث العولمية على عهد نحو غير مسبقين، لأنها قد نجحت إلى حد بعيد و حتى كتابة هذه الأسطر في الإبقاء على تماسك المعسكر الليبرالي الأطلسي تحت قيادتها مما هيا لها القيادة و الريادة على المعمورة، لقد أوردنا هذه الأمثلة بشيء من الإطالة لتأكيد صورة عامة للعولمة و الهوية الثقافية التي جاءت على إثر سقوط جدار برلين و زوال توازن القطبية الثنائية و ما رافقها من تحولات و تغيرات بالنسبة لنهاية الصراع بين الليبرالية و الشيوعية، عاد الغرب من جديد في مرحلة ما يطلق عليها بعد التحرر، فأنتج و أفرز مفاهيم جديدة قديمة في عالم ذي القطب الواحد. مثل عولمة الهوية الثقافية¹ ، صراع الحضارات، نهاية التاريخ، ثورة المعلومات و التكنولوجيا و كل ما يتصل بالثورة العلمية و تأثير الثقافة الأمريكية و سيطرتها على العالم و

¹ ينظر. أ.د أبو أصعب صالح (و آخرون) . العولمة و الهوية الثقافية . الطبعة الأولى ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان الأردن

تعميمها بالنسبة للنخب الحاكمة أو الصفوة التي تأمركت من رجال السياسة و المال و الأعمال و الأتباع و الأحلاف. ثم جاءت الثقافة العولمية و التي يطلق عليها ثقافة بعدما بعد المكتوب، هذه الثقافة جاءت نتيجة لإختفاء و إحتضار الثقافة المكتوبة، حيث حلت محلها ثقافة الصورة في فضاء عالمي. إنما الأنشطة لها من القدرة و التأثير مثل ما هو الحال بالنسبة لحركة الإقتصاد و رؤوس الأموال التي إستطاعت مع ما يفرض ذلك من تنافس تحطيم الحواجز الجغرافية الجمركية. بحيث تعتبر ثقافة الصورة أحد الأوجه لمفهوم العولمية الرئيسية بمعنى أنها هي أيضا إستطاعت تحطيم الحواجز اللغوية¹. و تختلف صياغة مكون ثقافي عولمي بين المجتمعات الإنسانية. و نتيجة لتطور التكنولوجيا مما يساعد على إنتشارها و تعميمها قيما و معايير إخراج الدول التي صدرتها. و تشكلت إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية كقطب مهيم إعلاميا في السياسة الدولية في ظل الوضع الدولي مهمتها تصدير ثقافة الصورة بالنظام السمعي البصري. بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي فإن هوية الثقافة اليوم هي إلابول الثقافة و القيم الأمريكية كتعبير عن تراجع معدلات القراءة.

و هنا يكمن خطر الثقافة الأمريكية، حيث أصبح التلفزيون المؤسسة التربوية السائدة و التي تقوم بالترويج لهذه الثقافة، فحل محل الأسرة و المدرسة في التربية. لذا يجب حماية الأسرة من الأفعوان الأمريكي. و نبدأ بالأسرة هي النواة الأولى التي يتلقى بها الكائن المدني الاجتماعي مبادئ و قيم و معايير الثقافة الوطنية و العناية الفائقة و الأسرة هي اللبنة الأولى أيضا في التكوين الاجتماعي من خلال التربية على مجموع سائر أفرادها، و تلقنهم الآداب العامة حتى تكون قوية متماسكة على مبدأ المودة و الرحمة و إحترامات المقدسات التي يتعين الإلتزام بها حتى تتحقق السعادة في تربية الطفل و تنشئته و تلقنه مكارم الأخلاق حيث يشعر الأب بأبوته و الأم تشعر أيضا بأبومتها، في أول مؤسسة تكوينية من مؤسسات الإنتاج الاجتماعي، كما يلحق الطفل مبادئ الهوية بالنسبة للجماعة الوطنية التي فطر عليها و ينتمي إليها لأنه ألف مألوف، و الأسرة تغرس في طبع الطفل حب الإلتناء مع الآخرين في القوالب الأخلاقية

¹ ينظر. د. كاظم نجاح. العرب و عصر العولمة، المعلومات البعد الخامس، الطبعة الأولى ن بيروت 2002، ص 182

العامة ممهدة لسلوكه. و الأسرة هي تلقن الطفل مبادئ لغوية سليمة و عقيدة الإسلام الصحيح حتى إذا بلغ سن المراهقة و مرحلة الشباب قد يهتز فيه مبدأ الانفصال عن الجماعة التي ينتسب و ينتمي إليها بسبب التحقير أو فقد الثقة في المجتمع أو في سلطة الأسرة و شرعيتها، أو سبب الإختراق الثقافي وقد يتعرض إلى شعور الخنق من جانب النظام السياسي و الاجتماعي و حتى الديني. أو سلطة مجحفة في حقه تلزمه بالبحث عن البديل فيتبين له الحرقة إلى بلاد خارج وطنه كحل، غير أن القيم و العادات و الذكريات و التصورات يظل يحتفظ بها في إطار وجدانه و وعيه خلال فترات التربية لتلقنه الأسرة كعلاقة قائمة بينه و بين الأنا الجمعي، و بعد الأسرة تأتي المدرسة هي اللبنة الثانية كمؤسسة للإنتاج الاجتماعي حيث تتولى القيام بعملية إستئناف عمل الأسرة من حيث التكوين و المبرجة للناشئة، و المدرسة تمارس فيها الوظائف التربوية و الثقافية، و تعمل جاهدة على صقل تكوين الطفل الاجتماعي و تنمي لديه ملكة الإدراك و التحصيل بوصفها مؤسسة تربوية، تنفرد بتكوينه و تنمية وعيه و تفكيره في حدود سياسية وطنية تكفل الهوية الثقافية من الإختراق و الإبتزاز قادرة على الوقوف و الصمود في وجه الكيانات الدخيلة و توقفها عند عتبة الباب بالذات و هكذا تؤدي المدرسة وظيفة ثقافية وطنية تمضي في طريق أساسيات تلك الثقافة. و ذلك من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في توحيد الإدراك و مركزة على البرنامج المسطر من طرف المنظومة الوطنية، هذه العملية تبدأ في الأسرة و تنتقل إلى المدرسة ثم إلى العديد من الجمعيات و المؤسسات التي يشارك فيها الفرد مثل جماعات العمل و النوادي و وسائل التكنولوجيا. و اليوم تتعرض الأسرة و المدرسة للإعياء الذي دب فيهما و نال من مفاهيمها و وظائفها بالنسبة للتربية و التكوين، بفعل التحديات المعاصرة للثقافة و الإختراق، و نال العياء من قدرتهما على مواصلة الممارسة و الإستمرار بالنسبة لأدوارهما التقليدية البناءة و الفعالة، نظرا لتدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة و الإعلام و الثقافة التي لا يقصد منها بث الإنتاج الاجتماعي و منظومات القيم و السلوكيات الإنسانية في أوساط الأسرة و

المدرسة.¹ يمكن القول في إطار الحديث عن العلاقة بين الأسرة و المدرسة تشكلان في معناهما الهوية الثقافية و التضامن و الإبداعات و التطلعات إلى مستقبل أفضل، في بيئة إجتماعية مرتبطة بمحيط إجتماعي بحيث يتحول فيه الإنسان إلى مبتدع و ليس إلى محاكاة الغير و الموضة، لأن الأسرة و المدرسة هما المؤسستان اللتان تستحوذان و تهيمنان تأصيل البعد الاجتماعي مع باقي مقومات الهوية الثقافية إذا كانت الفرصة متاحة و متكافئة لجميع الأفراد قصد الحصول على تعليم تكنولوجي مناسب بدلا من تعليم ميتافيزيقي، حيث صارتا الأسرة و المدرسة تفتقدان بالتدرج الكثير من وظائفهما الهوية الثقافية و الاجتماعية بسبب الوسائل المسموعة و المرئية عن طريق التلفزيون و الهوائيات الفضائية المتقدمة تقدما ملموسا، حيث نلاحظ أن هناك تطورا هائلا اليوم في تقديم مبرمج غريب و الذي يحاول مسوقوها تغيير الأذواق و الميول من خلال تزايد كبير في قنوات البث التلفزيوني عن طريق الفضائيات العابرة للقطارات من خلال إستخدام الأقمار الصناعية التي أصبحت منتشرة بصورة لم يسبق أن شهدها العالم من قبل حيث صار التلفزيون اليوم أهم موضوع رئيسي في معظم البيوت و حتى السيارات و الطائرات و القطارات و تحدي ثقافات الحشمة و إحترام الآباء، حيث صارت مشاهدة التلفزيون أحد ممارسات بل الشغل الشاغل اليومي لدى فئات واسعة من مختلف الأعمار و هذا راجع إلى التركيبة الاجتماعية و الإقتصادية و السياسية و الإيديولوجية المؤثرة في النظام الإعلامي الدولي لعولمة الهوية الثقافية.

2- النظام الإعلامي الدولي:

تعتبر قضية الإعلام الدولي من أهم القضايا التي جاءت على إثر الإصلاح الديني على يد كالفن و لوثر كما أشرنا فيما سبق، بعد بداية القرن الخامس عشر، ثم عصر النهضة إبتداءا من القرن السادس عشر ثم بعد ذلك عصر العقلانية و مبشرة بعدها عصر الإنفتاح و التنوير، بحيث تحول النظم الإقطاعية إلى نظم ليبرالية تجارية و بعد ذلك الثورة الصناعية في بريطانيا العظمى و من ثم إنتشرت في مختلف القارة الأوروبية، ففضل هذه الثورة أصبحت

¹ ينظر. إلى العرب و العولمة ، مصدر سبق ذكره ، ص 312 و ما بعدها

القارة الأوروبية تبحث عن إيجاد أسواق خارج قارتها، طبعاً و هذه الأسواق هي إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية حتى جاء مبدأ الرئيس الأمريكي جيمس مونرو 1823¹ حيث تعرضت القارات الثلاث إلى النهب و الإستغلال و الإستعمار و الإستعمار، مما عجل بأوروبا العجوز إلى إشتعال حربين عالميتين أوروبيتين في القارة نفسها، سميتا بالحربان العالميتان الأولى و الثانية² جاء عصر التحرر من الإستعمار الأوروبي الغربي، حيث تحررت غالبية الدول الإفريقية وكذلك الآسيوية.

و بناء على ذلك فإن أوروبا العجوز لا تنسى أسواقها القديمة، حيث بدأت تفكر في إيجاد مفهوم جديد و ظاهرة تاريخية في نفس الوقت و هي تشكيل ثقافة العولمة، لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها النظام الإعلامي الدولي، حيث صار النظام الإعلامي هو القاطرة للتأثير على الجماهير و على القرار السياسي الدولي الذي يغطي الأحداث الدولية عبر مشروع سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية الغاشمة على وسائل الإعلام و المعلومات بواسطة منظومة العمل الأمريكي على مدى القرن الماضي الإعلامي إلى نمط جديد، و في حيز خاص بالنظام الأمريكي الذي يتصاعد يوماً بعد يوم و ليعلن أن مرحلة إختيار المواقف غير الأمريكية و التي تحمل النظرة الرسمية للإدارة الأمريكية قد إنتهى دوره. و بقي الإعلام الأمريكي سيد الموقف و لا يجوز أن يقف أحد أمامه حتى و إن كان محامي قضية ما، لأن قوة الإعلام الدولي المعاصر الذي تحركه الدوائر الصهيونية و الأمريكية و خاصة السياسة العسكرية لصالح الدول الغربية له إستراتيجية إعلامية طويلة المدى للتعريف بقضايا العولمة و دورها الحقيقي الطموح الذي تتطلع إليه الإنسانية قصد التعريف العالمي بقضاياها المصيرية. و بشكل خاص في البلدان العربية و حتى الإسلامية التي تتم بمقتضى المواقف الإيجابية دون أي تزويق. هي مجرد منافذ للإعلام الغربي تدين له بالولاء. كون الولايات المتحدة الأمريكية هي في الحقيقة مصدر للإرهاب في

¹ ينظر. أركون محمد. قضايا في نقد العقل الديني - كيف نفهم افسلام اليوم - ترجمة وتعليق: هاشم صالح. الطبعة الثالثة، دار

الطليعة بيروت 2004، ص 153

² الحرب العالمية الأولى 1914-1918.

الحرب العالمية الثانية 1939-1945

العالم بشكل واضح على مدى القرن الماضي وخاصة و بشكل علمي في حربي كوريا و فيتنام الذي عاشته الصحافة الأمريكية في تغطيتها لأحداث الحرب في الهند الصينية حيث تطورت أساليب الرقابة المباشرة و غير المباشرة و وضعتها تحت الرقابة على مدى سنوات الحرب بمصطلحات سياسية و إعلامية كاذبة مفادها حرية الصحافة المزعومة، لأنها تخلق سيناريوهات كاذبة لخدمة مصالحها، الإحتلال الأمريكي للعراق يندرج في إطار المشروع الأمريكي الاستراتيجي للسيطرة على مصادر النفط، و الطاقة بالشرق الأوسط و حماية إسرائيل، و هي تتلاعب بمفاهيم شتى مثل حرية التعبير و حقوق الإنسان و حقوق الأقليات بينما الحقيقة هي الرقابة العسكرية التي تضغط على أجهزة الحكومة الأمريكية الرسمية حيث تأمر و تفرض رقابة مسبقة على وسائل الإعلام و على المراسلين في ميدان العمليات الحربية و في جميع ميادين المعارك، و هذا ما عشناه خلال حرب الفيتنام عندما أخفقت و وقعت الإدارة الأمريكية آنذاك في معضلة التوفيق بين الشعار المفبرك "بإعادة الديمقراطية إلى الشعب الفيتنامي" كما جاءت بمفهوم الديمقراطية للشعب العراقي و من قبله شعب أفغانستان الفقير و هذا راجع للسياسة الأمريكية الإزدواجية في مواقعها المتعلقة بحرية الشعوب الديمقراطية عن طريق التحقير الممارس على الشعوب العربية و الإسلامية. حيث تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على وسائل الإعلام و تبث ما تراه يرضي المتلقى ثم تسير بخطى مدروسة عن طريق شبكة الإنترنت التي صارت هي الأخرى من أهم وسائل الإعلام في الوقت الراهن لأن الولايات المتحدة الأمريكية معروفة بالمراوغة في ظل الأحادية القطبية. المتمثلة بوسائل الإعلام الجماهيرية عبر خضوعها لتحكم شركات أمريكية و حتى أوروبية بالدرجة الأولى في إعلاء شأن حقوق الإنسان و في محاربة العنصرية كما يقولون (أبارتهايد سابقاً)¹.

ملاحظة:

¹ فرانك جي، لشنز، و جون بول " العولمة الطوفان أم الإنقاذ؟ الجوانب الثقافية و السياسية و الإقتصادية - ترجمة: فاضل جتكر، المنظمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى - بيروت 2004 - ص 495

أمريكا مصدر للإرهاب في العالم، تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة العظمى و الفاشلة في نفس الوقت لأنها تسعى دائما لتضليل العالم الحر و الديمقراطي سواء داخل التراب الأمريكي أو مؤسساته الديمقراطية لديها تهمة الإرهاب ضد الآخرين أمريكا اللاتينية. الإطاحة بالنظم الديمقراطية و إيصال ديكتاتوريات عسكرية.

عموما يمكن القول بأن الفترة منذ 1991 و 1994 كانت فترة تقدم و إرتقاء لصالح كل الوسائل الإعلامية الغربية من صحف و مجلات و إستوديوهات أفلام سينمائية و شبكات راديو و تلفزيون ظلت مركزة في أيد حفنة من صناع القرار الأمريكي في إدارة النظام الدولي الجديد بعد إنتهاء الحرب الباردة، عندما تولت قيادة التحالف الغربي طرد القوات العراقية من الكويت، ثم التدخل الدولي المشعوم في الصومال، حيث لعب النظام الإعلامي دور كبير حول ما نشره من صور و كلمة و أفلام مدروسة تدعو إلى تنميط حياة الحرية بالطابع الأمريكي الغربي التغريبي بشكل ساهم فيه اللوبي الإعلامي الصهيوني بأرائه و أفكاره حتى تخضع الإنسانية لمصائبه التي تصيب الإنسان جراء وسائل الإعلام المستمدة من رصيد فلسفة شعب الله المختار حيث تشكل الحركة الصهيونية النظام الإعلامي الغربي تحت وطأة التحكم في الميادين الإقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية و العلمية و العسكرية و ما سيكون من إستنزاف بأساليب صهيونية خبيثة تتضح بما خطط للعراقيين أن يدخل في حرب ضارية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية الفتية و التي قامت من 1980 إلى غاية 1988 حوالي ثمانية سنوات، حيث إستنزفت كافة قدرات و طاقات البلدين المسلمين، ولم تترك لهم أي قوة أو قدرة أو ثروة بشرية إنسانية، حيث أكلت هذه الحرب خيرة شبابهما و خرجا منها منهكي القوى متأرجحين من هول هذه الحرب. عندما كال كل منهما للآخر أشد الضربات الموجهة، و هذا راجع بفعل جهل السياسة الدبلوماسية لقيادتي الدولتين الجارتين و تشجيع الأمريكان و الروس اللذان كانا يصبان و يرويان ثمار الحرب بما يمتلكان من سلاح و ذخيرة حربية و عتاد مدمر. ثم بعد ذلك جاءت للعراق ضربة من إحتلال إمارة الكويت 1991 فقضت عليه، حيث خرج العراق من الكويت، أقول طرد بإستخدام القوة مهلهلا خاوي القوى منهار من كل النواحي

حتى سنة 2003 حيث نال الضربة القاضية التي فتت عظام الشعب العربي العراقي بعدما فرض عليه الحصار الإقتصادي و السياسي و الثقافي و العسكري الشيء الذي جعل الشعب العراقي يفقد الثقة في القادة لما سببه الحصار من آثار مدمرة وبنفقد رشده و ثقته في النظام القائم يوما بعد يوم حتى جاءت الحملة الأنجلو أمريكية على العراق البلد العربي الذي كان يقلق إسرائيل في 20 مارس 2003 فجر يوم الخميس ذلك اليوم الأسود في تاريخ الشعب العربي ذلك اليوم المظلم فعلا برماد و دخان من شر ما ألقى على الجمهورية العراقية من القنابل الفتاكة و الصواريخ الموجهة التي ألقاها الأمريكان و رماها البريطانيون و من معهم من العملاء كالقوة الكردية التي تطوعت في شمال العراق للتعاون مع الغزاة إسقاط كركوك و الموصل و غيرها من المدن العراقية التي تعرضت للعدوان الأمريكي و البريطاني للقصف الجوي و الصاروخي الذي خرب الوزارات و البنايات الحكومية و المديريات و أحرق المستشفيات و الكليات و المعاهد و المدارس و المصارف و المخازن الغذائية سواء العامة أو الخاصة و بدأت معاول الهدم و السطو و التخريب تعم البلاد و العباد في بلاد الرافدين و تم هذا النهب بمساعدة قوى التحالف الأمريكية و البريطانية حيث شاركت هي الأخرى في عملية نهب البنوك و المتاحف و الآثار التي ترجع إلى عهد الملك المصلح حمو رابي (2500 ق م)¹ حيث أفرغت قوات الإحتلال و من معهم بلاد ما بين النهرين من كل مقومات الحياة الإنسانية و الاجتماعية و الثقافية و الإقتصادية و السياسية، و أصبحت بلاد ما بين النهرين تابعة للتاج الأمريكي هذا كل راجع إلى إستراتيجية وضعها أمريكان منذ عام 1970، حيث كان الهدف الرئيسي الذي خططت له أمريكا هو إعادة هيكلة دول الخليج العربي إلى كيانات ضعيفة هزيلة مبعثرة متناثرة القوى قائمة على أساس البطون و الأفخاذ و العشيرة و القبيلة و خاصة على أسس طائفية و مذهبية دينية و عنصرية و عرقية عن طريق وسائل الإعلام و تسويقه خارج التراب الأمريكي وبهذا تكون أمريكا قد حققت للعدو

¹ ينظر. الدكتور صبحي عبد الحي عمر محمد . الفكر السياسي و أساطير الشرق الأدنى القديم ما بين النهرين و مصر القديمة. الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع . بيروت 1998 -ص 169

الصهيوني في منطقة المشرق العربي الإستقرار حيث أزال أكبر قوى كانت تهدده و تقف ضده. و بالمناسبة ضمنت لنفسها السيطرة على الثروات البترولية و التحكم في هذه الكيانات الهزيلة أي إنشاء دويلات صغيرة نفطية ذات إقتصاد وحيد الجانب مستهلكة و في نفس الوقت غير منتجة و من ثم تكون كعكة غير قابلة للنمو أو الإرتقاء حتى تبقى تحت المظلة الأمريكية و بخاصة العمل على إضعاف قدراتها على إيجاد إستراتيجية موحدة ضد المد الصهيوني صاحب المقولة المشهورة (حدودك يا إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات) حيث جعلت الولايات المتحدة الأمريكية من الكيان الإسرائيلي قوة قوية تهدد في أي لحظة المنطقة العربية لما تمتاز به قدرات عسكرية و تكنولوجيا و سلاح نووي و هي أي إسرائيل فوق القانون الدولي و تفعل ما يجلو لها تقتل من تريد أو تهاجم متى تشاء و كيف تشاء و هي تمتلك ترسانة جرثومية و غازات الأعصاب بأيدي الرئيس جورج دبليو بوش (الإبن) الذي أطلق يدها في إبادة الشعب الفلسطيني و قيادته و خير مثال على ذلك إستشهاد الشيخ أحمد ياسين أحد مؤسس حركة حماس الفلسطينية الذي إغتيل بالصاروخ الأمريكي موجه بالأقمار الصناعية (رحمه الله) رغم أنه شخص معوق. كل هذا في زحمة القرارات و الاجتماعات السياسية و البيانات الداعية إلى "نظام جديد" في إعلاء شأن حقوق الإنسان في النظام الدولي الجديد و السياسات الإعلامية الدولية إحدى سمات البارزة للمشهد الدولي العالمي الذي عاشته الصحافة الأمريكية و الرأي العام الأمريكي عن طريق المراسلين الحربيين لعدد من شبكات الإعلام العسكرية الأمريكية، حيث تحتكر أمريكا لوحدها أكبر وسائل الإعلام في العالم منذ أوائل القرن الماضي حيث تطورت وسائل الإتصالات الجديدة، و صارت مفتاح السلطة الأمريكية و النفوذ، بنظر خبراء الإعلام، حيث تدفق المعلومات و تبث الأفكار و المواقف متمركزة في أمريكا الأكثر جبروتا و هذه الأفكار تميل إلى رسم الإطار المناسب للسياسة الخارجية الأمريكية على الصعيدين الإقتصادي و الاجتماعي، عن طريق تزواج التلفزيون مع التكنولوجيات الجديدة مثل إتصالات الأقمار الصناعية بما فيها أقمار البث المباشر و أقمار التجسس، و شبكات الإتصالات البعيدة التي كانت قنوات

لكميات هائلة من تدفق المعلومات عبر القارات. خلال عقدان كاملان من القرن الماضي و بداية القرن الحادي و العشرين، و هذا بداية من ربيع بكين أو مذبحه تيانامين في الصين و حرب الخليج في أواخر الثمانينات و أوائل التسعينات من القرن العشرين الماضي، نجحت القوات الأمريكية في توسيع الأخبار العالمية و كذلك قناة الجزيرة تغطي إلى حد ما صارت القنوات الأمريكية تقولب الأحداث بالفعل الأمريكي و تشكل جزء منها و مثل هذه القوة المتغترسة لم تقف عند حدود اجتذاب مشاهدين جدد، بل و أجبرت شبكات أخرى أمريكية على إعادة النظر بمقاربتها للأخبار من حيث الجوهر، و أظهرت القنوات الأمريكية تغطية الأحداث الخليجية مدى قدرة أية شبكة دولية على العمل. ربما تكون هيئة الإذاعة البريطانية و غيرها من الشبكات العالمية تبث أخبارا و لكن لا تمتلك مدى ضخامة القنوات الأمريكية نظرا للتغيير الحاصل في مسيرة تطور نظام الأخبار العالمي. و التي تهيمن عليه وكالة الأخبار الأمريكية بلا منازع في إيصال الرسالة الإخبارية الأهم و التي تغطي من قبل التلفزيون الفضائي العالمي. زد على ذلك عدسات آلات التصوير و التي تشكل أداة قوية في إيصال الرسالة الإخبارية. و التي تتبنى في غالب الأحيان إطارا مؤيدا للديمقراطية الأمريكية و ذلك لتمكين المشاهدين على الإطلاع على جميع التصريحات ذات الشأن بغض النظر عن الصورة هل هي جديدة أم قديمة؟ و القنوات الأمريكية متضمنة أشكالا من الإشاعات التي تبث على الأثير و معلومات كالإجتياح العراقي العسكري الوشيك للكويت 1990 و كذلك الإجتياح العسكري الصيني لساحة تيانامين، و هذا البث يحدث غالبا مدة أربع و عشرين ساعة قبل الموعد الإشاعات الأمريكية لها من الضخامة في سياق الأخبار، لصالح جمهور تلفزيوني عالمي طوال أربع و عشرين ساعة أيضا و نظرا لأن الشعب الأمريكي بأكثرته يعد كآلات الأنباء التي تدار من قبل أجهزة الحكومة الأمريكية و أدواتها السياسية، فإن أخبار الشارع تنتشر عن طريق الإشاعات، حيث يعتبر أسلوب الإشاعات هذا سهل تستطيع التكتلات السياسية توظيفه لصالحها عن طريق منظمات إعلانية كشرط فيديو خلال الأزمة و

بدايتها و حتى نهايتها كالمستنقع العراقي الذي وقعت فيه أمريكا عام 2003 و الحرب على أفغانستان 2001 نظرا لتطورها بالنسبة للمعلومات دون قيود أو كوابح و ثورة إتصالات.

3- ثورة المعلومات والاتصالات:

أحدثت ثورة المعلومات و الإتصالات على الصعيدين الفكري و العلمي حالة من التغيرات السريعة حققت للإنسانية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الماضي، تطورا من طراز خاص و مدهش في التكنولوجيا و العلم و القوة من طرف العالم الأول الذي يتحكم في الثورة المعلوماتية، و التي سيرتها الثورة الإتصالية، الشيء الذي كان تأثيره الكبير على المستوى العسكري و السياسي و الاجتماعي و الإقتصادي و على التركيبة القيمة التي تميز البناء الفكري و الثقافي للأمم و الشعوب عبر العالم. و إستطاعت ثورة المعلومات أن تحدث إنفجارا معرفيا ضخما يتمثل في ذلك الكم الكبير و الهائل من المعرفة في أشكال تخصصات و لغات عديدة، إستطاعت أن تخترق الجوانب و غيرت و بدلت كثير من الأفكار و المفاهيم و المسلمات بواسطة تكنولوجيات المعلومات وسائل الإتصال السلكية و اللاسلكية بواسطة الأقمار الصناعية و الألياف البصرية، و مرورا بجهاز التلفزة و النصوص المتلفزة و الحسابات الإلكترونية التي سيطرت و توغلت ففي كل مناحي الحياة و تزاوجت و إمتزجت بكل وسائل الاتصال. و في هذا الصدد تمثل شبكة الإنترنت الأمريكية الشهيرة أكبر مخزون حيث يتم تخزين المعلومات ما يقارب 21 ألف شبكة¹ معلومات بشكل منظم و منسق بإعتبارها أكبر دولة صناعية في العالم. بحيث يتم ربط الحاسبات الأمريكية للإدارة الأمريكية مع الشبكة الأم ذات تقنيات الإتصال المعقدة و التي توظف التلفزيون و الأقمار الصناعية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية شبكة "أربانيت"¹ ARPANET للربط بين مراكز البحوث و الجامعات الأمريكية حتى تضمن إستمرار تواصل المعلومات بين العلماء و السياسيين أصحاب القرار و

¹ ينظر. مسعد محي محمد . ظاهرة العولمة الأوهام و الحقائق . دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية 2004 ، ص- 24 و ما بعدها.

¹ ينظر. الخولي أسامة (و آخرون) . العرب و ثورة المعلومات . الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005 ص-

صانعي و متخذي الإجراءات المناسبة في حالة نشوب حرب أو خطر مفاجئ و من ثم توصيل ما تراه مناسب السياسة الأمريكية من معلومات إلى الملايين البشر عبر القارات لتوازي بين ثورة تكنولوجيا المعلومات، و السياسة عندما أقدمت على إقامة نواة شبكة للربط بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد و جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس و جامعة كاليفورنيا في مدينة سانتا باربارا و جامعة ولاية يوتا حتى يتضاعف الإنتاج الفكري في مختلف المجالات و تنفجر المعلومات للباحثين و المهتمين و متخذي صناعة القرارات السياسية في أسرع وقت و بأقل جهد. و علاوة على ذلك إستحدثت أساليب جديدة للتنصت و القرصنة ثم تنظيم المعلومات بالإعتماد على الكمبيوتر مع إستخدام تكنولوجيا جد متطورة لمساندة مؤسسات الأعمال قصد نشرها عبر العالم. حيث أصبحت ثورة المعلومات تحتل مكانة الآلة في المجتمع الصناعي، و هذه الظاهرة التاريخية غير مسبوقة إطلاقا في تاريخ الإنسان و الآلة حيث تجاوز دور تكنولوجيا المعلومات و الإتصالات بعد خمسين سنة الأخيرة من القرن العشرين الماضي كافة النتائج الرئيسية للثورة الحاسوبية (الكمبيوتر) حتى الآن، حيث صار التحكم الأوتوماتكي في جميع الإتصالات عبر العالم الخارجي، من شفرة متعددة اللغات و هو تطوير في تكنولوجيا المعلومات، زاد في توالدها وزاد أيضا في تميز الإنسانية و تمايزها ثم خروجها من ربطها بقيود نمطية، التي كان قد فرضها عليها المجتمع الصناعي خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين الماضي، عندما كان الإنسان القارئ قبل ظهور ثورة الإلكترونيات الدقيقة حيث حولت الإنسان إلى إنسان متفرج يعد عصر الإلكترونيات على شاشة جهاز التلفزيون و مدى تأثيره على المجتمع، إضافة إلى تطور تكنولوجيا الإتصال و المعلومات في ربع القرن العشرين الماضي، حيث أصبح ما يطلق عليه المجتمعات المتطورة تكنولوجيا و المصنفة ذات التقنيات العالية و الإبداع و الإقتناء بشكل يناسب ثقافة الدول المصنعة، تميزا لها عن الدول السائرة في طريق النمو، لقد كانت الثورة المعلوماتية و الإتصالات عبر التاريخ التأثير الكبير على المجتمع، خلال عملية الإنتاج الإقتصادية و بخاصة في مختلف أوجه النشاطات الحياتية الاجتماعية و السياسية و الثقافية من خلال ما يتم توظيفه ثم نشره و بيانه الذي يراد توصيله

للجماهير، و الأشخاص أو المنظمات الجماعية أو الطبقة الاجتماعية العريضة التي تتأثر بشكل كبير بوسائل الإتصال، حيث صار المجتمع المعاصر في الدول المصنعة الكبرى و المتطورة تكنولوجيا مجتمعات المعلومات و الإتصالات، حيث عظم تأثيرها في جميع الميادين سواء العسكرية أو السياسية أو الإقتصادية أو الاجتماعية أو رفع الروح المعنوية و النفسية للأشخاص، و تعتبر ثورة المعلومات و الإتصالات جزءا هاما في حياة الشعوب الأمم في القرن الحادي و العشرين أيًا كانت خصائصها و قدراتها و مستوياتها الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافي، و لما كان التطور التكنولوجي هو أداة حضارية جديدة توازي الثورة الصناعية في القرن الماضي، و سخرت قوى الطبيعة و طوعتها لخدمة حاجيات الإنسان من خلال الآلة في أشكال متعددة، أما ثورة المعلومات أي لخدمات فقد ترضي و تهدف إلى التحكم في الآلة قصد القيام بمهام فكرية و التي كانت إلى وقت قريب حكرا على الفعل الإنساني، حيث زادت قدرات العقل في الإتساع و الإبتكار و الدقة مئات المرات، و قد أدى هذا إلى قفزة نوعية في قدرات الإنسان الفكري و الذهنية في مختلف جوانب الحياة، بإعتبار أن العقل الإنساني هو البناء الحقيقي لكل تطور فكري و حضاري و ثقافي. و في إطار ما سبق بدأت تتوسع الأنشطة الإتصالية المعلوماتية و الخدمائية، في مجالات عديدة و إنتشرت بسرعة البرق حتى شملت كل مناحي الحياة و خاصة في المجتمعات المتطورة تكنولوجيا فحيث دخلت إلى المنزل و الورشة و المنشأة و المكتب و المدرسة و تحكمت في عقول الأطفال عن طريق اللعب و التسلية للأنشطة الفراغية و التي جلبت ظاهرة الثقافة عابرة للقارات.

4- تعدد المفاهيم الإمبريالية الثقافية:

و يرجع هذا الإتساع الكوكبي للأنشطة الإتصالية المعلوماتية، كنتيجة لثورة المعلومات التكنولوجية و إندماجها مع مختلف وسائل الإتصال، من أجل تسهيل الإتصال الجماهيري أو الجمعي أو الجماعات الضاغطة، و التي يتم من خلالها تحديد مفاهيم سياسية و إجتماعية و إقتصادية في ضوء العلاقات الدولية بدرجات متفاوتة، و في سياقات متغيرات حتى يتم تنظيم الأمم و الشعوب عبر القارات و ربطها بعضها ببعض عن طريق ثورة الإتصالات و

المعلومات، بأساليب تكنولوجيا حيث إنتهى الحوار الجغرافي الذي كان سائدا و في نفس الوقت يحافظ على الهوية الثقافية. هذه الظاهرة تلقي بضلالها على جميع المجتمعات الإنسانية في القضايا الحساسة، مثل هيمنة الثقافة و نمط الإنتاج الثقافي الذي يجب إتباعه و تنفيذه بلا جدال ،سواء بالنسبة للنظام الإقتصادي أو السياسي، و على كافة دول العالم و خاصة دول العالم الثالث فهي أكثر إمتثالا و ضغوطا لتطبيق ما يطلب منها¹. إن ثورة المعلومات و الإتصالات تخطت و توغلت الحدود الوطنية كظاهرة تجارية و متزاوجة مع نمو الصناعات الإتصالية و المعلوماتية الثقافية ،و التي تعتبر مستوردة من الخارج أو بعبارة أخرى من العالم الغربي و التي بواسطتها يتحكم عن طريق الشركات متعددة الجنسيات في صنع القرار السياسي بالنسبة لدول الشرق الأوسط و شمال إفريقيا و بعض الدول في أمريكا اللاتينية و حتى دول من شرق آسيا التي هي بحاجة لتكنولوجيا الإتصال و المعلومات و خاصة في العقدين الأخيرين من الثمانينات و التسعينات من القرن الماضي، حيث شهدت هذه الحقبة عدة تحولات كبرى في العالم، منها تحول المجتمع الذي كان يعرف بالمجتمع المصنع إلى مجتمع الإتصالات و المعلومات (الخدمائية) و من الإقتصاد الموجه إلى إقتصاد عالمي، بعدما كان إقتصاد وطني منغلق بإديولوجيا معينة بتكنولوجيا بسيطة إلى تكنولوجيا أعلى مستوى. بدأت هذه الظاهرة بالتحولات الإقتصادية من المدى القصير إلى المدى الطويل، المبني على التخطيط الإستراتيجي و البعيد عن النظام المركزي الموجه إلى النظام المحلي اللامركزي بالإعتماد على توجهات المؤسسات و المنظمات المالية التي أعطت للفرد الأهمية القصوى، و الإعتماد على الذات. حيث تتم تطبيق النظم الديمقراطية حتى في النظم الوراثية ،كإمارات و الممتلكات تحت المظلة الغربية ثم تغيير النظم الهرمية و التي كانت تتحكم فيها السلطة المركزية بالعاصمة إلى إشراك المعارضة في جميع المستويات و التنظيمات داخل الدولة، حتى يتم تكامل و تفاعل جميع عناصر التنظيم و هذا تمهيدا للدخول في النظام العالمي بالنسبة للإقتصاد و توابعه من إقتصاد

¹ ينظر .د. زغلول، عماد عبدالرحيم . علم النفس العسكري ، ط 1 ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان الأردن، 2003 ص

حر و أنماط حياتية متشابها عالميا و ثقافيا. و ما زالت تعاني من التبعية و مشاكل التخلف الموروثين منذ الفترة الإستعمارية، فالتقدم التكنولوجي بإعتباره تغييرا في الزمان نحو "الأفضل" مع إنتشار مفهوم الخصوصية و تعاضم هذا الإتجاه في الأذهان هو أمر غربي ثقافي، تسلط على نظام التوزيع لما كانت تقدمه من منتجات جديدة لإشباع حاجات جديدة، أو تطوير حاجات قائمة. و الحديث عن التوزيع هو الحديث عن المستقبل، فهو تضحية بالحاضر من أجل زيادة الإنتاج و ضمان المعيشة والوثام في المستقبل، حيث تعتبر ثورة الإتصالات و المعلومات الحديثة ساعدت على التقريب في المسافات و الأزمات، و حتى القيم الإنسانية في بعض الأحيان تعتبر مقاربة. و تزايد دور النساء في القيادة و الريادة و الصحة الدينية و إنتصار الإنسان الفرد من خلال المجتمع المدني. و هذه التغيرات و النماذج المعقدة و غيرها مرصودة في الدول الغربية و تحدث آثارا في مختلف جوانب الحياة و شملت الدول و الأفراد و المجتمعات على حد سواء، و لكن التقدم التكنولوجي الذي يحدد مباشرة مسيرة التاريخ، بل الصراع حول السيطرة و التحكم بالدرجة الأولى على هذه الوسائل و في جميع المستويات بالنسبة لمن سيطر عليها و من ثم يتحكم فيها و في مفاهيمها و بأشكالها المختلفة، يقود التطور المعلوماتي في المستقبل. حيث إنتهى صراع الإيديولوجيات و بدأ صراع التكنولوجيات منذ عام 1989¹.

و يجب إذن أن لا يفوتنا لحظة سقوط جدار برلين إذ تبعه مباشرة سقوط الإتحاد السوفياتي و إنهاء منظومة الدول الإشتراكية و إنهار الصراع بين الكتلتين الإشتراكية و الرأسمالية بسبب ما تميزا به من توازن في الرعب النووي، و خرجت العلوم الاجتماعية بخرجة جديدة مفادها أن هناك عالما جديدا ينشأ أمام أنظارنا، و ساد الإجماع على أن سنة 1989 هي نقطة الإنقطاع النهائية و التي ظهر معها تداعى النظام العالمي الشائني القطبية و زوال المنظومة الإشتراكية، و تمزق و تفتت الكتلة الإشتراكية و توحيد ألمانيا، و إنتهى زمن الحرب الباردة، ظهرت مفاهيم جديدة و مصطلحات عديدة مثل الكوكبة الكونية، و عاد مذهب النشوء و الإرتقاء يرمز إلى

¹ ينظر . أمين، سمير . جيو سياسية المبريالية المعاصرة. المستقبل العربي: 303 م.د.و.ع بيروت مايو 2004 ص 41

عالم جديد ظهرت فيه الأحداث الدولية المتلاحقة و الأكثر سخونة و سرعة تبادل المعلومات بين مواقع الدول المختلفة، وبين القارات بعضها بعض، بحيث أصبحت شبكات الإتصالات و المعلومات بمثابة ضابط الإقطاع، و تقلص عدد الأفراد داخل المنشأة بسبب تبادل المعلومات بين مواقع العمل لما تبته الخدمة الإعلامية و الإعلانات للأجيرة و المستخدمة. بحيث استطاعت وسائل الإعلام و الإعلان في إعادة بناء نظام عولمي جديد ضمن سيناريوهات أمريكية كونية المقاصد. حيث صار العلم و التكنولوجيا الإتصالية و المعلوماتية و ليست الإيديولوجيا الماركسية التي أثبتت فشلها في جميع ميادين الحياة، لأن التكنولوجيا هي المحرك الرئيسي للمجتمع العولمي و هذا راجع لثورة المعلومات و الإتصالات بين العلماء في مختلف أرجاء المعمورة.

و إذا نظرنا إلى الأعمال حالياً، داخل المصنع نرى تقليل حركة العمال والإستعاضة عنهم بالإتصالات الهاتفية و الفاكس، الذي عوض سفر الأفراد لأغراض المأموريات سواء بداخل الدولة أو خارجها، قصد تخفيض كلفة الإقامة و السفر و توفير عامل الزمان حيث يعتبر الإتصال الإنساني من أبرز سمات ثقافية سابقا و لاحقاً، في وقت مناسب حتى يستطيع إستغلال و إرسال ما يراه مناسباً له. و يدخل في عملية المشاركين ممن تتوجه لهم الرسائل المباشرة، و إستقبالها في وقت مناسب للفرد و الأفراد إلى غاية نظم البريد الإلكتروني، و يتم إرسال الرسائل مباشرة من المرسل إلى المرسل إليه و يستقبلها من أي مكان شاء. زد على ذلك التلفون النقال ثم تلفون السيارة الباخرة الطائرة و الفاكس لتصوير البرقيات و المستندات و وزنها عدة أوقيات و جهاز الفيديو و الذي يوضع بجيب الإنسان و جهاز فاكسيميل الذي يوضع بداخل السيارة ثم حاسب آلي نقال مزود بآلة طباعة. و تشابه البقر على كثرة الإتصالات التي يستخدمها الإنسان، و وسائل إتصاله عن نقل المعلومات من طريق لآخر، كالتكنولوجيا التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة، كما شاع و ذاع إنتشار وسائل الإتصال حول العولمة بالنسبة لكل فئة من فئات المجتمع.¹ إن ظاهرة

¹ حيث تعطي شبكة السي أن أن الأمريكية أكثر من 150 دولة وبلغات عدة.

الإتصالات، بواسطة توظيف الكاميرات التلفزيونية الإلكترونية المحمولة في موقع ظاهرة إجتماعية أو طبيعية. سواء كانت كاميرات تنقل الحدث نقلا مباشرا أو على الهواء أو ليذاع بعد حين عن طريق الأقمار الصناعية لتبثه للجماهير ذات طابع عولمي، وأحدثت ثورة الإتصالات المعلوماتية في الوقت الحالي طفرة هائلة في ظاهرة الإعلام العولمي حتى صار الإنسان لا يفرق بين ما هو وطني وما هو دولي، لأن تطور تكنولوجيا الإتصال و المعلومات قد إكتسبت بعدا عولميا و قفزت بمعدلات غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية عن طريق هوائيات إستقبال الأقمار الصناعية.

4- تعدد المفاهيم:

إن تعدد مفاهيم الإمبريالية تحتوي في حقيقة الأمر على تهديدات و مخاطر للإنسانية في القرن الحادي و العشرين، كما تحتوي على إمكانيات و توقعات دخلت في القرن لحادي و العشرين هائلة و مثيرة في شتى مجالات التكنولوجيا و التقدم العلمي و المعرفي. و قابلة للإستغلال العائلي في جميع الميادين. بيد أن مفاهيم العولمة الإمبريالية بالنسبة للنظام العالمي الجديد تبشر بمخاطر على مستقبل الإنسانية و الحضارة، خاصة و أن التوجه العام للسياسة الغربية المتمثل في الشركات و المؤسسات المالية، التي غزت أسواق الدول المتأخرة و فرضت عليها الهيمنة في إتخاذ القرار السياسي، و الإستغلال الإقتصادي و الثقافي على إمتداد العقدين الماضيين، تبين تنامي الإندماج لأسواق السلع و الخدمات و رؤوس الأموال، بقدر متزايد الهيمنة الغربية و ما ترتب عليها من آثار متنوعة كتغيير المسرح السياسي بالنسبة للعالم كله. إنها سيرورة تعاون غربية حقيقة عابرة للحدود محترقة للمجتمعات، شاملة للثقافات، و التحديات التكنولوجية و الإستراتيجيات التي تساعد على زيادة إنتاج الشركات العابرة للقارات و القابضة بسرعة على الحواجز التي ستحوّلها إلى إمكانيات خاضعة للتجارة الدولية في السلع و الخدمات و حركات رؤوس الأموال. عبر وسائل الإتصالات المسهلة بصورة فائقة و هائلة

CNN : "Chicken Noodle News" c'est-à-dire une "soupe facile à préparer mais de mauvaise qualité".Google.com

تقوم المفاهيم الإمبريالية بجر الإنسانية إلى العولمة بما فيها دول العالم الثالث إلى حلبة الثقافة الغربية تقوم المفاهيم بخلق مفاهيم متعددة:

أ - مفهوم إيجابي:

مع قيام الإنطلاق الإقتصادي و التجارة الحرة، و النقل السريع للفكر و المادة عن طريق ثورة المعلومات و الإتصالات كسبت العولمة ديناميكية حركية قائمة على التنظيم الشبكي المثمر بين الأمم و الشعوب، و الذي بفضلها تحقق العولمة أكبر إنتصار في ميادين الإرتباط و الإتصال، و الترابط بين البشر على مستوى المعمورة، بغض النظر عن الثقافات الوطنية و الأعراف و السلالات و الأجناس. نظرا لإستخدام التقدم التكنولوجي الهائل بالنسبة لوسائل الإتصالات و الإعلام و سرعة السفر بين القارات في ساعات معدودات طالما الطائرات قربة المسافات بين كافة الشعوب، وخاصة أن العولمة فتحت الأسواق للشركات العالمية ذات النشاط القاري و التي تمتلك مزايا كثيرة بالنسبة للتفوق التنافسي الفائق، و من ثم فإن العولمة تقوم بدور الإنتخاب الإنتقائي للأكثر ذكاء ودهاء، حتى و إن تشابكت المصالح و إختلقت فإن الخبرات و التكنولوجيات تساهم في إستغلال الخيرات و الحاجات، و تعمل على السلام و الرفاهية و التعاون بين بني البشر. فإذا كانت سياسة فتح الأسواق أمام الرؤوس المفكرة و المديرية و التي تتحكم في التكنولوجيا والتقنية الحديثة سوف تفتح مجالات و أبعاد غير مسبوقة في تاريخ البشرية في الإنتاج و رفع الإنتاجية، و في تقليص و تدني التكلفة، و من ثم خفض أسعار المنتجات و في نفس الوقت تحقيق أرباح معقولة، حيث يعمل الجميع و تتقلص قوى الشر و العدوان و تنتهي و تنعدم الصراعات و المنازعات العرقية و العنصرية، عندما يتم توزيع الدخل العالمي بشكل عادل. و يكون المواطنون متساوون في العدالة و القانون و هم أيضا متساوون في الحقوق و الواجبات و لا تميز بينهم في ذلك بسبب الدين و الجنس و الأصل و اللغة أو الهوية و إختلاف اللون و اللسان، و يتعاون الجميع في إطار طبيعي نحو الأرقى و الأفضل و تترجم هذه المفاهيم على أرض الواقع في إطار حضاري تضمنه و تجعله

أمراً متاحاً، موثيقاً الدولية¹ و مبادئ حقوق الإنسان. هذا المفهوم الإيجابي للعمولة كان أملاً ماثلاً منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، و توقيع الموثيق الدولية فيما يتعلق بشأن حقوق الإنسان و التبشير بالتنمية و بمبادئ السلام و التعاون بين الدول و المساواة في السيادة و قيام المؤسسات الدولية. بدءاً بعصبة الأمم و الإنتهاء بالأمم المتحدة و محكمة العدل الدولية و مجلس الأمن، و إتفاقية الجات لما لها من مطالب و مقاصد سواء للدول الصناعية أو المتأخرة أو عالم الكآبة. حيث يعتبر التطور التكنولوجي الذي شهدته العالم في العقود الأخيرة من القرن الماضي شكل جديد من التعاون الاجتماعي، مع نشود طبقة ثقافية ممتازة في الآونة الأخيرة التي تسيطر على التكنولوجيا و تحتكر التقنيات العالمية، و هذه النخبة من محتكري و مسيطري على هذه التكنولوجيا هم بالطبع يمتلكون مصادر العلم و المهارة و المال، مما يؤدي إلى حدوث تنمية بشرية ذات تقنيات عالية بالنسبة للدول الصناعية الكبرى (7G) + روسيا و بهذه التقنية تزيد الهوة بين أغنياء المعلومات و الإتصالات و فقرائها، غير أن العمولة من إيجابياتها أنها مليئة بالفرص التي تشمل الخدمات و تكنولوجيا المعلومات و الإتصالات و المواصلات التي تمكن من تصميم المنتجات حيثما توجد اليد العاملة ذات المهارات و المعرفة الضروريتين مع إنتاج المطلوب في أرض ببقعة يمكن صناعتها فيه، ثم إيصالها و شحنها للزبون حسب الطلب و الذوق.

قلنا بأن العمولة مليئة بالفرص كما هي مليئة بالتهديدات، و أهم هذه الفرص التي أجتتها العمولة هي تلك المعرفة الكامنة و المضمرة و الشاملة، التي توجد لدى الآخرين و بناء عليه يمكن تطويرها في عدة مجالات كالإقتصاد.

المجال الاقتصادي:

يعالج مفهوم الإقتصاد إعادة تشكيل العالم الجديد إنتاجاً و تسويقاً و تمويلاً و أيضاً تنمية بشرية دون إغفال تأثير الإقتصاد على السياسة و الاجتماع و الثقافة و غيرهم من نواحي

¹ ينظر. الأستاذ علي عباس حبيب . حجية القرار الدولي . الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي القاهرة 1999 ، ص 12

الحياة، و ذلك من خلال مؤسسات إقتصادية عالمية بالغة الضخامة لدرجة غير مسبوقة كذلك ينبغي أن نتذكر أن العولمة الإقتصادية تقوم بطريقة سياسات ذات إتجاهات تنموية ثورية بالنسبة للعالم كله منذ إعلان ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، و هو وحدة السياسات المالية العلمية. وفقا لمقاييس النقدية و وحدة عملة عالمية، حيث يتم تطبيق وحدة نقدية في جميع أرجاء العالم، حتى يصبح العالم وحدة متجانسة إقتصاديا و سياسيا و ماليا. دون إغفال الصناعة و الزراعة و الخدمات الإنتاجية لتوفير الخيرات للجميع و على مستوى المعمورة دون إمتصاص دم الفقراء.

المجال الثقافي:

الثقافة بإعتبارها جملة قيم و التي هي منتج واسع التسويق حيث يتم تسويقها لجماعات عديدة في المجتمع المعاصر و على نطاق العالم كله، بأحواله المادية، التجارية، الواقعية بشكل غير مسبق من قبل. و من ثم بروز صور و معلومات و سلع عائدة لأي قطاع من المعمورة على أن تكون متوفرة في كل حارة و في أي وقت و في تناول الأعداد المتزايدة من الإنسانية و على طول الخط. نظرا لتطور تكنولوجيات المعلومات و الإتصالات التي توفر الآن إمكانية الحفاظ على العلاقات الاجتماعية على أساس التفاعل المباشر عبر أي مكان و في أي زمان حول المعمورة و وسائط ثقافية جديدة تتفق مع عصر العولمة.

المجال السياسي:

تعتبر ظاهرة العولمة ظاهرة سياسية إجتماعية منذ فجر الحياة الاجتماعية، حيث دأب الإنسان على صياغة توجيه الشؤون الاجتماعية بمنأى عن السلطة الرسمية في مختلف القضايا السياسية بدءا بالبيت ثم العشيرة و القبيلة و السوق، حتى قيام الدولة الوطنية و المجالس التشريعية و حالات المؤتمرات و البرلمانيات القائمة بشؤون السياسة العالمية و منبع تدفق تيار العولمة التي

هي إنتهاء الحدود بين الدول و ظهور حكومة عالمية واحدة حتى يتم ترسيخ ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

المجال الاجتماعي:

يعتبر المجال الاجتماعي أكثر المجالات التي يبرز فيها المجتمع المدني على نحو إيجابي بالنسبة للعولمة في إطارها المتعاضم، حيث ألقت العولمة بظلالها على حقوق الإنسان و ما له من واجبات و ما عليه من إلتزامات. و لاسيما في الدول المتأخرة التي تنتهك حقوق الإنسان في جميع مجالات الحياة. و عدم إحترام القيم و العادات و التقاليد المعولمة و التي تشير إلى الأبعاد الاجتماعية العولمية، تحت إنشاء قضايا إنسانية لتشمل التأثير على المجتمعات من كافة جوانبها سواء مشاكل إنسانية مشتركة، فيما يتصل بالبناء الاجتماعي الذي يتشكل بالأنساق الاجتماعية في مجموعها العام في إطار المجتمع العولمي الكبير حيث يتم تراجع الولاء الوطني تجاه الإلتماءات السلالية، و العرقية و العشيرة أو القبيلة أو الطائفية أو الوطنية لأن ظاهرة العولمة طريق كسرت الحواجز النفسية القائمة على الخوف، من المجهول في المستقبل. كما كسرت الولاء الوطني الذي هو ركيزة التضامن و التماسك و الإنسجام و القاعدة الأساسية للإستقرار السياسي و الاجتماعي، كما حاربت التكاثر و التحجر و العجز و التراخي في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، المرتبطة بحالات التردد و التقارب و التخبط الهادم للإمكانات الطاقات، و هكذا فقد أطاحت العولمة بالإعتماد على الغير الذي كان يعتبر الوصي على من حكم بالحجر عليه. و الفاقد للأهلية و العاطل عن العمل غير المستغل. زد على ذلك تزييف المواقف و إظهار الكبت و التشاؤم و موت المشاعر و إظهار العقد التي لا تساير عملية العولمة. لقد هيأت النماذج و المثل و القيم و الرمز الذي يشير إلى أن النشاط الرئيسي الذي سيتم إستعماله إضافة إلى ظاهرة العولمة هو نقل كل شيء و إنتقال مجاله حتى يتعولم، ثم تحديد التوجهات و المسارات و المناهج و الغايات و الأهداف و الوسائل و الأدوات و الأساليب حيث تتماشى و عملية العولمة و التوحد على مستوى العالمي. و من مزايا العولمة توحيد الأسواق، حتى تصبح سوقا واحدة ذات إتساع بحيث تشمل أنحاء المعمورة

من شمالها إلى شرقها و غربها، و تصبح الدول عبارة عن دولة واحدة و تصبح البحار و المحيطات بدون فاصلة، بل معابر و جسور بين الأجناس، بدون تمييز و تصبح الأجواء و الفضاء خطوط للتقارب و إنتقال البضائع بواسطة الطيران و الأفراد و الخدمات و المشاركة الفعلية، في الأفكار، و إشتراك الجميع في إستخدام تقنيات و الإتصالات و تسهيل نقل تكنولوجيا المعلومات و إتساع رقعتها، بحيث تشمل الناحية الإقتصادية و السياسية و تطوير الكمبيوتر مع إستخدامه كشبكة إعلامية يستفيد منها الجميع. و يمكن القول بأنه تحديد المسارات و التوجهات و ظهور مجتمعات، و تكتلات إقتصادية و إنتاجية و تسويقية و تمويلية بإطارات ذات كفاءة عالية، تأتي بآثار إيجابية بالنسبة للإنسانية، نظرا لما تمتلكه من مزايا تنافسية فائقة، و إرتقائية، حتى تتزامن عملية العولمة و تتكامل على المستوى العالمي، عندها تزداد و تتوسع و تنمو بشكل متسارع موجة الديمقراطية التي أتاحت لبعض الجماعات أن تأخذ حقها بدون إنتماء للعرقية أو القبيلة، لأن الأفكار العولمية الإبتكارية لا توجد لها أسقف أو حواجز أو حدود تقف عندها، لأن طبيعة الإبتكار للعولمة و آلياتها هيأت صيرورة الفعل الدافع إلى مزيد من الإرتقاء، و التقدم الشيء الذي ينتج كثير من مزايا من بينها النمو الهائل للإختراعات و البحوث العلمية و ما أخرجته المصانع و المعامل من الإختراعات و الإكتشافات و تشجيع البحث العلمي و تطويره على بذل جهد زايد قصد إكتشاف المزيد للإشباع و الرفاهية تزايد ودرجة الإرتباط المتبادلة بين بني البشر على مستوى المعمورة. و الدول و الحكومات و المنظمات و الشركات الكبرى، دولية النشاط و متعددة الجنسيات، لا شك أن عمليات الإتصال و الإنتقال الفعلي للبضائع و السلع و الخدمات و الأفكار بدون حواجز و الوصول لها إلى سوق عالمية واحدة تعالج و تطرح في نفس الوقت البضائع و السلع و تتداول بنفس الطريقة أي بنفس الأسعار و بنفس المواصفات و الشروط، الشيء الذي يبتكر و يخلق في نفس الوقت و اللحظة نوعية و المنتج ذا الجودة العالية حيث التمويل إلكتروني، مع بناء قاعدة فعلية فكرية على العولمة كما هو الشأن بالنسبة لمجموعة الأربع الولايات المتحدة

الأمريكية وكندا و اليابان و مجموعة دول الإتحاد الأوروبي عندما توصلت إلى اتفاقية ميدان تكنولوجيا المعلومات و إبرام إتفاقية تحرير التجارة في تكنولوجيا المعلومات.¹

أ- الآثار السلبية للعولمة:

ترجع آثار سلبية العولمة إلى إضعاف مفهوم الأسرة و العشيرة و القبيلة، ثم إضعاف رابطة الوطن و إضعاف شعور الانتماء الوطني، كأساس لبناء وحدة العولمة، و تهميش الروح الوطنية و إذابة الثقافة في الثقافة العولمية، أو كما يرى بعض الكتاب أمركة العالم، نظرا لإنتشار الثقافة الأمريكية، بعد سقوط الإتحاد السوفياتي و تفكك الدول الاشتراكية و انفصال جمهوريات الإتحاد السوفياتي إلى دويلات هزيلة صغيرة، جراء كسرها و تفتيتها و عدم إستقرارها، و من شأنها تبدو منطوية على التناقض، كمفهوم التعاون الدولي قائما على أساس التعددية السياسية و الثقافية بالنسبة لشعوب العالم، وكانت تسود مبادئ السيادة الوطنية و الإستقلال الوطني لدى الشعوب المتحررة من الإستعمار، وكان لهذا التحرر ثمنه النفس و النفس و صار محرما لا يمكن المساس به، وكانت الإنسانية تتطلع إلى المشاركة في الخيرات المادية على أساس الأخوة الإنسانية لا فرق بين الشمال الغني والجنوب الفقير، فجأة ظهر ما أطلق عليه بالنظام العالمي الجديد بقيادة الإمبريالية المتوحشة الولايات المتحدة الأمريكية تآزرها في ذلك الدول الغربية و حتى الشرقية بعد إضمحلال الإتحاد السوفياتي، و على رأس هذه الدول المملكة المتحدة و ريبية أمريكا إسرائيل، التي فرحت و هللت للنظام العالمي الجديد الأحادي القطب، و التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية جعله نسخة ممسوخة مما عندها من ثقافة كأبوية السلوك الأمريكي الخالص، و بذلك تنمط المعمورة و تجعلها مشوهة و ممسوخة و منسلخة عن ثقافتها و حضارتها و من ثم يتم تهميش المعمورة و القضاء عليها وزنا، حيث تغيب الخدمات الاجتماعية و الصحية و يضطرب الأمن و تغيب الضوابط و القواعد الأخلاقية، وكذا الحشمة من الرجال و النساء و يختلط الحابل بالنابل، و تظهر القوى الطامعة

¹ ينظر. الدكتور رشوان عبد المنصف حسين . العولمة (رؤية تحليلية) قسم الخدمة الاجتماعية بالمعهد العليا بأسوان وقنا مكتبة الجامعة الجديدة، الإسكندرية 2006 ، ص 59.

و الإنتهازية و الإستغلالية، و تظهر الجريمة المنظمة و تنتشر الفوضى و يعم الفساد، و تظهر مفاهيم العشائر و الدوار و الدشرة و الحارة و القبيلة و حتى الحارة و الحومة. بعدما كانت عشائر و قبائل و ممالك و إمبراطوريات عظمى، و هذا كله راجع لسحق الهوية الثقافية، و محو الشخصية الوطنية ثم إيجاد حالة إغتراب بين الإنسان و تاريخه الوطني. و طمس المورثات الثقافية و الحضارية و الإصرار على إتخاذ النموذج الغربي من قبل سكان المعمورة، و هجر العادات و التقاليد التي أنتجتها حضارة الآباء و الأجداد، و ينبغي الإيمان بمبدأ النظام اللبيري على أساس الإيديولوجية الغربية، و التي تتمثل في الوقت الراهن على مبادئ:

أ- تنمية النظام الرأسمالي الحر وتنميط الحياة الأمريكية على مؤسسات الإقتصادية و تطبيق قوانين السوق الحرة.

ب- الإهتمام بحقوق الإنسان على النمط اللبيري الغربي القائم على مبادئ الديمقراطية و الحرية التي إكتسحت معظم دول العالم و إجتاحت حتى الدول المتأخرة و ما كان آنذاك يشكل العالم الثالث و حتى العالم الثاني بالنسبة لمؤسسات الدولة و أيضا المجتمع المدني.

ج- يعمل ساسة دول الشمال حيال دول الجنوب بتدوير ذاكرتها و طمس خصوصيتها بشتى الوسائل و تندرغ بمفاهيم عدم إحترام حقوق الإنسان و الإعلام لمواطنيها و تصون حرياتهم، و العودة إلى المنافسات التقليدية بين الدول المستعمرة و الدول المستعمرة مع تعاضم الإبتجاه نحو المواجهات العسكرية، كما هو حال العراق و لبنان و فلسطين و أفغانستان و الشيشان و غيرها، لأن هذه الدول لم تأخذ بنظام الديمقراطية الغربية نهجا للسلطة الحاكمة، و حتى تشكيل هيئات و منظمات غير حكومية و المجتمع المدني، كما يجب على دول العالم الثالث أخذ مسبقا تصاريح أو موافقات أو إذن أو إجراءات فيما يتعلق بتشكيل الحكومة أو إستفتاء، و إذا كان من حق الدولة الكبرى التي تسهر على النظام العالمي الجديد التدخل بإستخدام القوة العسكرية في الشؤون الداخلية للدولة المارقة (دول العالم الثالث والثاني) من أجل ضمان حقوق الإنسان و إنتهاج السياسة الغربية أو النسق الغربي بلا جدال.

د- لا بد أن تتحرك الدول المتأخرة بخطوات سريعة و فعالة نحو تطبيق الديمقراطية وحقوق الإنسان، على شاكلة النظم الغربية عند تقديم القروض و المساعدات و المنح المالية و حتى الإقتصادية طبعاً بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية على هذه المساعدات بصفتها المفضلة و صاحبة اليد العليا، و تأتي بعد ذلك المجموعة الأوروبية ثم السوق الأوروبية المشتركة و اليابان إذا رغبت الولايات المتحدة بذلك.

هـ- الدول المارقة تفرض عليها العقوبات و الحصار الإقتصادي و السياسي و العسكري و الثقافي من قبل صاحبة الجلالة أمريكا العظمى ثم تنقلها ضمن خانة الدول التي تنتهك حقوق الإنسان و خنق الحريات السياسية، أو تنتهج سياسة غير سياسية الغرب أو نظام يتناقض و النظام الديمقراطي الليبرالي الحر الذي تنتهجه الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

و- سحق المصالح التي تعود بالمنفعة على الدول المتأخرة، عندما تتعارض مع مصالح الغرب وإتهامها بالإرهاب، و من ثم تقييدها سواء عبر الحصار الإقتصادي و السياسي، و من خلال الهيمنة العسكرية و فرض عليها الأشياء فرضاً عن طريق الإكراه في أكثر الحالات بالقوة أو بالقيود المنبثقة عن هيمنة الشركات الأقوى على السوق، ثم التلاعب و السخرية من " مبدأ الإستقلال الوطني " الذي حاربت من أجله و ناضلت شعوب الدول المتأخرة و العربية و حتى الإسلامية، و دفعت و فقدت في ذلك خيرة أبنائها من شيب و شباب بملايين الشهداء، يراهم الغرب الإرهابيون. حيث يعتبر الإرهاب من منظور غربي بعد أحداث يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 م. عندما تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لعدة أعمال إرهابية خطيرة على أراضيها كما جاء في التقارير الصحفية راح ضحيتها آلاف المواطنين سواء من الجنسية الأمريكية أو من الجنسية أخرى، لأن هذه الحوادث القوية و العنيفة في نفس الوقت قد دمرت برجى مركز التجارة العالمي للمدينة الإقتصادية نيويورك "التوأم" و الذي سقط فيه وحده حوالي 3500 قتيل كما ذكرت وكالة الأخبار في شتى أنحاء العالم و في نفس الوقت تم الهجوم على وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاغون" و تم تدمير جزء هام منه وسقط فيه حوالي

600 قتيل، كما نُجت العاصمة واشنطن بأعجوبة من التدمير المحقق عندها قامت الولايات المتحدة الأمريكية بخرق القانون الدولي و ضاعفت على خرق النظام الأمن الدولي الجماعي، بحيث إعتبرت حركات التحرر الوطني و المناوئة للسياسة الأمريكية أو المناوئة لسياسة إسرائيل صاحبة السجل الأسود بالقتل و الذبح و التدمير و التشريد و الحروب العدوانية على جيرانها بدون عذر سوى عذر التفوق التكنولوجي و الحماية الأمريكية على طول الخط "منظمات إرهابية" بينما يعتبر كذلك الإحتلال الأمريكي للعراق و أفغانستان و الإعتداءات الأمريكية على دول العالم، وكذلك الإعتداءات من طرف المستوطنين اليهود المتطرفين على الفلسطينيين أصحاب الأرض و أصحاب الحق و تشريدهم و هدم منازلهم و مصادرة أراضيهم و بناء الجدار العنصري، لا يعتبر في قاموس الولايات المتحدة الأمريكية ذلك إرهابا و إنما دفاع عن النفس!

ي- إستباحة الإستقلال الوطني و التقليل من أهمية السيادة الوطنية للدول المتأخرة، و تحويل شعار الوطنية إلى كيان رخو ضعيف جدا، و غير منسجم و متماسك. و خاصة عندما تكون إحدى هذه الدول تتخبط في مشاكل إقتصادية و اجتماعية، و لا تملك القدرة على التقدم و التطور، أو حتى على إعادة تشكيل ذاتها بشكل يسمح لها وقابل للتكيف مع العولمة. فالإمبريالية قادرة و تملك القدرة على النفاذية للأعماق و ليس التأثير الظرفي على المستوى الإقتصادي و السياسي و الاجتماعي و الثقافي و العسكري. و من ثم فإن الإمبريالية تقوم بسد الطريق أمام الدول المتأخرة بتعقيدها المعروفة و ما تنطوي عليه من نماذج تقليدية إجتماعية، تأيد التعصب الديني، إظهار نظام العشائر حقوق الأقليات الدينية و السياسية إنحياز كلي.

ز- السيطرة على الأسواق المحلية، و التنكر لمبادئ التعددية السياسية و الثقافية، و ذلك من خلال قوى فوقية تمارس سلطتها و سطوتها و تأثيرها ذات النفوذ القوي على باقي الكيانات الأخرى الهزيلة الضعيفة، و من ثم يتم سحقها و دمجها في مؤسسات تابعة للكيان الأقوى.

ينبع كل هذا من مبدأ مركزية الثقافة الغربية التي تعمل على إهانة الدول المتأخرة مع عدم الاعتراف بأي تمييز حضاري أو ثقافي، و يمنع عليها حتى الحق الإستمتاع بهويتها الثقافية و الاجتماعية، و يجب أن تمثل للإملاءات الغربية بدون جدال، و بصفة خاصة إذا الشيء قابل للتعلم، أما إذا كان غير قابل فيتم تهميشه و عزله ثم سحقه نهائيا لأن الإمبريالية هي محاولة إجتماعيا و ثقافيا، بحيث تعلم و تلقنه كيف يعيش وكيف يفكر وكيف ينظم شؤونه ثم فرض التبعية في كل شيء، قد تحدث في بعض المقاومات المضادة و عمليات التشويش تمثل تهديدات خطيرة على كيان الدول المتأخرة، و خاصة على الدول العربية و الإسلامية لأنها ورثت الثقافة الإسلامية الزاهرة و الزاهية، و التي تقوم في واقع الأمر على مبادئ خلقية إنسانية جد راقية، منها المساواة في الحقوق و الحريات الأساسية و عدم الاعتراف بنوعية العرق كلكم من آدم و آدم من تراب.

5- تعدد الألوان الحضارية:

يشير مفهوم تعدد الألوان الحضارية بصفة عامة إلى معان مختلفة، و من ثم نجد له كثيرا من التعريفات. و الواقع أن هذه التعريفات تختلف بصفة عامة في عدة جوانب من بينها:

أولاً:

إفترض صامويل هانتنتغتون أن سبب الصراع الأساسي في النظام العالمي الجديد لن يكون إيديولوجيا بالدرجة الأولى أو حتى إقتصاديا في المقام الأول.¹ و هذا راجع للإنقسامات الموجودة بين الإنسانية. ثم الأسباب و المصالح و عودة المنافسات التقليدية بين الأمم و الشعوب ثم النزاعات العقائدية و الثقافات، حتى وإن كانت الدول الوطنية ستبقى الأطراف الأقوى في الشؤون الدولية، غير أن الصراعات السياسية العالمية ستبقى تهيمن على الساحة العالمية بين الأمم و الجماعات و الحضارات لأن صدام الحضارات سيطغى بدون شك على السياسة الدولية، و بالتالي تكون المواجهات القتالية بين الحضارات، و خاصة بعد زوال الإتحاد السوفياتي كقوة عالمية.

¹ ينظر. بي هنتنغتون سامويل و بيترال بيرغر. عولمات كثيرة. تعريب د. فاضل جتكر مصدر سبق ذكره، ص 170

ثانيا:

إن الغرب مر بصراعات كانت في غالبيتها تدور بين الأمراء و الأباطرة، و الملوك المستبدين و آخرين يقال عنهم دستوريين و الكل يسعى إلى توسيع نطاق حكمه على الآخرين بواسطة الجيوش و القوة الإقتصادية التجارية (الميركانتيلية) و إيجاد الأراضي الخاضعة لحكمهم، و خلال هذه الفترة قام هؤلاء بإيجاد ما يسمى بالدول القومية، و بدءا بالثورة الفرنسية عام 1789 كانت الحروب بين أباطرة أوروبا تختلف من جهة إلى أخرى، ثم ظهرت حروب الشعوب إبتداء من القرن التاسع عشر و دامت إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ثم ظهرت الثورة الروسية و بدأ الصراع بين الإيديولوجيات بين الشيوعية و النازية و الفاشية، و الديمقراطية الليبرالية بعد ذلك. و هذه الحرب ما يطلق عليها الحرب الباردة من 1945 إلى 1989، و أصبح الصراع متجسدا و خطيرا في نفس الوقت بين القوتين العظيمنتين حيث دأب كل منهما على هويتها من منطلقات إيديولوجيتها. و عليه كل الصراعات كانت تقريبا داخل دائرة الحضارة العربية في المقام الأول كما كانت الحرب الباردة و كما كانت بالنسبة للحريين العالميتين و الحروب الأخرى، غير أن الفكر الغربي بدأ يخرج من حقيقته الغربية ليتجه نحو الحضارة العربية الإسلامية، ثم الحضارات الغير غربية، حيث كانت الأهداف الكولونيالية تهدف إلى السيطرة على باقي الحضارات أو جعلها ملتحقة بركب الحضارة الغربية، كونها قاطرة التقدم و صناعة تاريخ التكنولوجيا.¹

ثالثا:

إن وجود هوية حضارية ذات أهمية مستقبلية متزايدة و ربما ستتم صياغة العولمة إلى بعد كبير من خلال حملة التفاعلات الجارية ما بين سبع أو ثمان حضارات، هي الحضارة الغربية و الكونفوشيوسية و اليابانية، و الإسلامية، و الهندوسية، و السلافية و الأرثوذكسية و الأمريكية و اللاتينية، و ربما حتى الإفريقية، سيكون الصراع و الصدام بين هذه الحضارات في

¹ ينظر. بن نبي مالك. فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ

ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر ، دمشق 1981، ص 29

المستقبل نظرا لأهمية مكوناتها على إمتداد التاريخ الإنساني. و هناك الكثير من أوجه الاختلاف بين الحضارات و هذا راجع لما تتميز فيما بينها بفعل التاريخ، و اللغة و الثقافة و التقاليد و العادات و الدين و هو الأهم.

رابعاً:

كانت الحضارات و ما زالت و تبقى متباينة وجهات النظر و مختلفة بالنسبة للعلاقة التي تربط الإنسان بالله، و بين الفرد و الأسرة و الفرد و الجماعة، بين المواطن و الكيان السياسي المتمثل في الدولة، بين الأبناء و الآباء و الوالدات، بين الرجل و المرأة عن طريق الزواج و هناك حضارات متميزة بالنسبة للحقوق... الخ و المسؤوليات، و حضارات ذات مرجعية دينية، للمساواة و المراتب هذه الأشياء، و أوجه الاختلاف هي نتائج القرون الماضية، و ستبقى ما بقي الإنسان و ربما تكون أكثر عمقا بالنسبة للفروق الإيديولوجية أو حتى للأنظمة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية. فالحضارة الإسلامية مثلا إحتزمت باقي الحضارات على أوجه إختلافها و ظلت حامية لها على إمتداد ألف سنة الماضية، ولم و لن تتمخض عن صراعات أو عنف، بل ظلت مسالمة مهادنة و بما أن العالم صار بيتا صغيرا، تزايدت تفاعلاته بين أصحاب الحضارات المختلفة علما أن هذه التفاعلات المتزايدة أدت إلى تكثيف الوعي الحضاري ثم الإحساس بالتفوق بين الحضارات بل داخل الحضارة نجد الفروق الاجتماعية بين الجماعات و المثال على ذلك الهجرة من شمال إفريقيا نحو أوروبا، الشيء الذي زاد من إستشارة مشاعر العداة لدى الدول الأوروبية ضد المهاجرين الأفارقة، وزاد في نفس الوقت المحبة بالنسبة للمهاجرين القادمين من شرق أوروبا، لأن الإفريقي يبقى دائما إفريقي و الآسيوي يبقى دائما آسيوي، وحتى بالنسبة للإستثمارات داخل الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لليابان تكون سلبية من نظيرتها الكندية أو الأسترالية وحتى الأوروبية. و هذه الأوجه تفضي إلى التفاعلات بين أصحاب الحضارات المختلفة مما يؤدي إلى حفز الوعي الحضاري

لدى الأفراد بما يقضى بدوره، إلى تفعيل أو الاختلاف و الخصومات الممتدة، فعلا إلى أن الحضارة الأكثر تكيف تسحق الحضارة الأقل تكيف مع الطبيعة¹ بدون شفقة و لا رحمة.

خامسا:

تؤدي العولمة الإقتصادية الحالية إلى التغيير الاجتماعي على مستوى المعمورة و سلخ البشر و إنتزاعهم من هوياتهم في نطاق التحديث الإقتصادي و التبادلات في التشكلات الرأسمالية العالمية و التطورات في نمط الإنتاج الرأسمالي. حتى يتم إضعاف الدولة الوطنية بوصفها إحدى المقومات بالنسبة لمنابع الهوية العقلية الموروثة و العريقة في حضارة الدولة الوطنية و هذا على مستوى المعمورة. طبعاً يأتي دور الدين إلى ملء الفراغ الحاصل، و هذا من خلال الحركات الأصولية، حيث تعتبر هذه الحركات موجودة في كثير من الحضارات سواء الغربية أو اليهودية أو المسيحية أو البوذية أو الهندوسية، كما هي في الحضارة الإسلامية ذات النخب المؤلفة عادة من أكثر الناس عداءً أو تشابكاً مع الحضارة الغربية. وهم كما يرون أنهم أكثر الناس تديناً، بعدما كفر الناس بالعلمانية و التحلي عنها في مناصرتها في العقود الأخيرة من القرن العشرين الماضي، ظهرت الصحوة الدينية تملأ الهوية و تبين الحضارة حدودها الوطنية بإعتبار أن الغرب قام بدور مزدوج من جهة يدفع عجلة تنامي الوعي الحضاري الغربي و التفوق التكنولوجي، و من جهة أخرى يحتل مركز الصدارة من حيث القوة المادية و العسكرية و الهيمنة الإقتصادية، بواسطة التكتلات بصورة متزايدة وصولاً إلى إعادة ترتيب الأوضاع الإقتصادية على قياس الحضارة الغربية، الشيء الذي جعل بعض دعاة الإلتحاق بالغرب و أسلمت الشرق الأوسط و شمال إفريقيا بصياغة غربية بدون مساومة. و التسليم بالحلول المفروضة من حضارة الغرب حتى تصبح العادات و التقاليد خاصة الأمريكية منها عادة ذات تبعية بين الناس أو لنقل الجماهير الشعبية ثم الإبتعاد كل الإبتعاد على الأصالة و الأساليب الموروثة.

سادسا:

¹ ينظر. البروفيسور زكريا بشر إمام . في مواجهة العولمة. مركز قاسم للمعلومات وخدمات المكتبات الخرطوم، السودان 2000 ص189.

باتت التكتلات أو النزعة الإقليمية الإقتصادية متصاعدة، كتلك الجارية داخل الأطر الإقليمية و الناجحة و التي ستؤدي لا محالة إلى تعزيز الوعي الحضاري بين الأمم الإقليمية كمنطقة التجارة الحرة في أمريكا الشمالية (النافتا NAFTA). حيث تعمل على ذوبان الحضارة المكسيكية و الكندية، في بوتقة الحضارية الأمريكية أي الولايات المتحدة الأمريكية بينما نرى أن الحضارة اليابانية تواجه صعوبات جمة على الصعيد الإقتصادي داخل الكيان الأمريكي و هذا راجع لطبيعة الحضارة اليابانية الحرة. أما بالنسبة لجمهورية الصين الشعبية و هونغ كونغ، و تايوان و سنغافورة، فهي تساعد على دفع عجلة التوسع السريع للعلاقات الإقتصادية مع الصين الشعبية و باقي البلدان الآسيوية ذات الحضارة المشتركة التي ربما سوف تقضي على الفروق الإيديولوجية بصورة إطرادية، حيث تعتبر الحضارة المشتركة شرطا من شروط الإندماج الإقتصادي و الذي الآن هو يتكتل في شرق آسيا، وكذلك بالنسبة لبعض الدول الغير عربية و هي بلدان إسلامية ذات الدين و الحضارة الإسلامية و اللذان يشكلان منظمة التعاون الإقتصادي و هي إيران و باكستان و تركيا و كازاخستان و قيرغستان و تركمانستان و طاجيكستان و أوزبكستان و أفغانستان، و هذه البلدان تعمل جاهدة قصد الإلتحاق بركب المجموعة الأوروبية، ذات السوق المشتركة و العملة الموحدة هي اليورو، و الذي يتحدى الدولار الأمريكي بناء على كيان إقتصادي إقليمي و حضاري (أوروبا العجوز). و كذلك الأسس الحضارية تلعب دورا كبيرا و جهودا رامية إلى بيان كيان إقتصادي كبير، كما يجري الآن في أمريكا الوسطى العمل على إيجاد مجمع إقتصادي يجمع بين الصفتين الأنجلوساكسونية و اللاتينية، حيث تعمل هذه الدول على ربط الإلتقاء العرقي و الديني بالجنس الآري و توحيد الهوية الحضارية و زوال الفروق في الثقافة و الدين و تجاوز المجال الجغرافي. حتى يتم لها تجاوز الخصومات و العرقية وطي صفحة الماضي و إعتناق الديمقراطية الليبرالية يوصفها قيما كونية شاملة، و إتحاد أوروبا المسيحية و أرثودوكسية، بعد إنتهاء الستار الحديدي و إختفاء إنقسام أوروبا الإيديولوجي، و هذا من أجل مواجهة الإسلام الإرهابي منذ عام 1492 حيث ظل الصراع على إمتداد القرون الخالية بين الحضارتين الإسلامية و المسيحية مستمرا ولم

يتوقف، رغم سيطرة آل عثمان على الأحداث التي جرت في شبه جزيرة البلقان بعد إستيلائهم على القسطنطينية و شمال إفريقيا و من ثم بسط نفوذهم على الشرق الأوسط إبتداءً من القرن الرابع عشر و حتى القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، عندما إتخذت الدولة العثمانية قرار سري يتعلق بعقد حلف مع ألمانيا. عندها قامت كل من بريطانيا و فرنسا و إيطاليا مع تدهور القوة العثمانية بغرض السيطرة و التحكم في التركة العثمانية على أجزاء كبيرة من شمال إفريقيا و الشرق الأوسط. بعد الحرب العالمية الأولى، ظهرت ثورات ضد الغرب الذي هو نفسه بدأ ينسحب ويتراجع وهذا تحت ضربات القوة التحريرية التي قضت على الإمبراطوريات الكولونيالية، حيث ظهرت الوطنية أولاً ثم الأصولية الإسلامية ثانياً على المسرح السياسي وظهرت الثروة البترولية وخاصة في بلدان الخليج العربي، التي أصبحت هي ذخيرة الغرب بالنسبة لطاقة، وأصبحت بلدان عربية إسلامية غنية بالذهب الأسود، بل وغنية في كافة الميادين الشيء الذي جعل الغرب يضع جسم غريب داخل الجسم العربي (إسرائيل أوجدها الغرب) حيث اندلعت عدة حروب بين العرب وإسرائيل كانت المجبهات العسكرية المختلفة مع إسرائيل دائماً تمنح هذه الأخيرة مزيداً من النصر على حساب العرب نظراً للدعم الغربي غير المحدود بواسطة حلف الناتو الذي يخطط لضرب أي بلد عربي يقوم بمهاجمة إسرائيل وهذا ما حدث فعلاً، عندما قام صدام حسين بمهاجمة إسرائيل والوقوف في وجه الغرب، ثم تم سحق العراق وتدمير قواته يوم 20 مارس 2003 واحتلاله عسكرياً، من طرف العلوج. وبات العلوج يهددون ويقومون بالتهديدات ضد كل الدول العربية الإسلامية، وتمت سيطرة العلوج على البلدان مصدر للنفط وخاصة دول الخليج العربي، حيث شجعت على قيام أنظمة عربية، ذات أشكال حكم استبدادي فردي غير مناسب. وهذا منذ تاريخ غزو العراق للكويت 1990، عندما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال جيش بالغ الضخامة إلى الخليج العربي بالتعاون مع الدول العربية ضد العراق، وتم للعلوج ما أرادوا. الشيء الذي جعل الحركات الإسلامية تقود القوى السياسية المعادية للغرب، مما زاد في تعقيد العلاقات بين بعض الدول العربية والإسلامية والغرب عندها تمخضت سيطرة الأمريكان على مجلس الأمن الدولي وقراراته،

وهذه السيطرة التي لا يشوبها الامتناع في بعض الأحيان تصويت جمهورية الصين من حين لآخر. بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال في العالم الآن دكتاتورية و لكن في ثوب ديمقراطي مزيف. والآن الحرب تتداول مفهوم جديد هو ميلاد شرق أوسط جديد، سوف تتم تسوية قضاياها السياسية والأمنية عمليا تحت التصور الإدارية الأمريكية الصهيونية، بدلا من خارطة الطريق التي جعلت جبروت إسرائيل العسكرية أكبر قوة قاهرة في منطقة الشرق الأوسط. وبذلك باتت إسرائيل تتخذ كل قرارات مجلس الأمن بل صارت تطبق القرار 195 رقم 1559 الذي ينص على إخراج سوريا من لبنان، والتشديد على المقاومة الوطنية بالنسبة لدول الطوق، وإضفاء الشرعية الدولية على جرائم إسرائيل منذ 1948، وعلى أفعالها التي انتهكت كل الأعراف الدولية عن طريق استخدام الفيتو حق النقض، ومن ثم تفرض إسرائيل على باقي جيرانها جملة الخطط السياسية والاقتصادية التي تراها مناسبة عن طريق صندوق النقد الدولي والمؤسسات الاقتصادية في نفس الوقت، و خنق الأصوات بالشجب والإدانة لمن يخرج عن بيت الطاعة الصهيوني، والآن نرى الولايات المتحدة الأمريكية ترمي بكل ثقلها على سائر أرجاء العالم العربي والإسلامي، حيث ترى هذه الأخيرة هي الحضارة الغربية، وعليه تقوم بتوظيف المؤسسات الدولية، القوة العسكرية والموارد الاقتصادية لإدارة العالم بما يضمن ويكفل لها الهيمنة والسيطرة وحماية مصالحها، مع تعزيز القيم الثقافية (مسلسل دلاس) والسياسية والاقتصادية، مع تبني أفكار حقوق الإنسان كنمط للحكم الديمقراطي الليبرالي الحديث الذي ظهر في الولايات المتحدة منذ قرنين من الزمن الماضي حيث حققت الحضارة الغربية قفزات اقتصادية وعسكرية مع امتلاك الثروة، والتكنولوجيا والآلات والأسلحة الحديثة والمهارات، الشيء الذي جعل الولايات المتحدة تظل متمتعة بالقوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحها في تعاملها مع الحضارة العربية الإسلامية وباقي الحضارات. لذا يجب على الأمة العربية والإسلامية أن تبادر إلى احترام قدر كبير وأعمق من التفهم والمصالحة مع الذات لجملة من الأطروحات الدينية والنفسية و الفلسفية الأساسية، التي تنطوي عليها الحضارات الأخرى

والرجوع إلى المنبع الصحيح الكتاب والسنة¹، حيث لا يتطلب الأمر جهداً كبيراً للتعرف على حضارتنا الزاهرة والزاهية خلال القرون الماضية والحاضرة وفي المستقبل المتطور، حتى تكون حضارتنا قوية شاملة. عندها تحقق التوازن مع الغرب، عن طريق تنمية قوة إقتصادية وعسكرية وتعاون مع المجتمعات الإسلامية والغير الإسلامية الأخرى، حتى تستطيع الوقوف في وجه الغرب، مع التحلي بالحرص على التمسك بالشريعة الإسلامية والقيم والمؤسسات الأصلية النابعة من تراثنا، عن طريق الشورى دون التغرب القائم على التناقضات المتباينة، بسبب تزايد القيم الحضارية الغربية والمتمثلة بشكل رئيسي في:

- الديمقراطية السياسية القائمة انتخاب العام والمباشر.

- الحرية الاقتصادية.

- الحرية الفردية وحقوق الإنسان الربوية في العالم الغربي، وانتشار نمط الحياة الأطلسية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص. في مجالات العلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاستهلاكية، في ظل تزايد الهيمنة الغربية التي باتت تهدد باقي الحضارات بما فيها الحضارة الأصلية في أمريكا الشمالية وأستراليا، التي انقضت أو هي على وشك الانقراض، بما فيها من عادات وتقاليد محلية بدأت تندثر لصالح عادات وتقاليد الأنجلوساكسونية و إنتشار اللغة الإنجليزية المهيمنة عالمياً في مجال التكنولوجيا والإقتصاد والسياسية، و بسبب رأي فرانسيس فوكوياما¹ أن الحضارة الغربية التي ظهرت إلى الوجود مع إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عام 1776، والتي انتهجت الليبرالية الاقتصادية والنظام الديمقراطي الذي تجعل منه المنافسة الحرة هي سيرة العلاقات الإنتاجية. ثم هي تسوغ استخدام كل الوسائل والأساليب التي تزيد من القدرة الإنتاجية التنافسية لهذا القطر أو ذاك، المبالغة في استخدام الأسمدة والمبيدات، وربما استخدام تقنيات جديدة قصد الاستنساخ لإنتاج "يد عاملة منخفضة التكلفة". ومهما يكن من أمر

¹ ينظر. الدكتور أرقه دان صلاح الدين . التخلف السياسي في الفكر الإسلامي المعاصر . الطبعة الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت 2002 ، ص 85

¹ ينظر . فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، و (آخرون) مركز الإنماء العربي القومي بيروت 1993 ، ص 24.

طبيعة الليبرالية وتلك الحرية التي يتمتع الفرد بها من مواطنيها والاستقلال المفرط والجائر للموارد الطبيعية وموارد الشعوب العربية والإسلامية، المغلوبة على أمرها في عصر العولمة سوف يفسح المجال أكثر إلى تعميق الفوارق الاقتصادية، ويزيد من التدهور الاجتماعي والثقافي، وهذه كلها أمور عدم تطبيق المساواة من شأنها أن تعصف بالاستقرار السياسي والاجتماعي للدول، بل وحتى السلام عبر المعمورة. الشيء الذي جعل فوكوياما يدعو إلى التبعية الحضارية والثقافية للغرب الحر الديمقراطي. بل أكثر من هذا يدعو إلى حتمية انصهار وذوبان باقي الحضارات والثقافات في الحضارة الغربية الحالية على اعتبارها أن خاتمة ضرورة التاريخ، لذا يجب على جميع الحضارات دخول بيت الطاعة الغربي بدون جدال، وإذا لم يتم هذا الأمر فستكون في المستقبل انقسام الإنسانية إلى حضارات متصارعة ومتحاربة ومتصادمة ومتناحرة ومتقاتلة، وهنا ينتقد فوكوياما هانتنتغتون الذي يرى أن الحضارة الغربية لها خصوصيات فريدة ومتميزة بيد أنها ليست عالمية ذات عروق وجذور تصلها إلى الحضارة اليونانية أو الرومانية واللاتينية، لأنها قامت على عدة لغات وأديان، ولها تقاليد وعاداتها وقيمها الخاصة بها، وهي تتعلق بالرجل الغربي الأبيض ذا الشعر الأشقر والبشرة الوضاء. ولا يمكن لغيره أن يتقمص لون الحضارة الغربية، حتى وإن أراد ذلك وقام باستهلاك المنتجات والبضائع وركب السيارة وشاهد الأفلام الغربية، واستمتع و تفسح بهويات الثقافة ورموزها، لأن الغربي يعرف من خلال اللغة والدين، وحتى النسب أو السلالات و التاريخ والقيم، والتقاليد والعادات، والمؤسسات الاجتماعية وحتى رموز الهوية صارت أشياء يعتقد بها بل لها دورها الفعال، مثل الهلال بالنسبة للمسلم و الصليب بالنسبة للمسيحي و حتى غطاء الرأس بالعمامة أو القبعة (طربوش) و هذه الرموز تنقل المعارف على المستوى الدولي، لأن الدول بينها صلات القربى الثقافية و الحميمية ومن تم تتعاون في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، والحضارة الغربية هي الآن أقوى الحضارات و هانتنتغتون¹ ينتقد أطروحة فوكوياما القائمة على شعار الحضارة الغربية القائمة على الديمقراطية، وحرية التجارة على أنها الشكل النهائي للحضارة الإنسانية، و

¹ ينظر. بي هنتنتغون سامويل، بيترالبيرغر، مرجع سبق ذكره، ص 253

يستبعد أيضا أطروحات السياسيين المهيمنة على سقوط حائط برلين و إنحيار الإتحاد السوفياتي و الدول الشيوعية بالنسبة لأوروبا الشرقية، و أيضا تهاون الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق الإنسان ويقول: "هذه الأفكار كلها أوهام أكل عليها الدهر وشرب". وهذا راجع لظهور الصراعات العرقية و إنحيار النظم القانونية، و ظهور تحالفات جديدة، و ظهور فاشية جديدة و إتساع ظاهرة الأصولية الدينية، و عجز دور الأمم المتحدة في تطبيق القانون كما جاء في ميثاقها على أن القوي يأكل الضعيف. وظهرت الصراعات الدموية، و ظهرت نزعة أنا و الآخر و نحن وهم، و مفهوم الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب و جغرافية السلام و جغرافية القلاقل والتركات و مناطق اضطراب و دول غنية و أخرى فقيرة، و ظاهرة الروح القبيلة و العشيرة والعرقية الدينية، و ظاهرة المافيا الإجرامية، و ذهبت الأخلاق بتبرج النساء و الرجال. وظهرت ظاهرة الدعارة و المخدرات و المتاجرة بها وبالجنس، و إزدیاد عدد اللاجئين بسبب الحروب في إفريقيا وجزيرة البلقان، و إنتشار الأسلحة النووية و الجرثومية و الجحمة الحبيثة، و تفشي المذابح و الإرهاب الدولي، و ما جرى في البوسنة و الهرسك خير دليل على ما نقول. ليسوا سواء كل من فوكوياما و هانتنتون و المتضرعين المسيحيين الذين يدعون جهارا إلى التطهير العرقي ضد كل من يعتنق الإسلام، و عقيدته التي تنافس الحضارة الغربية بالنسبة للقرن الحادي والعشرين، بعد انحيار العقيدة الشيوعية والصراع قائم بين الإسلام و الغرب. لذا يجب على الإسلام أن يتهيا لحرب طويلة الأمد ضد الغرب، لأن الغرب يفتعل و يخلق القلاقل ضد الإسلام لأنه يعلم علم اليقين بأن الإسلام يشكل نظاما متماسكا، وليس كالأيدولوجيا الشيوعية و الليبرالية التي هي من وضع البشر، لأن للإسلام نظام أخلاقي عالي جدا و عقيدة راسخة خاصة في العدالة الاجتماعية والسياسية و الإقتصادية، و دعوته تتميز بالشمولية الكونية و تتجه إلى الإنس و الجن، ثم إن الدين الإسلامي هو الدين التوحيدي الوحيد على مستوى المعمورة الذي يزداد عدد معتنقيه في الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الآسيوية و القارة الأوروبية، رغم التشويه و الحملات المغرضة التي يتعرض لها الإسلام من طرف بعض الدوائر الصهيونية، بوسائل الإعلام و الكتاب من أمثال هانتنتون و

فوكوياما بتأييد كبير من طرف بعض الفئات الفاعلة في بعض الدوائر الغربية، عندما يقول هانتنغتون أن روح الحضارة هي العرقية اليونانية و الرومانية و اللاتينية و هي أيضا الديانة المسيحية و اللغات الهندوسية، و في نفس الوقت يتجاهل مكابرا عامدا ملايين المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها وحتى في قلب أوروبا كسكان البوسنة و الهرسك و غيرهم، و منهم أوروبيون إعتنقوا الإسلام و تحولوا مسلمين بمحض إرادتهم الحرة. و هذه هي العولمة الإيجابية التي تدعو إلى التعاون بين المجتمعات و الشعوب، في تعليم التكنولوجيا و العلم و المعرفة، التي تعيد للإنسان إنسانيته و وفاقه مع مجتمعه و بيئته، إذا أمكن للمعرفة أن تتحرر و تنصهر في المجتمع الإسلامي الإنساني، بفضل نظم المعلومات الافتراضية علما تقوم بإنتاج العلم و المعرفة في الوطن العربي و الإسلامي و من ثم تعطى لعصر المعلومات حداثة جديدة، حداثة تقوم على نقل التكنولوجيا المتقدمة و توظيفها في العالم العربي و الإسلامي، على أسس مغايرة تحل فيها المشاركة الإيجابية محل الديمقراطية الشكلية و المشاركة العلمية بدل العلمانية بمقتضاها الإيديولوجي، حتى تقابل التحدي الغربي تنجز العلم المتقدم و التكنولوجيا المتقدمة في الوطن العربي و الإسلامي كله، بحيث تتنوع مصادر المعرفة و المعلومات، و من ثم خصائص كل الأمة العربية و الإسلامية ترتبط بها و تتقيد بمصادرها المعرفية، كتلك التي يستقي منها الأذكياء و المهووبين في كل أنحاء الوطن العربي الإسلامي، من أجل الإنخراط في جامعات البحث العلمي، بغض النظر عن هويتهم الوطنية. تؤسس لهذه الجامعات هيئات تدريس من الأساتذة المتفوقين في التعليم العالي الحالي في كافة أرجاء الوطن العربي الإسلامي، ثم إنشاء مؤسسة تعليمية عربية إسلامية تسند لها بعض الخصائص و السمات كإستخدام المعلومات كمورد إقتصادي، حيث تستخدم بعض المؤسسات و الشركات المعرفة لكي تنتفع بها في زيادة كفاءتها لتحقيق التجديد و الابتكار. و هذا بسند من الحكومات العربية و الإسلامية جميعها حتى يتم الإستخدام المثالي للمعلومات بين عامة الناس، و يتم إستخدام بعض المعلومات بشكل مكثف و دائم في النشاطات الإقتصادية و التجارية، التي تشيد في الإستهلاك. كذلك إعتماذ بعض القطاعات الإقتصادية و الإنتاجية على قطاع

المعرفة، كالزراعة و الفلاحة و الصناعات التحويلية و الخدمات الثقافية و الإعلامية و التعليمية. حتى يكون خريجو الجامعات العربية و الإسلامية، في مستوى ينافس خريجي الجامعات الأمريكية و الأوروبية. و هذا ممكن جدا لأن الحضارة العربية الإسلامية هي الآن المنافسة للحضارة الغربية الآخذة في الإضمحلال و الإسلامية الآخذة في الإنتشار بسبب نمو الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي من طابحة إلى جاكرتا و هذه هي الثورة الحقيقية الشاملة التي تحتاج العالم الإسلامي، و أعتقد أن عمادها النساء و المثقفون و الطلاب. فلا تعارض بين الدول الإسلامية و العربية لأن البعدان الإسلامي و العربي يشكلان لحمة واحدة.

6- عولمة مشكلات الحياة:

على الصعيد الاجتماعي ظهر الفقر و التعاون الطبقي و تركزت المشاكل الاجتماعية في جميع القارات الغنية و الفقيرة، و هذا راجع لسلوكيات الإستهلاك المفرط للموارد من قبل البلدان الصناعية الكبرى (روسيا G7)، أو الشمال الغني و الجنوب الفقير أحد أهم مسببات التدهور المعيشي في الدول المتأخرة، هي قيام الغرب من أجل المحافظة على رفاهية حياة البذخ بالنسبة للمجتمعات الغربية الصناعية، بإبتزاز و بإستنزاف الموارد الطبيعية و خاصة في بلدان العالم النامي بشكل دائم و مستمر. و ذلك من خلال الإستعمار العسكري كما هو الحال بالنسبة للعراق في الوقت الحالي، و الضغط السياسي المباشر، أو من خلال السيطرة الإقتصادية بواسطة الشركات العابرة للقارات ذات الجنسيات المتعددة و التي تتحكم في التجارة و التوجيه السياسي، في كافة أنحاء المعمورة حيث يتم إستغلال الموارد الطبيعية بشكل متوحش في البلدان المتأخرة، كما يتم أيضا إستغلال اليد العاملة الرخيصة قصد إشباع حاجيات الدول الصناعية، و تلبية غرائزها الإستهلاكية المتصاعدة دائما في مجتمعات الشمال، بالإضافة إلى المجتمعات الصناعية الغربية بصفة عامة، بدون أن ننسى الأقلية الحاكمة في الدول المتأخرة و التي تمثل الغرب و تتشبه به في الترف و البذخ، و من ثم باتت تمارس سلوكيات إستهلاكية مفرطة في مجتمعاتها الغارقة في الفقر و العوز و هي النخبة السياسية و الجماعات الضاغطة و المسيطرة على زمام الإقتصاد و السياسة في الدول المتأخرة الغير الديمقراطية. و من ثم فهي تمثل مجتمعا

شماليا داخل الدول المتأخرة، حيث يظل مرتبطا عضويا بالعالم الغربي الصناعي الشمالي مما يزيد في بؤس الجنوب المسيطر عليه و متخلف يعيش في فقر مدقع و مطلق¹ و تقاليد بالية و حالة من عدم الإستقرار السياسي، بعد سقوط الإتحاد السوفياتي صارت دول الشمال تسيطر على أكثر من 80 % من الإقتصاد العالمي و التي تتمتع بتفوق عسكري و تكنولوجي جد متطور، الشيء الذي مهد لها من إدارة العالم و قيادته كيفما تشاء، و قد وضعت دول الشمال بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجيات تلو الأخرى قصد البقاء على الهيمنة و القيادة بلا مازع، و تتولى ترشيد دول الجنوب ولم و لن تدخر جهدا في سبيل السيطرة و المحافظة على سيطرتها على الموارد الإقتصادية، عبر العالم حتى و لو اقتضى الأمر شن حروب، و إستعمال القوة العسكرية و تنفيذ الانقلابات العسكرية التي تخدم مصالح الغرب.

إن فكرة مشاكل الإنسان الاجتماعية أصبحت عالمية الصيغة، بيد أن هذه المشاكل و آثارها صارت ذات تفاوت بين المجتمعا فبالنسبة للذين يعيشون تحت خط الفقر في دول الجنوب على ما هو أقل من دولارين في اليوم و دولار واحد في اليوم لدخل ثابت في بعض الدول المتأخرة. و هذا راجع لسقوط القوة السوفيتية و معها الإيديولوجيات الشيوعية، تقف الليبرالية المتوحشة منتصرة مبرهنة أنها نهاية التطور بالنسبة للمجتمعات الإنسانية، و بغطرسة و عنصرية غير مسبوقين عبر العصر الحديث في ظل الهيمنة الأمريكية سيما صارت الشيوعية في خبر كان و في هذا صار التخلف الحضاري الذي خلقه الغرب، ومنذ إنتصار الثورة الروسية عام 1917 إلى غاية سقوطها 1990 بمكايد أمريكية و قوى غربية أخرى. واجهت البشرية مشاكل حياة اجتماعية جمّة، و يتجلى ذلك بشكل أساسي بالوعود الذي قدمها الغرب للسوفيات أثناء قيادة الإتحاد السوفياتي من طرف الرفيق غروباتشوف مقاليد السلطة في البلاد الشيوعية الإشتراكية. و ما يعرف بإمبراطورية الشر أو الدكتاتورية، الشيوعية، وعد الغرب غروباتشوف بالأموال و الرفاه اللذين بشر بهما ميثاق الأمم المتحدة و الإعلان العالمي لحقوق

¹ ينظر. باقر محمد علي نوردم . العولة و مستقبل الأرض . الأهلية للنشر و التوزيع المملكة الهاشمية، الطبعة العربية الأولى، عمان الأردن 2003، ص 82

الإنسان، و في حقيقة الأمر كان هذا فخ الوعود حيث لم تجن منه القوة العظمى التي كانت تسمى في يوم من الأيام الإتحاد السوفياتي إلا الإضمحلال و صارت إلى الإنقراض و لا ضير، و إنتصرت المجتمعات التي إتبعت و إعتمدت المسلك الليبرالي حيث حققت التقدم و الرخاء و حياة البذخ لمواطنيها. بينما بقيت الدول التي كانت تسير في فلك الإشتراكية تائهة و هائمة، برهنت أنها في مأزق و نفاق و معاناة بسبب قرصنة حكامها في عهد تهريب رؤوس الأموال عن طريق الإستثمارات الأجنبية المباشرة بواسطة الشركات العملاقة، المهم أن يتم إلحاق بدول الشمال و يجب السيطرة المطلقة للإقتصاد على المجتمع و التركيز على النتائج الاجتماعية للعمل الإقتصادي، من أجل تحقيق التنمية الحقيقية حتى لا تجرفها تيارات العولمة، شريطة أن يقترن التحليل الإقتصادي بتفكير أخلاقي و منهجي و فلسفي يتماشى و منظور النظام العالمي الجديد، حتى لا يقع فريسة الليبرالية المتوحشة و بعيدة كل البعد عن المنظور الإستبدادي، و لا يمكن من الآن فصاعدا التسامح مع سياسة الترقيع التي يتغنى بها المسؤولون، عن التقدم الاجتماعي و عن التنمية المجتمعية الريفية، و الرابط الأساسي بين الحقوق الإقتصادية و الاجتماعية. في ظل سلسلة الأنظمة السياسية الغير مستعبدة الخاضعة لهيمنة الحزب الواحد، أثناء حكم النخب التي قامت هي الأخرى بنهب الثروات الوطنية و قامت أيضا بإشتعال فتيل الحروب الأهلية¹ و عمليات إبادة جماعية و أجبرت السكان على النزوح عن قراهم وكتل أخرى سكانية نازحة و لاجئة، بحيث تجذرت أشكال الفساد و عم الخراب، و تظافرت أعباء القروض الدولية مع الشروط القاسية و غير المواثية على ضمان نمو سليم، حيث تدهورت مستويات المعيشة و صارت الحياة جحيم بالنسبة إلى مئات الآلف من المواطنين. مع نهاية الحرب الباردة و حلول القرن الحادي و العشرين. الذي عززت فيه العولمة وضع حقوق الإنسان السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية و المدنية، غير أن فجوة الفقر قد اتسعت بين الأغنياء و الفقراء وضعت أكثر من ملياري إنسان كفقراء محرومين من أبسط حقوقهم

¹ ينظر. الرياشي سليمان (و آخرون) . الأزمة الجزائرية . الخلفيات السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية و الثقافية . الطبعة الثانية ،

الإقتصادية و الاجتماعية، و خاصة في قارتي إفريقيا و آسيا. حيث تعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية، أظهرت أن دولة إسرائيل مازالت تقود الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولة في الوقت الحالي، و أن إسرائيل و الولايات المتحدة الأمريكية غير مكترئين بهموم الإنسانية و المثال على ذلك هو إبادة اللبنانيين و الفلسطينيين جراء العدوان الإسرائيلي الهجمي منذ 12 جويلية 2006، و الذي أدى إلى إستشهاد أكثر من 1000 مواطن لبناني و جرح المئات و نزوح الآلاف من سكان الجنوب اللبناني، و تدمير البنى التحتية و خزانات الوقود و المياه وكذا الجسور، بمباركة من الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول العربية. و عجز الأمم المتحدة و مجلس الأمن و جامعة الدول العربية و المؤتمر الإسلامي، على إدانة الإنتهاكات الخطيرة و الهجمات ضد السكان المدنيين اللبنانيين بصفتهم هذه ولا يشاركون مباشرة في الأعمال الحربية، حيث تعمدت إسرائيل توجيه هجمات بالقنابل العنقودية و الصواريخ الذكية مستخدمة الأسلحة المحرمة دوليا ضد المنشآت الحيوية، و تقصف المدن و القرى و المساكن و المباني بالقنابل الكيميائية ثم الإعتداء على شعب أعزل، و هو شعب فلسطين، هؤلاء الطغاة الصهاينة الذين يغتصبون الأوطان، و يهددون الكرامات و يندسون المقدسات، و ينهبون الثروات تحت المظلة الأمريكية التي أخرجت سيف الحجاج لمواجهة العرب و المسلمين منذ 11 سبتمبر 2001، حيث تركزت إستراتيجياتها لمحاربة كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله في أي مكان على مستوى المعمورة، حتى تحتلب أموال العرب و التي دأبت عليها الولايات المتحدة الأمريكية في خططها و إستراتيجياتها، منذ الحرب العالمية الثانية التي وضعت أوزارها عام 1945. و في هذا الوقت عززت أمريكا وجودها مع إحكام قبضتها تدريجيا على منطقة الشرق الأوسط، وخاصة منذ مطالع الخمسينيات في عهد إدارة الرئيس الأمريكي إيزنهاور، و تكونت جملة أوضاع و أزمات و تحديات إقتصادية و سياسية و اجتماعية و أمنية، مما دفع بأمريكا إلى لإقامة حلف بغداد، تركيا و العراق و إيران و باكستان، و في هذا الإطار تجاسرت أمريكا على مقاومة المد الشيوعي الأحادي و تقوية شعارات الإسلام بإعتباره العقيدة الأكثر إنتشارا في منطقة الشرق الأوسط، بما يخدم مصالحها بعد إيجاد وغرس إسرائيل في قلب

الوطن العربي 1948. والهزائم المتتالية على الجسم العربي الذي شهد إنقلابات عسكرية، مع الظلم المسلط على الشعوب العربية والتحقيق، الذي هو التيار الغالب في سياسة القادة والملوك ناهيك عن القمع البوليسي السري، (زوار الفجر) والإرهابي الاجتماعي. بالتعاون مع القوى الغربية على فرض نظم معية وخلق نخب تخدم مصالحها، على طول الخط في المجال الاجتماعي التهميشي الذي يمس فئات كبيرة من المجتمع والفقر الذي يزداد من يوم إلى يوم. بدون سياسة أو إستراتيجية التطوير للموارد الخارجية (النفط) في مكافحة الفقر. واللافت للنظر أن الدول العربية والإسلامية يعيش أكثر من 38% من سكانها تحت خط الفقر، ولم يستطع تخفيض معدل الفقر رغم السياسات التي وضعتها الحكومات منذ 1970 إلى 2006¹. حيث وجهت برامج تقليل الفقر التي تم تنفيذها قصد تناقص الفقر، ولكن الحروب و القلاقل الاجتماعية حالة دون ذلك، و هذا يعني أن عدد الأسر الفقيرة تزداد من سنة إلى أخرى، و المثال على ذلك القرن الإفريقي يتوقع إذا إستمر الجفاف و الحروب الأهلية، فإن محاربة الفقر أو التقليل منه يصبح أمرا صعبا للغاية، كون الإشتباكات الدائمة و نزوح الجماعات البشرية كما هو الحال في دارفور بالسودان، ثم عدم الأقتسام بالنسبة للدخل الوطني، حيث هناك تفاوت كبير وشاسع في الدخل بالنسبة للفئات الاجتماعية، وعدم العدالة في توزيع الثروة بين المواطنين و عدم ترسيخ الإستقرار السياسي و الاجتماعي، اللذان يقللان من حدة الفقر. رغم التطور الإقتصادي بالنسبة للجزائر لم ينعكس إيجابيا على المواطنين في تحسين نوعية حياتهم بما يشمل توفير الضروريات من الغذاء و العلاج و التعليم و الأمن، و أن يكون أول المستفيدين من هذا التطور الإقتصادي و الجبايات النفطية هم الفقراء و العاطلون عن العمل و المرضى و المجموعات التي أحييت على المعاش و التي هي أكثر فقرا في الجبهة الاجتماعية المعطلة. و على سبيل المثال تقدم نظام التقاعد في الجزائر الذي يواجه صراعات منذ الإستقلال 1962 و إلى غاية 2006، حيث تسيره نصوص جافة تستدعي إعادة النظر ببعض النصوص و قواعد التنظيم على المستوى الاجتماعي للعمل، بتوحيد نظام التقاعد مع

¹ ينظر. باقر محمد علي . العولمة و مستقبل الارض. مصدر سبق ذكره، ص 116.

متطلبات سوق العمولة والحياة المتزايدة و الإحتياجات الاجتماعية ناجمة عن تدهور و تدهور و تدهور معاش التقاعد و القدرة الشرائية مقارنة مع العملة الوطنية، التي هي في تدهور مستمر والدهر لا يرحم حيث الغني عندنا يزداد غنى والفقير يزداد فقرا بسبب عدم إيجاد سياسة خاصة بالمعاشات و الأمراض المهنية المختلفة، و حتى تعويضات الدواء التي هي 80 % كما هو معروف أصبحت تتأخر أو ربما قد لا تصل بسبب الآلة الحاسبة التي تتعطل هي الأخرى. فتزداد معاناة المتقاعد التي تعني عندنا "موت المتقاعد"، و كانت تعويضات المرض تدفع فورا في السابق، الشيء الذي يجعل المتقاعد يقضي وقته وحتى معاشه الشحيح بين نار القفه والطبيب والصيدلي، والماء والغاز والكهرباء، ورسوم الهاتف إذا كان لديه هاتف، والخبز والحليب والجريدة، وحتى الزيادات التي تشير بها الجهات المخولة قانونا ما هي إلا سياسة ذر الرماد في العيون، حيث تعتبر سياسة ذكية تبقي على علاقة المتقاعد بالنسبة للآخرين ككابوس لأن المتقاعد قدم العمل بالدولار و يتلقى المعاش بالدينار. و صار حبيس همومه وحجرته إذا كان لديه حجرة؟ و لا يلتقي حتى أقرانه في ظل العمولة. و هذا يعد فقر رغم تبني سياسة الزيادة في المعاشات التي أقرتها الجهات المعنية، حيث تبقى هذه الزيادات طفيفة لا تعكس الواقع المعاش للمتقاعد الذي لا تزال قدرته الشرائية ضعيفة جدا، نظرا لضعف النقطة الإستدلالية و تجدر الإشارة إلى أن أكبر من مليون و600 ألف متقاعد 60 % منهم و يتقاضى معاشات لا تتجاوز 75 % من الحد الأدنى للأجر الوطني المضمون . و تعيش الغالبية العظمى من هؤلاء المتقاعدين الجوعى في بلد تمثل فيها العائدات النفطية أكثر من 65 مليار دولار من الإحتياجات في الخزينة العمومية. الشيء الذي أدى إلى زيادة عملية التفاوت في الأجور، وبالتالي توزيع الدخل الوطني توزيعا غير عادل سواء على مستوى أفراد السلطة، أي الطبقة الضاغطة التي تتمتع بمزايا كبيرة بينما الطبقات الاجتماعية العريضة، مطالبة بالتقشف بعد إفلاس الشركات المحلية وغلق القطاعات الاجتماعية التي كانت تتمتع بسياسة الدعم من طرف الدولة. وكان الأجر الوطني مضمون لكل عامل (في عهد النظام الإشتراكي) وخاصة بعد 5 أكتوبر 1988، وما عقبها من حرب أهلية و إنتفاضة على المجتمع الجزائري، بسبب ظاهرة

التفاوت الاجتماعي التي كانت خلال عقود سابقة بيد أصحاب الثروات غير المشروعة وبعض الفئات والتيارات السياسية المتطرفة والفشل الذريع الذي مني به مشروع التنمية وظاهرة التخلف الاجتماعي والثقافي الرشوة التحقير والمحسوبية، وروح الإتكال والتغيير في المناصب الحساسة و القيادية في مختلف جهاز مؤسسات الدولة، عن طريق المعارف و أصحاب الزبونية حتى صارت الأنظمة السياسية وراثية عندنا. وصارت فيها مؤسسات الدولة الجزائية عبارة مرافق وأدوات يستخدمها أفراد وفئات مقربة من أصحاب السلطان لتحقيق مآربهم ومصالحهم ومطامحهم على حساب الغلبة. الشيء الذي جعل الأزمات تطفو على المسرح السياسي وتطرح علاقة الدولة بالمواطن الذي رفض الحلول الترقيعية ونماذج انفجار 5 أكتوبر 1988 وماخلفه من تخريب في جميع هياكل الدولة وأجهزتها. وما تبع ذلك من العنف المدمر خلال العشرية السوداء.

نتحول الآن إلى الحديث عن مشاكل الدول المتأخرة في ظل العولمة، حيث لا يمكن تجاهل التطور والتقدم بالنسبة للإقتصاد والاجتماع الذي عاشته الإنسانية خلال خمسين سنة الأخيرة من القرن العشرين الماضي، حيث تراجع البؤس والفقر أكثر مما كان عليه خلال القرون الخمسة السابقة للقرن العشرين، و تراجعت وفيات الأطفال و إنخفض معدل سوء التغذية بمقادير متفاوتة بين دول الشمال ودول الجنوب، و إرتفع متوسط عمر الإنسان في الدول المتأخرة نظرا للعلاج، بيد أن الفجوة قائمة بعد مرور القرن العشرين ونحن في القرن الحادي والعشرين، مرة أخرى تصاب البلدان المتأخرة بأمراض عديدة وتضاعفت وخاصة في البلدان الأكثر فقرا، منها من يحمل فيروس الإيدز بنسب متفاوتة¹ في هذه الدول هي الإفريقية، يضاف إلى هذا المرض الخطير أمراض أخرى ذات العلة بفيروس الإيدز والأمراض المعدية والطفيلية، مثل الإسهال والمalaria أو حمى المستنقعات والسل والحروب رغم إنتهاء الحرب الباردة. زادت نزاعات عرقية داخلية في صربيا والبلقان بصفة عامة وفي إفريقيا يوجد لاجئون أو مشردون داخليا. ولعل تقرير

¹ أنظر. د. حجازي أحمد مجدي . العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب. دراسة في تحديات النظام العالمي الجديد الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2005 ، ص116.

الأمين العام للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة في دورتها الأخيرة أحسن مثال على ما نقول "إن أكثر من 1.5 مليار من الأشخاص يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم كما أن ما يقارب من مليار البالغين - معظمهم من النساء - مازالوا يعانون الأمية، وهناك 830 مليون شخص يعانون من سوء التغذية بينما يبلغ عدد المحرومين من المأوى المناسب أو الرعاية الصحية الملائمة 750 مليون شخص. وما برحت حالات عدم المساواة بين الجنسين تفوق آفاق النمو الإقتصادي والرفاه " ².

نضيف إلى ما جاء في التقرير المذكور جملة من معطيات تكشف عن مشاكل العوالة بين الشمال والجنوب، وجود تعامل اجتماعي بينهما، وبين الإفريقي والأوروبي حيث تعاني إفريقيا من المجاعة و إنعدام الأمن النفسي و الغذائي في قارة إفريقيا. و التي تمثل الحالة الغذائية فيها مأساة إنسانية لم يعرف التاريخ مثلها على حد علمي، ويظهر أن القارة السمراء الغنية بمجمع الخيرات، تعاني المجاعة وخاصة القرن الإفريقي الذي بات يزرخ تحت الموت جوعا بسبب الحروب الطائفية والأمراض والجفاف والتصحر وانتشر شبح المجاعة الذي يهدد الملايين في إثيوبيا ليزحف إلى الدول المجاورة، كإريتريا وغيرها من دول الجوار، الذين يتهددهم نفس الخطر. ويتربص الموت بما لا يقل عن 17 مليون نسمة في القرن الإفريقي لا للموت جوعا، بسبب مفارقة غريبة تمكن في ثراء هذه المناطق تحديدا عن سائر دول القرن الإفريقي، لأن إثيوبيا وكينيا من دول حوض النيل وهما غنيتان بملايين الهكتارات من المياه الجوفية ومع ذلك معاناة ومأساة هاتين الدولتين وباقي شعوب إفريقيا، بسبب أكذوبة أصحاب البشرة البيضاء بأن إفريقيا متأخرة ولا يهمهم سوى الترويج لبضاعته وامتصاص ثروتها وموادها الخام بثمن بخس، الذي يتنافى مع كل الأخلاقيات عند العمالة التجارية.

ومن المؤكد لا بد أن تصحو إفريقيا تجاه ما يحاك ضدها من طرف الدول الكبرى التي إستغلتهما سابقا، وتشغلها لاحقا حتى لا تبقى دائما القارة المنكوبة لمواجهة التحديات بالتعاون بين أشقائها من بني بشرتها الإفريقية. لإنقاذ الأجيال القادمة، وحتى يتعاونون فيما بينهم كجموع

² تقرير الأمين العام للأمم المتحدة الجمعية العامة الأخيرة عام 2007.

في عالم العولمة لإثبات جديتهم في عولمة كل شيء. والواقع أن الجوع ونقص المغذيات الدقيقة يقللان من قدرة الأطفال على التعليم، بنسبة تقل عن 10 % ويكلفان البلدان المتأخرة مبلغا يصل 128 مليار دولار سنويا بسبب خسائر الإنتاجية فقط. ويشير تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة صدر عام 2002 إلى أن الجوع لا ينتشر في معزل وهو سبب ونتيجة للكثير من جوانب المعاناة الأخرى التي تعاني منها البشرية مثل البؤس والحروب والتمييز العنصري والحقرة والحقد والكراهية والعنف والقوة الغاشمة غير المشروعة داخل الأسرة البشرية. ترفعت ظاهرة الأسرة اللانمطية مع الثورة الصناعية وما إستلزمته من حاجات ومتطلبات بشرية هائلة وكبيرة، حيث قام أصحاب الورشات والمصانع من جلب وإحضار أهل الريف وبدأوا بتشغيلهم في الورشات بأجور قليلة جدا لا تكفي وتسبب ضرورياتهم وحاجاتهم، بالإضافة إلى إستغلالهم بطرق غير إنسانية وإرهاقهم حيث قامت الصناعات على أكتافهم وبجهدهم، مما أدى بهؤلاء العمال إلى المطالبة بالأجور نظرا للإرهاق والجهد العضلي وحتى الفكري، وكان رد فعل هؤلاء الرأسماليين وأرباب الورشات بتلبية مطالب العمال بزيادة أجورهم عمدوا إلى طريقة ذكية لزيادة الإنتاج من جهة ولضغط على العمال من جهة ثانية ولتوفير الربح السريع، ألا وهي تشغيل النساء

والأطفال في الورشات و المصانع بأجور أقل بكثير من العمال، و صارت ظاهرة تشغيل النساء ظاهرة مألوفة و منتشرة و عندها كثر الإحتكاك بين النساء و الرجال، و أخذت هذه الظاهرة في الإنتشار داخل المصانع الغربية بطبيعة الحال قدم هذا الشعور للحرية الشخصية وكسب المال عن طريق العمل، و فلسفة التقدم و الرقي الجديد للأخلاق، فاضطربت نفوس واطمأنت أخرى، و قلق بعض الأزواج على زوجاتهم وبناتهم و أخواتهم، بيد أن بريق النقود جعل أمام أعينهم ظاهرة نهضة وارتقاء وتقدم وتطور. ومن منطلق عمل النساء نبعت فكرة حرية العمل و حرية المساواة بين الذكر والأنثى، عندها قامت حركة نسوية في جميع أنحاء أوروبا ينادين بالمساواة¹، وأصبحت المرأة قضية أي قضية مساواة في الأجر مع الرجل والذي يشتغل معها

¹ ينظر. فرانك جي . لتشنز و جون بوك . العولمة الطوفان أم الإنقاذ. مصدر سبق ذكره، ص - 451

في الورشة و المصنع و المكتب، حيث كان الرجل يتقاضى ضعف المرأة بينما تتقاضى المرأة نصف الأجر المدفوع للرجل، و يعملان نفس العمل ونفس ساعات العمل نفسها أيضا، عندها تعددت و إتسعت قضية المرأة في عدة مجالات تلقائيا و تخطيط من طرف الفكر اليهودي الصهيوني، فقد كان محورها بالدرجة المساواة في الأجر بالنسبة للعمل، ثم طالبت بجميع الحقوق التامة غير المنقوصة مع الرجل وفي كل شيء حتى حق الفواحش والفجور والفسوق الذي كان الرجل قد و صل إليهم. فصار حق المرأة الغربية في الفجور و الدعارة و الإباحية داخلا في قضية المرأة تحت حرية المرأة، في اختيار من تهواه وتجه في أول الأمر تحت عنوان حق المرأة في أن تعمل في جسدها ما تشاء وتهب نفسها لمن تشاء. و من أجل هذا عقدت المؤتمرات حول المرأة في نيروبي سنة 1985 و قمم الأمم المتحدة حول المرأة والطفل في مدينة نيويورك سنة 1990، و حول البيئة والتنمية في ريو دي جانيرو سنة 1992 و حول حقوق الإنسان في فيينا سنة 1993، و حول السكان و التنمية في القاهرة عام 1994، و حول التنمية الاجتماعية في كوبنهاغن سنة 1994 بهدف تحقيق المساواة بين المرأة و الرجل، و المؤتمر العالمي حول المرأة ما يطلق عليه إعلان بكين سنة 1995 لحقوقها.¹ حيث ظهر خلال هذه المؤتمرات ظاهرة التسامح مع ما يطلق عليه مفهوم الأسرة اللانمطية و التي تتكون غالبا من ولد واحد و هذا النمط يتماشى و سياسة الصين الشعبية بالنسبة لظاهرة النمو الديمغرافي، و هذه الأسرة اللانمطية في عاداتها أن تكون المرأة غير متزوجة زواج شرعي أو عرفي وإنما أنجبت ذرية عن طريق الزنا، متجاهلة قيم الإنسان الروحية و الأخلاقية التي هي المقومات الأساسية بالنسبة للحياة، ثم أين هو الأب الذي يمثل السلطة

(1) Food and Agriculture organization of united nations (Fao)

تقرير الفاو منظمة التغذية والزراعة لهيئة الامم المتحدة 2007

¹ ينظر. دوب موريس . دراسات في تطوري الرأسمالية. الطبعة الأولى ، تعريب: دكتور رؤوف عباس حامد، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر الإسكندرية 2003 ، ص - 222

داخل الأسرة و دوره الحيوي بالنسبة للتنشئة الاجتماعية الذي يلعبه كموجه و كحامي لحمى الأسرة، بيد أن المرأة التي تنحب عن طريق السفاح تصبح عاجزة عن سد عدة ثغرات التي تحرمها عدم إيجاد الأب، المرأة ذات عاطفة وحنونة، الشيء الذي يسبب لها الإرهاق و قد يصيبها الملل والسامة بسرعة فتستسلم لحاجات الأطفال المتكررة، خصوصا أصحاب التصرفات الشائنة منهم. و هذه العاطفة تضر بالمجتمع أيما ضرر و بتربية الأطفال، و تجعل الأطفال قابلين لاكتساب عادات شائنة و ضارة في نفس الوقت و من نماذج الأسرة اللانمطية، تلك التي تتكون في غالب الأحيان من رجلين أو امرأتين و هذه الظاهرة كثرت بسبب كثرة أولاد الزنا الذين يفقدون الحب و الحنان و ينشئون و في قلوبهم الحقد و الكراهية لباقي فئات الاجتماعية و هذه الظاهرة الغربية لا تحمل أي نوع من التشابه مع الأسرة الطبيعية، و التي تتكون من رجل و امرأة وينشأ عن هذا الزواج الإنجاب الشرعي و بقاء النوع الإنساني ثم مهمة تربية الأطفال و رعايتهم و نشأتهم التنشئة الاجتماعية حسب الإرث الثقافي البشري المتدين. ثم تزويدهم بالعادات و تقاليد الآباء و الأجداد و حضارة أمهم و شعوبهم، الشيء الذي يجعل الحضارة دائمة الإستمرار و الإزدهار لأن تربية الأجيال التربية الحسنة تحمل معاني الحب الحقيقي للآخر و من ثم تكون حلقة إتصال مباشرة بين السابق و اللاحق و تحقيق قيم الحق و الخير و الجمال أما الأسرة :

أ- اللانمطية: هو إنتشار الفساد و هذا يؤدي إلى الفوضى و الإنحلال و الإنحدار الخلقين ثم تفشي الأمراض و الأوبئة القاتلة و ينشأ الإغواء و جميع اللذات و المخادنة و هذه الظواهر مخالفة للقوانين الطبيعية و الفطرية الإنسانية. لأن ضرر الأسرة اللانمطية هي الممارسات الجنسية التي هي تحت مستوى الطبيعة مما يطمس الهوية البشرية، و من ثم تدمير الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه و تعالى الناس عليها. ففطرة الإنسان يمارس الحياة بعقله و قلبه و هذه خصائص الإنسان السوي، و من يمارس الحياة والسلوك الشائن الذي تنفر منه قوانين الطبيعة و تطغى عليه الغرائز الحيوانية، و تتناقض مع السلوك السوي قطعاً يكون الإنسان مستقبها في التصرف، و منكر في السلوك. فضلا عن هذه الممارسات الخاطئة و السلوك الأعوج الذي يزيد

من الغريزة الحيوانية و الإنسانية التي تطمس الفطرة الأولى (لا تبديل لخلق الله)، إذا تهادى في ارتكاب هذه الأفعال الشائنة، وتعود على فعل الفحشاء والمنكر دق ناقوس الخطر على البشرية بسبب الإباحة والشهوات البهيمية. وبأن الإنسان هو حيوان كسائر الحيوانات وليس له من مزايا يرتفع بها على البهائم بل هو أقل من البهائم خلقة و أدنى فطرة، و من ثم لا يجب عليه إثبات القبائح الشائنة واقتراف المنكرات، عن طريق البهيمية وللأسف الشديد فإن جرائم الزنا والخيانة الزوجية، وأفعال الرذالة والدناءة والأفعال الخسيسة والنزوات العابرة والأفعال المشينة والنذالة، فإن الإعلام الغربي عامة والمرأة خاصة أصبحت سلعة تشتري و تباع عن طريق وسائل الإعلام وفي جميع مجالاته. و إنتشار الدعارة و المخادنة بكافة صورها زد على ذلك المنشورات الجنسية المروجة لذلك و الحاملة للأنفس، على إرتكاب الشرور و الرذائل قصد ضعضة أركان الإنسانية و فساد أخلاق البشرية. و هذا الإعلام يهلك الأمم بإضفاء حرارة الغيرة على الزوجة و الأخت و يخمد روح الحمية و الرجولة بسبب خداع الشعارات التي تصرف عليها الملايين الدولارات. و كذلك عادت ظاهرة الرقيق من جديد سواء الجنس الأبيض أو الأسود و الذي يمارس بصورة ظاهرة للعيان في جميع أنحاء العواصم الكبرى، فالفتيات من جميع الفئات يتعرضن للإختطاف و يجبرن على الدعارة و البغاء و تسلط عليهن الحيوانات البشرية المفترسة، و عصابات المافيا و المفسدين و القاسية قلوبهم. بدون شفقة و لا رحمة و أصحاب النفوس الخبيثة من ذوي الشوكة لأغراض سافلة، لهذا تراهم مما يؤدي بالمجتمعات لأزمات إقتصادية بصورة غير أخلاقية يثيرون القلق و الخوف. كما حدث في الإتحاد السوفياتي بعد إنهياره وما حل به من شقاء و بؤس في زمان سبق الحضارة الإنسانية إلى الإضمحلال بدعوى تحرير المرأة من قيود الشيوعية، ومساواتها مع الرجل في الحقوق و الواجبات حتى تتم لها السعادة التامة و النعيم الكامل. و هنا يأتي دور الحضارة الغربية الحديثة التي تطلب المساواة بين الرجل و المرأة، في ممارسة الجنس فالرجل يمارس الجنس عند سن البلوغ أو ما قبل ذلك، فلماذا تنتظر المرأة مرحلة الزواج حتى تمارس هي الأخرى الجنس، و إذا كانت المرأة لم يقبل عليها أحد و الطريق أمامها مسدود ولم يتيسر لها ذلك. ما العمل؟ هل تحرم المرأة من حقها الطبيعي في

ممارسة الجنس رغم أن الرجل الذي كان في الماضي يهيمن عليها و يجبرها على علاقات محرمة وزنى، فهذه العلاقات تدان بوصفها فسقا حيث يظهر في المجتمع المنكر و الفحشاء ويشيع القهر الجنسي و تدفع الغرائز الإنسان دفعا و بدون شعور نحو تحصيل المطلوب، حتى و إن كانت المرأة لا تشاركه في عملية الجنس أخلاقا أن هذه شهوة دنيئة، و الإنسان الآن في القرن الحادي والعشرين قرن الحريات و الحقوق بالنسبة للرجل و للمرأة على حد سواء فالمرأة و بعد سن البلوغ يحق لها ممارسة الجنس بحرية مطلقة قبل الزواج كما يفعل الرجل تماما، حيث سنت قوانين في هذا الموضوع تجيز وتبيح بيع أو توزيع حبوب منع الحمل على فتيات الثانويات و المدارس، ولم تنس هذه القوانين ظاهرة الإجهاض طواعية. فهذا التصرف هو قتل النفس البشرية التي حرم الله قتلها بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) سورة الإسراء الآية 32¹ لأن هذه الفعلة النكراء بمثابة جريمة قتل لجميع الأنفس البشرية.

ب- مفهوم جديد للجنس: ولا بد من الإشارة هنا للإعلانات الصحفية التلفزيونية و الدوريات، و مع تطور الحياة وزيادة نسبة التعليم وتقدم العلوم التكنولوجية و ما أحدثته الإعلانات الإباحية، التي تظهر من حين لآخر في النظام العالمي الجديد أو لنقول الثقافة الفكرية الغربية الجديدة التي تهدف للإباحية و تسويقها كنموذج غربي سلوكي و مدني. و خاصة في مجال الأسرة و إنهاء العلاقات الأسرية، بسبب ما تبثه شبكات المعلومات و قنوات تلفزيونية أرضية و فضائية، عامة و خصوصية مفتوحة و مشفرة حكومية و خاصة وطنية و وافدة إلى جانب المحطات و الشبكات الإذاعية على مستوى المعمورة و ما تعرفه من قضايا التي تؤثر بدرجة كبيرة على حياة الأسرة، مثل صراع الأجيال من منظور الإفتقار إلى الحوار بين الآباء و الأبناء في مجالات الحياة العصرية، و إشاعة الثقافة الغربية و حمل الثقافة الإسلامية و العربية خاصة على تقليدها بدأ يأخذ أبعاد خطيرة جدا حيث عقدت المؤتمرات التي ذكرناها

¹ يقول السيد قطب في ظلال القرآن والإسلام حياة ودين السلام فقتل النفس عنده كبيرة تأبى الشرك بالله، فالله وهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه في الحدود التي رسمها. أنظر المجلد الرابع ص 224 الطبعة الثانية عشر 1986م-1406هـ وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة".

سابقا فيما مضى بغرض الإنسلاخ الثقافي العربي الإسلامي، و الأخذ بالسلوك الغربي في تحرير المرأة جنسيا و تدمير جميع مؤسسات الأسرة في مختلف المجالات الاجتماعية، مع إزالة كافة العقبات الثقافية من عادات و تقاليد و قيم الحشمة و مواصفات أخلاقية، وكل ذلك وفق مفهوم جديد للجنس بأنه متعة جنسية في المقال الأول من جهة و بسبب هروب الرجل من الزواج و وجود الحرية في علاقات الجنس من جهة ثانية و الواقع أن الشباب يعاني بعض مشكلات الأسرية قد تدور حول وجوده الكياني و الجسدي و البدني، و هذا راجع لضعف الترابط الاجتماعي الآخذ في الضعف المستمر نتيجة لإشغال كل فرد في همومه و مشاكله الخاصة و جريه وراء تحسين حالته الاجتماعية، فيعاشر من يشاء من النساء جنسيا من دون زواج، و خاصة في الدول الصناعية الكبرى و الأجواء الإباحية فإن الرجل يريد أن يمارس العلاقة الجنسية مع أي امرأة تعجبه أو يعجبها برضاها أم رغم أنفها. بالمثل القائل (أنت تستمتع بجسدك إذن أنت موجود) و هكذا صار الإنسان عبدا للغريزة الفطرية القوية، التي تدفعه دفعا في غير شعور إلى تلبية شهواته دون حاجة إلى العفة أو الحشمة، و خاصة الغريزة الجنسية التي تطفئ على كافة غرائز البدن فالإنسان في الحضارة الغربية بزعمهم، إنما هو كائن عضوي مادي خالص ما يشاع عن الأخلاق و الضمير و العفة فالكل صار في خبر كان، و حتى الروح كجوهر مفارقة و مغايرة للمادة، في نظر الهوية الحرية منشأها التاريخ و المجتمع بعاداته و تقاليد، مرتبطة بأفكار الطبقات البرجوازية التي تستغل الدين و الأساطير القائلة يابني إعتقد و لا تنتقد قصد الهيمنة على مصالح الغلبة لدى أفراد المجتمع ككل، و قد عرفت البرجوازية من خلال مراحلها أنها إستعادت الإعتقادات و الأخلاق و ما يتصل بدور القيادة، و لا تؤمن بشيء سوى المال و السلطان و الجاه، بيد أن تشغل الدين في جميع المجالات و حسن الخلق بغرض خداع طبقات الفقراء و الكادحين و تخديرها كما تقول الماركسية (الدين أفيون الشعوب)، و الذي يستخدم كوسيلة لعملية السطو و النهب و الإستيلاء على أموال الغير بدون وجه إستحقاق، ثم الإستيلاء حتى على الأعمال الفكرية و الاجتماعية. و لعل ما يسمى بالمقدس أو الإله أو الكائنات الروحية الأخرى، التي ترتبط

بمفهوم الأخلاق و الواجب و الدين أو بقاء النوع الإنساني و تميزه عن سائر الكائنات لم تعد تربطه بغايات مثالية كالواجب والشهامة والشرف والكرامة والعزة، وإنما أصبحت هذه المفاهيم في الفكر الغربي المعاصر ترتبط أكثر فأكثر بالمنفعة والمصالح على حساب الغير، و لو إقتضى الأمر إستعمال القوة العسكرية و السياسية من أجل مصالح الغرب ذات الطبيعة المادية الخالصة على مستوى المعمورة، و قد تتطلب دراسة منفعة الغرب، الشيء الكثير و المفيد و الذي يجلب النفع عند مفكريهم إنما هو مصلحة مادية و غرض قصير المدى بالنسبة للحياة الدنيا، أما المفاهيم الخاصة بالكنيسة و الفرقة و الملة و الطائفة، فهذه المفاهيم لا تفيد بشيء و إنما الخير كل الخير في كسب الدولار و اليورو كسبا جما. في حالة الكسب السريع فهو الرضا بالمفهوم النفسي، أما الشعائر الدينية و ممارستها فهذه مفاهيم تقليدية لجماعات رجال الدين، و من ثم يجب الإبتعاد و الإحالة إلى المجتمع حتى تكون الحياة و القبول لديه. و الإعتماد كل الإعتماد على المذهب الفردي لأن الفردية مذهب مادي خالص مغروس في العقلية الغربية المعاصرة، و من ثم فإن مفهوم الجنس يأخذ أبعادا تتصل باللذة والمتعة الجسدية البحتة في جميع الأوقات والأزمنة. و من ثم ينزل الإنسان ويهبط إلى أسفل سافلين، تحت مستوى الحياة البهيمية وربما البهائم لها أوقات الإتصال بين الذكر والأنثى ثم يذهب كل إلى طريق حتى الفترة المقبلة. علما أن الإنسان يتمتع بخصائص فريدة من حيث النوع وهو الحيوان الذي يتميز بقدرة عالية من الذكاء بحكم العقل الذي هو القوة الشعورية أو القوة الفكرية، التي تمنح الإنسان قوة التأمل والمراجعة، والترجيح والحكم، بين الأشياء والطرق والوسائل العديدة، التي سيواجهها الإنسان عندما يريد الحصول على مبتغاه. بيد أن الإتجاه المادي العضوي الذي يشر به (داروين)، جعل الإنسان ينزل إلى مستوى القردة والخنزير وعبدة الطاغوت. وكان من الطبيعي أن يزداد إمتلاء بأنواع التسلية و الهوائيات الضارة التي تضر أكثر مما تفيد، حتى وإن كانت عمليات معقدة ولكنها مادية في آخر المطاف. وبأن الطبيعة تختار الأقوى والأصلح والأجمل، خلال الصراع من أجل البقاء كما قال داروين (الإنتخاب الطبيعي) ثم لا ننسى نظريات سيموند فرويد أن الدافع الجنسي هو الأقوى وهو الأعلى عند الإنسان، وأن عدم تلبية إشباع شهوات

الإنسان الجنسية بحرية مطلقة بدون قيود من الآداب العامة والأخلاق والدين، تؤدي إلى الأمراض النفسية والعصبية الناتجة عن الكبت الجنسي. وهكذا تخلت الدول الغربية عن الأخلاق والعفة والقيم الجميلة والصفات الحميدة. وبدأت تلقن للناشئة الرغبة الجنسية الخاطئة، وتبني الأفكار الهدامة مستحدثة سلوكيات جديدة في توجيه الغرائز الجنسية، حتى تنمو وتقوى في أي اتجاه وتدعو إلى الإباحية الكاملة وإلى إطلاق نار الجنس على أوسع نطاق. وهنا يبدو جليا أن العلاقات الجنسية وانتشار الفساد ظاهرة تميزت بها أوروبا. حتى ولو أدى ذلك تهديد الإنسانية (الشذوذ الجنسي المتمثل في اللواط والسحاق) الذي حرمه الله، إقرأ قوله تعالى " أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ"، "وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ" سورة الشعراء الآية 165 و 166، في هذه الآية الكريمة حرم الله سبحانه وتعالى عن غشيان الذكور وأرشد إلى إتيان النساء اللاتي خلقهن الله للرجال، قصد حفظ البقاء للجنس البشري، باستعمال العقل الإنساني الذي يعتبر في الإنسان كضابط لقوى الغرائز، وهو في نفس الوقت كمرشد وموجه لهذه الغرائز، وليست الإباحية التي تنادي بها الحضارة الغربية، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك إذ أدرجت ما يسمى التربية الجنسية (éducation sexuelle)¹ على أساس أنها مادية ضرورية وفي نفس الوقت علمية، وهذه الثقافة الجديدة تدخل ضمن برامج نمو التلاميذ وتمتعهم بالصحة النفسية وراحة البال والعقل، هذه الأغاليط والأباطيل المنافية للأخلاق والآداب العامة والتي تكتسي بكساء العلمية، وتتوشح بوشاح الأكاديمية، وهي ليست في الحقيقة سوى حرية الإباحية المباشرة التي تظهر مدى سداجة الحضارة الغربية من حين لآخر، والتي تعتبر غريبة عن الأخلاق السوية حيث تتضمن في الغالب صورا إباحية لفتيات أو مراهقات عاريات أو شبه عاريات هذا المرض الذي إبتلى به الغرب بإيديولوجية وديماغوجية ساذجتين وباطلتين، لأنهما لا تستندان على العقل الخالص أو الفكر الصحيح وأيضا يجب اجتناب الواقع المذهبي الفكري المادي الإباحي الذي دمر القيم الأخلاقية في قاراته ويريد تسويق هذه المستقذرات الجنسية إلى العالم الإسلامي.

¹ ينظر. داروين تشارلز. مصدر سبق ذكره، ص 135

بواسطة الإعلان المصور والمشاهد عن طريق التلفزة والإنترنت، لأن الغرب يريد تغيير النفحة الربانية الإلهية المباركة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في الكائن الحي الإنساني إلى الدرك الأسفل، من الناحية البهيمية الحيوانية في غمرة الوقت الحاضر. مع الإشارة الجنسية وإشاعة الفاحشة بين الشباب بأسلوب ذكي مثير للغريزة الجنسية حتى يتم توليد شعور بالإثارة عند البعض، بحيث يدفعهم ذلك إلى تقليد ما يشاهدون على شاشة التلفزة أو غيرها من الوسائل الحديثة. وخاصة جهاز التلفزيون الذي يعتبر كوسط إعلامي جذاب ويمثل في نفس الوقت جزءا كبيرا من عرض صور مخزية تستنكرها العين، ففي أمريكا على سبيل المثال وهي البلد الكبير حجمه يساوي قارة إفريقيا بتمامها وبشبابها، حيث يشاهد الشباب الحالات الغرامية والعري الكامل للفتيات والفتيان عن طريق عوامة المعاملات الجنسية، والتجارة بها (Business)¹ إذ قللت سلطة الأبوين بقوة القانون الوضعي، ومن خلاله سلبت الآباء والأمهات التربية الجنسية للأبناء متى بلغوا سن السادسة عشر. (كانت سن الرشد هي الواحد والعشرون) ولكن في زمن العوامة خفضت إلى سن السادسة عشر، وعندما يبلغ الأبناء هذه السن يعتبرون أحرارا من سلطة الأبوين ولهم مطلق الحرية في ممارسة الجنس مع من يشاءون ومتى يشاءون، وكيف يشاءون وحتى ممارسة اللواط أي الشذوذ الجنسي على مرأى ومسمع من الآباء والسلطات، وإذا حاول الأولياء التدخل في هذا الشيء الشائن فإن المحاكم تكون لهم بالمرصاد، وتدخل بكل القوة لحماية حرية الابن أو البنت وحرية الأبناء وحقوقهم الإنسانية في ممارسة الجنس، كما عملت الدول الغربية على تحرير الأطفال من سلطة الآباء بوسائل لجأت إليها من نفوذ الوالدين، جعل الأبناء يستقلون إقتصاديا عن الوالدين منذ نعومة أظافرهم وذلك بواسطة المنح والإعانات الاجتماعية التي تقدمها الدول الغربية لفئة الأطفال متى قرروا العيش والإنفصال عن الوالدين. حتى يستطيع هؤلاء الأطفال تسيير وتدبير حياتهم وأمورهم في

¹ ينظر . دكتورة القرطاجي نهي . الإغتصاب . دراسة تاريخية نفسية اجتماعية. الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 2003، ص- 248

سن مبكرة بعيدا عن الوالدين وتحت رعاية وحماية السلطات ويعيشون مع الأصدقاء والصدقات والأخلاء والخليلات فإن المحاكم تؤيدهم.

ولابد من الإشارة هنا إلى قول الله تعالى: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ"، "إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ ذُنُوبِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" سورة الأعراف الآية 80 و 81، يقول ابن كثير على لسان الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا، ولذا قال لهم لوط عليه السلام (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله، لهذا قال لهم في آية أخرى (هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) فأرشدتهم إلى نسائهم. فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهوهن (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك، وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهم ببعض أيضا. نقلنا عن ابن كثير الجزء الثالث ص 195¹.

¹ ينظر. ابن كثير الدمشقي إسماعيل بن كثير -ت- 774. تفسير القرآن العظيم. دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ،

1- عولمة السياسة:

منذ زمن غابر كانت خرائط العالم تحتوي على أنواع مختلفة من التجمعات السياسية، بدءاً بالعشائر و الدوقيات وحتى إمارات صغيرة إنتهت بشكل حقيقي بإمبراطوريات كبرى، تحكمها دول قوية وفقاً لنظم سياسية ومبادئ دستورية (ملكية أقلية استبدادية ديمقراطية الخ)، فضلاً عن جميع المستعمرات التي كانت تتحكم فيها قوى إمبراطورية عظمى. مثل بريطانيا وفرنسا وبعض دول أوروبا الغربية في إفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية، وفقاً لنمط محدد من وحدة سياسية لم يسبق للعالم من قبل أن شاهد هذا الإحتواء بالصورة التي عاشها العالم المتأخر، الذي قام بثورات ضد الوجود الإمبريالي و أصبحت المستعمرات دول مستقلة منذ النصف من القرن العشرين الماضي، ذوات سيادة و مع تفكك الإمبراطورية السوفياتية الكبرى في تسعينيات من القرن العشرين الفائت. صار العالم الآن مكوناً و مؤلفاً بشكل شبه كامل من دول وطنية ذات سيادة منظمة، وفقاً لأنماط سياسية مختلفة، و نمط الدولة الوطنية دليل على أن العولمة تتحكم بالعالم الذي لم يسبق أن كان على نمط واحد، و مؤلف من سياسة واحدة، حتى في العهد الكولونيالي في القرنين التاسع عشر والعشرين. حيث أصبحت أكثر من مائة و ثلاثين مستعمرة دول مستقلة. و اللافت للأنظار حيال هذه الدول الحديثة الإستقلال كانت تصوغ سياستها و علاقتها التجارية و تضع نظمها و قوانينها تحت إحدى الإيديولوجيتين إما الليبرالية أو الشيوعية قبل تفكك الإتحاد السوفياتي سابقاً. و كانت الأنظمة العربية الإسلامية تسير وراء الطوافة الأمريكية و البعض منها وراء الطوافة السوفياتية التي غرقت في قاع البحر الأسود مع التسعينات، أما الطوافة الأمريكية أو كما يقال لها الجبل الجليد العائم هو ذاك القطر المستتر عن الأبصار و الذي يحتوي على كندا و أستراليا و نيوزلندا و إنجلترا، أي الجزء الباقي و هو الأكبر الأنجلوساكسوني هذا الكيان العظيم سياسياً و عسكرياً و إقتصادياً و اجتماعياً و ثقافياً و دينياً، هو الأخطبوط الدائر و الملفت حول القارات الوحيد بلا منازع طبعاً بعد إنحيار الإتحاد السوفياتي، كما قلنا فيما سبق أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل كوكيل عن تلك الدول في الشمال الغربي، ولما نقول الدول الشمالية

نعني أيضا الشركات المتعددة الجنسيات في الدول الصناعية الكبرى و المنظمات العالمية، التي أصبحت كشريك في صنع القرار السياسي، حيث تم تقليص دور الدولة الوطنية و أخذ مبدأ السيادة في التآكل نتيجة سيطرة الشركات العابرة للقارات¹ في مختلف مجالات الحياة حيث أصبحت حرية الدول رغم أنفها ناقصة وعليه هناك شركات كبيرة على مستوى المعمورة وعددها حوالي 200 شركة عبر العالم و سوف نجرى مقارنة بين البعض منها و بعض الدول بالنسبة للمبيعات و الناتج المحلي الإجمالي لهذه الدول كمثال ما يلي:²

مبيعات شركة جنرال موتورز (176 مليار دولار) أكبر من دولة الدنمرك، و شركة و ديمليكريندلر مبيعاتها (159 مليار دولار) أكبر من دولة النرويج، و شركة تويوتا مبيعاتها (115 مليار دولار) أكبر من المملكة السعودية، و شركة رويال دوتش شيل (105 مليار دولار) أكبر من فنزويلا و البرتغال، و شركة أي بي إم (87 مليار دولار) أكبر من دولة سنغافورة، و شركة فوسفاكس (80 مليار دولار) أكبر من دولة ماليزيا و شركة سوني (60 مليار دولار) أكبر من دولة باكستان، و شركة بوينغ (58 مليار دولار) أكبر من دولة التشيك، و شركة هوندا (54 مليار دولار) أكبر من نيوزيلندا، و شركة فيات (51 مليار دولار) أكبر من دولة الجزائر، و هناك شركات كشركة وول مارت إكسون موبيل و شركة موتورز و ديملر وغ يرها بلغت مبيعاتها الإجمالية أكبر من 182 دولة في العالم، و قد بلغت مجموع مبيعات الشركات الكبيرة مليارات الدولارات أكبر من 182 دولة حول العالم. و على سبيل المثال فإن الشركات المتعددة الجنسيات تحتكر الأسواق العالمية و كذلك حقول الإقتصاد

¹ يمكن تلخيص الخاصية الرئيسية للعملة بالنسبة للشركات العملاقة العابرة للقارات والمتعددة الجنسيات والنجاح الكبير على مستوى المعمورة في سيطرتها على الأسواق العالمية والحصول على المزيد من المكاسب والأرباح ثم المزيد من الأرباح المالية بالإضافة إلى فرض نظم قانونية ومؤسسية لحماية مصالحها عن طريق منظمة التجارة العالمية، وتطوير وبناء قواعد مؤسسية بما في ذلك فتح الحدود أما التجارة الحرة بدون قيد أو شرط وتثبيت حقوق الملكية الفكرية، حيث صارت هذه الشركات المتعددة الجنسيات هي التي تمثل تعظيم قوى عالمية تفرض وضع السياسة أو السياسات الدولية وخاصة السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية صاحبة القطب الأوحده ومركز الشركات العملاقة العابرة للقارات ومن معها.

² ينظر. بي هنتنغون سامويل، و يتيرال بيرغر. عولمات كثيرة. مصدر سبق ذكره، ص - 210

برمتها. و تسيطر على مجمل السلع الإستهلاكية على أكثر من 70% من السوق العالمية، و ذلك في مجال الصناعة السيارات و خطوط الطيران و الفضاء الإلكترونيات و الحديد و الصلب في قبضة شركات أمريكتان هما كارجيل وكون، أجرا كما الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على 50% من إجمال الصادرات الأمريكية من الحبوب. فالعولمة السياسية بمعنى الكلمة تعني "تقلص سلطة الدولة و إختصاصاتها إلى مؤسسة أو مؤسسات دولية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، و هي بذلك محل الدولة تهيمن عليها".¹ و هي تعني أيضا أن أكثرية الدول حديثة الإستقلال هي صغيرة وضعيفة بكثير من الدفاع عن نفسها بصورة فعالة ضد دول أقوى، الشيء الذي يجعل مبدأ سادة الدولة بالذات قد أصبح من سمة العولمة أساسية و يخضع للمجتمع العولمي، و بأن العولمة السياسية هي التنظيم السياسي الذي إندمج فيه نموذج الدولة السياسية، قد إكتسب مكانة عولمية بوصفه النموذج الأكثر تمتعا بالقبول و قدرته على الإستمرار في الحياة. و من ثم ربطه بإقتصاد بالمشروعية العولمية لهيكله الحياة السياسية، من حيث الأهداف و البرامج و الإضطلاع بالمسؤوليات و الفعاليات عن طيف واسع. بما فيها التعليم و الرعاية الصحية، و إدارة الإقتصاد و المالية و برامج الرخاء و المعاشات التقاعدية، و حماية البيئة و التخفيف من وطأة الفقر طبعا بالإعتماد على الديمقراطية و الليبرالية السياسية، و حقوق الإنسان و الحريات السياسية، و الحريات الفردية إحترام آراء الآخر، جنبا إلى جنب مع الإهتمامات المتمثلة بقضايا السياسة الخارجية و الدفاع العسكري، حيث تقوم كافة الدول أو جلها تقريبا، على بنى بيروقراطية متطورة تتولى إدارة حملة البرامج الكثيرة التي تعتمد عليها تحملا لمسؤولياتها، و تكون من الأحسن في أيد مجموعة متحدة من رجال الأعمال و السياسيين و حكومات مدن تتولى السلطة في المستقبل تتمتع بصلاحيات واسعة، و مهيكلة رسميا (بموجب الدساتير و التشريعات) ككيانات ديمقراطية تساوى فيها جميع المواطنين بحقوق متساوية، في الأداء بأصواتهم في إنتخابات تحدد هويات شاغلي المناصب التنفيذية و التشريعية حتى تكون القوة التنافسية نزيهة، فيما يخص

¹ ينظر. كاظم الوالي عبد الجليل. جديد العولمة بين الاختيار والرفض. المستقبل العربي 275 عام 2002، ص71

المشاريع و المؤسسات العالمية تنصهر في إقتصاد عالمي شمولي لا مكانة فيه للخاصين و الطفيليين و المنبوذين المهمشين الذين سيتم التخلص منهم عن طريق البقاء للأصلح.

فباعتقادي أن الولايات المتحدة الأمريكية نصبت نفسها تحت غطاء العولمة السياسية، حيث إنتهجت سياسة الأقوى و متأثرة لمحورين أساسيين هما الإستراتيجية الألمانية و الإستراتيجية البريطانية. من ناحية السيطرة على البحار العالمية في القرنين السابع عشر و الثامن عشر حيث قامت على منع أي محاولة قيام أي دولة تتحدى القوة البريطانية خاصة الدول الأوروبية، و ذلك بإيجاد تحالفات إقليمية ضد أي قوى تتحدى الإستراتيجية البحرية البريطانية و عليه قامت بإنشاء أسطول بحري كبير يضمن لها السيطرة على المحيطات كونها تعيش على جزيرة و لها قوة برية محدودة، الشيء الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تحذو حذو بريطانيا في إستراتيجيتها البحرية حيث عملت على إنشاء الأساطيل الضخمة و إقامة القواعد الحربية، خارج التراب الأمريكي و خاصة بعد الحربين العالميتين الأولى و الثانية، و بفرضها إسرائيل ضد العرب بل في قلب الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية حتى تكون قاعدتها الأمامية في الشرق الأوسط قريبة من أراضي الإتحاد السوفياتي سابقا، الشيء الذي يسمح لها بخلق توازنات إقليمية (بمرونة حول العالم) ، كالتحالفات الإستراتيجية مع اليابان بعد إستسلامه عسكريا بعد الحرب العالمية الثانية و التحالف مع كوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية و التحالف مع تايوان ضد الصين الشعبية، و الإتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة. و التحالفات الأوروبية مع كل من فرنسا و بريطانيا و ألمانيا الغربية و باقي حلفاءها الأوروبيين ليؤدوا بدورهم دور متوازن، تجاه المنظومة الإشتراكية سابقا. أما بالنسبة للسياسة الأمريكية على طراز ألمانيا البسماركية (1871)¹ فالسياسة الخاصة بأوروبا في هذه الفترة كانت قائمة على إستراتيجية، بسمارك هي إقامة علاقات تعاون مع جميع الدول الأوروبية و توسيعها و خاصة الدول الكبرى (بإستثناء فرنسا)، حيث تكون القوى للألمان عن طريق تعامل مع الدول

¹ ينظر. بول كير كرايد . العولمة . الضغوط الخارجية. تعريب الدكتور رياض الأبرثم، الطبعة الأولى مكتبة العبيكان الرياض 2003 ص - 225

الأوروبية في ميادين التجارة و الإقتصاد و إستمرار الصداقة الألمانية الأوروبية على حساب فرنسا العدو، بل ذهب بسمارك أكثر من هذا حيث وضع إستراتيجية تضمن الأحلاف ضد فرنسا و نسج شبكة من المصالح الإقتصادية و السياسية و العسكرية، يكون مركزها برلين عاصمة ألمانيا. و من ثم ترتبط الدول الأوروبية بالعاصمة برلين، بحيث ترتبط مصالح الدول الأوروبية بالعاصمة الألمانية بعد توحيدها من طرف بسمارك و بالتالي يكون صنع القرار إختصاص ألمانيا، و من تخالفها سيدفع الثمن باهظا. و يمكن أن السياسة الألمانية في عهد بسمارك هي نفسها سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحالي حيث تعتمد على الأخلاق العسكرية، و إنتهاج سياسة وقائية و تسعى دائما إلى إستمرار نفوذها عن طريق، إزالة الحواجز التي تقف أمامها و توفر القدرة اللازمة و الحشد السياسي كما شاهدنا في حرب الخليج الثانية ضد العراق، عندما إستعملت أسلوب تحرير الكويت و تقسيم العالم العربي بشتى الأساليب الدعائية لإبعاد العرب عن بعضهم البعض. و متابعة خطى بسمارك و جعلت من نفسها القوة الأوحده و الأعظم على مستوى المعمورة، بل المركز الحقيقي للعالم عن طريق العلاقات السياسية، و الدبلوماسية و الأمنية، و الإقتصادية و الثقافية، و الأخلاقية و المالية، و لعل الأبرز و الأشهر أن الولايات المتحدة الأمريكية، و من تبعها من وكالات اليونسكو منظمة الصحة العالمية و منظمة العمل الدولية، و الإيكو سوك (Eco soc) التي تؤسس المنبر السياسي العالمي و المركزي تتابع الدول من خلال علاقاتها الدولية. و من الهيئات الأخرى منظمة التجارة العالمية و الإتحاد الدولي للإتصالات البعيدة و الأطلسيات (Intelsat). اللذان يريدان الإتصالات البعيدة العولمية و نظم الأقمار الصناعية، و منظمة التنميط الدولية المعروفة بإسم إيزو (Iso)، و الهيئة الدولية الكهربائية التقنية (IEC) اللتان تقرران و ترسخان معايير عولمية للتصنيع للمواد، من أجل الإنتاج. و مع تنامي المخدرات و الإبتجار بها و الإرهاب باتت الولايات المتحدة أكبر ممول له بسرعة عن طريق الشركات العابرة للقارات، و رغم هذا تبقى الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة على التجارة العالمية و صندوق النقد الدولي، مركزه واشنطن و البنك الدولي أيضا. فباعترادي أن العولمة السياسية و التي

تقودها حاليا الولايات المتحدة الأمريكية، تسعى لتزويجها هي إزالة الحدود السياسية بين جميع الدول ضمن المعايير الأمريكية حتى تصبح هذه الدول مؤهلة لعضوية الأمم المتحدة في النظام الدولي الجديد. و تنبطح أمام الإستثمارات الأجنبية بصورة متزايدة ترضى عنها الإدارة الأمريكية الصهيونية، و تقوم بعملية تضفي عليها أمريكا القبول و تمنحها شهادة صلاحية البقاء على قيد الحياة. وكذلك في ميدان المعلومات تضفي عليها أمريكا عين الرضا. و بتأييد منها و قد أخضعت حتى الآن جميع الدول العالم بما فيها الإتحاد الأوروبي و اليابان و الصين و الروس و الناس أجمعين، إلا القليل لأمرها العسكري و السياسي السيادي على مستوى المعمورة. أما بالنسبة للدول المارقة و هي قليلة جدا تعد على أصابع اليد جعلتها تعاني من مشاكل إقتصادية و اجتماعية و تستخدم ضدها شعارات معروفة مثل حقوق الإنسان و حقوق الأقليات، و حقوق الطفل و المرأة و حرية التعبير و التعددية السياسية، و النظم الديمقراطية و التداول على السلطة عندها تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية العنف السياسي المصحوب بالقوة العسكرية الدولية و المحلية كما هو شأن بالعراق و أفغانستان و التهديدات ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، و من ثم تقوم بتفتيت الأمم و تفكيكها إلى طوائف إثنية عرقية دينية. بحيث تعمل كل ما بوسعها إلى تفتيت الجماعات المتماسكة بدعوى الحقوق الفردية و حرية الرأي و حرية الجنس ثم السيطرة على عقول الشخصيات المرضية، من خلال تشكيل فرق غسل الأدمغة بإستغلال الكم الهائل من سبل الثقافة و ترفق المعلومات الخاطئة من خلال أحلام مرتزقيها و الخونة للدين، ساعية إلى توحيد أنماط سياسية في العالم من أجل إقناع الجميع بأن النظام الرأسمالي الليبرالي هو النظام السياسي الذي يجب الإنضمام إليه، لأنه يصلح لأن يكون نموذجا خصوصا بعد إنهيار المنظومة الاشتراكية و تحول العملاق الآسيوي أي الصين إلى فتح أسواقها أمام الإقتصاد الحر، و لعل سياسة الإدارة الأمريكية تحت رئاسة بوش الأب الرئيس السابق من إقناع أكثر من ست و ثلاثين دولة بالإنضمام إلى تحالف عالمي قصد غزو العراق، و تدمير قواته على بكرة أبيها. حيث شاركت بعض الدول العربية، و كانت في مقدمة الأرمدة و حذق جورج بوش الأب لعبة (فرق تسد). و ها هو ابنه جورج

بوش الإبن يمارسها بروح إنتقامية ضد العرب و المسلمين و ضد حركات التحرر العربية. لأن الرجل الأبيض الأوروبي يتمتع بالدهاء و الذكاء و يسعى إلى العودة مرة أخرى إلى السيطرة على الشعوب العربية و الإسلامية، لكن هذه المرة تحت غطاء العولمة و النظام العالمي، الجديد و حقوق الإنسان و النمو الديمغرافي و الديمقراطى، و مفاهيم الحرية و المساواة حتى تحتزل الدول إلى مجرد ظلال باهتة لكياناتها الماضية.

إذن الدول و الحكومات لن تكن عائقا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فهي توظف حسب ما تريد و وفقا لرغباتها و حاجاتها للشركات العملاقة. حسب السياسة الأمريكية حيث تتسلم طلبات التوظيف و العمل، و تتعاقد مع موظفيها و عمالها ، و هم يعملون لديها بواسطة الانترنت، و عند الإستغناء عنهم يطردون بواسطة الانترنت بدون مشاكل

2-عولمة السيادة:

ذكرنا أن الولايات المتحدة الأمريكية إنتهجت سياسة، بسمارك الألمانية الداعية إلى منع أي قوة أوروبية تنمو لكي تنافس ألمانيا، من دون أن تدخل ألمانيا مباشرة في صراعات عسكرية ثم إقامة أحلاف سياسية تخدم بالدرجة الأولى المصالح الألمانية، لذا نرى أمريكا جعلت من نفسها مركز علاقات المعمورة من ناحية الإقتصادية و السياسية و الدبلوماسية و العسكرية و الأمنية و الثقافية. بحيث تكون أمريكا هي صاحبة القرار و المستفيدة الأولى من مقر الأمم المتحدة التي يوجد مقرها في مدينة نيويورك. وكذلك صندوق النقد الدولي و البنك الدولي، الكل في الأراضي الأمريكية ثم تأثرت بريطانيا من الناحية العسكرية فسيطرت على البحار و الجو و أخيرا الفضاء. و الآن تلعب الشركات المانية الأمريكية دورا إستراتيجيا لأن القوة العسكرية و الإقتصادية والقوة السياسية بيدها، حيث تسيطر سيطرة كاملة على مجلس الأمن الدولي و هي التي تدير الصراعات العالمية و خاصة الصراع العربي الصهيوني. و قد عشنا هذه الظاهرة خلال الحرب السادسة على لبنان من 12 جويلية إلى 15 أوت 2006¹. ثم إن الشركات الأمريكية هي الأكثر و الأكثر على مستوى المعمورة و أمريكا. تمثل أكبر إحتياجات

¹ يوميات الحرب الإسرائيلية على لبنان 2006، النصر المنخضب . المركز العربي للمعلومات، السفير الطبعة الأولى بيروت

النقود (الدولار) مقارنة بأي دولة أخرى، ثم أن البضائع الأمريكية ومنتجاتها غزت المعمورة، زد على ذلك الأفلام و الإعلام، تسعى لنشر سمات الليبرالية و التي تكفل المساواة التي يتمتع بها المجتمع الأمريكي، و التي تتبارى بها إدارة جورج بوش الابن الذي تصهين منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، و آثارها العالمية و الحرب بصيغ مختلفة التي شاهدها علمنا اليوم، تفوق كثيرا كتلك التي قامت في الخليج العربي 1991/1990 ربما كانت سببا لقيام نظام دولي جديد كما خططت له الولايات المتحدة الأمريكية عندما إنهار النظام الشيوعي السوفياتي. عندها إتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قرارات لم يكن في الماضي مكن السهل إنجازها في غياب معارضة قوية كبرى، فقد كانت أزمة الخليج العربي الثانية فرصة لأمريكا من أجل إتخاذ قرار الحرب و اللجوء إلى إستخدام القوة ضد العراق، قصد إخراجها من الكويت و تمرير القرار الأممي رقم 678 بإستخدام القوة العسكرية، ضد العراق دائما و تقزيمه و فرض مناطق (أمنة) للأكراد في شمال العراق والشيعية في جنوب العراق، و بهذه الإستراتيجية الأمريكية تم تقليص نفوذ سيادة الحكومة العراقية على بسط سيادتها كاملة على رعاياها داخل الحدود الإقليمية العراقية. مما أدى إلى تآكل حالة الدولة و إضمحلها ظاهريا بعدما كانت الدولة العراقية في حقيقة الأمر نوع من التنظيم السياسي و القانوني الذي يوفر للجماعة البشرية الأمن و الإستقرار، و تنظم العلاقات فيما بين رعايا العراق داخليا و خارجيا. و كانت الدولة العراقية تحتكر و تتولى جميع وسائل القوة من عسكرية و دركية و شرطية و غيرها من وسائل القمع و الإكراه بالقوة على القوى و الضعيف من رعاياها، كل سواسية أمام القانون، الشيء الذي يمنحها القوة المادية على جانب كبير من الأهمية، و الدولة تنفذ قراراتها و أوامرها تنفيذا جبريا. و عليه فالدولة هي صاحبة السيادة.

و القيادة و الريادة و القوة القاهرة و القادرة على تحقيق الوحدة السياسية، و السيادة الكاملة و من هنا يخضع جميع رعاياها لإرادتها المطلقة. حيث تتمتع بظاهرة تسيير شؤونها على حسب دستورها و شرائعها، و من ثم فهي السلطة الدائمة غير المؤقتة و لا تقبل التجزئة و لا التفويض، و لا تخضع لأية سلطة أخرى، بحيث هي سلطة مستقلة إستقلالاً كاملاً و يحق لها أن

تختار النظام بالنسبة للحكم الذي تريد أن تطبقه، دون استشارة أية سلطة مهما كانت، و لها الحق المطلق في تدبير شؤونها على الطريقة التي تراها و الإستراتيجية التي تخدم مصالحها و تلاءم غاياتها و أهدافها الوطنية. و من هذا المنطلق كانت الدولة تتدخل تدخلا فعالا مباشرا في عملية الإنتاج، و التسويق الواسع للمنتجات. و تقوم بتوزيع الدخل الوطني لصالح الطبقات الدنيا، و تقوم أيضا بوظيفة المشتري على أبعاد نطاق للغاية، حتى بزوغ الشركات المتعددة الجنسيات العملاقة العابرة للقارات والتي ترتبط أيضا بالحرية و حقوق الإنسان. فضلا على أن السيادة تكون ضمن القاعدة العامة و هي أن السيادة ليست قيمة في حد ذاتها، ولكنها تعتبر قيمة كلما إرتبطت بالحرية و الحقوق من حيث دعمها و نيلها منها، حيث حلت الدولة محل الإقطاعيات تدريجيا و سوف تحل سيادة العولمة محل الدولة بإستخدام التكنولوجيا الجديدة ذات الإنتاجية العالمية. في تنافس جدي بين الشركات العملاقة التي غزت الأسواق العالمية بأسرها، و التي تعمل جاهدة بأن تجعل المعمورة سوقا لها، و خاصة بعد إكتشاف الثروة البترولية و تعرض الدولة الوطنية للتآكل نتيجة للإيديولوجيات و للإتجاهات العابرة للحدود الوطنية، أو تبعا لمتغيرات داخلية حيث ذهب شعار الإلتفاف حول الدولة التي لا تفتأ أن تظهر في مقاومة، كل جديد يطرأ على تغيير مهام و طبيعة الدولة التي تقوم بمزيد من القمع و القهر للطبقات العمالية. مما يعرض الدولة إلى التدخل في شؤونها الداخلية و خاصة بعد إنتهاء الحرب الباردة، و مع بداية القرن الحادي و العشرين أصبحت السيادة مرتبطة بالإقليم كما كانت في بداية تاريخ أوروبا الحديث.¹ حيث تقام السيادة على أرض معينة و محددة جغرافيا بمعنى إمتلاكها القدرة الكافية، و الاختصاص على أراضيها و هي الممثلة لرعاياها داخل الحدود و تتمتع بقدرات عسكرية و إقتصادية و بشرية تحميها من الأطماع الخارجية، و لا تعتمد على المساعدات الخارجية أي الإقتصادية أو الحماية العسكرية، غير أن السيادة العولمة أصبحت أكثر إشاعات من قبل. حيث هيمنت الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات و التي ترتبط بالحرية التجارية و حقوق الإنسان، و بث المعلومات و الأفكار و زيادة الإنتاجية، و

¹ ينظر. الدكتور البزاز حسن . عولمة السيادة حالة الأمة العربية . الطبعة الأولى مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت 2002 ، ص - 31

الحاجة إلى الأسواق التي قفزت على أسوار الدولة و فوق إرادتها. أخذت الدولة في الدوبان بسبب التقدم التكنولوجي الذي يصعب على الدولة الصمود أمام الانتقال و إنتشار التقانة الجديدة في ظل المتغيرات العالمية بالإضافة إلى ذلك فقد أدى التقدم التكنولوجي الذي ساعد الإتصالات و المعلومات إلى نشوء سيادة العولمة، و ما يرتبط بها من قوى الإنتاج و تطورات علمية حديثة، كقيام الشركات العالمية و عولمة عمليات الإدارة و الإنتاج و التسويق و التوزيع و الخدمات و تنقل رؤوس الأموال و المعلومات بين سكان المعمورة، و ازدياد الترابط و التماسك و التبادل بين الأمم. مما أدى إلى تغير العالم و تحويله إلى بيت صغير عالميا بالفعل، و يقوم البشر فيها على معرفة و إضطلاع على كل جديد و كل حادث يقع في المعمورة لحظة وقوعه دون الخروج من الديار و مغادرة الحارة، و ذلك راجع للتطور التكنولوجي الرقمي و الإتصالي إضافة إلى ذلك العرض السريع للأحداث، بواسطة النص و الصورة و الصوت و اللون و الحركة، المصحوبة بمثيرات مذهشة و مؤثرة في نفس الوقت التي خلقت علاقات جديدة بالنسبة للبشر على مستوى المعمورة، بما في ذلك الهاتف النقال و الفاكس، و الأسواق المفتوحة التي سيطرت عليها العولمة بدعوى حرية التجارة و بعض الأمور الجوهرية التي تتعلق بالسيادة الوطنية، و الخصوصيات الثقافية. إذ أن العولمة اقتحمت أسوار الدولة بدون إذن مسبق، لحق التدخل في الشؤون الداخلية الصرفة لها و حقوق الإنسان و المجتمع المدني، و حرية التعبير و الديمقراطية، هذه المفاهيم في الحقيقة هي لجم فم الدولة و تقييد من مبدأ السيادة التي عرفناها من خلال البث التلفزيوني بواسطة الأقمار الصناعية و بصورة أكبر عمقا و ذلك عن طريق شبكة الإنترنت. التي تقرب البشر بعضهم ببعض في جميع أنحاء كون المعمورة، فباتت ظاهرة الاقتصاد الفعال تخترق الدول بسرعة كبيرة و أيضا عمليات التصنيع، و توفير الخدمات تنتقل بمرونة و سهولة من دولة إلى أخرى و هي متشابكة عبر الحدود و الأسواق، تتزود بالمؤن من مجموعة دائمة التبادل من المصادر جملة الأفكار و الرؤى و التقنيات تكون جميعا دائبة الانتشار، و التوزيع بين مختلف الدول بقدر كبير مع تنامي سيادة العولمة الإقتصادية حيث حققت قفزات نوعية، في بداية القرن الحادي و العشرين، و هذه راجعة إلى مشاركة اليابان و

أوروبا و دول أخرى كالصين و روسيا، المنضويتان تحت الهيمنة الأمريكية على النظام الإقتصادي العالمي الجديد.

و هكذا فإن سيادة العولمة هي إعلان وفاة الدولة قبل الأوان، و ربما أصبحت العولمة عملية مستمرة و مكتملة الملامح عندما سنت القوانين من طرف حكومات، و برلمانات الدول الصناعية الكبرى. إذ ألغت الحدود و الحواجز الجمركية التي كانت تقف حجرة عثرة بالنسبة لتنقل رؤوس الأموال و البضائع من دولة إلى دولة، فالساسة الغربيون هم الذين خططوا لتحرير التجارة العالمية بواسطة "الجات"¹ بحيث صارت الدول المتأخرة تابعة في جميع الميادين لدول عديدة حيث تفاقم الفقر و تفاقمت التبعية الغذائية. خاصة في الوقت الراهن صار خطيرا على جميع الأصعدة كالنظم التعليمية و الصحية، و تفكك الأسرة و إهتبار نظم الإنتاج بسبب الحروب الأهلية في عدد من البلدان المتأخرة. و التي صارت تقدم الولاءات و الانبطاح أو لنقل الإنفتاح على الآخر و الإعتراف المتبادل بين المتأخرو المتقدم دون فقدان الشخصية الممزوجة بالقيم الأخلاقية الغربية. و في ظل التأمرك المستمر بأشكال و أنماط و نظم و إنتشار الإعلام بشكل لم يسبق له مثيل في كافة أرجاء العالم و منع موجات الهجرة وإثبات العنصرية ضد الإسلام و المسلمين العرب المعلنة جهارا من جديد في الولايات المتحدة الأمريكية، و عمليات التطهير العرقي المصاب للعديد من النعرات و النزعات و العنف ضد الهوية الإسلامية. و ما يترتب عليها من الهيمنة الأمريكية في حقبة القطب الأوحده بما في ذلك من الاستعلاء، و الاحتواء و التحكم في صندوق النقد الدولي و منظمة التجارة العالمية و البنك الدولي و عدم الإعتراف بالآخر، مع بذل الجهود المعتمدة لنشر الثقافة الأمريكية قصد تحطيم موضوع الولاء و الإحترام للتاريخ، و الوطن و الشهامة و الرجولة و الأمة. و إحلال ولاءات جديدة و رواج الفكر الديمقراطي الأمريكي حتى ترضى أمريكا في طبيعتها و تكون

¹ ينظر . الدكتور منتصر سعيد حمودة. حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة (دراسة فقهية في ضوء أحكام القانون الدولي الإنساني) . الطبعة الأولى ، جامعة المنوفيا مصر 2008 ص- 60

سيادة العولمة التي أنشأتها كأداة فعالة و التي تتمثل في الشركات المتعددة الجنسيات، حتى تتراجع الدولة عن دورها من حيث التدخل المباشر في عملية الإنتاج. كما تتعد في دورها عن حماية منتجاتها من المنافسة الخارجية، لأن حرية التجارة تساعد على إيجاد السعر الذي يلائم البائع و المشتري و يفيد الطرفين، و دور الدولة يبقى منها ضمان هذه الحرية و على الأخص حرية إنتاج و تسويق المواد الزراعية، إضافة إلى رفع القيود المفروضة على التجارة مثل الرسوم الجمركية و نظام الحصص، و تراخيص الإستيراد و ما شابه ذلك. أو بعبارة أخرى تغليب مصالح الشركات العابرة للقارات على المصلحة العامة وخاصة في دول العالم المتأخر. حيث خططت الولايات المتحدة الأمريكية و شركاتها العملاقة منذ الحرب العالمية الثانية سيطرتها على العالم بالقوة العسكرية و السياسية و الدبلوماسية لنسف نظام العالم الإقتصادي، و إقامة نظام جديد إنتهى بالعالم إلى ظاهرة العولمة حيث سيطرت الشركات المتعددة الجنسيات العملاقة على مقدرات الدول المتأخرة، و الشعوب المغلوبة على أمرها بدعوى حرية التجارة و حتى و إن قامت بعض المظاهرات الراضية للعولمة كما شاهدناها في سياتل قرب واشنطن عام 1999، و كذلك ما جرى في منتدى دافوس بسويسرا، إلا أن كعكة الكبار تنمو و تنمو، سواء تحرك الشارع المتظاهر في وجه هيمنة العولمة بإعتبارها ظاهرة تاريخية تريد القضاء على الدولة الوطنية. و معها منظمات غير حكومية رفعت رايات الإحتجاج و التنديد، و التحذير من سيطرة العولمة على جميع المصالح المالية و الإقتصادية و السياسية. و أصبحت سيادة العولمة بالإكراه الإقتصادي و السياسي حينما تتحرك المنظمات الصهيونية المتوخاة من الاستعمار، و التحقير عندما ظهرت التكتلات الإقتصادية و الإقليمية الدولية الكبرى و المستثمرين، و ذوي المهارات العالية هؤلاء هم الفئة القليلة التي تحقق لها عولمة السيادة أرباح إقتصادية كبيرة و متزايدة على حساب الغلبة من الفئات الدنيا، و المثال على ذلك شهرة كوكاكولا و مأكولات ماكدونالد، و الأغاني المستحدثة "الراب" و الموسيقى الصاخبة الساقطة، و هذا يعني أن سيادة العولمة دخلت بيوت الفقراء و المساكين، حيث احتل التوازن الاجتماعي و أصبحت المشاكل ذات صبغة كوكبية، حيث أصبحت

السلطة في يدي زمرة من رجالات الأعمال كوكبيين و حكومات مدن شغلها الشاغل هو تقديم القوة التنافسية لتلك المشاريع و المؤسسات الكوكبية المستوطنة في مدنها ، وصارت المعمورة سوقا واحدا، و عند النظر إلى سيادة العولمة يعني إنتصار الليبرالية الأوروبية الأمريكية و سيادة قيمها التي ستقود المعمورة إلى بزوغ فجر جديد "حقوق الإنسان"، على الطريقة الغربية يلقي بضلاله على المعمورة بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي و نهاية تاريخه، عندما انتهى تقسيم العالم الذي كانت تحكمه حضارتان لا غيرهما، و هما الرأسمالية الغربية و الشيوعية الشرقية ظهر الإسلام أن جاز لنا القول كمنافس للغرب في ظل سيادة العولمة الذي كان يشكل حضارة راقية قبل سقوط غرناطة 1492، و أصبح الإسلام يشكل حضارة القرن الواحد و العشرين قاطبة و شغل تفكير الغربيين سابقا و لاحقا في ظل تكريم الإنسان باعتباره أكثر المخلوقات تفضيلا بالمنظور الإسلامي. فالإنسان يعتبر خليفة الله عز وجل على الأرض، و يتمثل دوره و مسؤوليته في ضمان جميع الحقوق، بما فيها الحيوان و النبات تتم معاملتهما بشكل مقبول و عادل و مستدام، و هذا يتطابق مع ما قاله الله سبحانه وتعالى: " يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" سورة ص آية 26¹.

و عولمة السيادة التي تلقي بضلالها مباشرة على المعمورة هي غول، يقوم بتجريد الدول من تحكمها السيادي بالإقتصاديات الوطنية. حيث تعتبر العولمة أداة فعالة وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية و معها دول أخرى.، قصد خدمة مصالحها عن طريق منظمة التجارة العالمية التي سوف تحتزل الدول المارقة في الإستراتيجية كون العولمة الإقتصادية، قد أدت فعلا إلى تقويض قدرة بعض الدول على توفير الدعم الكافي لرعاياها، إذ تكمن المشكلة في الإستثمار

¹ ينظر . تفسير ابن كثير إسماعيل الدمشقي . دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع بيروت لبنان المجلد 6 ص55 في تفسير هذه الآية الكريمة هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عند الله تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله .

بالنسبة للشركات العملاقة التي تغير استثمارها من بلد إلى آخر حتى تززع الدولة المارقة من منظور السياسة الأمريكية و إيجاد عمالة تكاليف بسيطة وضعيفة للغاية، كما أن العامل لا يساوم الثمن أو الأجر نظير العمل الذي سيقوم به نقابات و إتحادات عمالية تدافع عن العامل .و من ثم تقليص موارد الدولة المارقة و إضعاف برامجها التنموية ثم وضع عراقيل جمة بالنسبة للرخاء و الضمان الاجتماعي، كما تزداد صعوبة العامل أمام الأسعار المتصاعدة بالنسبة لدخله المتدني، الذي لا يلبى حاجاته الإستهلاكية الضرورية ناهيك عن السلع المستوردة ذات الجودة العالية والتكاليف الباهظة، بما يزيد من التدهور المتفاقم و الحاصل والذي سيؤدي إلى الإنحدار إلى الهاوية، عن طريق تخلي الدولة عن الدعم بسبب سيادة العولمة على القرار السياسي.

3- عولمة الديمقراطية:

إذا كانت ملامح سيادة العولمة قد تجلت في زوال الدولة الوطنية أمام البضائع و السلع و الخدمات و رؤوس الأموال و حتى الأفكار، و هذا راجع لتدفق المعلومات على مستوى المعمورة بدون قيد أو شرط مما أعطى للعولمة مزيدا من فرص و فرض كثير من التحديات و ما صاحبها كثير من المعضلات حيث تعددت الآثار الناجمة عن عولمة السيادة و ما نتج من إنشاء و تكوين مؤسسات، عابرة للقارات متعددة الجنسيات مع عقد إتفاقيات تجارية كوكبية، إذ برزت تكتلات إقتصادية كبرى بحيث تضم عددا كبيرا من الدول، و تشكل هذه الدول كل منها على حدى كتلة متماسكة، تتمتع بشخصيتها القانونية التي تميزها عن باقي شخصيات الدول المكونة للكتلة، إذ تتمتع بسلطات واسعة تحولها اتخاذ القرارات التي تراها مناسبة، بدون الرجوع إلى الأعضاء. كما ساهمت سيادة العولمة في خلق ظاهرة الإندماجات و التحالفات الإستراتيجية بين الشركات المتعددة الأطراف العملاقة العابرة للقارات، و مكونة أشخاص قانونية جديدة على مستوى المعمورة، و أصبحت هذه الشركات المتعددة الأطراف أخطبوط نظرا لإمكاناتها و قدراتها المالية، و الإعلامية من الضغط على الدول و خاصة المارقة عند وضع السياسة العامة لدول العالم المتأخرة خاصة عندما يخضع القرار السياسي لإستراتيجية الشركات

المتعددة الأطراف بما يخدم مصالحها الإقتصادية و السياسية و الثقافية، فبذلك قامت عولمة السيادة تحت إعلام الليبرالية و الديمقراطية الغربية.

بادئ ذي بدء أقدم مفهوم الديمقراطية على أنها ليست إبتكاراً حديثاً، بل يرجع مفهومها إلى سقراط و تلميذه أفلاطون أستاذ أرسطو إلى تطبيقها في مدينة أثينا، حين إنتشر مفهوم الديمقراطية المستقاة من كلمتين يونانيتين هما Domo أي الشعب و Kratos أي السلطة و معناهما حكم الشعب بالشعب و للشعب¹ ، و في هذا الصدد قال أرسطو " إن أصفى و أنقى ديمقراطية هي تلك التي يطلق عليها هذا الإسم نابعا أساسا من تلك المساواة التي تسودها و تشيع فيها. أن القانون الحتمي لهذه الحالة يقضي بالألا يكون الفقراء عرضة للخضوع بأكثر مما يخضع الأغنياء و بالألا تكون السلطة العليا مقتصرة على أحد الفريقين و إنما يتقاسمها بالتساوي"². و عليه قامت مفاهيم الديمقراطية الليبرالية عند الغربيين، على افتراض أساس هو الحرية السياسية، حيث قاموا بنشر مفهوم الديمقراطية كنظام من نظم الحكم مقابل الحكم الفردي و الإستبدادي الذي كان شائعا في الغرب، و بعد انهيار الإتحاد السوفيتي سنة 1989 و حائط برلين أيضا، تظل سنة 1989 معلما تاريخيا إنسانيا مادنا نستقرئ تحولاته المفاجأة بالنسبة لمواطني أوروبا الشرقية، الذين شعبوا و سئموا من التلقين المكشوف. عديم الكفاءة بصورة لا تصدق من حيث تبيد و اضمحلال و إفلاس الإيديولوجيات اللينينية الماركسية، في أسواق رأس المال الدولي بالإضافة إلى النمو الديمغرافي الهائل، الأكثر سرعة في السنوات الأخيرة من تسعينيات القرن الماضي، بينما لم يشهد نموا في الإنتاج الإشتراكي، و خاصة في سنوات الثمانينات و حتى التسعينيات من القرن الماضي. مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد رجت المباراة قبل أن تبدأ عندما إنهار الفكر الإشتراكي و الشيوعي جملة و تفصيلا، دعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تطبيق نمط الديمقراطية حول

1 ينظر. أرسطو . ترجمة الدكتور عزت قرني ، دار الطليعة للطباعة و النشر، الطبعة الأولى، بيروت 1992 ، ص - 25

² ينظر. إبراهيم مفيدة محمد. الديمقراطية تأملات وطموحات، الطبعة الأولى عمان دار مجدلاوي الأردن 1998، ص - 82.

العالم. بل يمكن القول أن سنة 1989 كانت شاهد على الانتشار الأكبر للإصلاحات الديمقراطية على صعيد الحكم و الإدارة منذ ظهور الدول القومية.¹

و في ظني أن حاملو مشروع رياح عوامة الديمقراطية قد وصلوا إلى دول أوروبا الشرقية بدون شروط مسبقة، الذي كان يعتقد فيما مضى لا بد من توفير النمو الإقتصادي و تعميم ثقافة الديمقراطية قبل كل شيء. بيد أن ديمقراطية الغرب تحركت بدون الشروط الإقتصادية و الاجتماعية، إذ تم انتشارها الشبه الكوكبي الشمالي. عندها ظهرت العرقية التي مزقت أوروبا و أذكت نار النعارة الطائفية، قصد انتقال دول أوروبا الشرقية للديمقراطية و ذلك ما أثبتته الجماهير المطالبة بالحرية السياسية، و في نفس الوقت بالتمثيل و المشاركة الفعالة و ضمان وضع دستور، و فرض ثقافة الأغلبية و المشاركة في صنع القرار السياسي، و محاربة إحتكار السلطة من طرف نظام الحزب الواحد، و عدم إقصاء الأقليات و تعتبر هذه التطورات التي ظهرت في دول أوروبا الشرقية الأولى من نوعها، تكاد تكون أشبه بالمعجزات، بعد إختيار أنظمة الحكم المتسلطة و إنتهاكاتها لحقوق الإنسان، و حينما شاع إستخدام مفهوم الديمقراطية و عولمته، زادت ضغوط الجماهير التي نزلت إلى الشوارع متظاهرة ضد الأنظمة الإستبدادية خصوصا في دول المنظومة الإشتراكية الأوروبية الشرقية ذات الدكتاتوريات المتسلطة، و المستبدة مما زاد تعميق الشروخ الممزقة لها من الوضع الداخلي. كذلك عدم توزيع الدخل الوطني بشكل عادل بين رعايا هذه الدول الأوروبية الشرقية، ذات التوجه الإشتراكي سابقا زاد الطين بلة و مع الوعي الثقافي، و الإعلام و الاتصالات التي بلورت الصورة الحقيقية للكيانات السياسية، فأصبح عامل تزوير الإنتخابات في خبر كان، حينها صار الناس يتحدثون عن الديمقراطية بجميع أطيافها و إشاعتها. كما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1828 على نطاق واسع، عندما ظهر حق الإقتراع في هذه الدولة العملاقة، و التي تفتخر بالديمقراطية الليبرالية، غير أن الديمقراطية الغربية قد تراجعت في بداية أوائل عشرينيات القرن الماضي، إذ بدأت رياح الديمقراطية تتلاشى مع وصول موسوليني الفاشي إلى سدة الحكم في

¹ ينظر . فرانك لنتشر وجون بولي . مصدر سبق ذكره، ص 439

إيطاليا، وكذلك وصول هتلر النازي إلى السلطة في ألمانيا، و أيضا كانت سلطتهما مطلقة. ثم إنتعشت رياح الديمقراطية بعد إنتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، و إلى غاية 1962 تقريبا، هبت رياح الديمقراطية على عدد كبير من بلدان أمريكا اللاتينية و المستعمرات الإنجليزية و الفرنسية المستقلة، خلال عقدي الخمسينات و الستينات و ربما كانت أكبر ضربة وجهت للدكتاتورية هي الإطاحة بالدكتاتور كائتانو في البرتغال عام 1974. ثم هوت بفرانكو بإسبانيا 1975، فقد أصبحت رياح الديمقراطية تزحف نحو أوروبا الشرقية، عندما مست خلال عقد الثمانينات عددا كبيرا مع حلول عقد التسعينيات من القرن الماضي. عندها تحول عدد كبير من البلدان الاشتراكية إلى المذهب الليبرالي، تم زادت التأثيرات و الضغوطات الأمريكية تتفاعل و تتسارع مع الأحداث، التي اجتاحت أوروبا الشرقية من صحاح تطالب بالديمقراطية، و التعددية السياسية و خاصة الطبقات الوسطى و العمالية صاحبة المصلحة في القضاء على النظام الدكتاتوري الإستبدادي، هذه الأسباب الموضوعية وغيرها إذن زادت في شرعية التمرد و العصيان و الانتفاضات الشعبية، في جميع أرجاء أوروبا الشرقية فإنهارت أنظمة الحكم المسلطة على رقاب الغلبة، عندها كفت الولايات المتحدة الأمريكية منذ عهد إدارة كارتر عن تأييد الأنظمة الدكتاتورية في الدول المتأخرة كما سارت على نفس الإستراتيجية إدارة ريغن، و سارعت إلى تقليص التأييد الداخلي للأنظمة الدكتاتورية التسلطية، ولا يقتصر الأمر على التأييد الأمريكي بل يوجد في الواقع عدة عوامل و مشاكل إقتصادية و إجتماعية التي ساهمت بدورها بالانتقال إلى الديمقراطية الغربية، ما دامت تملك شعوبا تدرك المفاهيم التي تترتب عليها الانقلابات العسكرية، وربما تدرك مخططات الأمريكان الانقلابية كما حدث عام 1973 في التشيلي و السلفادور و هندوراس و البيرو.... الخ، لقد كانت مناطق الدول المتأخرة هذه عقود قد دخلت مسرحا للأحداث الانقلابية ضمن خطة سياسية أمريكية محكمة. الأمر الذي جعل الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية ينكر عليها هذه الممارسات، في الدول المتأخرة. حتى تتعاس عن دعمها، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تفعل ما تراه يخدم مصالحها فاجتاحت القوات الأمريكية غرينادا عام 1983، في

عهد إدارة ريغن وباناما عام 1989 في عهد إدارة جورج بوش الأب، بحجة استعادة النظامين الديمقراطيین طبعاً باستخدام القوة العسكرية على الطريقة الأمريكية، و ضغوطاتها القصرية و الدبلوماسية تجلت جهاراً في إقرار الديمقراطية و إشاعتها في كل من جمهورية الدومينيكان، و غواتامالا و بولونيا وكوريا الجنوبية، و تايوان بسيناريوهات حقوق الإنسان، و حتى تستجيب الحكومات والمجتمعات للإملاءات الأمريكية، و من المؤكد أن الحكومات في المجتمعات المتأخرة ستستجيب للمكافآت المتوقعة أو العصا أو الهراوة. كما يقول سونغ-جوهان¹: "بالنسبة إلى بلد مثل كوريا الجنوبية، يولى أهمية قصوى لزيادة الصادرات بتوسيع العلاقات الخارجية نتيجة الحتمية. فضلاً عن كونه أحد شروط نمو الإقتصادي، و دون إضاعت وقت تدرك فيه الحكومة و معها الشعب، أن إشاعة الديمقراطية هي البطاقة الضرورية للحصول على عضوية نادي الدول المتقدمة. من شأنه أن يوفر حافزاً قوياً لعملية اللبرلة، على الصعيدين السياسي و الاقتصادي في البلاد. بطبيعة الحال عندما تسير الحكومات و المجتمعات على الطريقة الأمريكية ربما تكون هناك بعض المكافآت إذا لمست الولايات المتحدة الأمريكية أو توقعت تغيرات نحو الممارسات الديمقراطية، و احترام حقوق الإنسان و الحريات الأساسية على الطريقة الأمريكية، و هذه تعتبر من الشروط الأساسية لإكتساب عضوية الأسرة الغربية، و من ثم تبدأ حركة الإصلاحات السياسية التي تشكل حافزاً مهماً بالنسبة لعولمة الديمقراطية، و تجنب العقوبات و التهديدات، خصوصاً حينما تكون مدعومة بتأثيرات دعائية دولية و عوامل داخلية تلوح بالإنفجار الشعبي، حيث فرضت سنوات العقوبات فعلتها ضد العراق وليبيا قبل الانبطاح. وإيران وسوريا حالياً وحتى فلسطين بعد وصول حركة حماس إلى السلطة، بعد الانتخابات الحرة المصحوبة بالتغييرات الجذرية داخل هرم السلطة الفلسطينية، وربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية مارست ضغوطات ضد الحكم التمييزي العنصري بجنوب إفريقيا (الأبارتهايد)، بضرورة التخلي عن سياسة التمييز العنصري وفتح المجال للحزب الوطني الإفريقي الحاكم حالياً بالتفاوض، حول تطبيق الديمقراطية حيث تضاعفت جهود دول أوروبا الغربية في هذا الشأن

¹ ينظر. فرانك لشنز و جون بول . مصدر سبق ذكره، ص - 432.

ليصير الزوج حكاما، مع البيض الذين أدركوا أن الزوج بشر مثلهم ولهم حقوق سياسية، واجتماعية في الوقت نفسه، لأن المطالبة بالديمقراطية في جنوب إفريقيا، كانت مدفوعة بتغييرات سياسية اجتاحت المنطقة، فمع انهيار الشيوعية وانسحاب باقي الدول الاشتراكية الأوروبية الشرقية، من المنظومة الكافرة بعد الإكثار من الانتفاضات الجماهيرية والشعبية وإزاحة التهديد السوفيياتي من الساحة الدولية الشيء الذي أنزل ضربة قوية ومؤلمة للأنظمة الاستبدادية، ذات الحزب الواحد، خصوصا في إشاعة الصور التلفزيونية للحشود الأوروبية الشرقية التي كفرت بالنظام الشيوعي وتحولت إلى النظام الليبرالي كالبولونيين، والهنغارين، والألمان الشرقيين والتشيكوسلوفاكيين والبلغارين، والرومانين في عمليات الإطاحة بأنظمة حكم الواحد، الغير المتمتعة بأية مصداقية شعبية والمطالبة بالديمقراطية التعددية، هذه المظاهرات وهذه الحشود الشعبية المطالبة بالديمقراطية في دول أوروبا الشرقية نفسها انتشرت في إفريقيا، وإن كنا نحن في الجزائر قد سبقنا الأحداث في إشاعة التعددية السياسية ابتداء من 5 أكتوبر 1988، وكذلك في مصر والأردن وتونس وعدد غير قليل من الدول العربية، التي تعمل على توفير مناخات سياسية تساهم في عولمة الديمقراطية وجزء كبير من إفريقيا، وخاصة بعد الأحداث التي جرت في رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وألبانيا ومنغوليا، حيث عولمة الديمقراطية البلدان الأكثر تشابها ثقافيا ومن ثم إلى باقي دول العالم الثالث، وواصلت أحداث الديمقراطية وأصداءها إلى آسيا وحوض الكاريبي، ولكن انتشار هذه النماذج بتزكية وإستراتيجية وتكتيكات مسطرة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، التي أنشأت الصندوق الأمريكي للديمقراطية عام 1983 تحت اسم النيد (NED)، الذي ساهم في تغيير نظام الحكم في بولونيا، والتشيلي ونيكاراغوا، الذي قدم الدعم الحاسم للحركات الديمقراطية التي أطاحت وأزالت أنظمة الحكم الدكتاتورية، وحتى عبر أوروبا الشرقية و وفرت الولايات المتحدة الأمريكية كل الشروط لتقويض النظام الشيوعي، في العقد الأخير من الثمانينات والولايات المتحدة الأمريكية تعمل دائبة في الوقت الحاضر الشيء نفسه في الدول المتأخرة وحتى في روسيا نفسها، حيث عمل صندوق النيد واضطلع بدور كبير ومهم بالنسبة لإشاعة الديمقراطية في كل من هايتي وناميبيا، وهذا من خلال معاهد

البحوث والمنظومات المعلوماتية المستقلة حديثاً، واتحاد النقابات الحرة وفرض مشروع دولي للإشراف على الانتخابات في الدول المتأخرة فيما يتعلق بالأنظمة الانتخابية والنظم القانونية وإدارات الجماعات المحلية، وغرس مشروع الخوصصة في الأذهان، و تعزيز مبادئه واعتماد تشريعات تؤدي إلى إصلاح اقتصادي واجتماعي، كما أبقّت الولايات المتحدة على التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية بالنسبة للدول المتأخرة حتى تجعلها دول عديمة السيادة، وبالتالي تتلقى الأوامر من العاصمة الفدرالية واشنطن، بعدما كانت هذه الدول تسير بأوامر بريطانية فرنسية سابقاً. فهي الآن تسير بأوامر الوكالة الاستخبارية الأمريكية المنسجمة مع عولمة الديمقراطية بالنسبة للمجتمع المدني، وهناك صناديق حربية ألمانية تضخ كميات معتبرة من النقود وتقدم مساعدات لمنظمات وأحزاب ديمقراطية تحت إشراف وكالة الاستخبارات الأمريكية وبتزكية منها عبر شبكة من الشبكات غير الحكومية حتى يتم تدويل النظام الديمقراطي على مستوى المعمورة، فحيثما كانت رياح الديمقراطية تهب لتقويها تبدأ الصناديق في التمويل لتدعيم هذه المصدقية بالنسبة للديمقراطية حتى يتم نجاحها في الأخير، في حدود ما تسمح به الإستراتيجية الأمريكية ومصالحها، وتدعيم مصداقيتها لدى الشعوب حتى يسارعوا إلى إلحاق بها في القشور. صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تتولى تعيين المراقبين الدوليين والاتحاد الأوروبي تابع لها قصد إثبات صحة الانتخابات في هذا البلد أو ذاك. بما يعزز نتائج ومصداقية ومشروعية الفائز بعد فرز الأصوات، وإعلان الفائز في المنافسة القائمة على الاستقطاب، كما جرى في كوريا الجنوبية عام 1997 وبلغاريا عام 1990 حيث تمت الانتخابات تحت إشراف المراقبين الدوليين، ومنع الحكومات المتسلطة بإدارتها من التلاعب بالانتخابات الحرة والنزاهة وإقصاء نظام الكوطة، الشيء الذي وضع حداً لحكم الدكتاتور بينوشي¹ عام 1973، في التشيلي الذي سيطر على الحكم حتى الانتخابات الحرة وكما جرى أيضاً بالنسبة لبعض البلدان العربية، مثل الكويت والسعودية حيث لأول مرة تشارك المرأة الكويتية، في الانتخابات بل تترشح لها ولم تحصل على الفوز كما حصل في ذات البلد عام

¹ علماً أن بينوشي أزاح من سدة الحكم الرئيس الراحل ألاندي سلفادور عام 1973.

2006، بالنسبة المترشحة الكويتية وفي هذه الحالات يقوم مراقبو الانتخابات الدوليون بإقرار نسب المشاركة، في الانتخابات الحرة النزيفة ومراقبة عمليات التزوير والتدليس ومراقبة الأطراف المتعارضة والوساطة بينها، وهذا من أجل توفير الاقتناع بالنسبة للسلطة الممسكة بزمام الأمور ومن ثم منعها من التلاعب بالانتخابات أو تزويرها أو الفوز بنسبة 99.9%. كما كان يجري خلال نظام الحزب الواحد قبل انهيار الشيوعية في البلدان المتأخرة خاصة، ومهمة الرقابة الدولية هي الكشف عن سير النتائج الانتخابية، وتسليط الضوء عليها إما القبول أو الرفض على العمل يتم على المستويين المحلي والدولي وربما يسير المراقبون الدوليون إلى أبعد من هذا، في بعض الأحيان كمد المساعدة للأطراف المتناطحة والمتعارضة، من أجل الوصول بها للجلوس على مائدة التفاوض حول صيغ وشروط تكون مقبولة لدى الجميع، فيما يتعلق بالانتخابات ونتائجها عن الوساطة الإيجابية التي ترضي جميع الأطراف، وكذلك الأمم المتحدة تلعب هي الأخرى دور المساعد في عملية الاقتراع، وإقناع الأطراف المتناطحة والمتخاصمة إلى مائدة المساومات قصد الوصول، إلى إشاعة روح الديمقراطية المضمونة جماعياً، وكذلك الدبلوماسية هي الأخرى تلعب دوراً هاماً في إطار المنظمات المتعددة الأطراف، مثل الجامعة العربية التي تهدف إلى الوصول تأمين الحد الأدنى من الوئام والاتفاق. ثمة أيضاً بعد آخر لا بد من ذكره لأنه يتعامل بكثافة مع إشاعته الديمقراطية، وحقوق الإنسان ويسعى إلى تعديل سياسات أو خطط لعولمة الديمقراطية أو حفزها، على معالجة مشكلات معينة من خلال الدور الذي يقوم به أعضاء الكونغرس الأمريكي، في ما وراء البحار من المساومات والمناورات بالنسبة لأصحاب اليد العليا حيث يعمل مع الجاليات المقيمة في المنافي، وهي كثيرة ومتنوعة كما جرى في العراق حيث تم الاتفاق بين الحزب "الاتحاد الوطني الكردستاني"، الذي يتزعمه جلال طالباني الذي عينته الولايات المتحدة رئيساً للعراق حالياً. وكذلك مسعود البزبازي وطائفة أخرى، التي وصلت على ظهر الدبابات الأمريكية خلال غزو العراق في شهر مارس 2003 بحجج واهية لا أساس لها من الصحة، كأسلحة دمار شامل وكذلك سيناريو المدفع العملاق وبالتالي كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد هيأت الرأي العام الأمريكي ومن ورائه العالمي بعد أحداث 11 سبتمبر

2001، وكانت قد بدأت حملتها الإعلامية على العراق بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، التي قادتها بالتعاون مع دول الجوار للعراق وأرمدة غربية لم يشهد التاريخ المعاصر مثلها بعدما مهد الرأي العام الغربي حول "المدفع الكبير" وانتهاكات حقوق الإنسان في العراق، وقررت أمريكا ومعها بريطانيا العظمى وإسرائيل وإسبانيا وإيطاليا وبولندا ورومانيا وغيرهم الكثير أن تنتشر الديمقراطية في بلاد ما بين النهرين، عندها جاءت بأشخاص أكثرهم معروفين بولائهم للأمريكيين، بعدما شنت الولايات المتحدة الأمريكية الغارات الجوية والصاروخية على العاصمة بغداد والمدن العراقية، بواسطة القاذفات العملاقة ب52 في حرب غير متكافئة على بلد عضو في الأمم المتحدة والجامعة العربية، الذي يقول ميثاقها: إذا تعرضت دولة عربية إلى اعتداء، فالدول العربية كلها ملزمة بالدفاع عنها بما فيها استعمال جيشها... الخ،¹ وكذلك إذا هددت عسكريا من دولة غير عربية فالدول العربية ملزمة برد التهديد عنها، وكذلك لا يجوز لأية دولة عربية أن تعقد إتفاقية عسكرية وأمنية مع أية دولة غير عربية في الأمن القومي العربي، فأين موقف جامعة الدول العربية من هذا؟

فباعقادي أن الدول العربية بدون استثناء كانت خلال غزو العراق من طرف العلوج إما متواطئة كدول طوق العراق باستثناء تركيا، أو صامته أو خائفة أو مؤيدة، علنا. فالعرب مسؤولون عما جرى وما يجري حاليا، في العراق من فوضى أمنية وفوضى سياسية وفوضى اجتماعية، وفوضى أخلاقية وفوضى اقتصادية. فإن هذه الفوضى ساعدت على اكتشاف أكذوبة ديمقراطية الولايات المتحدة في العراق، وما قامت به من أدوار بالغة الخطورة في شعب بلاد ما بين النهرين، حيث عملت على إحياء الفتن وتوفير المناخ دافعة السنة والشيعية والتركمان والبشمركا وغيرهم، من الحركات الطائفية على الاقتتال فيما بينهم، ليصبح الوضع الأمني منذ دخول العلوج إلى بلاد ما بين النهرين مهدد يوميا بالانزلاق أكثر فأكثر خطورة، حيث تتم الاغتيالات والمداهمات ليلا نهارا، وصوت الطائرات المروحية في الجو وضجيج الدبابات في شوارع المدن واحتطافات من طرف الأمريكيين، والعنف الذي يقومون به يوميا

¹ ينظر. شاكرفؤاد. حصاد القرن العشرين " السياسة و الدبلوماسية " ط 1 الدار المصرية اللبنانية القاهرة 2000، ص 161

ومهاجمة دور العبادة من طرف المارينز والعبث بجثث الموتى، وهذا الحقد الصليبي الصهيوني راجع في واقع الأمر إلى التحالف اليهودي الصليبي، فإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية ساعدت على عولمة الديمقراطية، عندما دعت الحركات المعادية للأنظمة الدكتاتورية في أوروبا الشرقية وسائر أرجائها، فقد تضرر العراق من ديمقراطية تسود أرجاء المعمورة، وبادر بالمقاومة ورفض الانطواء على الذات، ورفض عدم التسليم بالهزيمة بشكل رئيسي إذ لا تتمحور عولمة الديمقراطية حضارة بلاد ما بين النهرين، كما تراها الولايات المتحدة الأمريكية. و في هذا الشأن حتى الكنيسة الكاثوليكية قامت بمعارضة الأنظمة الدكتاتورية، عندما دأبت على نشر الديمقراطية المتمثلة في شخص البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان، حينما رفع صوته عاليا ومدافعا عن حقوق الإنسان، وقام بزيارة عدة دول منها بولونيا والبرازيل والفلبين والأرجنتين وأمريكا الوسطى، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة الرئيس الأمريكي كارتر وكوريا الجنوبية قبل وفاته، داعيا إلى روح التسامح والإخاء بين بني البشر وليس مثل البابا الذي خلفه على رأس الفاتيكان بنديكت السادس عشر، الذي أساء إلى الإسلام إساءة عنصرية وصلبية، في زمن عولمة الديمقراطية الساعية إلى مكافحة الإسلام، وهذا البابا الذي يلعب دورا أكثر مكرا وخبثا. لان جوهر القضية هي فلسطين المحتلة من اليهود، الذين عاشوا مع المسلمين في إسبانيا خلال الوجود العربي الإسلامي تعايشت الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام التي تلقى في الوصايا العشر¹، وهناك منظمات غير حكومية وهي عابرة للقارات، مثل الصندوق الآسيوي والمعهد، الأمريكي الإفريقي ومنظمات أخرى مستقلة تعمل من أجل عولمة الديمقراطية في كنف المجتمع المدني.

4- الاستكبار والهيمنة:

¹ ينظر إميل ناصيف، أروع ما قيل من الوصايا، دار الجيل الحديث، بيروت وهذه الوصايا هي 1- أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. 2- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. 3- أذكر يوم السبت لتقدسه. 4- أكرم أمرك أباك وأمك. 5- لا تقتل. 6- لا تزني. 7- لا تسرق. 8- لا تشهد على قريبك شهادة زور. 9- لا تشته بيت قريبك. 10- لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك.

لعل العامل الرئيسي الذي قاد الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاستكبار والهيمنة، هي الصحافة السوفياتية عام 1986 عندما نشرت مقالات نقدية تتعلق بجرائم العهد الستاليني وكذلك المنظومة الإيديولوجية الشيوعية على أنها كل لا يتجزأ، وغير قابل للنقد أو التغيير أو التطوير، ثم السباق المحموم للتسلح والتعنت، والتحجر والفشل الذريع للخطط الاقتصادية والانفجار الديمغرافي والمشاكل الاجتماعية، التي يصفها بريجنسكي بقوله: " لقد كانت أمريكا ببساطة أغنى بكثير، وأكثر تقدماً تكنولوجيا وأكثر مرونة وإبداعاً عسكرياً، وأفضل أخلاقاً وإجراءً اجتماعياً، بينما أضعفت القيود الإيديولوجية، الإمكانيات الخلاقة للاتحاد السوفياتي، جاعلة نظامه أكثر صرامة، واقتصاده أكثر إسرافاً وتكنولوجيا أقل كفاءة، طالما أن حرباً تدميرية على نحو متبادل لم تندلع، فإن الموازن في سباق طويل الأمد كان يجب أن يميل في النهاية إلى صالح أمريكا"².

ومما لا شك فيه أن موازن القوى مالت لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، المتعاضمة إستراتيجياً وعسكرياً، واقتصادياً وثقافياً وسياسياً، في ظل النظام العالمي الجديد، وخصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية السابقة، فمنذ بداية عقد التسعينيات استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتبوأ، مركز الهيمنة في أوروبا الشرقية وآسيا وإفريقيا، والأمريكيتين. فقد شهدت السياسة العالمية إستراتيجيات مستخدمة، أمسكت بزمامها الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل فرض هيمنتها واستكبارها وسيطرتها على المسرح العالمي، من خلال سياستها الخارجية ونظامها التحالفي، في ظل تعقيدات النظام الدولي مثال استخدام القوة العسكرية ضد العراق خلال حرب تحرير إمارة الكويت، كما حشدت الولايات المتحدة الأمريكية حشوداً دولية قوامها أكثر من 33 دولة، وخاضت حروب قتالية بواسطة حلف الشمال الأطلسي في حرب أطلق عليها "عاصفة الصحراء" التي حشدت لها أمريكا جيوش جبارة مدججة بالتكنولوجيا الحربية الجديدة والمتطورة تقنياً، ولم يشهد التاريخ مثل هذه الأرمدة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي نفس الوقت اتساع سياسة التواجد والانتشار الأمريكي

² ينظر. الدكتور حسين علي . نهاية التاريخ أم صدام الحضارات، الطبعة الأولى، دار النفائس بيروت 2002 ، ص - 45

السريع في منطقة الخليج العربي، فأصبحت هذه الأخيرة تعتمد كل الاعتماد على التواجد الأمريكي مقارنة بعقدي الستينات والسبعينات، وبذلك فإن معالم الاستكبار والهيمنة الأمريكية بدأت تطفو على المشرق العربي بكل وضوح، و ركزت الولايات المتحدة الأمريكية على تنمية هيمنتها وتوسيع سيطرتها، على دول الخليج العربي التي هلت للولايات المتحدة الأمريكية من أجل المحافظة على مصالح وصالح الطبقة الحاكمة التي كادت تعصف بها الثورة الإيرانية الإسلامية 1979، التي أطاحت بشاه إيران محمد رضا بهلوى لولا الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988) لما أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية قواعد عسكرية، في كل من الكويت والعربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة ودولة قطر والبحرين، وفي الأخير احتلت العراق احتلالا عسكريا عن طريق هذه القواعد الجوية لبلاد الرافدين، وبالتالي التحكم المباشر بشكل واضح في الثروة النفطية الخليجية، وزوال قلق الولايات المتحدة الأمريكية من وجود أو احتمال وجود توسع سوفياتي، أو حتى صيني أو ياباني أو غربي لأن الولايات المتحدة ربطت دول الخليج العربي بدافع مشترك كإمارة الكويت. وفي هذا الصدد يقول وزير الخارجية الأمريكي السابق "جيمس بيكر"، بعد حرب الخليج الثانية مباشرة في التعبير عن هذه الإستراتيجية الأمريكية الجديدة بالنسبة للتطورات الدولية التي جعلها في أربعة محاور هي :

- أ- انتهاء الحرب الباردة.
- ب- زوال القلق الأمريكي حيال التوسع السوفياتي في الخليج العربي والمنطقة.
- ج- استخدام أزمة الخليج العربي كأداة لتطور نظام عالمي جديد، بحجة ما بعد الحرب الباردة.
- د- بروز أطراف جديدة تمثل خطر على المصالح الأمريكية في المدين المتوسط والبعيد وعلى رأس هؤلاء أوروبا والصين الشعبية وحتى اليابان، لذا يجب الهيمنة على النفط العربي الخليجي وشمال إفريقيا.

لذا نرى تركيز السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، على منطقة الخليج واحتلال العراق باعتباره ثاني احتياط نفطي، ومن هذا المنطلق فقد نشطت الإستراتيجيات الأمريكية

على منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا، من خلال وسطاء محليين وإقليميين - كإسرائيل - وبعض دول منطقة الخليج، حتى صار التواجد الأمريكي المباشر بعد احتلال العراق مقبولاً أو حتى مستساغاً لدى بعض دول الخليج العربي بعد الترويج الإعلامي، المكثف والمركز للخطر الإيراني، كما كان شائعاً قبل غزو العراق وحالة العداء له، مثل امتلاك العراق المدفع الكبير والأسلحة ذات الدمار الشامل، والجرثومية والكيميائية والنووية... الخ وسيناريوهات كثيرة بدأت ملامحها تظهر مثل عاصفة الصحراء، التي تعتبر المدخل الرئيسي لإعادة ترتيب بيت الشرق الأوسط، وفقاً للمعايير الصهيونية الأمريكية الجديدة التي ظهرت مباشرة بعد انتهاء الحرب الباردة، إذ لم يبق الأمر كذلك واحد بعدما كان في العالم مركزان إثنان للسيطرة العالمية الأولى في واشنطن والثاني في موسكو، أما في الوقت الحالي فليس هناك إلا مركز واشنطن، وربما منذ أن طبقت أمريكا مخطط مارشال بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا، لتجني بعد ذلك أموالاً كبيرة من شرق آسيا أيضاً، ومن ثم انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة المهمة ¹Busines المعقدة، على الصعيد الخارجي وفق ثلاثة مشاريع للهيمنة:

مشروع الهيمنة السياسية، ومشروع الهيمنة العسكرية الأمنية، ومشروع الهيمنة الثقافية. والتي ستتبع جميعاً في آخر المطاف الشيء نفسه أي المعالم وصوالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية. لقد كان الزهو الأمريكي بلغ ذروته عندما تفاجئ بالانتصار السياسي الذي حملته الظروف، وساقته الأقدار بلا حرب وهو انسحاب القطب الشيوعي السوفييتي المنافس القوى من حلبة الصراع الدولي عام 1990/89، عندها استشعرت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها حلف شمال الأطلسي بالغبطة والسرور، وأيقنت أنها أصبحت صاحبة السيادة والقيادة، لأنها تمثل القطب الأوحده وهذا ما كانت تسعى إليه الولايات المتحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما عقدت التحالفات مع دول كانت بالأمس القريب عدوة (مثل اليابان وألمانيا)، وكذلك عقدت تحالفات آسيوية ضد الصين الشعبية خلال الحرب الباردة، أما الصين الحالية فهي دولة صديقة الولايات المتحدة الأمريكية. التي أصبحت قادرة بحكم إستراتيجيتها البعيدة

¹ Busines affaire compliquée et Business Man homme d'affaire imparfait.

المدى تتبوأ مكان الصدارة والاستكبار والهيمنة على مستوى المعمورة، إلا أن سياسة التحالفات لازالت قائمة بالنسبة لأمريكا، ولا تنفكك رغم انهيار الإمبراطورية السوفياتية التي كانت مناوية لها، وليس هناك في الأفق القريب تألب لتحدي قوة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ أنشأت هذه الأخيرة قوة عسكرية كبيرة لمواجهة دول عند الحاجة أو احتمال قيام حرب عالمية ثالثة، وللولايات المتحدة الأمريكية قوات عسكرية تقريبا على جميع المسارات والمنافذ البحرية والجوية والفضائية تستعملها في وقتها، وهي منتشرة في اليابان وكوريا الجنوبية وباناما، وهندوراس وكوبا وسنغافورة وأستراليا، في أوروبا الغربية وحتى أوروبا الشرقية لتلهدف للانضمام إلى دول الناتو إذ قبلت عضوية كل من بولندا وجمهورية تشيكيا والمجر والبقية تأتي، وتبقى في المعارضة للهيمنة الأمريكية كل من كوريا الشمالية في شرق آسيا، وكوبا في أمريكا اللاتينية، وإيران في آسيا، أما بالنسبة لفيتنام وكمبوديا ولاوس فقد هللوا للولايات المتحدة الأمريكية من خلال التعاون الواضح، وفي إفريقيا وخاصة بعد مجيء نلسون منديلا إلى الحكم وانتصر الزنوج رغم الانحياز الأمريكي للبيض، و استسلام ليبيا بقي السودان وسوريا تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية غير أن هذه الأخيرة تتحكم الآن في أكبر وأضخم الاحتياطات النفطية العربية بالاحتلال العراق، ووجود القوات الأمريكية على الأراضي السعودية والكويتية، والقطرية والبحرينية وغيرها. ومن ثم فإن الذي يهيمن على النفط تكون السلطة المطلقة، والسيطرة على الاقتصاد بالنسبة للقرن الحادي والعشرين الذي نحيأ فيه، كما أصبح التفوق العسكري الأمريكي واضح للعيان من خلال غزو العراق، إذ أجرت الولايات المتحدة الأمريكية أول تجاربها التكنولوجية المتطورة للغاية، ذات التقنيات العالية القتالية بواسطة الفيديو والأقمار الصناعية، وترسانة نووية وصاروخية وبيولوجية وبلستلية، دون منازع وما جرى وما يجري في العراق من دمار شامل للبنى التحتية، شاهد على التفوق الأمريكي، ولم تبقى إلا حفنة قليلة من الدول الخارجية عن الهيمنة الأمريكية وتتحداهما على جميع الأصعدة العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية. وبذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية، بلد المهاجرين من أوروبا ومزيج عالمي من المجموعات العرقية والدينية والثقافية، للهيمنة على هذه الدول المارقة أو فرض عقوبات اقتصادية عليها ومعاينة

الشركات التي تتعامل مع هذه الدول، أو تدخل بيت الطاعة أو ينتظرها الاحتضار بعد أن تقهقرت وزالت الشيوعية السوفياتية من المسرح العالمي السياسي. وفي مجمل الأحوال ستبقى الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على الاقتصاد العالمي، وتوجهه الوجهة الليبرالية كونها أكبر دولة مصدرة في العالم للتكنولوجيا، بعدما تحولت إلى أكبر دولة معلومانية و أكبر دولة صناعية، حين سارعت الشيوعية إلى الاحتضار السريع وتخلت عن أوروبا الوسطى والشرقية، وآسيا والشرق الأوسط، وإفريقيا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة القرار في هذه البلدان بلا منازع، وبالإضافة إلى ذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحالي إلى إضعاف الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعدما احتلت العراق ودمرت السلاح العراقي كما كانت تدعي بأن للعراق أسلحة الدمار الشامل. وهناك مواد جراثومية وكيميائية وحتى نووية ملوحة بخطورة هذه الأسلحة العراقية، لدى حلفائها وخاصة العرب أي دول طوق العراق، و الآن جاء دور إيران وسوريا والبقية تأتي. ولعل الأهم من ذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لدى الدول الأوروبية والآسيوية الصناعية بعدم التعامل مع إيران في تطوير العلاقات التي ربما تتحول إلى صداقات سياسية واقتصادية ثم صناعية، أو حتى تحالفات إستراتيجية في المدى المتوسط أو البعيد، إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية تضغط بقوة على حلفائها من أجل تقليص العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهذا من أجل حماية أمن الدولة اليهودية وبقائها الأقوى عدة وعتادا على جميع الأصعدة، لهذا أمريكا تريد تطويق إيران وحتى سوريا، وخاصة بعد الحرب السادسة على لبنان والسلطة الفلسطينية، وما أظهرته المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله من صمود وتحدي للآلة الحربية الإسرائيلية، التي أرغمت هذه الأخيرة على الاعتراف بمقاومة لا يستهان بها بسبب تطور تكنولوجيات الصواريخ لدى المقاومة الإسلامية اللبنانية وتضييق الخناق على الدولة اليهودية التي لا تقهر؟ فعلى الصعيدين السياسي والعسكري انحازت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، بل أرغمت بعض الدول العربية أن تدين المقاومة الإسلامية جهارا بحجة محاربة المنظمات الإرهابية، بسبب موقفها العدائي تجاه الأمة العربية والإسلامية وخاصة بعد احتلال العراق من طرف العلوج. وأخيرا

أرغمت الولايات المتحدة الأمريكية بعض الدول العربية بتقليم أظافر الجماعات الإسلامية، بعد فوز حركة حماس الفلسطينية في الانتخابات التشريعية، وسقوط منظمة فتح التي تسير سياسات واشنطن في الشرق الأوسط، وما اشتمل من خطف نواب و وزراء من حركة حماس من طرف إسرائيل التي ضربت كل القوانين الدولية والأعراف عرض الحائط، وفي نفس المحور فقد جوعت سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى كتابة هذه الأسطر. كما نجحت ضغوطات الإدارة الأمريكية في تطبيع معظم دول الخليج العربي علاقتها الاقتصادية و التجارية، مع العدو الصهيوني وحتى العلاقات الدبلوماسية بطرق غير مباشرة مع إسرائيل، كما يقال قصد تضليل الشعوب العربية، والحقيقة أن معظم دول الخليج العربي دخلت في حوار مباشر مع إسرائيل تحت المظلة الأمريكية. ففي الاستكبار والهيمنة التي نجحت الولايات المتحدة في ترسيمها، و هرولة الدول العربية إلى طلب الاستسلام و السلام مع إسرائيل، ثم محاربة المد الإسلامي بل عزل ممثلي الحركات الإسلامية والتيارات الداعية إلى المقاومة ضد الكيان الصهيوني، من شغل أو تشكيل حكومي مرتقب خلال الانتخابات الديمقراطية مستقبلا. لأن السياسة الأمريكية ومنذ حرب الخليج الثانية 1991، انصبت على ربط سياسة الدول النفطية الخليجية بدوائر سياستها الخارجية مباشرة، حيث أرغمت الولايات المتحدة الأمريكية الدويلات الخليجية النفطية على خلق ميزانية خاصة بالسلطة الفلسطينية، عندما تمت عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، و الوقوف ضد المد الإسلامي بالنسبة للشرق الأوسط والتطبيع التدريجي فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل بالنسبة لدويلات الخليج النفطية، والمثال على ذلك هو استضافة المؤتمر الاقتصادي الرابع لسوق الشرق الأوسط في شهر نوفمبر سنة 1997 بالدوحة عاصمة قطر الخليجية بمباركة أمريكية ومقاطعة واسعة عربية، حتى تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية تشتيت الأمة العربية وتستمر هي في الهيمنة السياسية على الأمة العربية والإسلامية . وتتضمن الهيمنة الأمريكية مجالات أخرى كالأمن والثقافة، في ترويج بعض المفاهيم ذات المحتوى الحشوي في تأدية التناغم الأمريكي الغربي، وما بلغته الثقافة الغربية من انتشار واسع و استكبار، وسيطرة على طراز باقي الأذواق في المعمورة، خاصة

الاقتصاد الأمريكي الذي يغزو الأسواق باعتباره سوق مستوردة وفي نفس الوقت مصدرة، و أمريكا دولة الرفاه تعتمد اقتصاديات أخرى على الاستهلاك، كما تلعب الشركات الأمريكية دور الهيمنة الإعلانية على التسويق عبر المعمورة. و تساهم في الدعاية الإعلانية فيما يعلق بالتسويق والأذواق والأزياء، دور كبير وأساسي للصادرات الأمريكية في العالم الليبرالي، دلالة كبرى التي بدأت تغزو بالفعل الدول العربية الإسلامية. فإن الاتجاهات و الميول و الأزياء، و الأذواق و الرموز الثقافية الأمريكية سيطرت، في نسيج الحياة الاجتماعية والسياسية وخاصة لدى شباب الأمة العربية والإسلامية، إضافة إلى اللباس والأطعمة السريعة و غيرها توغلت في المجتمعات العربية الإسلامية. وحتى اللغة الأمريكية أصبحت تنفصل من اللغة الإنجليزية الأم، إلى لغة ذات لهجة أمريكية التكلم. لأن المجتمع الأمريكي منفتح نسبيًا، وحتى بالنسبة للثقافة وأنظمتها ذات تنافس عالمي، إذ استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية اجتذاب الفئات العمرية باستمرار منذ كيانها و استقلالها عن المملكة المتحدة عام 1776¹ من جميع أرجاء العالم، باستثناء تجارة الزوج الأفارقة الذين تكيفوا مع المجتمع الأمريكي، واندمجوا في الحياة الاقتصادية والسياسية بعد الحرب الأهلية الأمريكية، بل منهم من شغل وظائف سامية في جهاز الدولة الأمريكية وتصدر الإشارة إلى أن المجتمع الأمريكي مجتمع دنيا المادة وتغيير الأزياء وعالم الإعلان، والعملة وتحرير التجارة والأسواق الكبيرة على المقياس الأمريكي، وخاصة بعد الانتصار المفاجئ الذي ساقته الظروف التجارية للولايات المتحدة الأمريكية، والمعسكر الليبرالي والذي ظهر نتيجة انهيار القطب الاشتراكي السوفياتي ومغادرته الساحة السياسية العالمية عام 1990، عندها انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الليبرالية الاقتصادية والنظام الديمقراطي الذي فرضته على دول أوروبا الشرقية بل صار نظامها حيث ترجم على أرض الواقع، وهذا ما باركته الدول الغربية في الوقت الحالي، رغم مساندتها مسيرة مفهوم الديمقراطية منذ برهة، هذه الحالة من الإفاقة من الوهم التي حدثت خلال الصراع الليبرالي الشيوعي،

¹ ينظر. د. المحذوب محمد. التنظيم الدولي " النظرية و المنظمات العالمية و الإقليمية و المتخصصة" ط 7 منشورات الحلبي الحقوقية،

والتناقض الصارخ بين الآمال التي كانت معقودة على الشيوعية في مرحلة الانغلاق، والأحادية الحزبية التي ميزت فترة الحرب الباردة وملامح الهيمنة الاشتراكية كحل للمشاكل الاجتماعية، ثم الانفتاح والتعددية السياسية والحزبية بالنسبة للنظام الليبرالي منذ الحرب العالمية الأولى، حتى وإن كانت هناك فترة أزمات التي وقعت ما بين الحربين العالميتين، تعتبر فترة احتضان لمبدأ الهيمنة الأمريكية على أوروبا الغربية والمشرق العربي فيما كان يسود تطلع أمريكي نحو الدول الخليجية العربية والشرق الأوسط و مجتمعاته، وخاصة بعدما أوجد الغرب دولة إسرائيل في قلب الأمة العربية عام 1948، بدأت أمريكا تنفرد بالمنطقة وتعني بها اعتناء متزايدا من التنظيم بالنسبة للقوى الإسلامية المعارضة للتوجهات الرسمية، قبل تفكك الاتحاد السوفياتي، ولذلك سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى خلق مأزق، تحاول من خلاله ربط الأنظمة العربية بخصوصيات ثقافية ديمقراطية صورية فارغة من آليات الاختصاص فيما يتعلق بالرقابة التشريعية أو حتى مسألة الوزراء في مجالس الشورى وعمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتواء المد الإسلامي، وخاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 على النظم الليبرالية وحتى الاشتراكية أو شبه اشتراكية، إلى تكوين جماعات إسلامية ضمن خطة مرسومة مسبقا من طرف الأمريكان وتوجهاتهم خلال الغزو السوفياتي لبلاد أفغانستان، في بداية عقد الثمانينات بالاعتماد على الأنظمة الخليجية العربية، الطائفة للإملاءات الأمريكية حتى الآن. لأن المنطقة العربية والإسلامية تبدو ضعيفة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية إذا ما قورنت بكوريا الشمالية، لذا دول الخليج العربي ترتبط بل تعتمد كلية فيما يتعلق بأمنها على القدرة العسكرية الأمريكية، ومع ذلك فضلت الولايات المتحدة الأمريكية تكوين مفهوم إسلامي يتماشى وحكام هذه الدول، وخلق هذا المفهوم يسقط بسقوط الحكام، مثال إسلام ضياء الحق في باكستان، وإسلام محمد أنور السادات في جمهورية مصر العربية، وإسلام جعفر النميري في السودان، وإسلام الحبيب بورقيبة في تونس، وإسلام صدام حسين في الجمهورية العراقية... الخ. هذا النوع من الإسلام الحكومي هو الذي حمل الإمام آية الله الخميني رحمه الله بوصفه (بالإسلام الأمريكي)، وهذا راجع للعلاقات القائمة بين حكام العرب والولايات

المتحدة الأمريكية، التي تهيمن من خلاله على الأنظمة العربية، ومن ثم تتحكم وتتداول في المنطقة العربية، بزهو وتفرض سياسة معينة تتماشى والإستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية، خصوصا فيما يتعلق بأمن إسرائيل وتفرض الاستحقاق السياسي الذي يخدم مصالح وصالح الولايات المتحدة الأمريكية و مصالح حكام المنطقة العربية والاعتراف بالجميل لهذه الأخيرة، بما قامت به من احتلال بلاد أرض الرافدين، ونجحت إلى حد ما في ترسيخ أقدام الصهاينة في المنطقة العربية بمباركة بعض الدول المجاورة للعراق، حيث هيمنت على الكل وجعلت دول الخليج العربي النفطية تسير في فلكها ومن ثم التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية. عرفنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لما تملكه من تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، و وسائل جد متطورة تقنيا مثل الأقمار الصناعية التي تراقب ثم تبث كل صغيرة وكبيرة، وشبكات الإنترنت التي سوف تسعى و ستبقى بالنسبة للغرب هي اشارة للتفوق للقرن الحادي والعشرين، قرن العولمة وقرن المعلومات، وقرن اقتصاد السوق. إذ تتجلى الهيمنة الأمريكية الصارخة في النظام العالمي الجديد. و في هذا المضمار تظهر جليا السيطرة الأمريكية من خلال المجالات الأمنية والاقتصادية والسياسية والثقافية بلا منازع. علما أن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت فرض نمط أمني بالنسبة لدول الخليج العربية النفطية، يتمثل في اختيار الترتيبات والهيمنة اللازمة باجتذابها دول من مختلف العالم، لتحقيق الأمن والاستقرار، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية عملت على توسيع نظامها العسكري للأوضاع الحالية واستغلت المفهوم الشامل للأمن القومي، كما وسعت حلف الشمال الأطلسي ومدته إلى دول شرق أوروبا، وذلك على حساب النفوذ السوفياتي المضمحل، وإذلال روسيا الاتحادية حاليا باعتبارها الوريثة للاتحاد السوفياتي سابقا، والهيمنة على دول أوروبا الشرقية و حلت الليبرالية مكان الاشتراكية و أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم في مصادرها، وتتحكم في اتخاذ القرار السياسي ومن ثم توجيه سياستها الخارجية، باختيار الوقت المناسب الذي يخول لأمريكا الدخول إذا وقعت صراعات أو نزاعات، وكما تحدد أيضا الوقت المناسب بما يتماشى ومصالحها ومصالح جماعة النفط الحيوية، كما جرى في العراق قبل احتلاله مثال عاصفة

الصحراء وثعلب الصحراء، وما جرى في البوسنة والهرسك على يد الصرب الظالمين بإحراق المسلمين في دور العبادة، وفي بيوتهم وفي قراهم. وكان الصرب يقطعون أثناء المسلمات بعد اغتصابهن، و ييقرون بطون الحوامل ويمثلون بالأجنة في بلاد يوغوسلافيا عندما قامت المليشيات الصربية بذبح الرجال المسلمين، جهارا قصد إشاعة الترويع والرعب والخوف والإرهاب، والإبادة الجماعية لمن كان محتونا هو مسلم ذبحوه ورسموا على جثته صليبا بواسطة خنجر، عندها قامت طائرات حلف الشمال الأطلسي (الناتو) بطلعات بملوانية وهذا لحفظ ماء الجبين و الوجه، ومن ثم إذلال روسيا المؤيدة للصرب الظالمين العنصريين وليس حبا في المسلمين، و إنما إظهار العضلات الأمريكية والهيمنة على بلاد البلقان والجبل الأسود، وفي هذا الصدد يقول توماس فريدمان، وهو أحد كبار أنصار العولمة، عن الهيمنة الأمريكية الفريدة من نوعها على رأس النسق الكوكبي بقوله: "إن استقرار العالم بات مرهونا ببقاء القوة الأمريكية، وباستمرارية الرغبة الأمريكية في استخدام هذه القوة ضد أولئك الذين يمثلون تهديدا لنسق العولمة، إن اليد الخفية في مجال الاقتصاد لن تعمل بكفاءة دون قبضة في المجال العسكري"¹، بيد أن القبضة التي أشار إليها فريدمان في تعليقه هذا، لم تبقى خفية على أحد، حيث تحققت الهيمنة الأمريكية باستخدام القوة العسكرية على معظم الدول الضعيفة، في النظام الدولي الجديد، وخاصة الدول العربية والإسلامية، عندما ربطت الولايات المتحدة الأمريكية مصير هذه الدول بصوالحها ومصالحها الخاصة بالمرّة، بل أنها أظهرت الشروط الخاصة بالهيمنة وما تكون عليه مستقبلا، كما دأبت أمريكا على ربط كل الأبعاد بشبكة متماسكة ومحكمة الانسجام، بحيث يتجسد وجودها بمقولة الحفاظ على الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية قبل كل شيء ثم الأتباع، أي الدفاع عن مصالح وصوالح الأنظمة التي ترتبط ارتباطا وثيقا، وخاضعة لها في جميع الأبعاد الاقتصادية والتربوية، والسياسية والاجتماعية الأخرى. بالمنظور الأمريكي تجاه النظام العالمي الجديد، وفي نفس الوقت يعكس هذا المنظور الواقع المعاش داخل الولايات المتحدة الأمريكية، التي يهيمن عليها سيطرة السلاح واللوبي الصهيوني

¹ ينظر . الدكتور ممدوح منصور . العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد. مصدر سبق ذكره، ص - 107.

وأفكار جماعات الضغط المتناصرة، والمتضامنة على طول الخط مع الكيان الإسرائيلي، الشيء الذي أدى بالاستمرارية والرغبة لدى هذه الأخيرة في تسليح إسرائيل حتى تكون لها الكفاءة القتالية ضد العرب والمسلمين مجتمعين، وضد أولئك الذين يمثلون الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الأمر الذي جعل مفهوم الأمن الإسرائيلي مرتبط مباشرة بالأمن القومي الأمريكي بشكل أو بآخر، و في هذا الصدد أولت الولايات المتحدة الأمريكية أولوية مطلقة، فيما يتعلق بأمن الدولة العبرية وزودتها بترسانة نووية وكيميائية وجرثومية وبيولوجية قصد السعي في الفساد، وقالت للعرب والمسلمين حذار من إسرائيل بعدما احتلت العراق وحطمت من قبل الترسانة العسكرية العراقية في حرب الخليج الثانية 1990/91. من القرن الماضي، وعندما قامت بدفع العراق على شن حرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية الفتية خلال (1980-1988) وكانت حرب الخليج الأولى بمباركة أمريكية وأموال عربية، قصد إضعاف وتصفية الترسانة العراقية وإضعاف اقتصاد الجارتين العراقية والإيرانية وتحطيم أقوى دولتين إسلاميتين، في منطقة الشرق الأوسط معاً، وكل ذلك كان مخططاً مسبقاً ومعروف لدى ساسة إسرائيل وأمريكا وغباوة بعض الحكام العرب، والمثال على ذلك قضية الرسومات الكاريكاتورية المسيئة للإسلام والمسلمين والإساءات المتكررة ومن قبل المحازر الذي قام بها المسيحيون في يوغوسلافيا ضد المسلمين، حيث وصل بهم الأمر إلى إجهاض النساء الحوامل وهتك أعراض المراهقات، واغتصابهن وإكراههن على البغاء على أساس هن مسلمات، والانتهاكات الوحشية مما دفع الآلاف منهن إلى الفرار في اتجاهات مجهولة. وقام جنود صربيا الكبرى باغتصاب عشرات النساء المسلمات، وهذا لسبب واحد هو ربط الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وخاصة بعدما استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية بضربات زلزالية يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 في كل من مدينة نيويورك وواشنطن العاصمة الأمريكية، هذه الضربات طبعت القرن الحادي والعشرين بطابع مأساوي عبر عنه الرئيس بوش (الإبن) بإعلان الحرب على المجهول أولاً، و على الإرهاب ثانياً، وعلى العرب المسلمين جميعاً حسبما استقرت عليه السياسة الأمريكية قصد الحفاظ على الهيمنة والسيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، على دول المشرق

العربي وشمال إفريقيا منفردة. كما أن القوات الأمريكية الضاربة تتحرك إذا تعرضت دولة عربية صديقة لهجوم ما، ولن تتحرك إذا قامت إسرائيل بالهجوم على العرب والمسلمين مجتمعين، أو فرادى بالضرب، حتى يبقى خطر إسرائيل ماثلاً أمام عيون العرب لما تمتلكه من الترسانة النووية وغيرها، قصد إزعاج الأمن العربي والإسلامي في مشرقه ومغربيه كما يبدو لي. لأن أمريكا لا تنظر إلا بعين إسرائيل، لذا نرى أن النفط العربي يتدفق على الكيان الصهيوني خلال الحرب السادسة على لبنان وفلسطين بسخاء من دول الخليج العربي و إسرائيل تضرب بكل وحشية المدنيين العزل بالقنابل الأمريكية الذكية المحرمة دولياً، حيث أصبحت إسرائيل في مأمن ولا تتعرض لأي خطر بعد احتلال العراق، وانبطاح دول الطوق، و لقد أصبح مصير الدول العربية بيد الصهاينة الظالمين، خصوصاً في ظل تنامي الروح العدائية للعرب والمسلمين، تكون أمريكا قد نجحت إلى حد ما في تحقيق ما تصبو وتسعى إليه من فرض الهيمنة على دول الخليج النفطية، باعتبار هذه المنطقة منطقة إستراتيجية لا بد من السيطرة عليها، وهذا مخطط قد رسم منذ زمن بعيد من طرف الخارجية الأمريكية، و بتزكية إسرائيلية بعد حرب أكتوبر 1973 مباشرة، قصد تحقيق نظام عالمي جديد، تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي الزعيمة الجديدة، وريبتها إسرائيل المستفيدة بالدرجة الأولى لخدمة جماعات الضغط في المجتمع الأمريكي الحر، وسماسة السلاح إذ سوغت لهم حرب على الإرهاب والحرب على العراق، ولبنان وفلسطين التحكم عن قرب في عائدات العراق النفطية، وهذا يعكس الإحساس الصهيوني الأمريكي بالزهو والاستكبار والهيمنة على المنطقة العربية.

5 - حرية التعبير:

حرية الرأي والتعبير هي مرآة الفكر برأينا لأنها تعكس تعدد الأحزاب السياسية، ومن ثم تعتبر المظهر الأساسي والمرتكز للأمم، بالنسبة للحريات الفكرية في المجتمعات الحضارية الراقية، حتى وإن كانت تستند أساساً إيديولوجي كالمذهب الفردي الذي هو شديد الصلة بالقانون الطبيعي، وما جاءت به كل من الثورتين الأمريكية والفرنسية¹، وما يعزى لهما في الظاهر بأن

¹ ينظر. الدكتور عيسى بيرم. الحريات العامة وحقوق الإنسان بين النص والواقع. دار المنهل اللبناني، الطبعة الأولى 1998 ص 313.

مواطنيهما والعالم الغربي الحر، يتمتع بحرية الرأي والتعبير وتعدد أحزاب، جرائد متحاربة ومتصارعة ومتناطحة. مما يظهر وكأن العالم الغربي الحر بخير وعلى أحسن ما يرام فللمواطنين حقوقهم السياسية وحقوقهم الاجتماعية، وحقوقهم في التملك والتصرف بحرية والتعبير، لهذا المعنى هو التنفيس عما بداخل الإنسان من مشاعر وآراء كونية يعيش مع جماعة أفراد، تعنى الظروف التي يجب على الأشخاص تفادي الوقوع فيها أو التشاور حولها. وعليه فالتعبير إذن هو وسيلة اتصال مع الآخر، ومن ثم يبدو لي أن حرية التعبير هي أن لكل إنسان الحق في أن يتبنى الآراء والأفكار، لأنها هي الدماء الدافقة التي تجدد حياة المجتمع وتذهب عنه الاعتماد على الغير والكسل، وحب المظهر والشكل، بدون قناعة من الإنسان وبدون غسل المخ لحقن يقينه الداخلي، بقناعة ظالمة ومتعسفة. و هذا ما نصت عليه المادة²19 من الإعلان العالمي على حق الإنسان، في اعتناق الآراء والأفكار دون مضايقة ومحاسبة حتى ولو بشكل عفوي، ودون إرادته وحرية وقناعته الشخصية ودون قيد أو شرط، أو ضغط داخلي أو خارجي من أي جهة كانت. وما زال المنظور الإسلامي يشجع ولا يقيد حرية التعبير، ولا يتدخل لتوجيه آراء الإنسان، أو يحمله على تبني أفكار وآراء لا يقتنع بها إلا إذا كانت هذه الأفكار والآراء تصب في مصلحة الإنسان ومصلحة المجتمع، حيث تدفع بالفكر الإنساني إلى التفتح والأخذ من علم الغير والابتكار والتطور بالتحكم في استخدام كل الإمكانيات المتاحة، وصولاً إلى نشر الأفكار وتحرير اللسان والتعلم، وأدوات الإيضاح والاتصال والإنجاز والمبادرة، وفي الوقت نفسه تزود بالمنافع، واستيعاب تأثيرات الفضائيات وقنوات البث، وأنواع القنوات المختلفة من أدب ورسم، وتشكيل منابر إخبارية وإعلامية ومرئية، ومسموعة ومقروءة، وغير المخلة بالقيم الإسلامية والأخلاق، وبعيدة كل البعد عن أسلوب القذف والتحريض والشتم و خدش الحياء ومتابعة الأفلام والصحف والأقلام والأفواه، التي تتجه نحو خدمة رفاهية الإنسان وضمان نموه

² ينظر. ول و إيرتل ديورانت. عصر نابوليون تاريخ الحضارة الأوربية. من 1789 إلى 1815 " ترجمة: الدكتور. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. المجمع الثقافي. أبو ظبي. دار الجيل . بيروت 2002 ص - 81.

الاقتصادي، حتى يتم البناء والإعمار والرقي والتقدم والتطور، مهما تباينت وتعددت الأفكار والآراء، دون تدخل السلطات أو جماعة الضغط، لأن حرية التعبير تنشدتها الأمم الحرة والشعوب الحرة، كما ينشدتها كل إنسان حر في العالم هذا الذي يمارس فيه الإكراه، وخاصة إذا كانت العقيدة، تختلف ففي هذه الحالة تنقيد حقوق الإنسان ويصبح جاهلاً ولا يعرف حقوقه وواجباته، بنظر الآخر (الغربي) لذا يجب على الخروف أن يتسلح كي لا يأكل دائماً، لأن الحرية ليست الانبهار بالآخر وتقليده يسيراً أو كثيراً، وإنما هي العمق الفكري الضروري لحياة الإنسان كإنسان كامل الأهلية، حتى يستطيع أن يشعر بالكرامة والحق في الحياة الكريمة، و في ممارسة الحرية بمختلف أنواعها وأشكالها وفي جميع الميادين ممارسة إيجابية بالنسبة للحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية، من دون قيود أو شروط أو ضغوط صادرة من السلطات الحكومية أو نظام آخر، لأن النظام الذي تسوده اللامبالاة والارتجال والسلبية والانفصال والاستخفاف بالغير، وتسيير الانتخابات والمجالس البلدية، و الولائية والوطنية بما يوافق برامج الحكومة ومصالحها وصوالحها إنما هو نظام مقيد¹، لأن جماعة الضغط تجعل حرية التعبير في مهب الريح، و يبقى هيكل السلطة غير متماسك وتوضع العوائق والحواجز ويكثر التشويش، وعدم القدرة على اتخاذ القرار في سبيل الرقي الاجتماعي والاقتصادي الفعال، ويظهر الصراع داخل بعض هيئات السلطة صاحبة القرار السياسي، إذ يسيطر القرار الإداري على القرار السياسي، وتظهر آفات التخلف والتدني الأخلاقي والتراجع عن التقدم والتنمية، وتتقلص تدريجياً الروح المعنوية لدى الأفراد الذين يكتمون عن آرائهم حول إبداء الآراء الشخصية، في كل المجالات وخاصة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا راجع لغياب حرية التعبير، لأن حرية التعبير تبني الذات الإنسانية المتميزة قبل كل شيء، حيث توجد حاجات متأصلة في المجتمع فلا يكون النظام منفرد برأيه، كما حث الإسلام أتباعه على التعبير عن آرائهم، فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ برأي الحباب بن منذر في معركة بدر

¹ ينظر . الدكتور النجار مصطفى . حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظري و الواقع العملي. الطبعة الأولى، الدار المصرية

الكبرى، عندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بأدنى ماء من بدر وأراد أن يقيم فيه، فسأله الحباب بن منذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل؟ أمنزلا أنزلك الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأنهض حتى نأتي أدنى ماء القوم فننزله ثم نغور ما وراءه ثم نبني عليه حوضا فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي، ثم أمر بتنفيذ خطته.¹ وحرية التعبير قد ارتسمت في المفهوم الإسلام بالواجب، وليست مجرد حق استنادا إلى التكليف الإلهي بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما قال الله سبحانه وتعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"، "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...." سورة آل عمران آية 110، 104 وكما جاء في الحديث: "لا يكون أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أحسنوا وإن أساء الناس أن تجتنبوا إساءتهم" ويقول أيضا: "لا يمنع رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه" ويقول أيضا: "من رأى منكم منكرا فليغيره"².

ومن غير شك، فلا رقابة على حرية التعبير، كما جاء في خطبة أبي بكر عندما تولى الخلافة تعد دستور للنقد البناء، وتدريباً على حرية التعبير: "إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"³ فهذه الحرية تجعل للإنسان موقف مشرف، وليس موقف متفرج ومهمش، ومن ثم يبقى في عزلة غير مبال بالأحداث النابعة من العولمة، التي تريد إعادة تشكيل حال الإنسانية، على النموذج الغربي. فالمنظور الإسلامي يكون الشجاعة في نفس

¹ ينظر. الدكتور عماد الدين خليل . دراسة في السيرة . دار الفرائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى. بيروت لبنان 1997 ص-149.

² ينظر. الدكتور محمود إسماعيل عمار . حقوق الإنسان بين التطبيق والضياع. مجدلاوي عمان الأردن، الطبعة الأولى 1423هـ، 2002، ص310.

³ ينظر. د. عماد الدين خليل . مصدر سبق ذكره ص - 312.

المؤمن، فلا يتردد في إعطائه حرية التعبير ويأخذ بها دون شطط، فهو معنيا ومشاركا ومساهما في جميع الميادين التي تجعل منه إنسانا، ومن ثم يبحث عن المعلومات والأفكار والأنشطة من أي جهة كانت، وهذا ما يطلق عليه حرية الكلام والتعبير، ونشر الأفكار البناءة، والنقد في مواضعه لا حدود له من وجهة المنظور الإسلامي، بل من لم يقوم به يعتبر من المتقاعسين عن النهي و المنكر، وحث الذين يمنعون ممارسة حرية التعبير على الهجرة إلى أرض الحرية، أينما كانت فالأرض أرض الله، حتى يستطيعون ممارسة حرية التعبير، ويتنفسوا أنسام الديمقراطية. حيث لا إكراه ولا تحقير ولا أكتاف عريضة. كما يعبر الإنسان عن رأيه علنا وعلى الملأ دون المماس بحقوق الآخرين، ولا الاعتداء على الأمن الوطني المخل بالآداب العامة أو النظام أو الصحة، وقد أناط المنظور الإسلامي بهذه الحرية حيث يقول الله تعالى "وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" سورة الإسراء آية 53، وفي آية أخرى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" سورة الأحزاب آية 70. وهذا التوجيه الحسن مرتبط بالحق في تلقي المعلومات والابتعاد عن المحظورات وفي هذا الصدد يقول الله سبحانه وتعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" سورة المؤمنون آيات 1.2.3، عن اللغو معرضون أي عن الباطل والفساد السياسي والتصدع الأخلاقي وهو فقدان أهلية الحوار وحرية الرأي، داخل الأنظمة السياسية والحزبية مع استخدام العنف السياسي والقوة العسكرية، قصد إجبار الغير على قبول الرأي والأمر الواقع، أو التهديد المباشر عن طريق زوار الليل، أو عبر الوسائل المسموعة أو المقروءة أو المرئية، ومنع المخالف لنظام السلطة القائمة بالاتصال بالجمهير الشعبية وتضييق تحركاته. وفي مقدمتها حرية التعبير والرأي والحجر عليه، ومنعه من التفكير والكتابة، والمراقبة المستديمة والتعسف في استعمال السلطة مع الظلم السياسي، وهذا ما ورثناه عن الفترة الاستعمارية التي إقترنت بالتحقير، واستعباد الشعب المستضعف المغلوب على أمره، وابتزاز خيالاته والتنكيل بمواطنيه مع الحرمان الإجمالي فيما يتعلق بأدنى شروط الإنسانية، خلال الفترة الاستعمارية الظالمة لأصحاب الحق أصحاب الأرض، بواسطة القوة العسكرية والخونة (الحركي) مع استعمال النفوذ السياسي والاقتصادي،

بالتعاون مع الغرب المسيحي والاستعانة به و الذي ظل يسعى إلى توسيع الأسواق التجارية، عن طريق مفهوم العولمة على حساب المستضعفين في الأرض ومنعهم من ممارسة حقوقهم المشروعة التي عبر عنها الغرب بعد الحرب الكونية الثانية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان منذ عام 1948 بعد أن ظلوا منبوذين ومحرومين منها لعدة عقود قد خلت، مستضعفين مستعبدين لا يستطيعون دفع يد معتد أو ظالم، وحتى بعد نيل الاستقلال بالنسبة للدول العربية والإسلامية، والانتصارات السياسية على القوة الظالمة الاستعمارية، انقلبت مفاهيم حرية التعبير إلى الاستبداد بالرأي واحتكار السلطة، من طرف فئة العسكريين الذين حكموا البلاد والعباد، عن طريق الانقلابات والأحكام العرفية وفرض حالة الطوارئ، والتجسس والوشاية الكاذبة وأجهزة القمع وزوار الفجر، قصد ترويع وتخويف المواطنين الأبرياء، و هتك حقوقهم ونصب آليات الرقابة على المراسلات، وبث الأوهام والخرافات و التقاليد والعادات، داعية إلى قبول المكتوب. حتى يستطيع قائد الانقلاب أو الزعيم الفذ باحتكار السلطة بلا منازع، معتمد في ذلك اعتمادا أساسيا على المافيا ذات التأثيرات في القرارات السياسية والاقتصادية، والتي تقدم الولاءات الصورية ويؤول الأمر إلى أصحاب المصالح المتضاربة للقطاعات المختلفة، ويهمش المواطن أينما كان وتزداد قضايا الاجتماع والاقتصاد والثقافة تعقيدا، و يتغير المناخ السياسي على المدى البعيد نتيجة لشخصية الزعيم الفذ الذي سيتمتع هو والمافيا، بجميع الحقوق السياسية والاقتصادية التي تهيئ لهم حياة اجتماعية بالترف وزخرف ونعيم بالاستعانة بالإدارة الأمريكية كما هو الحال في أفغانستان¹ والعراق، تحت وطأة الاحتلال الغربي الصهيوني المستحكم في البلاد والعباد. فكل ما نراه نجبه أو نكرهه هو راجع لغياب حرية التعبير، فبطبيعة الأحوال فالمواطن يعيش في مجتمع زاغت فيه حرية التعبير وإبداء الرأي، حيث عطلت السلطة العسكرية الحياة البرلمانية، وجمدت المجالس الانتخابية ومنعت حريات الاجتماع والاستماع للآخر، باسم المحافظة على ثوابت الثورة ومحاربة المتربصين بها في الداخل والخارج،

¹ ينظر. الدكتور النجار مصطفى . حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظري و الواقع السياسي . الطبعة الأولى الدار المصرية

في هذه الحالة تنتشر الأوبئة الاجتماعية كالرشوة والمحسوبية، ونظام العشائر والأعراس وهذا ابن الجارة و هذا ابن الحارة و تتعدد الاختلافات والتميزات إلى ما لا نهاية، وتختل البنية الاجتماعية بالتفاوت لجوانب الحياة الاقتصادية، بنشوء طبقة المنتفعين مع السلطة الحاكمة يلتفون حولها ويدافعون عنها، واستبعاد الجبهة الاجتماعية العريضة التي يعيش بعضها تحت وطأة الفقر ويعايش قسوة الحياة. ولا تتولى شيئاً من إدارة شؤون المجتمع بحجة الشرعية الثورية، والسلطة الأبوية مع إسقاط النسق الدستوري من الحياة العامة وفرض رقابة صارمة على حرية النشر وإذاعة الأخبار، ومحاربة التعددية السياسية وقمع المعارضة بكل وحشية والاستيلاء على الثروة الوطنية، وممارسة قيود شديدة على المفكرين والكتاب والصحافة حتى لا يبقى في الساحة السياسية سوى صوت الحكومة المهيمنة على الحريات العامة. كما تفتعل الأزمات بأفاعيل، وخبث ومكر ودهاء، وتجعل المجتمع ضيق الأفق لا يهتم من الحياة سوى اللهث وراء المشاكل اليومية (عمل، سكن، صحة، حرقة) حتى يصبح مجتمعا استهلاكيا ومن ثم يدخل في سبات عميق ونعاس وحتى الغيوبة ولعله يوما يصحو من سباته ونعاسه وغيوبته

إذا عاد إلى المنظور الإسلامي¹ الذي جاء بحرية التعبير، محررا العقل من الأوهام والخرافات في وقت لم يكن العالم مهيبا لمعرفة حقوق الإنسان. ولا حتى الجماعة التي هي تضع النظم الاجتماعية إلا قليل، و بنفس القدر يكون تبني الجماعة لظاهرة كظاهرة العولمة ومن صنعها وتلوغها بعاداتها وتقاليدها وتاريخها. إذ ترتبط في الأصل توضع لتنظيم شؤون الجماعة، ولا توضع لتوجيه الجماعة ومن ثم كانت الظواهر الاجتماعية متأخرة عن الجماعة وتابعة لتطورها، وكانت المواثيق والقوانين، حيث نصت الدساتير الدولية على حرية التعبير، في إطار حقوق

¹ ينظر. الدكتور عبد العال السيد محمد عبد المجيد . السلوك الإنساني في الإسلام . دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة . الطبعة الأولى . الأردن 2007، ص - 190.

(المنظور الإسلامي الذي يرحى خيره كولد صالح ولأرض فلاحية طيبة والإسلام يرحى دائما خيره لجميع الإنسانية)
ففي نظري المنظور الإسلامي يرى الرجال ثلاثة أشكال = (الرجل الشجاع كالأسد/ الرجل المراوغ كالثعلب/ و الرجل الجبان كالأرنب).

الإنسان الطبيعية على مستوى الدولة الواحدة وعلى المستوى العالمي، وقد درجت دساتير العالم تقريبا وذلك بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، على تكريس فصل منها لها يسمى بالحريات العامة ومنها حرية الرأي والتعبير عنه. كما أكدت الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسة، التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1966/12/16¹. مبدأ حرية البحث عن المعلومات والأفكار من أي نوع و تلقيها ونقلها من أي جهة كانت، سواء كان ذلك شفاهة أو كتابة أو طباعة، وكذلك الاتفاقيتين الأوروبية والأمريكية لحقوق الإنسان، فقد أكدت المادة العاشرة من الاتفاقية الأوروبية على أن لكل إنسان "الحق في حرية التعبير وهذا الحق يشمل حرية اعتناق الآراء وتلقي المعلومات والأفكار دون تدخل السلطة العامة بصرف النظر عن الحدود الدولية، وذلك دون الإخلال بحق الدولة في أن تطلب الترخيص بنشاط مؤسسات الإذاعة والتلفزيون والسينما" وكذلك اتفاقية أمريكا الشمالية أو ما يعرف بالإعلان الأمريكي لحقوق الإنسان الذي صدر عام 1969، حيث جاء منه أن "الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، وتقول ديباجة الاتفاقية: " أن المبادئ التي تعمل على إنقاذ الإنسان هي المبادئ المحددة في ميثاق منظمة الدول الأمريكية، وفي الإعلان الأمريكي لحقوق الإنسان و واجبات الإنسان، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".

وفي هذا الصدد تصدر وزارة الخارجية الأمريكية، في بداية كل عام ميلادي تقريراً مفصلاً عن أوضاع حقوق الإنسان في العالم، وتطبيقها ومظاهر الخلل و التقاعس والقصور في كل دولة على حدة خلال العام الماضي². كما ترى أن هذه الحريات تتضمن واجبات ومسؤوليات، لذا يجب إخضاعها لشكليات إجرائية، وشروط وقيود وعقوبات محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في المجتمع الديمقراطي لصالح الأمن القومي وسلامة الأراضي وأمن الجماهير، وحفظ

¹ ينظر.الدكتور بن ثابت سعيد. حرية الإعلامية في ضوء الإسلام. دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض 1426هـ ص66 وما بعدها .

² ينظر. الدكتور عمار محمد إسماعيل. حقوق الإنسان بين التطبيق و الضياع. الطبعة الأولى، مجدلاوي عمان الأردن 2002 ص-54.

النظام العام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب العامة واحترام حقوق الآخرين ومنع إفشاء الأسرار، وتدعيم السلطة حياد القضاء، وقد يتماشى الميثاق الوطني الجزائري عام 1986 حيث كرس على مبدأ القضاء على استغلال الإنسان للإنسان، وإلى جانب الميثاق الوطني جاءت أحداث 5 أكتوبر 1988، التي عجلت بمحيى دستور 23 فبراير 1989 والذي ينص على هذه الحريات، في المادة التاسعة والثلاثين منه حيث جاء أن "حريات التعبير وإنشاء الجمعيات والاجتماع مضمونة للمواطن" وجاء أيضا في نفس الدستور، الذي فتح المجال للتعددية السياسية، إذ جاء منه أن "الابتكار الفكري والبحث العلمي مضمون للمواطنين، حقوق المؤلف يحميها القانون، لا يجوز حجز أي مطبوع، أو تسجيل أية وسيلة أخرى من وسائل التبليغ والإعلام، إلا بمقتضى أمر قضائي وترتبط هذه الحرية بالديمقراطية التي أعادت بناء المجتمع الجزائري على أسس قوية اجتماعية واقتصادية وإداريا وثقافيا، نحو مشروع متكامل متجانس كما جعل التداول على السلطة قاعدة للانطلاق صوب الحرية السياسية والمدنية التي تفرض في اتخاذ القرار، و تثبيت أركان الديمقراطية في الكيان الجزائري وفق الصبغة الانتخابية الحرة، والنزاهة وإتاحة الفرصة للأصوات المعارضة، في مجال التعددية السياسية (ضمان حق تكوين جمعيات ذات طابع سياسي) والانفتاح الديمقراطي، داخل الدولة الجزائرية الديمقراطية الشعبية لكي يتمتع جميع مواطنيها بحرية التعبير والمساواة في ظل الشفافية والانسجام في الكيان الوطني الواحد.

6- حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001:

قبل الولوج بالبحث عن حقوق الإنسان بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، لابد من تسليط الضوء على حقوق الإنسان، وحين نناقش الحق ليست هناك مشكلة في التعرف الاستشراقي اللفظي لكلمة الحق، بدقة متناهية المعاني تعود بالارتقاء النوعي في مستوى الاهتمام بموضوع حقوق الإنسان كما قال الله سبحانه وتعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" سورة الحج آية 6، فالحق هو الله سبحانه وتعالى الذي كان أول من تسمى بالحق، الثابت الواجب والوجود، أو صفة من صفاته تعالى. إذ يقول: "إِنَّا أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" سورة النساء آية 105، والمراد العدل والحلال والحرام ولا إله إلا الله. فالله سبحانه وتعالى ذاتا و صفاتا إذ يقول: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" سورة الحج آية 6، هذه الدلالات الرفيعة والأفكار النبيلة تدور كلها حول الحق، والملك والصدق، والجد، والصواب، والتوحيد، والإسلام، والقرآن الكريم والحق بمعنى الواجب الثابت بلا منازع كقوله سبحانه وتعالى: "وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" سورة البقرة آية 240، والحق ورد بمعنى النصيب حيث يقول الله سبحانه وتعالى: "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" سورة المعارج آية 24 و 25، وورد لفظ الحق ضد الضلال، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: "فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ" سورة يونس آية 32، وجاء لفظ الحق في الإخبار بقوله سبحانه وتعالى " قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ، قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" سورة يوسف آية 50، الآن حصحص الحق ظهر جليا أنا راودته عن نفسه تقول امرأة العزيز أنا التي دعوته إلى مضاجعتي، وأعترف بخطيئي ولم أخنه بالغيب، ويقول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم العزيز أنني لم أخنه في غيبته بزوجته، لأن الله تعالى لا يوفق الخائن كقوله سبحانه وتعالى: "وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" سورة البقرة آية 45، كذلك في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء كقوله سبحانه وتعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ" سورة الروم آية 48، وفي الحديث الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" وعلى هذا الصعيد توجد صلة وثيقة بين القانون والحق، لأن القانون هو الذي يرتب الالتزامات والحقوق، كقولنا اعتقاد المؤمن في الموت والبعث والثواب والعقاب والجنة والجحيم حق، قال الله سبحانه وتعالى: "فَيَهْدِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ" ويقال للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب في الوقت الذي

يجب كقولنا فعليك حق وقولك حق كما قال الله سبحانه وتعالى: "كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ" وقوله تعالى: "وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ" إذ يصح أن يكون المراد به الله سبحانه وتعالى ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة، وجرت على ألسنة الناس كلمة الحق كقولنا أحققت كذا أي أثبتته أو حكمت بكونه حقا، وكقوله سبحانه وتعالى: "لِيَحِقُّ الْحَقُّ" فإن إحقاق الحق على ضربين أحدهما بإظهار الأدلة والآيات كما قال الله سبحانه وتعالى "وَأَوْلِيكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا" أي حجة قوية وكقوله تعالى "وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" وكقوله تعالى: "الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ" إشارة إلى القيامة كما فسره سبحانه وتعالى: "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ" لأنه يحق فيه الجزاء الآخروي، ويقال حاqqته أي خاصمته في الحق فغلبته وكقوله سبحانه وتعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ حَقًّا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ" وقوله تعالى "حَقُّ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ" قيل معناه جديد وقوله تعالى: " وَ بُعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرُدِّهِنَّ " كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة: لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك " أي ما الذي ينبئ عن كون ما تدعيه حق، ويقال فلان يحمي حقيقته أي ما يحق عليه أن يحمي، وقيل الدنيا باطل والآخرة حقيقة إشارة وتنبها على فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة، ويقال الحق من الإبل ما استحق أن يحمل عليه و الأثنى حقة و جمع حقائق، وأنت الناقه على حقها أي الوقت الذي ضربت فيه العام الماضي.¹

وبعد هذا التمهيد نرى بأن حقوق الإنسان تستند في المنظور الإسلامي إلى نصوص صريحة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبما أن الإنسان مرتبط بظاهرة النسيان كقوله تعالى "وأناسي كثيرا" من حيث إثبات أن الإنسان كثير النسيان كما قال أبو تمام:

"لاتنسى تلك العهود فإنما سميت إنسانا لأنك ناسي"¹

¹ ينظر الأصفهاني أبي القاسم بن محمد. المفردات في غريب القرآن. وضبط محمد كيلاني ماجستير كلية أداب جامعة القاهرة، بيروت، بدون تاريخ، ص - 650

¹ ينظر. العقاد. محمود لعباس. الإنسان في القرآن الكريم منشورات المكتبة العصرية صيدا. بيروت (ب.ت)

و قال غيره :

و ما سمي الإنسان إلا لنسيه و لا القلب إلا أنه يتقلب و يسري هذا المعنى على الإنسان يسهو و يخطئ كما قال الشاعر أيضا :

" و ما أبرئ نفسي إنني بشر اسهو و أخطئ ما لم يحمني القدر "

" و ما ترى غدرا أولى بذي ذيل من يقول مقرا أنني بشر "

و للإنسان أن يفكر فيما يشاء كما يشاء و هو دائما كثير النسيان إلا انه مدني الطبع و اجتماعي بالسليقة كونه نموذجا فريدا في هذا الكون على أساس الألفة الاجتماعية و الحلقة الآدمية لما جبل عليه من الاستعداد الذي يمكنه من الاعتلاء الى اعلى المناصب في سلم الرقي لتوفير حقوق بني جنسه ، لأنه مكلف بأن يؤدي ما عليه و ما يؤمن به بكل إخلاص و أمانة و إستقامة لأن له الأفضلية على كثير من خلائق الله ².

وفي الحديث: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء فيهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، و السهل و الحزن و بين ذلك والخبيث والطيب و بين ذلك" - رواه أبو داود- ولقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم و سخر له الأوضاع المالية المادية لتستجيب لحقوق الآخرين حيث يقول الله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ...." سورة الحج آية 64، حيث تتوافر الخيرات المادية في الأرض لجميع الإنسانية، إذ أن الإنسان أحسن الاختيار في توزيع الدخل الوطني بشكل عادل بين جميع المواطنين في إطار تبادل المنافع واحترام حقوق الإنسان مع الرعاية الاجتماعية والعطف والحنان. ورفع الحرج عن المغبونين والمحقرين والمهمشين وهذا لتدعيم العلاقات الإنسانية الأخوية حتى يتمتع الجميع بالرخاء الاقتصادي والنزول لمستوى العامة عند الضرورة أما الإنسان إذا أساء توزيع الثروة بين المواطنين فينطبق عليه قول الله تعالى: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى" سورة العلق آية 5، يقول بن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة " يخبر تعالى عن

² ينظر. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ) و الحلبي جلال الدين محمد بن أحمد الشافعي قرآن كريم و تفسير الإمامين الجليلين، تحقيق و تصحيح الدكتور إسماعيل شعبان محمد. مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة بدون تاريخ

الإنسان أنه ذو فرح وأشر ونظر وطوغيان إذ رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله¹ و ينجيل إليه العلو بمعيار الكبرياء والسيادة والقيادة على أبناء الإنسانية جميعا فهو السيد المطاع بدون إختيار وهم العبيد في ذهنه وهو مستحق الاحترام والتقدير إلى الخلافة والريادة بلا منازع. والمنظور الإسلامي يساوي بين الإنسانية في الخلقة. و جاء في تفسير الإمامين الجليلين سورة الفرقان الآية 49، و قوله سبحانه و تعالى " لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَ نُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنَاسِي كَثِيرًا " و الإنسان البشر الواحد جمع إنسان و أصله أناسين فأبدلت النون ياء و أذغمت فيها الياء أو جمع أنسي و الإنسانية و يقال للمرأة إنسان و لا يقال إنسانة، و إنسانيا قال ابن عباس رضي الله عنه إنما سمي إنسانا لأنه عهد الله فنسى بدليل الآية الكريمة " وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا " سورة طه الآية 115، إذ يقول الله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ" سورة المؤمنون آية 12 فالنشأة الآدمية ميزة تميز بها الإنسان على جميع المخلوقات في هذا الكون دون تمييز بالنسبة للجنس الإنساني في اللون والعرق والغنى والفقير... الخ مصداقا لقوله تعالى: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ" سورة السجدة آية 7، ولقد أرسى المنظور الإسلامي سن الخلق رغم اختلاف اللغات والأجناس والأنواع والألوان حيث يقول عز وجل "...يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ...." سورة الحج آية 5، وقوله أيضا: " قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " سورة الحجر آية 33، وقال أيضا عز وجل: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" سورة الرحمن آية 14، لقد خلق الله الإنسان من تراب دون تمييز بسبب النوع أو البشرة أو الجنس أو اللون أو العقيدة، ودون أن يكون لأي من الإنسان التفاضل أو التنافر بحسب حقوق إنسانية حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال، وهكذا تتوافر الخيرات المادية في الأرض لجميع الإنسانية إن هي حافظت على الضروريات الخمسة التي قال بها الفقهاء

¹ - ينظر. تفسير ابن كثير الدمشقي إسماعيل بن كثير ، مصدر سبق ذكره، ص - 326

وأحسنت الاختيار في توزيع الثروة الوطنية بين جميع المواطنين بشكل عادل إما إذا أساءت التوزيع فينطق عليها قول الله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا"، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا" سورة المعارج آيات 19 و20 و21، ولا غرو فالمنظور الإسلامي ينظر إلى الإنسانية بجميع عناصرها وطبقاتها على أنها أسرة واحدة متعاونة تعاونًا وثيقًا في الحياة، والمعمورة كلها بشعوبها وأديانها وعناصرها مجتمع واحد، حيث يكفل المنظور الإسلامي السلام والأمن خلال الوئام والتعاون والإخاء والتبادل الفكري والعقلي والروحي والمادي ويجب أن تحيا الإنسانية وتعيش في جوار بعضها البعض سلام وطمأنينة من الناحيتين الدينية والمدنية، وما أتيح لها من حرية الفكر والنظر والاعتماد على العقل وإعلام الوجود، هذا ما يتعلق بالحق والإنسان من خلال المنظور الإسلامي على نطاق واسع إلى ما قبل أحداث 11 سبتمبر 2001، صنفت الإنسانية إلى فئتين:

الفئة الأولى:

وتضم الإنسان الغربي المتمدن والمثقف ومن ثم لا يجوز المساس بحقوقه وعلى الكافة احترام ما يتمتع به هذا الغربي من تبجيل وتقدير وهو محظوظ فكريًا وثقافيًا هذا إلا أنه يجب على الكافة احترام جميع أنواع حقوقه، ومن يتعدى على هذه الحقوق تتخذ بشأنه أقصى الإجراءات العقابية سواء كان شخص أو مجموعة أشخاص دولة أو عدة دول.

الفئة الثانية:

وتضم الملونين من بني البشر، حيث تتجاهل الدول الغربية انتهاكات حقوق هؤلاء بسبب الذهنية المعادية للملونين أو في أحسن الأحوال تعرب وتتأسف لانتهاك حقوقهم. أما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ظهرت الأنانية والمصالح الذاتية والتعصب بكل أشكاله ضد العرب والمسلمين في أذهان الأمريكان والكولونيالية بالنسبة للذين هاجموا نيويورك وواشنطن في 11 سبتمبر، فمن الواضح أن الأمريكان كانوا يكرهون الدول العربية والإسلامية،

وفي المقام الأول الإسلام، وسائر الذين يدينون به، وأصبح الدين الإسلامي تهمة بعد نسف أبراج المركز التجاري العالمي بمدينة نيويورك، وضرب مقر وزارة الدفاع الأمريكية وكذلك واشنطن العاصمة الفيدرالية للولايات المتحدة الأمريكية، انخرت على العرب والمسلمين الاتهامات والسب والشتم، وحتى الكلمات البذيئة وإنتهاك حقوق الإنسان المختون ووصفه بالمتخلف والبدائي والهمجي، والدين الإسلامي بالجمود وأتباعه ومعتنقيه ومحبيه بالأعداء للحضارة الغربية الحديثة وبالجمود وعدم ملائمة ومسايرة الحياة العصرية وأن العرب والمسلمين عامة حاقدين على الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الحضارة الغربية، والوريثة الشرعية للقوة الرومانية. كما أعلن الرئيس الأمريكي جهرا اهتمامه للعرب والمسلمين والإسلام بالتخلف والجمود وأظهر الحقائق النفسية وما كان يخفيه الغرب والولايات المتحدة خاصة من حقد ضد الإسلام والمسلمين، بعد التطور ومساندة الأحداث ومواكبة التقدم الإنساني في شتى الميادين، ونال بوش الابن من العرب حيث سفه آرائهم في انفعالاته المفاجئة وأظهرت الولايات المتحدة الأمريكية على لسان رئيسها سخطها على الإسلام والعرب، وأن الحروب الصليبية ضد الإسلام مازالت قائمة وباقية، واستغلت الصهيونية والمسيحية المتطرفة أحداث 11 سبتمبر 2001 لإيقاظ الفتنة بين الغرب والعرب والقتال التي بلغت دورتها بقيام الولايات المتحدة الأمريكية بغزو أفغانستان واحتلال العراق مدعومة من قبل بعض الدول العربية والإسلامية (الكويت، السعودية، باكستان) وأثناء غزو أفغانستان في شهر أكتوبر 2001 من طرف الأمريكان ومن معهم قصد تدمير حركة حكومة طالبان وتشيت الشعب الأفغاني، وما قامت به قوات الاحتلال الأمريكية من اعتقالات في حقوق المدنيين من العرب الأفغان والمئات من الشعب الأفغاني وقادت الجميع إلى القاعدة البحرية في معتقل غوانتانامو بكوبا، إلا أنها لم تستطع القضاء على عناصر القاعدة ولا على قيادتها البارزة، ثم قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو واحتلال العراق في شهر مارس عام 2003 وتم تدمير البنى التحتية و الفوقية للجمهورية العراقية تدميرا كاملا، وتدمير الدولة وكافة مؤسساتها ونظامها والإطاحة بالرئيس صدام حسين بمرأى من العالم الحر وتحت أنظار الحكام العرب والعالم أجمع ومتحدية مجلس

الأمن التي هي عضو دائم فيه ومخالفة صريحة لميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز حق الدفاع عن النفس في حالتين:

- في حال التعرض لإعتداء خارجي والولايات المتحدة الأمريكية كما نعلم لم تتعرض لاعتداء من طرف الجمهورية العراقية.

- في حال وجود خطر وشيك، والولايات المتحدة الأمريكية لم تتعرض لخطر وشيك لا من طرف الجمهورية العراقية ولا من غيرها، وقد ثبتت من طرف المحللين الأمريكيين بأن الجمهورية العراقية لا علاقة لها بأحداث 11 سبتمبر 2001 ولا بالقاعدة وإنما هو مشروع القرن الصهيوني الأمريكي الحالي و بعد هذه الأحداث تعرضت أكبر دولة في العالم في بداية القرن الحادي والعشرين لعدة أعمال هجومية خطيرة داخل ترابها ذهب ضحيتها كثير من الناس منهم الأمريكيين أو من جنسيات عديدة، وفي هذه الهجمات تم تدمير برج مركز التجارة العالمي بمدينة نيويورك العاصمة الاقتصادية "التوأم" كما تم تدمير جانب من وزارة الدفاع الأمريكية "بنتاجون" ومات به خلق كبير، والجدير بالذكر في هذه الهجمات هي إستراتيجية تم تحطيمها وتنفيذها بواسطة طائرات ركاب مدينة تم الاستيلاء عليها بعد إقلاعها من مطارات بالولايات المتحدة الأمريكية وعلى غفلة منها أو هي من مكائد اليهود الذين سبق لهم أن كانوا أكبر محطمي الإتحادات الروسية، وهم اليهود وكان على رأسهم كرنسكي و تروتسكي وغيرهم. ألم يطلب اليهود الإسرائيليون من الولايات المتحدة الأمريكية 10 مليار دولار مقابل التوقيع على اتفاقيات أوسلو 1993 مع الفلسطينيين واليهود هم الذين كانوا وراء حوادث تدمير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في كينيا وتنزانيا وتدمير المدمرة الأمريكية كون في عدن؟!.

واليهود هم وحدهم الذين يعملون في الظلام متسترين تحت الغطرسة الأمريكية بحسب زعمهم معقل الحرية وحقوق الإنسان والمساواة الديمقراطية لفكرة إسرائيل التاريخية الضاربة جذورها العميقة في الذاكرة الأمريكية. وما يزال صداها يتردد وخاصة بعد 11 سبتمبر 2001 حيث أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية يد إسرائيل في فلسطين ولبنان على قدم وساق تفعل فيهما ما تشاء من قتل وحرق وتدمير البنى التحتية و الفوقية وخاصة للسلطة الفلسطينية على مرأى

وأمام الرؤساء والملوك العرب في قمة بيروت شهر مارس 2002 عندما قدمت المملكة العربية السعودية مبادرة التطبيع مع الكيان الصهيوني السلام مقابل الأرض، واعتمدها وتبنتها القمة العربية بأمر من أمريكا إلا أن الحرب الإسرائيلية قد استمرت وبمباركة أمريكية ولا تزال متواصلة في ظل حكومات عربية مغلوبة على أمرها وخاضعة للهيمنة الأمريكية الغاضبة عليها على طول الخط. وبخاصة عندما جرح الكابوي عندها قامت إسرائيل بمحاصرة التحويلات المالية و التبرعات للسلطة الفلسطينية ومحاصرة الرئيس عرفات حتى موته، وصادرت الأرصدة الفلسطينية والأموال أيضا باعتبارها موجهة لجماعات إرهابية وشملت هذه المصادرات حتى الجمعيات الخيرية الإسلامية والعربية التي كانت تساعد وتنشط في نفس الوقت في المشاريع الإنسانية والإعانة الإسلامية، كما تم اعتقال كثير من العرب والمسلمين بحجة حماية حقوق الإنسان الأمريكي من العربي الهمجي سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى في أوروبا وإيجاد سجون سرية تابعة لأمريكا، وتدخلت هذه الأخيرة لدى الدول العربية والإسلامية في تغيير برامج الدراسة وفي قضايا التعليم ومناهجه، حتى تكون خاضعة خضوعا للطلبات الصهيونية الأمريكية فالمشروع الصهيوني الأمريكي يتدخل في كل كبيرة وصغيرة، في السياسة والاقتصاد وحيات المجتمعات عن طريق صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، إذ تتلقى هذه المؤسسات الدولية التوجيهات من الدولة الإسرائيلية وتحت تغطية أمريكية لاعتبارات سياسية خاضعة لمنطق القوة والغطرسة وإسرائيل تستهزئ بحقوق الفلسطينيين والعرب وفي ثنايا تلك الإجراءات والحروب الأمريكية والعدوانية الصهيونية على الإسلام والمسلمين وعسكرة إسرائيل الهائلة بما في ذلك إمتلاكها الكثير من أسلحة الدمار الشامل، وتشجيعها المستمر من طرف الولايات المتحدة الأمريكية جزاء احتلالها أجزاء من الوطن العربي وتوسع يوميا باحتلال غير شرعي لأجزاء من أراضي السلطة الفلسطينية، وهي تواصل توددها إلى حاميتها بعد احتلال العراق، ومن هذا المنطلق وكما هو معروف بالنسبة للعرب وخاصة دول الجوار توهمهم بأعداء واهية عن "عملية السلام" أو ما يسمى بالمنظور الأمريكي "خارطة الطريق" ومن المستبعد أن تستجيب إسرائيل أو تحترم روح المفاوضات وفق القانون الدولي باعتبارها دولة "مشاكسة" أي دولة

معارضة للمجتمع الدولي، وفي نفس الوقت تدعي حماية حقوق الإنسان بما في ذلك حرية التعبير، وحقوق المرأة وتحررها بالنسبة للشعب الفلسطيني. وجاءت خارطة الطريق من طرف الولايات المتحدة الأمريكية بوحى من إسرائيل وموافقتها عليها لتحقيق التأييد الأمريكي لإسرائيل في هجماتها ضد الشعب الفلسطيني، وتدمير الحقول وكروم الزيتون التي يمتلكها الشعب الفلسطيني صاحب الحق وصاحب الأرض. وازدادت الهجمات الإسرائيلية باستخدام الجرافات العملاقة والعنف ضد الفلسطينيين بعد أحداث 2001 وخاصة بين تلاميذ المدارس والأطفال بمراى العالم وتحت أنظاره حتى أصبحت جثث الفلسطينيين تتراكم بعضها فوق بعض بدعوى حق الدفاع عن النفس الإسرائيلية في قطاع غزة والضفة الغربية والأرض المحتلة والضحايا الفلسطينيين يسقطون يوميا، والعالم يشعر بقلق شديد إزاء المدنيين نتيجة الأعمال العسكرية البربرية الإسرائيلية، وتدمير الحرث والنسل والاقتصاد الفلسطيني وأي أمل للفلسطينيين في المستقبل، وتجاهل الأمم المتحدة حصار رام الله بما في ذلك من تدمير البني التحتية المدينة والأمنية للسلطة الفلسطينية وتجاهل الولايات المتحدة ومعها الأمم المتحدة انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان بالطريقة نفسها التي تنتهك بها أمريكا حقوق الإنسان العراقي بعد احتلال بلاد الرافدين من طرف الشيطان الأكبر الذي كان حليف للعراق ضمن المجموعة المعادية لإيران بعد الثورة الإسلامية 1979، وهي بريطانيا والكويت والمملكة العربية السعودية ودول أخرى أزعجتها الثورة الإسلامية الإيرانية تحت قيادة الإمام الخميني رحمه الله، وكان من البديهي بالنسبة لمنطقة الخليج العربي التفكير الجاد في إيجاد نظام يقف أمام الثورة الإسلامية الإيرانية التي حررت الإنسان من قبضة الاستعمار ومناوئة لأفكار الإمام الخميني، وكانت الحرب الإيرانية العراقية (1980-1988) لتشخيص النزاعات بين السنة و الشيعة وكان البطل الذي وقف ضد الثورة الإيرانية الرئيس صدام حسين بمباركة أمريكية وخليجية حتى تنهض الولايات المتحدة الأمريكية بعد اجتياح الكويت 1990 - 1991¹، كان الرئيس العراقي صدام حسين قد

¹ كانت علاقات ايران مع العراق سيئة للغاية ، حيث كان الشاه محمد رضا بهلأوي يساعد أكراد شمال العراق بنقل الاسلحة الاسرائيلية و الامريكية ، و يساعد في تمويل الجماعات الكردية ، و بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ساعد الامام الخميني التنظيم

عقد اجتماع عام 1990/12/14 مع بعض من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي و بحضور السفيرة الأمريكية لدى الجمهورية العراقية السيدة أبريل غلاسي April Glaspic ودار هذا الاجتماع حول الحرب الإيرانية العراقية ومن ثم تطرق الرئيس العراقي إلى مصاعب الاقتصاد العراقي بعد الحرب وخلال المناقشة التي دارت بين الرئيس العراقي وضيوفه الأمريكان قد اشتكى من سوء تصرف إمارة الكويت والإمارات العربية المتحدة حول الحصص المخصصة لهما من طرف منظمة أوبك، وأن العراق يعاني أزمة مالية بسبب تجاوز السقف للإمارتين، كما أنه أشار إلى الجارة الكويت بأنها تأخذ كميات معتبرة من نפט حقل الرميلية الذي يمتد إلى داخل التراب الكويتي و رفض الكويت تحويل جزء من عائدات هذا النفط للعراق. وبذكاء ردوا أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيين بلهجة استرضائية للرئيس العراقي بأن النزاعات العربية عربية كخلافكم من الجارة الكويت ليس رأي في الموضوع و أظهروا بأن الوضعية فيه حق للعراق ويحظى بعلاقات دبلوماسية طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ثم إن هذه الإجراءات من طرف إمارة الكويت والإمارات العربية المتحدة تعتبر بمثابة اعتداء على الحق العراقي، فإنه من البديهي ألا يشعر الرئيس العراقي بالقلق، ومن ثم اجتاحت القوات العراقية إمارة الكويت الفاتح من أوت 1991، علما أن الكويت لا تربطها معاهدة دفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن هذه الأخيرة هرولت إلى تحرير الكويت مما حدى بها الى اطلاق عمليات "درع الصحراء، وعاصفة الصحراء ، و ثعلب الصحراء " وأمطرت الجمهورية العراقية بكمية من القنابل تعادل القوة التفجيرية بعشر أو أكثر قنابل نووية كالقنبلة التي القيت على هيروشيما خلال الحرب العالمية الثانية وقتل الأمريكان ومن معهم 200 ألف جندي عراقي حرقا أو تفجيرا وملجأ العامرية أكثر شاهد على ما نقول، ثم فرض النظام ظالم قصد القتل الجماعي للشعب العربي العراقي بأمر من إسرائيل بالقصف الجوي يوميا والعقوبات الاقتصادية التي استمرت لمدة تزيد عن 13 سنة مما أدى إلى إضعاف القوات العراقية وملل شعبها تحت ضغط

الشعب العراقي المعارض لسيطرة السنة العرب على سياسة العراق تحت حكم الرئيس صدام حسين حتى اندلعت الحرب الايرانية العراقية

الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة السجل الأسود في الداخل والخارج الذي يستدعي النقد ويشير الغضب، وهذا الغضب وهذا النقد متأنيان منذ استقلال أمريكا عن بريطانيا سنة 1776، وهي تتحامل على العالم وتتحدها من منطلق حقوق الإنسان وتصدير الديمقراطية على المعايير الأمريكية المزدوجة، حول حقوق الإنسان والديمقراطية هذا كله جزء من التسلط والمظالم السياسية التي تقوم بها الإمبريالية الأمريكية وانتهاك سيادة الدول والتحامل العنصري والعنف ضد الملونين في المجتمع الأمريكي هو نفسه الشجب للسود والأمريكان والذين يهاجرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية يتعرضون للتمييز داخل المجتمع الأمريكي الكولونيالي، حيث عاشت هذه الأخيرة وتعيش على الانزلاقات والمستنقعات منذ أن أصبحت دولة مستقلة كما قلنا سابقا خلال مسيرتها الرأسمالية العبودية، حيث تمكنت من الإنطلاق في الثورة الصناعية، حتى أصبحت صادراتها تفوق صادرات أوروبا، نظرا للعدد الهائل من العبيد المجلوبين من المناطق المختلفة الإفريقية عندما كانت تجارة العبيد جارية على قدم وساق في القارة الأمريكية والاستفادة من العبيد الأمريكيين الأصليين أيضا كقوة بشرية محلية واستعباد الهنود الحمر أصحاب الأرض وأصحاب الحق في أمريكا الشمالية فيما أصبح يعرف لاحقا بالولايات المتحدة الأمريكية المتكونة من السلالات الأنجلوساكسونية و المتفاعلة والمتجانسة والتي كانت قد شكلت منظومات اجتماعية واقتصادية مستقلة ذاتيا، ضمن كيانات طاغية سياسيا فبرزت إلى الوجود في ظل قيادة مادية وخصائص ومميزات Business وضعت نفسها فوق الطبقة البشرية وبدأت تتوسع والعدوان الخارجي ضد أمريكا اللاتينية والأنظمة السياسية على امتداد القرون الخالية وإلى غاية كتابة هذه الأسطر، و جعلت كيانات أمريكية لاتينية تابعة لها قصد تحقيق المزيد من الثروة والتحالفات فيما بينها وبين دول أمريكا الجنوبية ومن عصت فلها العصا.

يرجع العداء للولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ الانزلاقات منذ أن أصبحت دولة مستقلة ويمكن القول بأنها تقمصت التقميص البريطاني للقارات حيث بدأت باجتياح أو تدخل في الأرجنتين عام 1890، شيلي عام 1891، هايتي عام 1891، نيكاراغوا عام 1894 الصين

عام 1894، 1895، كوريا عام 1894-1896، باناما عام 1895، الفلبين 1898 كوبا 1898، بورتوريكو 1898، وما تزال محتلة و فيها قواعد عسكرية، باناما 1901-1914 هندوراس عام 1903، جمهورية الدومنيكان عام 1914، ميكسيكو 1914-1918، غواتيمالا عام 1920، تركيا عام 1922، السلفادور 1932، الحرب العالمية الأولى 1917-1918 الحرب العالمية الثانية 1941-1945، استخدمت فيها السلاح النووي ضد اليابان أو كما يقال القنابل الذرية، إيران عام 1946، أوروغواي عام 1947 اليونان عام 1947-1949، كوريا 1950-1953، ألمانيا عام 1948 فيتنام 1960-1975، قتلت حوالي مليوني فيتنامي، لاوس 1962، إندونيسيا 1965 كمبوديا عام 1983، عمان 1970، شيلي عام 1973، أنقولا عام 1976-1992، إيران 1989 ليبيا 1986، كمبوديا 1975، باناما 1989، بوليفيا عام 1986 ليبيريا 1990، الخليج العربي عام 1990، وإلى غاية احتلال العراق 2003 وما تزال القوات الأمريكية في الخليج، كرواتيا عام 1994، الصومال 1992-1994، يوغوسلافيا 1992-1994 البوسنة 1994-1995، يوغوسلافيا عام 1999 احتلال أفغانستان عام 2001¹. لذا ليس غريبا أن توجه ضربات مؤذية مقارنة للسياسات الأمريكية تجاه الدول التي استعملت معها في الحقبة الأخيرة ظاهرة العنف أو فرضت هيمنتها عليها بالطرق العدوانية، كما نرى في الوقت الحالي استمرار السياسات الأمريكية الداعمة للصهاينة الظالمين دبلوماسيا وعسكريا واقتصاديا وتكنولوجيا وتفاقم مصادرة حقوق الشعوب وخاصة الشعبين الفلسطيني والعراقي من خلال قصف القوات الأمريكية المستمر على الجمهورية العراقية وفي نفس الوقت قتل الفلسطينيين وهدم منازلهم وقلع الأشجار والبساتين والقضاء على مشروع الشرق الأوسط بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية، إن التمييز العنصري جعل هذه الأخيرة تشن هجوما على السجناء حيث تقيدهم بالسلاسل إلى السقف وتجردهم من ملابسهم حتى يبقوا عاريين ورؤوسهم مغطاة حتى الرقبة، ويتعرضون للركل والضرب و يبقوا معلقين لفترات طويلة أو حتى الوفاة، وكان مسئولون أمريكيون قد اعترفوا

¹ ينظر. العكش منير . المعنى الإسرائيلي لأمريكا . المستقبل العربي. م د و ع بيروت. 281، يوليو 2002، ص 93، 95

بأن المعتقلين يحضرون للتحقيق بالضرب الوحشي على يد الشرطة العسكرية الأمريكية وجنود القوات الخاصة و يحتجزون في محاصر جد ضيقة وكانوا غالباً معصوبي الأعين، كما أن محققي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية يمارسون التعذيب الممحي والوحشي، ويأتون بزوجات السجناء وأطفالهم والعائلات ويضع الجميع قرب زنانات المعتقلين قبالتهم حتى يرونهم¹ رأي العين ثم يأتون بكلاب من فصيلة بيت بول Pitbull الشرسة ويقولون للسجناء تكلموا وإلا سنطلق هذه الكلاب على عائلاتكم. مما دفع بناشطي حقوق الإنسان باتهام الولايات المتحدة الأمريكية بانتهاك حقوق الإنسان على أن أمريكا لا تكثرث لانتهاكات التي يرتكبوها جنودها. في هذه الحرب على الجمهورية العراقية التي ابتدعتها بين المسلمين، وهي لم تكن لها أي مصلحة في تعديد الديمقراطية أو حقوق الإنسان إلى العراق لأن همها الوحيد كان منصبا على النفط العراقي والقروض الاقتصادية في الخليج العربي وأمن الكيان الصهيوني والميزات الإستراتيجية كون العراق قلب الأمة العربية و فلسطين صدرها في ظروف العولمة وأحادية الهيمنة والديمومة في منطقة الخليج العربي بذرائع شتى ومحاولات الكذب والخداع في رأي صناع السياسة الأمريكية لتبرير حمام دم عراقي جديد وللقتل الجماعي، وضرب الأسرى حتى الموت والتمثيل بجثث من فقد الحياة سواء في قاعدة بيارغام الجوية في أفغانستان والعراق وفلسطين في أعمالها اللاشرعية واللاقانونية واللاأخلاقية واللاإنسانية.

7- أمريكا والإسلام السياسي:

قلنا أعلاه أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة متسلطة وصاحبة السجل الأسود منذ استقلالها عن الإمبراطورية البريطانية إلى أن أصبحت إمبراطورية عظمى حلت محل الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس وفضاظة حالة التشاؤم التي سادت الدول والأمم خلال الاحتلال البريطاني والأمريكي ومن الظواهر السياسية اللافتة للانتباه حرب المصالح الاقتصادية والمواقع الإستراتيجية المفبركة ضد الإسلام والمسلمين من طرف أمريكا التي تقوم بالبطش لما تتمتع به من أسلحة وسياسة التحقير والعصا التي تضعها بالألوان المناسبة لترسيها ومحافضة على مكاسبها في المدى

¹ ينظر. العكش منير. مصدر سبق ذكره، ص - 93

البعيد، فالولايات المتحدة الأمريكية على علاقة بالإسلام. قد وصلت إلى المغالاة -أحياناً- إلى الحد الذي رأى فيه الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريغان أن حركة المجاهدين الأفغان حركة إسلامية، وأن أعضائها هم النظير الأخلاقي للآباء الذين أسسوا الولايات المتحدة الأمريكية عندما قدم بعض أعضاء المجاهدين الأفغان لرجال الصحافة في حديقة البيت الأبيض عام 1986، بحكم العلاقات التي كانت تربطها ببعض الدول العربية كالسعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة والعراق خلال حربه ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية. إذ كانت الدبلوماسية الأمريكية تحث الدول العربية و الإسلامية على محاربة الشيوعية في بلاد أفغانستان المسلمة، ومع اكتمال النصر للمجاهدين الأفغان وانسحاب السوفيات تنكرت الولايات المتحدة الأمريكية للثوار الأفغان، وتخلت عنهم وتركتهم وحدهم في الميدان. بغض النظر عما حققوه من نصر، كانت هي المستفيدة الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي خلال حرب الاستنزاف الأفغانية حيث بذل المجاهدون الأفغان جهداً كالذي بذله جورج واشنطن خلال تحرير الولايات الشمالية عام 1776¹ من الاحتلال البريطاني، عندما قاد الثوار الأمريكيين ضد قوات التاج البريطاني في هجوم ساحق وذلك بعبور نهر ديلاوير الممتلئ بالثلوج ليشتبك مع حامية من المرتزقة البريطانيين والألمان في ترينتون (Trenton) حيث تمكن الثوار الأمريكيين بإلحاق الهزيمة بالعدو، حيث أعلن عن مولد الولايات المتحدة الأمريكية عام 1777، ثم نشبت الحرب بين فرنسا وبريطانيا عام 1778 عندها بدأت فرنسا بتقديم الدعم للثوار الأمريكيين تحت قيادة جورج واشنطن إلى غاية عام 1781 كان الإنتصار الذي حققه الثوار في معركة يوركتاون (Yorktown) في فرجينيا حيث انتهت الثورة الأمريكية عملياً عام 1783 بعدما ذاع صيتها على المستوى الأوروبي عندها أصبح جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في شهر فبراير 1789² ودام حكم جورج واشنطن لعهدتين

¹ ينظر. د. المجذوب محمد، مصدر سبق ذكره 443

² ينظر. شوقي جلال . العقل الأمريكي يفكر " من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات " ط1 مكتبة مدبولي القاهرة 2000، ص

رئاستين باشر خلالهما على ترسيخ النظام الديمقراطي كما أشرف على تكوين أجهزة الدولة، حيث وضع المعايير والأسس التي قامت عليها أكبر وأعظم دولة عرفها التاريخ الحديث، لأنها الدولة الوحيدة التي تعتبر الديمقراطية فيها أطول عمرا، والأكثر تسلطا ونفوذا والأقوى عسكريا والأكثر عدة وعتادا، بينما الأفغان ليسوا كذلك، لأن موقف الولايات المتحدة الأمريكية قد تغير، عندما صعدت الأصولية والتي اتخذت شكل الثورة على الأوضاع القائمة في أفغانستان تحت قيادة حركة طالبان التي أزاحت نظام محمد نجيب الله الشيوعي، و أحلت محله تطبيق الشريعة الإسلامية واستطاعت في وقت قصير السيطرة على مقاليد الحكم في أفغانستان والاستيلاء على العاصمة كابول وبدأت في تنظيم الحياة المدنية والاجتماعية كسياسة إسلامية التي كونت التكافل الاجتماعي القائم على تكافل الأمة في المسؤولية العامة. ما نريد قوله هنا أن أحداث 11 سبتمبر 2001 أظهرت النوايا العدوانية المبينة للولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم العربي والإسلامي، إذ سرعان ما إنقضت على أفغانستان في عام 2001، ثم العراق في شهر مارس 2003 على التوالي، و أصدرت العديد من القوانين التي هدفها شن الحرب على الإسلام والمسلمين من خلال العمل على تمرير القرار السياسي لمد النفوذ والهيمنة على المجتمعات العربية والإسلامية بالمنظور الصهيوني الأمريكي وعلى هذا التوجه، سواء عن طريق استخدام القوة العسكرية صاحبة شهوات الدعوة إلى الانبطاح إلى الإمبراطورية الأمريكية والعمولة، بعدما كانت تمارس سياستها بالذكاء و الكياسة والمتأنية من مصالحها المتبادلة مع العالم العربي والإسلامي على نحو ما تحقق لها من استدرج أكثر من 35 دولة أكثرها عربية لسيناريو حرب الخليج العربي الثانية أوت 1990 و مارس 1991، وكان ذلك من خلال إطلاق فلسفات وأفكار وأطروحات تتضمن مشروعات بدأت بالشرق الأوسط الجديد والشرق الأوسط وشمال إفريقيا ثم تطور المفهوم إلى الشرق الكبير، ثم جاءت الطامة الكبرى المصاحبة لغزو واحتلال العراق باسم الشراكة العربية الأمريكية بمفاهيم ومغريات حقوق الإنسان والديمقراطية والعمولة. بحيث استهدت أمريكا حالة الاحتقان في بنية وكيان الدول العربية والإسلامية والتي تمارس ممارسات خاطئة بالنسبة لحقوق الإنسان وما تعانيه المجتمعات العربية

والإسلامية من تخلف ثقافي وسياسي واجتماعي وانتهاك حقوق الإنسان رغم أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام في أحسن تقويم وزوده بالعقل الذي يهديه إلى سبل السلام وبه يميز بين النافع والضار وعلمه العلم النافع وألهمه الحكمة وفصل الخطاب، والإنسان مقدم على سائر المخلوقات بالمنظور الإسلامي، لأن الإسلام لا يتعاطى معه كحالة روحية فقط وأحيانا أخرى كفكرة بزعم بعض المفكرين الغربيين الدفاع عنها. بينما حقيقة الإسلام يعالج مفهوم الاجتماع الإنساني على مستوى المعمورة في سياقاته الداخلية والخارجية، ذلك أن المنظور الإسلامي في مناهجه لإدارة الاجتماع الإنساني لا يعالج ولا يتحدث عن علاقة سلطة أو دولة أو شعب فقط، بل عن ثنائيات متعددة و متشعبة تشمل حياة الإنسانية قاطبة سواء في علاقاتها بعضها ببعض. أم مع الله سبحانه وتعالى مباشرة بدون وساطة، أم مع بني الإنسانية الآخرين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. والولايات المتحدة الأمريكية تتجاهل ذلك كله وتميل إلى حشر الحالة الإسلامية، والنشاط الإسلامي في سياقات محدودة عنونها السلطة والعلاقة معها، أي في الجانب السياسي فقط والإسلام دين وعقيدة شاملان لمناحي الحياة وليست معايير فضفاضة تستهلك للدعاية السياسية، بل الإسلام السياسي جامع مانع، لأنه يتعاطى مع الشأن الإنساني في كل تحولاته السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والأخلاقية. ومن ثم فلا بد من الإقبال على الإسلام وسماحته وعدله، وذلك قياسا على تطور مفهوم الديمقراطية الغربية التي مازالت في طور التجربة، لأنها مليئة بالثغرات و تسبح ضد التيار المتمثل في العولمة وفي النظام العالمي الجديد العسكري الاقتصادي السياسي الظالم، رغم الهجمة الشرسة والعاتية عليه من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها ونظرائها الغربيين ومن معهم، تغولت أمريكا على الإسلام و المسلمين كما تغول السوفييات الذين لا يتجاوزون السطح إلى العمق في دراسة المنظور الإسلامي. وذلك بعدما عرفوه وعاشوه يوميا في تجربة الدول الإسلامية التي تطبق الشريعة الإسلامية ومع التعددية السياسية الحقيقية خلال القرون الماضية، في سياق الشورى بين الحكام والمحكومين المؤمنين بالإسلام دينا ودولة. وقادرين على تطبيقه جملة وتفصيلا حتى و لو كان ذلك لا يرضي الغرب، و على هذا النحو تجاوز الإهتمام بالإسلام

السياسي الحدود العربية الإسلامية وأصبح المجتمع الإنساني على مستوى الكون، ولم يقتصر الأمر على الاهتمام بالإسلام منهجا للسلوك وفلسفة في الحكم، بل لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية ومشروعها التوأم مع المشروع الصهيوني في مواجهة العرب والمسلمين وإزاحتهم من الخريطة السياسية، حيث أصبحت الحركات الدينية الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام ظاهرة عالمية. إلا أن الإسلام هو وحده فقط الذي يبحث ويشار إليه بالأصابع كونه إرهابيا ومتشددا من المنظور الغربي وفي رأي مفكره، غير أن الإسلام بدأ بحماية المجتمع معنويا وماديا في كثير من شؤون الحياة ويدعو بالحسنة، وإقرار سلطان الله سبحانه وتعالى ويحارب كل قوة طاغية في الأرض والإسلام جاء لتحرير الإنسانية من العنصرية وتحطيم عروش الطواغيت وهدم الأنظمة الفاسقة والكافرة وإقامة العدل والحق بين جميع البشر، والدفاع عن حياض الإنسان وإعلاء كلمة الله ومحاربة ربوبية الإنسان. ويمكن القول إنه منذ انتهاء الحرب الباردة، بدأ الانشغال بالإسلام في العلاقات الدولية فضلا عن السياسة الداخلية حيث انصبت الاهتمامات بالملاء الإسلامي في العلاقات بين الغرب المسيحي والمجتمع الإسلامي في الخطابة شائعة غربية تدعو المجتمعات الإسلامية إلى التعامل مع الكولونيالية الجديدة والعولمة والحضارة الغربية، بل الإيمان بالله تعالى قائم على الشريعة الإلهية التي حررت وحاربت استعباد الإنسان. لأخيه الإنسان على طول الخط. فكل نظام أو حكومة لا تقوم على شفافية وعدل وعن طريق الانتخابات الحرة والنزيهة وعلى أساس التوحيد تنطوي على الظلم بالنسبة للضعفاء. والإسلام لا يريد حرية دينية لإتباعه فقط بل لأصحاب الديانات الأخرى ومن هذا المنظور يحق لكافة المسلمين الدفاع عن العقيدة الإسلامية لأنها شريعة الله وضامنة حرية المعتقد وتأمراً بالمعروف وتنهى عن المنكر، لذا نرى بأن الإسلام هو المظلة العامة لنظام عالمي جديد حيث يعيش الإنسان في ظله آمناً، متمتع بحريته الدينية، لهذا يجب أن يحتل الإسلام موقع مركزي بين الدول بالنظر إلى المفاعيل الأساسية في العلاقات الدولية، والمقصود بالدول هنا ليس كيانات حقوقية واجتماعية بل هيئات إدارية ذات مؤسسات ونظم قانونية وجيوش ووزارات وسياسات فاعلة في النظام الدولي الجديد وما شابه، فالإسلام حقق للإنسان العدالة الاجتماعية والعدالة

القانونية والعدالة الدولية، لأن الإنسان يتمتع في ظل الإسلام بغض النظر عن دينه، ولونه ولسانه بالمساواة التامة والحقوق الكاملة والقرآن الكريم يؤكد هذا: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ " سورة الروم آية 22، ينطوي هذا النص على طبيعة العدالة، إذا من المنظور الإسلامي للتصور الإنساني المضيء لأكثر من ألف وأربعمائة وسبعة وعشرين سنة، قبل أن يفكر الغرب بحقوق الإنسان عندما كانت أوروبا ترسف في الجهل والتخلف والعبودية والدكتاتورية، قبل الثورة الفرنسية وحتى الأمريكية، كان الإنسان يتمتع في ظل الإسلام السياسي بمقارعة السلطان بالرأي، والحجة بالحجة، حتى لو كان نبيا مرسلا من عند الله سبحانه وتعالى كما جرى مع محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كان عليه الصلاة والسلام يخضع للآراء يأخذ بها حتى وإن كان لا يراها صائبة على أساس أن الإسلام السياسي يشمل كافة مناحي الحياة الإنسانية ومقوماتها، ليس مجرد الضمان الاجتماعي وتوزيع الدخل الوطني بشكل محدود بين الجماعات الإنسانية، و التماهي بحقوق الإنسان وما يخدم اللعبة السياسية وتجنب الاحتجاجات النقابية العمالية، إنما المنظور الإسلامي تناول جميع مظاهر الحياة وما يتصل بالنشاط الإنساني كالشعور والسلوك و الضمائر الأخلاقية الوجدانية بالقيم الروحية والمادية والاقتصادية الممتزجة بالعدالة الاجتماعية، والإسلام السياسي مستوحى من السماء ولا مصلحة للسماء في تفضيل طبقة على طبقة ولا سلالة على سلالة ولا عرف على عرف ولا فرد على فرد لأن هؤلاء وأولئك هم جميعا خلق الله، فأصل الإنسانية واحد كما في الآية الكريمة "ألم نخلقكم من ماء مهين" سورة المرسلات آية 19، أي من ذكر وأنتى من آدم وحواء و في هذا الصدد قال إسحاق الموصلي

أبوهم آدم والأم حواء

الناس في عالم التمثيل أكفاء

شرف يفاخرون به فالطين والماء

فإن يكن لهم في أصلهم

فإذا أخذنا الإنسان منذ الخلق والتكوين والنشأة الآدمية، ثم تناولناه عبر مشيخته التاريخية لوجوده نراه خاضعا لعناصر ذاتية وأخرى خارجة عن نطاقه، حيث الخضوع لقوانين الطبيعة

التي سنها الله تعالى وجعلها إلزاما له في وجوده كإنسان كائن مخلوق بعقل منذ ولادته وحتى موته تأتي منه الحسنة كما تأتي منه السيئة لأنه يتعمدها ويريدها كما فعل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في حق العرب والمسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، عندما هاجم شعب حر صاحب سيادة وعضو في هيئة الأمم المتحدة وأحد مؤسسي الجامعة العربية، ألا وهو الشعب العربي العراقي باستخدام القوة العسكرية الأنجلو ساكسونية الصهيونية، ولم يكن هناك مساس من طرف العراق بهذه الأحداث كما جاء في تقرير لجان تقصي الحقائق الأمريكية بأن العراق لا صلة له بها ولا بتنظيم القاعدة، ولم يهدد الأمن القومي الأمريكي ورغم هذا تم الالتجاء إلى القوة المسلحة رغم معارضة مجلس الأمن والرأي العالمي. وقد اجمع فقهاء القانون الدولي هذا الغزو بقانون الغاب بسبب استخدام السلاح المحرم دوليا ضد الشعب العراقي، رغم اعتراض الجمعية العامة للأمم المتحدة، وعجز مجلس الأمن عن ممارسة مسؤولياته في حفظ السلم والأمن للشعب العراقي إثر احتلاله، وقتلت و تقتل أمريكا مئات الآلاف من العراقيين على نحو لا يمكن تصوره من الهمجية والوحشية التي تتمثل في السيارات المفخخة والترخيص الممنوح للمنظمات الإرهابية والطائفية لممارسة الموت ضد الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء والقضاء على الأخضر واليابس، وما يراد بهذا سوى التنكيل بالعرب والمسلمين، وما تحمله هذه الحرب الإبادية كلها تعبير لحالة واحدة هو ارضاء وبالإحاح الصهاينة الأمريكان، فأى كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية من إعدام الرئيس العراقي السيد صدام حسين شنقا وذلك يوم عيد الأضحى المبارك ووقوف مئات الآلاف من الحجاج الميامين بعرفة بتاريخ 10 ذي الحجة 1427 الموافق 30 ديسمبر 2006، هو استهزاء واستفزاز للعرب والمسلمين وتحدي لحقوق الإنسان والديمقراطية الأمريكية واتفاقات جنيف الخاصة بأسرى الحرب التي تبيح للأسير أن يبقى في أسره حتى تضع الحرب أوزارها. ونرى الدول العربية وحتى الإسلامية تتأسف حسرة على هذه الجريمة السياسية بدرجات مختلفة. فلم تحدد موقفها من هذا الإجرام لرئيس دولة يتمتع بالحصانة الدبلوماسية الدولية. هذه الإساءة والاستهزاء راجع للولايات المتحدة الأمريكية التي فقدت صوابها وباتت تحت تأثير الفكر الصهيوني، الذي لم

ينس بأن الرئيس صدام حسين أطلق على إسرائيل 39 صاروخا خلال حرب الخليج الثانية 91/90 من القرن الماضي. حيث كانت الأمة العربية والإسلامية في حالة الاحتقان وهم يتخاصمون ويتشاجرون بحالة صراع متصل فيما بينهم على النفوذ المعنوي والمادي. والولايات المتحدة الأمريكية تستهزئ بالرأي العام العالمي وتستفز الحكام العرب، و تشيد بالحدث معتبرة إياه نقطة مهمة في تحول مستقبل العراق بقتل مئات الآلاف من الأبرياء العراقيين بعد الحصار الذي دام قرابة 13 سنة، وحتى غزو العراق من طرف العلوج يوم 20 مارس 2003 وإلى غاية 2006 قتلت 1200000 نفسا زكية بشهادة تقرير جيمس بيكر وزير الخارجية و هالمتون في شهر ديسمبر 2006¹، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن أي اتجاه تتجه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم العربي والإسلامي في القرن الحادي والعشرين، وما هي التصورات المتشكلة التي تترجم آليا إلى عولمة التحكم الأمريكي، الذي يقوم على العسكرية المعولمة بتوفير فضاء أمريكي للحركى وهم يظنون أنهم شخصيات هامة عابرة للحدود الوطنية مثل المالكى وأشباهه وأمريكا ترضي عليهم الثوب المحلي، ثم توظفه لأغراضها، ثم تدجنه و تجعله اصيلا، حيث جمعت جميع المواعيد الدينية، حتى يشاهد العالم بأسره وخاصة الأمة الإسلامية إعدام الرئيس صدام حسين. حتى تظل هذه الأحداث راسخة لدى كل مؤمن، حيث عاشها على الهواء، ونظرا لأن الشعب العربي بأكثرية مسلم، وحتى يسهل على عليها توظيف إرهاب الدولة والإرهاب السياسي معا، بثت أخبار مؤكدة على إعدام الرئيس العراقي صدام حسين فجر عيد الأضحى المبارك عبر وسائل الإعلام المختلفة أخبار من شأنها أن تنعكس بصورة سلبية جدا على الأنظمة العربية الموالية لها التي قالت لجميع الغاضبين اذهبوا إلى الجحيم، لأن الأمريكان يستهزئون بالقيم الروحية ويقومون بالأفعال القبيحة، رغم أنهم يدعون الديمقراطية واحترام الآخر واحترام الحريات التقليدية (حرية المعتقد، حرية التظاهرات الدينية، الحرية الفكرية، السلامة البدنية، حرية المنزل) هذه الحريات بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية سوى خدعة، أو لماذا لم تتم محاكمة الرئيس العراقي الشهيد صدام حسين في محكمة

¹ تقرير الجزيرة حصاد عام 31/2006 ديسمبر، فقد الأمريكان منذ الاحتلال 20 مارس 2003 إلى 2006، 3003 جندي أمريكي ماتوا على يد المقاومة العراقية الوطنية.

دولية خاصة مثل الرئيس الغربي ميلوزوفيتش أو حتى قيام ثورة من طرف الشعب العراقي مثل ما حدث للرئيس الروماني تشاوسيسكو الذي أعدم من طرف الرومان الليلة الأخيرة من سنة 1989، حيث تألم المسيحيون و الادينيين لإعدامه رميا بالرصاص. ولم يتألم أحد على الرئيس العراقي لأنه مسلم عربي. لذلك حثنا القرآن الكريم على التسامح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن بدون استسهال مع اليهود حسبما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: "...لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..." سورة المائدة آية 82، والولايات المتحدة الأمريكية ظالمة وعدوانية انتهكت قيمة العدل الذي هو رفع الحياة الإنسانية، كما جاء في الحديث القدسي: " يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا " وواجب على العالم أجمع كبح ظلم الأمريكان، وفي قوله أيضا "... لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشِّرِ الْمُحْسِنِينَ " سورة الأحقاف آية 12، فالإسلام الخالد يجذر من إيقاع الإنسانية في الظلم بقوله تعالى: "...إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..." سورة الشورى آية 41، بل أباح الإسلام القتال لرد الظلم " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهََ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ " سورة الحج آية 39، ولم يسمح لأتباعه بأن يجهروا بالسوء إلا في حالة انتهاك حقوق الإنسان وتعرضه للظلم حيث يقول الله تعالى: " لَا يُحِبُّ اللَّهُُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ..... " سورة النساء آية 148، في هذه الحالة يجهر بالسوء لرد العدوان المستبان وصار حقا على كل مسلم نصره أخيه حتى يأخذ حقه وأمريكا مؤذية اللهم ألغنها، اللهم أخزها اللهم دمر إمبراطوريتها، و تتحمل الرؤية الصهيونية الأمريكية الانتكاسات والحرب الطائفية الدائرة الآن في العراق لأن هذه السنوات الأربع تحت الاحتلال الأمريكي في بداية القرن الحادي والعشرين بالنسبة للعراق المسلم هي أخطر سنوات في حياة هذا الشعب العربي ومساره ومصيره. وبعد إعدام الرئيس العراقي الشهيد صدام حسين هل بقي شيء لحوار الحضارات؟ بل صدام الحضارات إذ تم تفكيك البنى التحتية و الفوقية من طرف اليهودي المقاول الشهير بولبريمر حاكم العراق مباشرة

بعد الاحتلال الذي حل كل مؤسسات الدولة العراقية و نهب خيرات بلاد الرافدين، بحيث سمح للعلاج بالاستطالة لكل ما وصلت إليه أيديهم أن ينهبوا بنوك العراق والودائع وكنوز ما قبل التاريخ من ذهب وفضة وعاثوا في الأرض فساد. تجلّى عدم إكتراث العلاج بالجرائم المرتكبة بالعراق يوميا، في أشكال كثيرة، حيث تزود الولايات المتحدة الطوائف العراقية بالأسلحة وتشجيع كل طائفة ضد الأخرى بالدعم الدبلوماسي وحتى السياسي اللازم قصد تفكيك الجمهورية العراقية إلى مقاطعات صغيرة أو محافظات حليفة لها في المدى البعيد، وإذا كان الرئيس العراقي نسبوا له قمع الأكراد والشيعية ذي الأصل الإيراني، فهذا راجع لمصلحة العراق وكل إنسان معرض للخطأ والنسيان لأن لكل جواد كبوة ولكل صارم بنوة وأن النار تحبوا. ومن ذا الذي ترض سجايه كلها كفى المرء أن تعد معاييه. و قد قال المقنع الكندي في أمثال الرئيس صدام حسين: "فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا". فيجب على الحكام العرب توخي الحذر بإعدام صدام حسين ثم نذكر الوضع التاريخي للولايات المتحدة كدولة إمبريالية وسجلها المرعب لحقوق الإنسان، واضطهادها للهنود الحمر وللجنس البشري، وتسعى إلى نخر وهدم الحضارة العربية الإسلامية باعتبارها العدو (القديم) الجديد لأنه يملك مقومات زعزعة الكيان الأمريكي المهيمن على العالم بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال خطر الاتحاد السوفياتي، قدمت الولايات المتحدة الإسلام على أنه خطر على الحضارة الغربية معتمدة على نظرية فرانسيس فوكوياما حيث أعلن نهاية التاريخ المزعومة تم النظرية الثانية لليهودي صموئيل هانتنختون التي جاءت إنذارا للغرب من خطر الإسلام الذي سوف يهدد مصالح الغرب في القرن الحادي والعشرين، حيث تم الاتفاق على استدعاء الإسلام والمسلمين، باعتبارهم نقيضا للقيم الأخلاقية والحضارية التي جاءت بهما الثورتين الفرنسية والأمريكية من ديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير المرأة وما شابه ذلك، لذا يجب تجزئة الأمة الإسلامية إلى دويلات حتى تصبح عاجزة عن صد أية هجمة غربية كما جرى للعراق، و الاتهامات مثيرة للجدل حول أسلحة الدمار الشامل وهي في حقيقة الأمر أسلحة الخداع الشامل وهل بقي شيء لحوار الحضارات السلمي (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

1- التجارة الحرة بلا قيود ولا حدود:

لقد تنامى الاهتمام بالتجارة الحرة بلا قيود ولا حدود في العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين الماضي، وانبهار القطبية الثنائية و زوال الرعب النووي فتح الباب على مصراعيه أمام الولايات المتحدة الأمريكية بعد سقوط حائط برلين وانتهاء الحرب الباردة، قامت هذه الأخيرة بإعادة ترتيب الوضع الدولي على مقاس إستراتيجياتها، بعدما كان العالم أو النظام الدولي الثنائي القطبية يضمن استقرار الأمن العالمي والعلاقات الدولية، و لقد كان حلف وارسو و الحلف الأطلسي يقف كل منهما في وجه صاحبه و يحرمه من خرق جدار الأمن للمعسكر الآخر، تحت طائلة حرب كونية لا تبقي ولا تذر.

بدأ التوسع الأوروبي بحثا عن الثروة فيما وراء البحار غداة طرد المسلمين ومعهم اليهود من غرناطة عام 1492، و قيام البرتغاليين باحتلال ميناء سبته الإسلامي على الطرف الآخر من مضيق جبل طارق بن زياد، و بدأت الدول الأوروبية بغزو شمال إفريقيا ثم الجزر الأطلسية و الساحل الإفريقي، خصوصا و أن الثروات باتت مطلوبة و متزايدة لتمويل الدول الأوروبية الناشئة، و هذه الثروات موجودة و بكثرة في العالم الإسلامي وكنوز آسيا. و ما لبثوا أن داروا حول رأس الرجاء الصالح و أصبحت طرق الهند مفتوحة أمامهم، و كذلك إفريقيا الشرقية ثم تم عبور المحيط الأطلسي بدءا بالنزول بالأراضي البرازيلية في القرن الخامس عشر، حيث بدءوا بشحن الأخشاب البرازيلية إلى أوروبا، و في نفس الوقت كانت أوروبا بحاجة إلى اليد العاملة فظهرت تجارة العبيد عندما بدأت أفواج العبيد الأفارقة تصل إلى المستعمرات الجديدة، وهكذا ربطت أوروبا مشروعها التجاري بكل من أمريكا و آسيا و إفريقيا، حيث تصاعد الصراع داخل أوروبا و اتخذ طابعا عالميا، نظرا للسياسية الاستعمارية الأوروبية التي كانت كل دولة ترغب و تحاول التحكم في المحيطات و إزاحة منافسيها من كل النقاط الحساسة في كل من أمريكا و آسيا و إفريقيا، و بعد التوسع الأوروبي كانت الروابط التجارية تشمل العالم كله. لو لا قيام الثورة الأمريكية عام 1775-1783، حيث استقلت الولايات الثلاث عشرة المطلة على المحيط الأطلسي في أمريكا الشمالية من بريطانيا و قيام الاتحاد في معظم القارة الأمريكية

ذات الأرض الخصبة و الغنية بالتجارب الاتحادية الدولية، ففيها نشأ في بادئ الأمر مبدأ الاتحاد و هيمن على كافة دولها الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية و كندا و المكسيك و البرازيل و فنزويلا و الأرجنتين، و هذا راجع للموقع الجغرافي الواحد و الاقتصاد المتكامل و التاريخ المشترك، الذي إبتدأ بالاستعمار الأوروبي و إنتهى بالثورة و التحرر السياسي، و قيام الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن الثامن عشر و أصبحت أمريكا للأمريكيين كما جاء في مبدأ الرئيس الأمريكي جيمس مونرو، حيث أعلن عن مبادئه أمام الكونجرس في 13 ديسمبر 1823¹، حيث قال: "إن كل محاولة تقوم بها الدول الأوروبية لفرض نهجها السياسي على نصف الكرة الأرضية يشكل خطر على الولايات المتحدة الأمريكية" ثم راح مونرو يقدم ثلاثة خطوط أصبحت فيما بعد بمثابة الإطار الذي حكم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القارة الأوروبية لعقود طويلة، و تتمثل هذه الخطوط فيما يلي:

◀ إن القارة الأمريكية لا يصح أن تصبح في المستقبل مجالاً لإستعمار أوروبي جديد .

◀ إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنوي أن تتدخل في الشؤون السياسية الأوروبية و لا في شؤون القارة الأمريكية.

◀ لا تقبل الولايات المتحدة الأمريكية تدخل الدول الأوروبية في شؤون القارة الأمريكية .

و انطلاقاً من مبدأ الرئيس مونرو هذا، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق أمنها القومي و صيانة استقلالها و الحفاظ على قيمها الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية، ثم بدأ اهتمامها بالمشكلات و القضايا الدولية حيث ألفت بكل ثقلها خلال الحرب العالمية الأولى في شهر أبريل عام 1917، و على إثر ذلك دفعت بمليونين جندي أمريكي لشد إزر الجنود الأنجلو الفرنسية ضد الألمان في عهد الرئيس وود ويلسون صاحب النقاط الأربع عشرة و منها إزالة جميع العوائق الاقتصادية بقدر الإمكان و حق الشعوب في تقرير مصيرها، ثم جاء بعده التصريح الأطلسي في 14 أوت 1941 من طرف روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية و تشرشل رئيس الوزراء البريطاني محددين الأهداف و منها

¹ ينظر. شاكرفؤاد . مصدر سبق ذكره ، ص 144

كفالة المساواة بين جميع الدول في التجارة العالمية و تحقيق تعاون اقتصادي للإنسانية جمعاء. و من ثم فإن حرية التجارة الدولية كانت الفكرة القائمة حتى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية و بعد إنتصار الحلفاء على دول المحور، فقد إنعقد بشأنها مؤتمر في هافانا عام 1948 بكوبا و هي دولة من العالم المتأخر، حيث صدر عنه ما أطلق عليه ميثاق هافانا لتأكيد على حرية التجارة، و بدأت الدول الصناعية الكبرى بوضع الترتيبات الخاصة و الإتفاق حول تحرير التجارة.

و على ضوء ما سبق استطاعت الدول الأوروبية أن تحقق ثمار و مكاسب هائلة من سياسة حرية التجارة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث قامت باستيراد المواد الأولية من مستعمراتها بدون مقابل أو بثمان زهيد لتطوير صناعتها و أن تحصل على احتياجاتها من مواد الخام من أرخص مصادرها في مستعمراتها و في العالم، حيث تدفقت على الأسواق الغربية جميع السلع الغذائية الرخيصة من الدول الزراعية الإفريقية و الآسيوية، و بذلك استطاع الأوروبي أن يعيش عيشة رخيصة و بنفقات قليلة ثابتة دون أي ارتفاع، حيث أصبحت مائدته تحتوي و تعمر بسلع جديدة لم يرها و لا يعرفها هو و من سبقه من قبل .

ثم إن الصادرات الأوروبية ساهمت في تحرير التجارة مساهمة فعالة و في توزيع الفائض من الإنتاج الأوروبي، و كانت الصناعات الأوروبية و خاصة الإنجليزية سباقة بالنسبة للدول الأوروبية، و هذا راجع للسياسة الإنجليزية التجارية حينما أخذ الإنتاج الصناعي يتزايد بسرعة كبيرة. و مما لاشك فيه المنافسة الشديدة التي قامت في الأسواق الدولية على إثر حرية التجارة، الشيء الذي أدى إلى تدهور الصناعات القليلة الكفاءة التي اعتمدت من قبل على حماية الدولة أو دعمها و إعانتها. و بذلك تبنت دعائم الصناعات الأكثر كفاءة في الدول الأوروبية الصناعية و العمل على رفع مستوى كفاءتها قدر المستطاع حتى لا تصبح عرضة للضياع، و طبقت الدول الأوروبية الاستعمارية سياسة حرية التجارة بدون قيد و حد على مستعمراتها أيضا في كل من إفريقيا و آسيا و أمريكا الجنوبية، و كانت هذه السياسة مجرد خدعة خدعت بها الدول الأوروبية مستعمراتها بأسلوب ذكي لتحقيق مصالحها الصناعية على

حساب الدول المتأخرة، ثم عملت أوروبا على تعويض الصناعة الحرفية القديمة عندما فتحت أبواب مستعمراتها على مصراعيها أمام منتجات الصناعات الأوروبية، بحيث أصبح الحرفيون في المستعمرات بدون عمل بين عشية وضحاها بطريقة تعسفية، و تصعب إيجاد فرصة للعمل وتساهم في خلق الفقر. فحين تبادر الدول الأوروبية بخفض الحواجز التجارية، تكون هي نفسها المستفيد الأكبر والمستعمرات التي تصدر إليها تكسب حفنة من الناس ولكن بقدر قليل، و الدول الأوروبية تعمل للحيلولة مثلا دون خلق فرص عمل لأبناء المستعمرات بين ما تقوم التجارة الأكثر حرية بخلق فرص عمل أكثر بالنسبة للأوروبي، و تبقى ضائقة بالنسبة للجنوبي، فضلا عن الدعم الذي توفره للاقتصاد حتى تبيح الفرصة لإدخال سلسلة من التعديلات والأشكال مثل إعداد الأوروبي لوظائف جديدة بقدر أكبر، و تزداد الدول الأوروبية قوة و ثراء، و تزداد الدول المتأخرة دول الجنوب 77 بؤسا و تهميشا، و ضعفا و تزداد التبعية للدول الأوروبية حتى بعد نيل استقلالها السياسي، حيث تكثر الاضطرابات و عدم الاستقرار و الإندثار و الإستلاب الثقافي و التدمير المنظم لمقومات الشخصية الوطنية و الهوية الثقافية لجل دول الجنوب. صحيح أن العالم الثالث و العالم العربي الإسلامي قاوموا الاستعمار التقليدي خلال النصف الثاني من القرن العشرين الماضي، عندما كانت القطبية الثنائية تنظم شؤون العالم وكانت المقاومة مشروعة في هذا المجال حيث تم القضاء المبرم على الاستعمار ظاهريا بالنسبة لسذج، لأننا نرى أن الدول الأوروبية تكتلت اقتصاديا و سياسيا في أسرع وقت حتى تحقق فيما بينها قوة اقتصادية وسياسية و مالية و نقدية لتواجه الشعبان الأمريكي ككيان قانوني للوحدة و للسوق الأوروبية المشتركة، و استكمال الوحدة النقدية في صورة استحداث العملة الأوروبية الموحدة (اليورو). لأن الإعلان عن اليورو كعملة موحدة رسمية لسبعة و عشرين دولة أوروبية سياسة نقدية قوية جدا حيث تجاوزت الحدود الأوروبية في ظرف قصير، و أصبحت منافسة للدولار الأمريكي القوي و مؤيدة لاقتصاديات عديدة من الدول، و ربما تصبح الدول القوية في القرن الحادي و العشرين تتعامل

باليورو بدلا من الدولار الذي سيطر على أسواق العملات و المعاملات التجارية لبرهة طويلة.¹

لا شك أن الوحدة الأوروبية حملت رؤية مؤيدة للحضارة الغربية و متعاطفة معها كحضارة علم و تمدن، حيث استهدفت وأظهرت التكتلات الاقتصادية و السياسية و الثقافية عندما كانت أوروبا الشرقية و أوروبا الغربية تابعة للهيمنة الأمريكية، و الشرقية للهيمنة السوفياتية، أسرعت أوروبا الغربية إلى تحقيق اقتصاد قوي مشترك رغم أنها لا تتمتع بلغة واحدة أو عقيدة فلا دين يجمع أوروبا و لا تشابه بين الأوروبيين كل على شاكلته، و من ذلك تمكنت أوروبا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي من استكمال الوحدة الاقتصادية و السوق الأوروبية المشتركة و العملة الأوروبية الموحدة (اليورو) و ربما الشروع في التحلي عن الكيان الوطني بالنسبة للمجموعة الأوروبية على النمط الأمريكي، طالما لا توجد احتكارات متنافسة أو البعد المصلحي لخلق الصراع داخل أوروبا، و بالتالي تبقى أوروبا الدائن الرسمي للعديد من دول العالم المتأخر منها الجزائر و دول عربية و آسيوية. فبينما لا نرى تكتلات اقتصادية في زمن العولمة بالنسبة للدول العربية المشتركة في الدين و وحدة اللغة و تضاريس الجغرافية و العادات و التقاليد و التاريخ المشترك و وحدة المصير، مازال العالم العربي متفرق لا رابطة بينه رغم أن الخطر وقع في العراق و الحرب على الصومال بحيث يتضح لنا مشاهدة اجتماع الدول العربية و قممها التنديدية للتدخل في شؤونها الداخلية. طالما ما لم تبادر إلى تغيير سياستها بالنسبة للكيانات الضخمة ذات القدرات العالية و تكتل هي الأخرى بدرجة أكبر لمقاومة الاحتلال القادم لإسقاطها في بداية الألفية الثالثة، حيث تزايد التحرش الصهيوني بها و هي لا تشعر في ظل التحولات و التكتلات على جميع المستويات سواء على المستوى العسكري أو المستوى الاقتصادي أو المستوى الثقافي، لأن الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا وجهان لعملة واحدة فأمریکا أصبحت دولة استعمارية بحتة، قائمة عن طريق أوروبا خلال القرنين التاسع عشر و العشرين،

¹ Allemagne ,Autriche ,Belgique , Danemark, Espagne,Estonie, Finlande, France,Grèce, Hongrie ,Irlande, Italie, Lettonie, Lituanie, Exembourgue , Malte , pays bas , Pologne , Portugal, Royaume unis , république Tchèque , Slovaquie , Slovénie , Suède , Bulgarie , Roumanie

حتى تضمن تبعية الدول العربية، لذا نراها تلوح بالتفوق العسكري و الاقتصادي و هي تلهث وراء خيرات الدول العربية، و أحيانا تقدم مغريات لحكام العرب و تحقق لهم بعض الأغراض الشخصية، و لكن بثمن باهظ.

ومما سبق يمكن القول بأننا نعيش في عالم تلاشت فيه الحواجز أو الحدود الجغرافية و الاقتصادية و التجارية، مفتوحة بفعل ما تقدمه الثورة المعلوماتية للاتصالات على مستوى المعمورة، من حرية التجارة و حركة السلع و الخدمات و تبادل الأفكار بسرعة هائلة دون حواجز أو عوائق بين الحكومات، و هذه الحرية التجارية هي شاملة كاملة بما فيها حرية نقل و إستعمال جميع عوامل الإنتاج و الإنتاجية، حيث تحولت المعمورة إلى قرية أو لنقول إلى دشرة صغيرة، بفعل تقلص المسافات الزمنية و المكانية بين جميع أرجاء المعمورة، و التنمية الفكرية و العسكرية و الاقتصادية و السياسية و الإعلامية، حتى تضمن التحالفات الاقتصادية و السياسية التي أخذت أشكال التكتلات القارية للفاهمين لحقائق الاقتصاد و السياسة ، يشكلان و يتحكمان في علاقات الدول و إستراتيجيتها التي أخذت شكل متصاعد بدون النظر إلى تأثيرات مصائب الدول المتأخرة و لا تعيرها أي اهتمام قصد تدميرها و استلابها ثقافيا في سبيل فرض الهيمنة الكاملة عليها، أو قد تلجأ إلى الحرب الاقتصادية و السياسية بغرض تدمير الدول المتأخرة و إضعاف قدراتها التجارية و الاقتصادية و إزالة تنافسها و بدون اعتراض. و مع بداية الألفية الثالثة تحررت التجارة على المستوى الإقليمي، كالاتحاد الأوروبي الذي أصبح له مبعوثون و مفوضون في المجال السياسي كالتسويات السلمية للعديد من المشكلات الإقليمية و الدولية كالصراع الأخير بين لبنان و فلسطين و إسرائيل، و كذلك العمل الذي قام به خلال الحرب العرقية في البلقان في مجال حقوق الإنسان، و كذلك الإشراف على الانتخابات بالنسبة لعدد من الدول، بدأ انهيار الإتحاد السوفياتي الذي كان يتأسس إبتداءً من كتلة الكوميكون التي كانت تشمل كل من الإتحاد السوفياتي و بلغاريا و بولندا و تشيكوسلوفاكيا و المجر و ألمانيا الشرقية و منغوليا، ثم كتلة دول أمريكا الوسطى و الجنوبية و تشمل البرازيل و الأرجنتين و أورجواي و باراجواي و بيرو و تشيلي ذات منطقة تجارية حرة

أمريكية ، كذلك دول أمريكا الوسطى كالجواتيمالا و هندوراس و سلفادور و نيكاراغوا و كوستاريكا تشملها جميعا السوق المشتركة الوسطى، و أمريكا الشمالية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية و يشملها الاتحاد الأمريكي، هذا الانضمام له عدة مزايا حيث تقوم بتنسيق العمل و التخصص في الإنتاج الذي يتوقف على مدى استيعاب السوق للسلع عندما تكون هناك حرية التجارة و التبادل، عندها تصبح السوق مجال لعدد من الحكومات، و ينشط على نطاق واسع، و يشمل في نفس وقت المبادلات عندما تتخلى الحكومات على حماية اقتصادها و تغض البصر على نظام الاكتفاء الذاتي الاقتصادي لتحقيق صورة حرية التجارة، حيث تصبح كل حكومة متخصصة في إنتاج سلعة تناسب مناخها الطبيعي و ظروفها التاريخية و بتكلفة أقل، مما يؤدي إلى حسن استغلال موارد الحكومة بعقلنة و تضمن الرفاهية لمواطنها إثر قيامها بتحرير التجارة و تتخلى عن سياسة حماية المنتج المحلي، و تدخل في التنافس الحر خدمة لمصلحتها، و بدون احتكار للتجارة و يتم التزاوج و الاختلاط بين الحكومات بعضها ببعض، و ربما تفقد الحكومات لهويتها و ذوبان الفوارق بينها ومن ثم تساعد على وفرة الإنتاج بحجم أكبر. و بنظرة سريعة إلى خريطة المعمورة نرى التبادل التجاري الحر قائم بشكل عادي بين المجموعات الإقليمية و كيانات اقتصادية عملاقة، نجد أن العالم العربي و حتى الأسلاف مازال مفككا كالإتحاد المغربي الذي أصبح في خبر كان أو لنقول حبر على ورق و كل المحاولات باءت بالفشل، بينما الدول تتسابق إلى التكتل نرى الدول العربية تتسابق إلى التفرق في جميع المجالات و في التفكيك السياسي و السعي وراء أوهام الرأسمالية الكاذبة التي مزقت الأمة العربية و تركتها تتصارع فيما بينها بينما قامت الرأسمالية الغربية بتنظيم الإتفاقية العامة للتجارة و التعريفة الجمركية "الجات GATT" التي هيأت لقيام منظمة التجارة العالمية و الهيمنة الاقتصادية .

2 - منظمة التجارة العالمية و الهيمنة الاقتصادية :

لقد تغير العالم منذ نهاية الستينات و بوجه خاص مع ثمانينات و تسعينات القرن العشرين الفئات. فنحن نعاصر العولمة بدون فواصل زمنية و جغرافية، و صار المجتمع يجتزل حدود المكان و الزمان و تحقيق نوعية صناعية و تكنولوجية مستخدمة، تعمل على الإرتقاء به إلى إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة، لإتاحة حرية تنقل السلع و رأس المال تحت منظمة التجارة العالمية و الهيمنة الاقتصادية التي تمت المصادقة على بنودها في أوروغواي عام 1993، من طرف 124 دولة من دول العالم، حيث يتم إتخاذ القرارات في المنظمة بإجماع الأعضاء بصورة عامة و نوقشت بعد ذلك في مدينة مراكش عام 1994¹ وأصبحت سارية التطبيق بصفة نهائية في شهر يناير 1995، وقيام منظمة التجارة العالمية الوريثة للجات تكون ظاهرة الليبرالية قامت بممارسة الإملاء على منظمة التجارة العالمية² (WTO) شاعت حرية التجارة مباشرة في سياسات و خطط حكومة متينة حتى تفتح سوقها أمام المنتج الأجنبي و السماح للتجارة بالتدفق بقدر أكبر من الحرية مع خفض الحواجز إلى أقصى حد بالنسبة للحواجز تدريجيا حتى يتمكن المنتجين المحليين من التكيف مع الأجانب!

و التسابق غير المسبوق بين القوى الإستعمارية التي تجوب أرجاء المعمورة سعيا لإحتلال الأسواق و أسواق الدول المتأخرة، من أجل تدعيم موقعها في النظام العالمي الجديد، و في نفس الوقت تعمل بكل الوسائل على إبقاء الدول المتأخرة، متأخرة و متخلفة حتى تظل سوقا رابحة للمنتجات الصناعية للتكتلات الإقتصادية الغربية و غيرها. غير أن منظمة التجارة العالمية تعتبر ظاهرة شاملة كاملة نظرا لأبعادها الكثيرة اقتصادية و سياسية و اجتماعية وعسكرية و ثقافية، و خاصة الأحداث التي شهدتها أوروبا الشرقية ابتداء من عام 1991 و التجدد السياسي للحكومات والنزاعات وإنتهاك حقوق الإنسان في بلاد البلقان في سائر مناحي الحياة، أفرزت سيناريوهات و قواعد سياسية جديدة لأحزاب يسار الوسط بين الصفوف المتنامية لتغير الأمن الاقتصادي بما يعوض عن التقلص الحاصل في حجم الطبقة

¹ ينظر البروفيسور . زكرياء بشير " في مواجهة العولمة " مصدر سبق ذكره ص - 130

²WORLD. TRADE ORGANIMATION

العاملة الصناعية، حيث أضفت منظمة التجارة العالمية صفات التآمر و الكيد الممغز على قوى السوق من خلال إلغاء الحواجز و العوائق و القيود أو تخفيضها إلى درجة الصفر و خاصة العوائق الجمركية و التعريفية (الجات)، يمكن تكييف الأوضاع و التقلبات التي طرأت على منظمة التجارة العالمية المتأنية كما تبرز لنا الأمور و الحقائق الآتية:

◀ تحري التجارة بمعنى اصطباغ المجتمع باللون الديمقراطي في سياق الرعاية الليبرالية السخية و خارج الإيديولوجية الكلية للدول، التي كانت مسؤولة عن المجتمع و عن تطوره و حمايته، و كانت تغلق أبوابها إزاء المنافسة الأجنبية و تقوم على تشجيع صناعاتها الداخلية أي المحلية، و تمنع أو تقيد دخول السلع المماثلة الواردة من الخارج حتى لا تسيء إلى اقتصادها الوطني بإتباع سياسة التخطيط المركزي لضمان تنفيذ مشروعيتها للتنمية، و سياسة التخطيط بطبعها، تدعي دائما محاولة الوصول بالمشروع إلى حجمه الأمثل بقدر الإمكان في ظل الحماية التجارية، و إلغاء تدخل الدولة التي تعلن إلغاء التخطيط أو حتى إنشاء تنموي أو اقتصادي أو إنشاء شركة أو حتى التفكير في مشروع في الخطط الحكومية التي ترفع إشكال الخلل التي تحررها السوق عبر إعادة توزيع الثروة.

◀ الخصصة الاقتصادية و عندما تحدث عنها تريد هنا أن تتخلى الدولة عن تحقيق العدالة و المساواة و تكافؤ الفرص بين جميع أفراد الشعب و طبقاته، عندما تعلن إلغاء أو تحجيم القطاع العام بصورة نهائية و تتوقف عن الدعم الحكومي، و تنسحب تدريجيا تاركة الهيمنة للقطاع الخاص عن النشاط الاقتصادي و من المتوقع تاركة الصناعات الرئيسية و المرافق العامة لصالح القطاع الخاص، بعدما كانت تملك وسائل الإنتاج ملكية جماعية، نقلت ملكية الدولة إلى القطاع الخاص في ظل العولمة و تفتعل المعارك غير الضرورية و تتجه ضد سيرورة التاريخ و لن تحقق سوى الإخفاقات و الهزائم.

◀ تكامل و توسيع الأسواق على مستوى المعمورة بمعنى إزالة العوائق و الحواجز بين الدول حتى تنتقل رؤوس الأموال بحرية وكذلك الأشخاص و السلع و تصبح أمام سوق عالمية غير الحدود القطرية، حتى يتم القضاء على اقتصاد البلد أو تقزيمه في سبيل تغليب فكرة السوق

العالمية على ما عداها من المؤسسات الاجتماعية فكل شيء أصبح خاص لسوق و لمنطق حرية التجارة، و التاجر المتخصص الذي يقوم عمله الأساسي على الثراء من أجل البيع.

◀ الشفافية في المعلومات و توسيع ترابط الاقتصاد و سقوط الحدود و الحواجز أمام إنسياب السلع و الأموال و تطور وسائل الإنتاج و تقصير المسافات بسرعة هائلة و فائقة في الاتصال و الانتقال و تغيير في طبيعة الثروة و عدم حجب المعطيات فيما يتصل و يتعلق بحرية و حركة التجارة بالنسبة للأسهم و العملات.

◀ التكامل بالنسبة للزراعة و الصناعة بمعنى المنافسة الحرة بين المشروعات الكبيرة و التي تؤدي إلى تقزيم أو إبعاد المشروعات الوطنية تدريجياً من السوق، و خاصة المشروعات الجديدة و هي التي تنتج بكلفة عالية و لا تستطيع أن تصمد مع هبوط الأثمان التي تنتج عن الأزمات الاقتصادية. لأن المشروعات الكبرى استطاعت أن تسيطر على السوق، نظراً للإحتكارات و لديها المخازن الكبيرة، و هذه المخازن ذات فروع متعددة على مستوى الدول المتأخرة و ذات متاجر أنيقة "Bon Marché" و حتى في الأعمال المصرفية، ففي هذا المجال عندما تصبح البنوك العملاقة لها فروع في الدول المتأخرة تحتفي البنوك المحلية، كذلك في جميع الميادين الصناعية الأكثر جودة و الأقل تكلفة و يستمر الإستيراد من الخارج على الحساب المحلي.

◀ السماح للشركات الظافرة الرأسمالية الكبيرة المتعددة الجنسيات بحرية الإستثمار، و منح المستثمر الأجنبي حق الإعفاءات الضريبية و ليست عليه مستحقات بالنسبة للدول المضيفة فهو في حل مع إعطائه كل التسهيلات لإستغلال الأراضي الزراعية، و له الحق الكامل في تحويل الأرباح إلى حيث يريد بدون محاسبية و إضافة إلى هذا الإقرار بحرية تنقل الأجنبي، و تفضيل الأجنبي على المحلي باستخدام تحرير الصرف، كل هذا يشجع المستثمر الأجنبي على زيادة الإستثمار و الفائدة التي تدفعه للحصول على الأموال، و هذا عامل من عوامل سياسة الدول المتأخرة التي تحث على الإستثمار و تفضيل الأجنبي أي المستثمر على المستثمر المحلي.

و المنتوجات المستوردة تؤدي في غالب الأحيان إلى خفض أسعار المنتوجات المصنوعة محليا كالملابس و البطانيات و الأحذية و ما شابه ذلك، حيث تعتبر المهارة بالنسبة للدول المصدرة و المستوردة على حد سواء، ذات نوعية من الطراز الأول، حيث تعتبر السلعة المدنية بأن الطلب عليها غير مرغوب لأنها أقل مهارة حتى في الاقتصادات المتقدمة، و بالتالي تعطي التجارة الدولية المتزايدة على البلدان المتأخرة و وصولا إلى زيادة التفاوت في المداخل سواء في ما وراء البحار بالنسبة للأمريكيين المستثمرين مثلا فقد زاد ربحهم وحققوا ما قيمته 150 مليار من الدولارات على حساب الدول المتأخرة¹ هذا جانب من الهيمنة الاقتصادية و إلى وقت قريب بدأ الاهتمام في أماكن أخرى من العالم بالإستثمارات الأمريكية المستعدة دائما لإمالة اللثام عن وجهها القاتم و مشهدها البشع كما يجري الآن في بلاد ما بين النهرين خاصة أعمال بول بريمر أول حاكم للعراق بعد سقوط الدولة العراقية في بداية القرن الحادي و العشرين، تحت أنظار العالم الذي سارع إلى إدانة العدوان الوحشي الأمريكي على دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة، حيث إنتهكت الولايات المتحدة الأمريكية إتفاقيات جنيف كانت هي الداعية إلى توقيعها بنفسها و أجهضت ميثاق الأمم المتحدة و القانون الدولي. و هي التي تدعي منظمة التجارة العالمية، بشأن تدابير بيد تجارية معينة مثال العقوبات التي فرضتها على العراق طوال 13 سنة كاملة متخذة مجلس الأمن مظلة دولية خاصة بها، حيث حرمت الشعب العراقي حتى من أبسط الأغذية و الخدمات الصحية بإتخاذ القرارات تلوى القرارات بالإجماع لتجويع الشعب العربي المسلم العراقي.

أضف إلى ذلك أن أنظمة التجارة لدى منظمة التجارة العالمية و الهيمنة الاقتصادية أن الدول الأقل نموا ستعاني من عدة مشاكل كثيرة و معاناة جمّة، لأن لها ظروف اجتماعية و اقتصادية و سياسية تفرض عليها ربما التدخل لحماية تجارته وهذا لا يرضي أمريكا، لأن أمريكا

¹ فزانك جي. لتشنرو جون بولي " العولمة الطوفان أم الإنقاذ " مصدر سبق ذكره ص 301 .

تريد أن تكون لها الأفضلية و الأسبقية في التجارة مع جميع الدول لهذا أعطت مهلة للدول قصد توقيف و ضبط أوضاعها، حتى تعلن إلزامها تجاه بنود إتفاقية التجارة الحرة التي تتيح للقواعد الواردة في الإتفاقيات لنظام التجارة العالمية بأهمية متساوية تماما، و ربما أكبر لأهمية التجارة الأكثر حرية، و أمثلة هذه المبادئ هي عدم التمييز، و التأكد من أن شروط التجارة مستقرة، قابلة للتنبؤ و الشفافية، و المهارات الأساسية للتفاوض قبل الإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

3- الاستثمار العالمي وتوسيع الأسواق وانهايار العملات:

قلنا بأن الإتفاقيات و المنظمة التجارة العالمية قد ألحقت بالدول المتأخرة أضرار و اهتمت بمصالح الدول المتقدمة الصناعية الغنية و مع تزايدها نحو التكتلات الاقتصادية كالاتحاد الأوروبي و مناطق التجارة الحرة، و المروجون لمنظمة التجارة العالمية يذرفون الدموع و التظاهر بالإنسانية سعيا و جريا وراء مواقع جديدة للنهب و السلب لإلحاق الهزيمة بدول الجنوب، على الطريقة الويلسونية القائلة: "إزالة جميع العوائق الاقتصادية بقدر الإمكان خلال الحرب العالمية الأولى، و عند إنتهاء الحرب و قبول ألمانيا بالتسوية و التعويض بالخطة التي إقترحتها لجنة تشارلز دوز المصرفي الأمريكي التي كانت هي أساسه في تحقيق إستقرار العملات في أوروبا و التي كانت مصحوبة بالعودة إلى قاعدة الذهب عندما كان الاقتصاد يرتكز على نظام داخلي و خارجي لمبادلة الخدمات يعبر عن أثمانها بواسطة نظام نقدي أساسه الذهب، الذي هو في نفس الوقت واسطة و قاعدة لمقتضيات التجارة الخارجية و هذا ما يطلق عليه بقاعدة الذهب.¹ الشيء الذي كان هو الحل الوحيد لإغراء المستثمرين الأمريكيين و غيرهم بتحويل أموالهم إلى ألمانيا بالقدر المطلوب و الكافي لإعادة إعمار ما خربته الحرب تماشيا و خطة دوز، حتى تقوم ألمانيا على قواعد اقتصادية و سياسية بحيث تكون اللبنة المهمة لسياسة الإستثمار بعد الحرب العالمية الأولى، و بعد الحرب العالمية الثانية إشتد الميل إلى التوسع في الاستثمار في ما وراء البحار بالنسبة للأمريكيين كبار و صغار، مسنين كانوا أو

¹ ينظر الدكتور , منصور ممدوح . " التاريخ الدبلوماسي " مصدر سبق ذكره ص - 148

شباناً، عن طريق الإستراتيجية القائمة على المبدأ البسيط و المؤلف القائل بأن الحقائق الأكثر ضماناً للأمن و الإستقرار و توفيراً للربح تملك التشكيلة الأكثر تنوعاً من الاستثمارات الخاصة في تغيير شكل عالم أسواق السندات، مثل فبين عامي 1980-1994 تضاعف حجم الأموال الأمريكية المحولة إلى أسهم خارج التراب الأمريكي بحوالي ست عشرة مرة، إذ بلغت في هذه الفترة تريليون ونصف تريليون من الدولارات¹، و هذه الأموال الطائلة جاءت من المجتمعات ذات العمالة الرخيصة و الاستغلال و الاستبداد في ثوب النزعة التسلطية الدكتاتورية في النظام الاقتصادي الجديد المنشور الآن في كل بقاع العالم المتأخر في أمريكا الوسطى والجنوبية و آسيا و إفريقيا و دول أوروبا الشرقية و الشرق الأوسط و شمال إفريقيا و المحيط الهادي، حيث يمارس قادة الجيش ضغوطاً قوية على الحكومات من أجل الإمساك بزمام الأعمال و المؤسسات الرئيسية في بلدانهم بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية و المتاجرة بالأسلحة و المخدرات، و سحق و طحن المتظاهرين المطالبين بحقوق الإنسان و بالديمقراطية تحت سلاسل الدبابات و في غيابات الجب.

تلك هي الطريقة التي يقتنص بها المستثمر الأمريكي ثروته على حساب بؤس الإنسان و الأجور المتدنية و ظروف العمل القاسية، ليست أموراً جديدة في الإستراتيجية الأمريكية القائمة على الكسب لأن السوق الأمريكية في ميدان الاستثمار قد طالت ماليزيا و اليابان و إنجلترا و ألمانيا و دول أوروبا الشرقية أيضاً و كوريا الجنوبية، و لأن تغطية قيمة الأسهم الأمريكية أصبحت ثقيلة جداً، حيث تفاقمت حمى الاستثمارات الدولية عن طريق الشركات الأمريكية الكبرى، لأن الأمريكيين الذين يستثمرون ما وراء البحار يفضلون الاقتصادات الصناعية الكبرى و خاصة المتطورة منها كبريطانيا و ألمانيا و اليابان و كندا و غيرها من البلدان ذات البورصات والشركات القائمة لتلك الأسواق الناشئة المتنوعة بنسب مئوية متفاوتة و بإعتقادي فإن الأموال العربية مرشحة للتدفق بالإلتحاق بالبورصات الأمريكية وبأيديهم، و خاصة المهربة، ربما إن جزءاً كبيراً من الإزدهار الحاصل في الاستثمار الأمريكي ناشئ من الأموال و

¹ فرانك جي. ليتشنز و جون بولي . مصدر سبق ذكره ص - 301.

الودائع العربية المتدفقة للتفجر أحيانا، حيث أصبحت إستراتيجية مبتكرة حيثما يكون شره جماعي تكون سوق و يسارع الاقتصاديون إلى التهليل قائلين إنه عام خير و بركة من الإزدهار، حيث ينمو اقتصادهم و رخائهم غير المتكافئ في سياق التحليلات المتخصصة بدراسة الفقر و الأجر المدني الذي يأخذ قطعة لحم من الآخر في الدول المتأخرة لمصالح المستثمر على طول الخط في الاستثمار الكوكبي، الذي فرّخ بدعة استثمارية كتواجد صناديق كوكبية أو لنقول عولمية قادرة على شراء الأسهم في أي بقعة من العالم، و صناديق دولية لا تشتري إلا في خارج الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أقدم المستثمرون على ضخ ما يقارب 40 مليار من الدولارات في هذه الصناديق خلال السنوات القليلة الماضية فضلا عن الادخارات التقليدية مثل السندات و الحسابات المصرفية، و الصناديق المشتركة التي تستثمر أموالها في الشركات الأمريكية العملاقة و التي تقدر بألف شركة موجودة في عشرات البلدان ذات الحكم الدكتاتوري، بما يجعل أرباح المستثمرين مستمدة من تدفق ثابت لأموال الحكومات، تحت عدة مصطلحات تساوي إغراء إكراميات في الدول البوليسية التي دأبت على قهر حقوق الإنسان و الإثراء على حساب الفقير، و لعل الممارسات الحاصلة في المشروعات الموجودة في أمريكا اللاتينية حيث يستطيع الأمريكيون الاستفادة من ميزات التجارة الحرة و الأجور المتدنية و غياب التنظيمات النقابية في الشركات التي تستخدم فتيان و فتيات دون العشرين من العمر و عن طريق الإكراه و الإجوع و التهديد ، لا غرابة أن المستثمر الأمريكي جنى أرباحا و مكاسب وسط دول متأخرة و أقل ديناميكية في الاقتصاد العولمي الموسع، و ترمي الولايات المتحدة سمومها الصناعية البلاستيكية التي تحمل كل الأمراض الخطيرة كمادة البوليفينيل الكلوري و بهذا الصدد تقول إحدى الدراسات الصادرة عن مجلس الأولويات الاقتصادية إن فورموز بلاستيكس الأمريكية هي المنتجة المتوسطة الأكبر للنفائات الخطيرة بين الشركات الكيميائية الأمريكية المتوسطة يا للروعة! الاستثمار الأمريكي مزدهر طالما الإنتاج الاقتصادي العالمي المتأخر لن يتجاوز نظيره في الدول الصناعية 60 %¹ في بداية القرن الحادي و العشرين أو

¹ نورسرية , عصام . " الإنسان و البيئة و المؤسسة " شباب الجامعة الإسكندرية 2003 ص - 85

لنقل إختيار العملات و أسواق الأوراق المالية في اقتصاديات عدة دول آسيوية كانت تسير بسرعة كبيرة نحو التقدم و ربما تحتل مكان الصدارة و التكنولوجيا في وقت قصير، عندما أعلن أكبر بنك ياباني إفلاسه في مجال شراء و بيع الأسهم، البنك الياباني العملاق ينهار مرة واحدة و بخسارة تقارب من سبعة و ثلاثين مليار من الدولارات في فترة وجيزة² . ثم بدأت بنوك أخرى تتساقط و تنهار داخل اليابان و دول آسيا مثل تايلندا و الفلبين و إندونيسيا وكوريا الجنوبية و ماليزيا و هونج كونج و غيرها، و لإلقاء الضوء على ما حدث لهذه الدول و المعاناة الناتجة عن هذه الأزمات في ظل النظام العالمي الجديد الذي دعا إلى تحرير التجارة العالمية إلى أبعد حد ممكن و السماح لرؤوس الأموال و الأشخاص بالانتقال الحر عبر الحدود من أجل شراء الأسهم و حق العقارات في نطاق الاندماج الاقتصادي و سياسة منظمة التجارة العالمية، التي حلت محل الجات حيث كانتا أكثرية بلدان جنوب شرق آسيا قد صارت جزءا مهما بالنسبة للاقتصاد العالمي و كانت هذه البلدان الآنفة الذكر ناجحة في التصدير، قد عاشت في رفاهية و نعيم بمعدلات نمو عالية قبل عام 1997 لبرهة زمنية معينة، و كانت هذه الأسواق الناشئة قد أدت إلى اجتذاب المستثمرين بأعداد متزايدة من الأجانب، مثل ماليزيا استطاعت من اجتذاب الاستثمارات عبر توفير المناطق الاقتصادية الحرة للشركات الأجنبية و تقديم القوى البشرية الأدنى أجورا، مما أدى إلى تسارع النمو في ماليزيا نتيجة ذلك، ساقطت الشركات كشركة نايك الرأسمالية ذات الجودة العالمية إنتاجها يتم في آسيا و التسويق في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم إن الإنتاج الآسيوي ما لبث أن تنوع مع مشروع كوريا الجنوبية بإدارة مواقع في فيتنام و إندونيسيا بهذه العملية قامت سلسلة بضائع نايك باجتذاب عمال أقل أجرا في بلدان جديدة، مع ذهاب أكثرية الأرباح المتدفقة باتجاه أرباب الشركات الغربية، و يجنون مكاسب على حساب العمال الآسيويين العاكفين على إنتاج أحذية نايك، مع تدني الأجور و الرواتب في معظم هذه الدول المطاردة شبخ البؤس و استئصال الفقر و سياسة

² ينظر دكتور: محي الدين مسعود " ظاهرة العولمة الأوهام و الحقائق " مصدر سبق ذكره ص - 111

الإبقاء على العمال مسلمين بحجة تقليص معدلات البطالة، و مع زيادة الاندماج في الاقتصاد العالمي. و في غياب الاتحاديات العمالية و منظمات حقوق الإنسان وفقا لمعايير سمات العولمة و زوال الاتحاد السوفياتي، قفزت الرأسمالية الكوكبية بوتيرة أسرع في المعاملات المالية و التجارية على مستوى المعمورة بشكل كامل، و سياسة تأمرية في غياب المنافسة الحرة ثم التهديد الاقتصادي و المالي و التكنولوجي الذي كان يزعج الولايات المتحدة الأمريكية و يمثل خطر على مصالحها و مصالح الغرب عامة، كونهم أصحاب الجزء الأكبر من رأسمال العالمي و أصحاب أكثر الشركات المتعددة الجنسيات و من ثم فهم أصحاب الحل و العقد.

صحيح أن دول آسيا قد فتحت أبوابها للاقتصاد و الاستثمار باكرا بصور مختلفة و بفضل وجود تكنولوجيا الحواسيب، حيث كان السباق الجيوسياسي مختلفا بسبب الأحادية القطبية التي كشفت عن مدى التحدي الأمريكي للمجتمعات الصغيرة، بل حتى المجتمعات الكبيرة أيضا في ميادين عديدة و في مقدماتها الميدان الاقتصادي من آسيا إلى روسيا و البرازيل فيما يخص اللامساواة في ظل الحكومات المتسلطة الدكتاتورية القاهرة على إبقاء الشعوب عاجزة عن الاعتراض و التصدي لحل المشاكل الاقتصادية بسبب تدني مستوياتها الثقافية و التعليمية و القيود المكبلة و المفروضة عليها، ثم إن هذه الدول ليست دولا غريبة و دورها في الاقتصاد العالمي لا يرضي الولايات المتحدة الأمريكية على الأداء الجيد بشكل عام. و من المؤكد أن جهات ما تقف خلف إنهميار العملات الآسيوية في ظل نظام العولمة و الحرب العدوانية التي شنتها الولايات المتحدة في آسيا و إفريقيا في القرن الإفريقي في الآونة الأخيرة ضد الصومال و لمحاكم الشرعية الإسلامية، و إن أسباب الإنهميار بدون شك ليست اقتصادية بالدرجة الأولى و لكنها سياسة العصا الغليظة التي تصيب الضعفاء منذ إنشاء البنك و صندوق النقد الدوليين في ظل آليات حركة النظام الرأسمالي التي بدأت في التعاضم أثناء الحرب العالمية الثانية في مؤتمر بریتون وودز بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1944، في شكل اتفاقيات أدت إلى الإسراع في النمو من خلال كوكبة التجارة حيث تزايدت و بشكل هائل في بداية القرن الحادي و العشرين لم يعهد لها العالم من قبل.

4- شروط البنك وصندوق النقد الدوليين:

من أبرز شروط البنك و صندوق النقد الدوليين أنها تكمن في محاولات التشاور و التعاون فيما يتعلق بالإصلاح الاقتصادي و تحقيق إستقرار النقد و سعر الصرف، بعدما تبينت نتيجة الحرب العالمية الثانية و ربما كانت معروفة حتى قبل نهايتها من طرف الحلفاء بزمان معقول، الشيء الذي أدى إلى وضع مشروع الإستدانة و القروض و تمويل المشاريع بعد الدراسة المعمقة من طرف الدولة المقترضة و ضمان السداد في الآجال المحددة، و ذلك بإجراءات تلتزم بها الدولة المقترضة بإتباع و تطبيق أساليب تتماشى و سياسة الثنائي البنك/ صندوق النقد الدوليين، بما يتضمن و الاقتراحات الخاصة بالنظام الجديد الذي يبعد العالم و يجنبه الأزمة الاقتصادية التي مرت به 1929، و التي يقال عنها أنها كانت إحدى أسباب الحرب العالمية الثانية إن لم تكن هي المسؤولة عن قيامها فعلا، و حتى يتجنب العالم أزمة يوم الخميس الأسود التي أصابته في بداية الثلاثينات من القرن العشرين الفائت، و بعد أن بدأت بعض الدول من العالم الثالث تحقق إستقلالها السياسي بالثورة من القوى الأوروبية بشكل ملحوظ مما أدى بالتفكير و البحث عن إيجاد نظام نقدي عالمي بعد نهاية الحرب، قصد إعادة بناء و تعمير الدول الغربية التي دمرتها الحرب، و خلق سياسة جديدة أساسها إفقار دول الجنوب و خاصة التي اتجهت إلى المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي و ما جرى من الصراعات و خاصة الدول التي اتجهت نحو هذا الأخير الذي كان ينازع الولايات المتحدة الأمريكية من جزيرة كوبا الشمالية إلى نيكاراغوا، حيث مدى وسيط نفوذه في أمريكا الوسطى و الجنوبية، حينها بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى جاهدة لتفتيته حتى تقضي على الثنائية القطبية و المنافسة، لتدخل العالم في مرحلة جديدة هي العولمة من منظور أمريكي أو

الأحادية القطبية أو النظام العالمي الجديد بواسطة السياسات النقدية المرتبطة بالبنك و الصندوق النقد الدولي في ظل نظام بريتون وودز.¹

وهكذا كان لصندوق النقد الدولي مكانته في تسيير و توجيه الاقتصاد العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصيبت دول أوروبا الغربية و اليابان بأضرار خطيرة و فادحة في جهازها الاقتصادي و خاصة الإنتاجي، مما جعلها تخضع لسياسة الإبتزاز الأمريكية القادرة على إعادة إعمار و استرداد عافية قوة اقتصاد الدول المغلوبة على الإستدانة من الولايات المتحدة الأمريكية و خاصة السلع الغذائية و السلع الإستهلاكية و في نفس الوقت استيراد السلع الإستثمارية قصد إعادة بناء ما خربته الحرب، و لم يكن هذا الاستيراد بدون تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في سياسات الدول المهزومة و حتى الحليفة، و لاسيما اليابان بعدة إجراءات، الغرض منها تطبيق النموذج الأمريكي فيما يتعلق بالحكم الراشد بمنظور الولايات المتحدة الأمريكية و ليس الغرض مساعدة هذه الدول كما يظن البعض لإعادة إعمار و بناء الدول المعنية بمشروع مارشال بعد إنكماش الجنيه الإسترليني و تقلص دور بريطانيا العظمى الاقتصادي، و إن كانت الدول الكومنولث تابعة للتاج البريطاني إسمياً فإن ظهور الدولار كمركز اقتصادي جديد قوي و سيولته الدولية كنظام اقتصادي، إنما هو تعبيراً عن الهيمنة الأمريكية بواسطة صندوق النقد الدولي في العلاقات الاقتصادية السائدة. و إن كان الاهتمام موجهاً في القرن الحادي و العشرين نحو دول الاتحاد الأوروبي أي السوق الأوروبية المشتركة، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد زادت معاملاتها الدولية بشكل كبير عندما طوقت الشرق الأوسط و شمال إفريقيا لظهور نظام اقتصادي يتمثل في النفط العربي لتبني وضع جديد في منطقة الشرق الأوسط يتماشى و السياسة الإسرائيلية حتى تفرض رقابة على الإحتياط النفطي الخليجي. و يبقى الأمر متروك فيما يتعلق بمختلف أدوات السياسة الاقتصادية الهادفة إلى

¹ ينظر الدكتور : حشيش , عادل أحمد . العلاقات الاقتصادية الدولية " مدخل لدراسة المبادئ الساسية الحاكمة للإقتصاد الدولي بمراعاة التطورات المستجدة الناتجة عن ناتجي مظاهر العولمة في نطاقه " دار الجامعة الجديدة الإسكندرية 2005 ص- 258 وما بعدها

تطويق الصين الشعبية و اليابان وتقليل النفوذ الروسي، لتفعيل دور إسرائيل و الدول العربية الحليفة لها في ظل الظروف الملائمة المحيطة باقتصاديات الدول العربية المستهدفة عبر الأفق الإستراتيجي الصهيوني-الأمريكي المباشر، بداية بإحتلال العراق، و إغراق الساحة العربية بمنظور و مغريات العوامة و الديمقراطية و خلق حالة الإحتقان في كيان المجتمعات العربية الإسلامية بإتباع سياسة صندوق النقد الدولي لضمان تنفيذ مشروعات أمريكية و الإمبراطورية الكونية بعددها بالاتحاد السوفياتي و سقوط حلف وارسو و الممارسات التمييزية في الأراضي العربية المحتلة من طرف إسرائيل ضد الفلسطينيين، التي سادت منذ قيام الكيان الصهيوني و الاستثناءات التي تقوم بموجبها إسرائيل من التحدي للتعاون الدولي و تضرب العرب و تحسم النزاع لصالحها بما يطلق عليه في المنظور الأمريكي حرب الحضارات و التي تضع العالم الإسلامي و العرب المسلمين في مواجهة الرأي العام العالمي كمصدر للإرهاب و التعصب و الكراهية و العداة للتفوق الغربي في جميع المجالات، و قد ساعد هذا التزييف و التشويه لصورة العربي التي سادت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 إقناع أصحاب الرؤى الدولية بعد إزاحة خطر الاتحاد السوفياتي تستند إلى حصر العربي في خانة الإرهاب، و من ثم القيام بالتحقيق معه قصد المحافظة على السلم و الأمن الدوليين و من ثم يستفيد من ضربات صندوق النقد الدولي لاعتبارات سياسية و اقتصادية و ثقافية، حيث تشير كثير من الدراسات فيما يتعلق بتقييم سياسات و أداء صندوق النقد الدولي كمؤسسة دولية تتعامل بطريقة مناسبة و سياسة معنية مع الدول الصناعية الكبرى، و خاصة دائمة العضوية في مجلس الأمن بعد استخدام العرب لسلح النفط خلال حرب أكتوبر 1973 ضد الدول المؤيدة لإسرائيل عندها فجرت الولايات المتحدة الأمريكية مديونية الدول العربية و الإسلامية و دول العالم المتأخر بشكل كبير في بداية الثمانينات، حيث إنتشرت عدوى الديون و هيمن صندوق النقد الدولي على الدول المتأخرة و خاصة فيما يتعلق بإعادة جدولة الديون، و تقديم الفروض المشروطة بالنسبة للدول المدينة بفهم و إتباع سياسة مسطرة و محددة من الإدارة الأمريكية مقابل إعادة الجدولة و الاعتراف بإسرائيل كشرط، مع إلزام الدول العربية و الإسلامية بتوسيع نطاق التجارة

بطرق مباشرة أو غير مباشرة مع الكيان الصهيوني و العمل على الاعتراف بإسرائيل أو ما يطلق عليه الأرض مقابل السلام، و بهذا الخصوص فإن صندوق النقد الدولي كمؤسسة نقدية عالمية ظل معنيا بأمور الدول الصناعية المتقدمة تكنولوجيا و ترك أمور الدول المتأخرة للبنك الدولي باعتبارها أقل أهمية على المستوى الإستراتيجي. و المشاكل التي كانت تواجه الاقتصاديات الإشتراكية خلال الثمانينات من القرن العشرين الفائت، عمل البنك الدولي مع صندوق النقد الدولي على استبعاد إدماجها بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي في اقتصاد السوق الحرة خلال التسعينات من القرن الماضي.

وهكذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تعزل روسيا و تقضي على أطماعها بإعتبارها الوريثة لمصالح الاتحاد السوفياتي في أفغانستان و العراق و لتحطيم أي تحالف أو تقارب بين روسيا و الجمهوريات المنفصلة عنها بواسطة صندوق النقد و البنك الدوليين. و ذلك بإقامة شروط البنك الدولي و صندوق النقد الدولي و من هنا نلاحظ أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إعتمدت إستراتيجيات البنك و صندوق النقد الدوليين في مواجهة اقتصاديات الدول المتأخرة حتى ترغمها على قبول إتباع سياسيات تصحيحية تكييفية هيكلية المسار، غايتها قبول شروط البنك و صندوق النقد الدوليين على شكل نصائح و اقتراحات و هي تطبيق النظريات الليبرالية التي سادت بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي في نهاية القرن العشرين.

حينما نقول شروط البنك و صندوق النقد الدوليين و أثرهما على الدول المتأخرة، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو المؤسسات التمويلية العالمية و الإقليمية، بعد حصول الدولة المقترضة على وصفة تؤكد على سلامة اقتصادها المحلي في ظل شفافية كاملة تؤهلها للإقتراض من المؤسسات المالية بإتباع سياسة التخطيط، التي تدعي بطبيعتها دائما الوصول بالمشروع الممول من طرف المؤسسات المالية الدولية إلى حجمه الأمثل إذا اقتضى الأمر، و هذا بنهج سياسة معينة كما هو الحال في اقتراض صندوق النقد أو البنك الدوليين، و أن تكون الدولة المقترضة في وضع اقتصادي قوي على الأقل نسبيا، مع تحديد سعر صرف العملة المتداولة داخل الدولة المقترضة مقابل الدولار الأمريكي و تخفيض العملة الوطنية إلى أسفل السافلين، و ذلك بحجة تشجيع

و تحفيز الصادرات الوطنية بثمان بنس مقابل الحصول على العملة الصعبة، حتى و إن كان ميزان مدفوعاتها يمر ببعض الأزمات الظرفية لا بد أن تصبح الدولة المقترضة قوية اقتصاديا و لها حجم كبير من الاحتياطات من الذهب و العملات الصعبة، علاوة على تحرير الاستيراد من جميع العوائق الجمركية و القيود التي لا تساعد على جلب الاستثمارات الأجنبية، و ينبغي عليها فتح الباب على مصراعيه أمام السلع القادمة من وراء البحار و من المهم أن يتذكر أن الدولة المقترضة هنا أن تقوم بإلغاء حماية المنتجات الوطنية، ثم تقوم بفتح سوقها للأسواق الأخرى الأكثر جودة و الأرخص ثمنا و عدم التوقيع على إتفاقيات تفضيلية فيما يتعلق بالمنتج المحلي، و يمكن أن يقاس ذلك على الشركات متعددة الجنسيات كونها عالمية و يصعب منافستها لا من حيث الثمن أو النوعية أو الرعاية. لأنها تتمتع بالميزة للسلعة و القيمة و تؤثر في الذوق و تفوق في الثمن بمقدار كبير لأنها تنتج منتجاتها في الدول المتأخرة و في المناطق الفارغة من المعمورة و قرب المواد الخام الرخيصة مع تشغيل الأيدي العاملة بأجور رخيصة جدا و متدنية للغاية في الدول المتأخرة و التابعة للدول المتقدمة من أجل تحقيق نتائج أفضل، نظرا لتملكها لإمكانيات كبيرة فيما يتعلق برصد الأسواق و المواصلات بجميع أشكالها و أنواعها و أصبحت الأسواق عارية مكشوفة في دول الجنوب و بحاجة ماسة للمواد الإستهلاكية و السلع المختلفة، بما يساير الآثار السلبية للعملة على الحياة الاجتماعية بالنسبة لدول الجنوب. و بسبب إنتشار و هيمنة سياسة البنك و صندوق النقد الدوليين على ما يسمى بالمرونة بالنسبة لأسواق العمل حيال الدول المتأخرة يعقود عمل مؤقتة محدودة بفترة زمنية معينة في معظم الأحوال، مما يؤدي إلى انتشار البطالة و التطور السريع للتكنولوجيا التي غالبا ما يصاحبها الإستغناء عن الأيدي العاملة تحت تأثير ميكنة الروبو الذي يوفر صناعة جيدة و رخيصة للغاية على حساب مصلحة العامل أو الأجير و حتى المستهلك، و هذه الإجراءات المفروضة من طرف البنك و صندوق النقد الدوليين تقضي على الحياة الاقتصادية و الزراعية و الصناعية داخل الدولة المقترضة، كون الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات و ليس من السهل منافستها بفضل إنتشارها في كل الدول، بدءاً بالدول الصناعية و مرورا بالدول المتأخرة و إنتهاء بالدول

التي كانت تابعة للمعسكر الاشتراكي. و في هذه الحالة نفقد الدولة المقترضة وظيفتها و تصبح تابعة لمؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك و صندوق النقد الدوليين، حيث تعيش مرحلة المبادلات بمقدرات هائلة في توفير السلع في الحال، ذلك راجع إلى أن الأكثرية الساحقة من الشركات العملاقة العاملة في الدول الآنفة الذكر تتوفر على المعلومات عن طريق الإنترنت و الهاتف النقال و الكمبيوتر و الإمكانيات الإعلامية و الدعائية لتسويق منتجاتها و سلعتها، حتى و لو كانت بائرة، تلك هي الحضارة الغربية إحتلت اليوم قمة إستثنائية من قمم القوة و النفوذ بالنسبة لباقي الحضارات، بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي الخضم من الطريق، و صار الجبروت العسكري الغربي بلا منافس في خارطة العالم و لا يواجه الغرب أي تحد اقتصادي أو سياسي، لذا فهو يهيمن على المؤسسات المالية الدولية و السياسية و الأمنية تحت لواء الولايات المتحدة الأمريكية، التي تتمتع بعلاقة وثيقة مع دول الخليج العربي بإستثناء العراق و فلسطين، و تهيمن على قضايا العالم الاقتصادية حيث تقوم بإحصاء الدول الأقل شأنًا بطبيعة الحال غير الغربية. فالقرارات المتخذة في البنك أو صندوق النقد أو مجلس الأمن الدوليين التي تعكس بالدرجة الأولى مصالح الغرب على حساب العرب يجري تسويقها و تقديمها إلى العولمة، بغرض إضفاء المشروعية الدولية على أفعال و تحركات الغرب التي لا تعكس سوى مصالحه على حساب الدول المتأخرة، و عن طريق إستخدام البنك و صندوق النقد الدوليين، مع المؤسسات المالية و الاقتصادية الأخرى يدعم الغرب مصالحه الاقتصادية و السياسية و العسكرية و يفرض على العرب و غيرهم جملة خطط و سياسات الاقتصادية التي يراها تناسب أو مناسبة لإيديولوجيته، و يأمر البنك و صندوق النقد الدوليين بتأييد مشروع الدولة المقترضة التي يرضى عنها، أما المارقة فلن تحظى إلا بالشجب و الإدانة.

تلك على الأقل الطريقة التي يتعامل بها كل من البنك و صندوق النقد الدوليين فيما يتعلق بالحكومات الوطنية التي تلجأ إليهما على سبيل الإقتراض، أنها قبل كل شيء رفع كل أنواع الدعم على السلع الإستهلاكية و الخدماتية (التربية و الصحة و التعليم) حتى تضر بالفقراء و الطبقات الدنيا من المجتمع بالنسبة للمواد الضرورية و السلع الواسعة الإستهلاك (الحليب الخبز،

الماء، العلاج، الغاز و الكهرباء، الهاتف، المواصلات و غيرها)، و الأولوية بالنسبة للحكومة (الدولة) رفع مواردها بفرض رسوم و ضرائب مباشرة و غير مباشرة، و تخفيض الأيدي العاملة في المؤسسات الاجتماعية و تقليص الإنفاق مع التقليل في السيولة و غلق مناصب الشغل، هذه الإجراءات و ما شابهها تعتبر ذات طبيعة إنكماشية، حيث تؤدي إلى الإضمحلال و الركود و الجمود بالنسبة للاقتصاد الوطني كما تعتبر قيود مفروضة على الاقتصاد المحلي، و هذه الإجراءات تتعارض و تحرير الاقتصاد المحلي، و من ثم فتح الباب أمام الأجنبي بكل حرية حيث يفرض و يسعى إلى إستعمال إرادته و حاجته الأساسية، ألا وهي إفلاس و خسارة المعامل و الشركات الوطنية التي تشغل مئات العمال، و من ثم إضعاف القدرة الشرائية للمواطن صاحب البلد و صاحب الحق في العمل، أضف إلى ذلك ركود الاقتصاد المحلي، مما يؤدي إلى رفع أسعار المحروقات و حتى الخدمات العامة كالصرف. و البريد و تسعيرة المياه و الكهرباء و الرسوم على القيمة المضافة و هلم جرا.

هذه السياسة المتشنجة التي خطط لها الغرب بواسطة البنك و صندوق النقد الدوليين و المؤسسات المالية و الاقتصادية الأخرى، هي في واقع الأمر تحجيم تدخل الدولة الوطنية في توجيه الإقتصاد و من ثم خلق ظاهرة القلق و ما يترتب عليها من طرد العمال و تسريح الأيدي العاملة و القضاء على جميع الركائز في أجهزة الدولة أو المصانع، و حتى في ميدان الزراعة و الفلاحة و حتى المستخدمين في الشبكة الاجتماعية ثم القضاء على الخدمات المجانية الاجتماعية لذوي الحاجات، و ويل للفقراء المساكين مما تمحضت عليه السيطرة الأمريكية و الغربية على البنك و صندوق النقد الدوليين و على مجلس الأمن الدولي و قراراته برفض القواعد اللاديمقراطية و الشاذة عن السلوك السوي، بتطبيق سياسات البنك و صندوق النقد الدوليين لترويج الاستثمارات الأجنبية و التسهيلات للشركات متعددة الجنسيات و السماح لها بدخول الأسواق الجنوبية مع الإعفاءات و إزالة العوائق الجمركية و الضريبة و تحويل رؤوس الأموال الأجنبية بدون قيود أو شروط مسبقة، بما في ذلك الأرباح و الأتعاب لجيوب أصحاب الأفكار الداعية إلى العولمة و بصورة خاصة إلى ساسة العالم الجديد وضاع القرارات التي تلزم

دول خارج حدودهم المالية العالمية، بإتباع سياسات البنك و صندوق النقد الدوليين في مشاريع الشركات الأجنبية التي تحتل الأسواق المحلية بدون مقابل مما قد يجعل الأيدي العاملة الرخيصة تتحكم بها الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، و من تم تقلص حجم العمالة و إضعاف و خفض معدلات الرواتب و الأجور و إفقار الطبقة الوسطى، مما يؤدي إلى مزيد من التحقير و تشريد الشباب العاملين في قطاعات و مؤسسات حكومية، و الإحساس بالمصير المحتوم الذي هو الموت المشترك الذي قد يدمر الأمن الغذائي، و عدم قدرة المواطن التوفيق في تحقيق الضروريات لضمان حياته اليومية حيث تخلت الدولة (الحكومة) عنه و تركته فريسة سهلة للرأسمالية المتوحشة التي تمنعه من الأكل و الملبس، بتقديم تشريعات تفرض عليه الحرقة و الهدة حيث فقد الإكتفاء الذاتي (نأكل مما زرعنا و نلبس مما نسجنا) و لن تسمح لك العولمة بذلك، على المثال القائل " البلاشفة الجدد المولعين بنهب أموال الآخرين، بفرض القواعد اللاديمقراطية و الشاذة عن السلوك الاقتصادي و السياسي و يخنق الحرية الاقتصادية"¹.

تلك هي النهاية المأساوية التي إنتهى إليها الغرب الصناعي لتحريك إقتصاده و تحفيزه على حساب اقتصاديات الدول المتأخرة التي وضعها في حالة الإلتباس، حتى الآن على الأقل و من تم تخلق عن الدعم الحكومي على السلع الضرورية و الخدمات و فتحت مجال الخوصصة مع فتح أبواب إستيراد كل شيء من الدول الغربية الصناعية و عدم تصدير أي شيء، مما أدى إلى إحتلال كبير في ميدان المدفوعات أي إستيراد بدون تصدير، هذه السياسة القاسية المبرمجة من طرف الدولة الغربية التي تناسب خصوصيات الدول المتأخرة، عندما كانت تتحكم في مصيرها و تتعامل معها على إمتداد الفترة الإستعمارية على أنها أسواق تجارية و من ثم قامت الدول الغربية بتجريد الأمم المتأخرة من مواردها المادية و المعنوية و جعلتها بروليتاريا الفقر الرث، ولم تقايضها ولم تبادلها مقايض في السلع و الخدمات كما هو جاري بين الدول الصناعية بصفة مستمرة بدون تحقير.

¹ فرانك جي. ليتشنز و جون بولي . مصدر سبق ذكره ص 239

يتلخص مما سبق أن الدول الغربية تحتكر البنك و صندوق النقد الدوليين حتى تسيء إلى اقتصاد الدول المتأخرة و تقيد صناعاتها المحلية بدخول صناعة مماثلة من الخارج، بهدف الحرية التجارية الدولية و غزو سلع الدول الكبرى لدول صغرى التي تقبل قبولاً يكاد أن يكون إجماعياً في بداية القرن الحادي والعشرين، حيث ذهبت ظاهرة الحماية الاقتصادية التي كانت تساعد تحقيق الإستغلال الاقتصادي وقت الثنائية القطبية، حيث صار تفضيل المستثمر الأجنبي على الوطني الذي حرم من المزايا و الحوافز و التسهيلات لصالح الأول على طول الخط، فحيثما حل و نزل البنك و صندوق النقد الدوليين تم القضاء على البلاد و العباد و من ثم و في نفس الوقت تدمير الطاقات الوطنية و أفقرت الرأسمالية المحلية جملة و تفصيلاً.

5- الهيمنة الأمريكية على التجارة العالمية:

تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على التجارة العالمية من المنظور الإستراتيجي نظراً لقوتها العسكرية التي من خلالها إستطاعت أن تفرض سيطرتها على طرق التجارة العالمية التي مكنتها من الوصول إلى الأسواق العالمية، و مصادر الطاقة في كل بقعة من المعمورة و الأكثر أهمية للولايات المتحدة الأمريكية هي تغيير الخريطة النقطية الدولية بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي و إحتلال العراق و إطلاق العنان لصادراته النفطية من أجل إغراق و تعويم الأسواق العالمية و تخفيض أسعار النفط. إذن الهيمنة الأمريكية على التجارة العالمية بفضل قوتها العسكرية المتفوقة التي يصاحبها و يساندها اقتصاد قوي متين مبني على التقدم و التفوق و الإبداع العلمي و المعلوماتي، جاعلاً عنصر من عناصر علاقته عضوية قوية متماسكة و منسجمة بين المسببات و النتائج، بسبب موقعها الجغرافي و حمايتها بواسطة المحيطين الأطلسي و الهادي من أي هجوم محتمل عبر البحرين الذين يشكلان عازلاً أمنياً للولايات المتحدة الأمريكية و التفوق الاقتصادي و السياسي يجعلان الولايات المتحدة الأمريكية القوة الأعظم في الوقت الراهن بلا منازع، و أن وعي المجتمع الأمريكي بتقاليد الديمقراطية منذ قرنين و نصف من الزمن كفيلاً بإبقاء الهيمنة على التجارة العالمية التي كانت تتسابق عليها القوى الإستعمارية منذ إكتشاف الطرق التجارية و خاصة طريق رأس الرجاء الصالح، و من ثم طريق العالم الجديد، و الشواطئ

و الموانئ و الجزر و المضائق و القنوات و المواقع الإستراتيجية.¹ أضف إلى ذلك سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على معظم مصادر الاقتصاد العالمي الذي هو في توسع و ازدهار رغم ظاهرة الإرتفاع الحالية و السريعة لأسعار البترول عام 2007 تتراوح 50 إلى 60 دولارا أمريكيا للبرميل الواحد و يقفز أحيانا إلى أكثر من ذلك. أصبحت الغاية عند الولايات المتحدة الأمريكية تبرر الوسيلة و الفقر و التسلق على أكتاف الأمم المتأخرة لكسب المال و المجد و الشهرة، و أن تلجأ إلى أي وسيلة تحقق لها مآربها، و القوة المادية سلاح الأغنياء دون الضعفاء، حيث إقترنت القوة العسكرية نتيجة للإختراعات التي أدت بالتقنية المتطورة تكنولوجيا أو الحتمية التكنولوجية، والفكرة هي إطلاق العنان لحرية الفرد في الفضاء المعرفي، يمارس فيه سيطرته بلا قيود و لا حدود ضمن مؤسسة أعمال Business Enterprise بعيد عن تدخل الدولة، أي يعبر عن رأيه و نظرتة في إطار فكري، حتى بعد الحرب الأهلية التي تميزت بسطوة رجال الأعمال و الصناعة و إحتكارهم للاقتصاد و الحرية، و مظاهر الثراء الضخمة التي أفرزتها الثورة الصناعية و طموحات التقدم التكنولوجي و العلمي بلا قيود داخل المجتمع الأمريكي بدأت توحى بتغيير جذري للمجتمع و علاقته أي تنامي دور الحاكم بالمحكوم بإستخدام كل السبل الممكنة، التي تهتم بالمسائل الديمقراطية و الاجتماعية أكثر فعالية لحقوق المواطن و الاهتمام به أينما وجد و الحفاظ عليه و إشباع حاجاته و متطلبات رفاهيته، حتى صار البطل الأمريكي له كل الحق و هو في كل ما يعمل على صواب، و يعمل لخيره و ينهب جاره و هذا حقه، لا يحده أي شيء ما دام الأكثر كفاءة و مقدرة و تحدي للآخر الذي هو أعزل من أي سلاح فكري، و شعوره بالإحباط و الضياع، و

¹ ينظر، فرسون، سميح، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب ، المستقبل العربي 28 أكتوبر 2002: 7-38

1 - الممر الشمالي الذي يمتد من أوروبا عبر السكك الحديدية السيبيرية العبرة إلى الصين و شمال و جنوب كوريا واليابان.

2 - ممر « Tracec » المتجه من شرق اوروبا عبر البحر الاسود و بحر قزوين الى وسط اسيا

3- الممر الاوسط في جنوب اوروبا عبر تركيا و ايران و وسط اسيا الى الصين

4- الممر الجنوبي الذي يبدأ من جنوب اوروبا الى ايران و يصل الصين عبر باكستان و الهند و جنوب شرق اسيا

5- ممر جديد لسفن الشحن يربط الشمال بالجنوب ، من جنوب اوروبا الى روسيا عبر بحر قزوين الى ايران الى بحر العرب ثم الهند

من ثم يسهل إنقياده على جميع الأصعدة، و عليه فهو مؤهل لإدارة العالم و ذلك ما تؤكده التجارب و بعد الحرب العالمية الثانية التي إنتصرت فيها الولايات المتحدة الأمريكية على النازية و الفاشية، ساد آنذاك الاهتمام بالقوة العسكرية التي أدت إلى التفوق و السيطرة و الهيمنة الشاملة في سياساتها الخارجية السابقة و الحالية التي عصفت ب بناما 1989، و غراناذا 1983، و العراق 2003 و أفغانستان 2001، و لبنان و الصومال، و خاصة بعد إختيار الاتحاد السوفياتي ظهرت طموحات الولايات المتحدة الأمريكية الجيوستراتيجية التوسعية بواسطة شركاتها العملاقة في الحقول النفطية الضخمة في كل من كازاخستان و قيرغيزستان و طاجيكستان و أوزبكستان، كشركة يونيكال و توتال و شفرون و أوموكوواكسون و غيرها. هذا الشريط هو الجرأة لإحتكار أجزاء هامة من أجل إقامة و إحتكار دول كانت بالأمس القريب منضوية تحت الاتحاد السوفياتي و من ثم السيطرة على ثرواتها و نشر المؤسسات الكبرى بغرض إبتلاع المؤسسات الصغرى و تلاحقت الأحداث السريعة، حيث تمت السيطرة على ثروات دول أوروبا التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي حيث إنتشر الفقر و المرض و الجهل في هذه المجتمعات، و تضافرت كل هذه العوامل في قلب أوروبا الشرقية، حيث ظهرت القلاقل و العراقيل و العرقية التي أدت إلى حروب أهلية في بلاد البلقان و توقفت عملية التنمية، و حلت الكارثة بمسلمي البوسنة و الهرسك من طرف الصرب الظالمين من خلال التصفية العرقية لكل من هو مختون أو متحجبة، و تعتبر أوروبا مسؤولة عن هذه المجازر التي جرت في بلاد البلقان بالشكل الذي شاهدناه.

قلت إن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس هيمنتها العسكرية و الاقتصادية و الثقافية في المعمورة بسبب أعمالها و جاذبيتها و إنتاجها السينمائي و التلفزيوني بصورة أكبر، و هذا للتأثير في الشباب كموسيقاها التي تستهوي البشرية و سياراتها و إعلامها و أزيائها. من خلال عمل جماعي لإشباع الرغبات و الشهوات التي تروج لها الثقافة الإستهلاكية بفاعلية إنتشار وجبات الطعام القائم لتحقيق ربح السريع و مكاسب مالية ضخمة، التي تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية، و هذا ما يسمح لها به إيقاع شرائح و فئات كثيرة في مجتمعات المعمورة في

التسارع للهجرة إليها، فهي تشجع إستقطاب الكفاءات و الأدمغة و المهارات، من خلال إعلام مالي وشفافية و تغذي و تنمي الطاقات و القدرات البشرية المبتكرة و المتدعة للتعامل معها بشكل كبير، مقارنة بباقي الدول العالم و لظفر بالعلماء مثل أينشتين و هنري كاري و فرنسيس و وكر و غيرهم كثير، حيث ظهرت الحاجة الملحة في البحث العلمي و خاصة قوانين الكون الفيزيائية و البيولوجيا و الرياضيات و الاقتصاد و ما يدعم العلاقات التجارية المريحة في ظل المنافسة، و إن اتسمت بالقسوة و التحجر و الوحشية و الإفتراس في المعاملات، و الجرأة و العدوانية و الأمان بأن الأعمال Business الذي لا يعرف المسؤولية الأخلاقية و الاجتماعية و لا يعترف بأي إلتزامات مقابل الإستيلاء على ثروات الآخريين الطائلة حيث الأهداف هي: الربح السريع و فورا، و وصولا إلى إمتلاك المؤسسات الكبرى التي تصوغ الفكر الأمريكي بنوع من الإستبصار و إلى تعديل المناخ الإيديولوجي السائد ليملك العامل الأمريكي المتفوق أدواته التي حققت له النجاح في الهيمنة على التجارة العالمية نظرا لثقة الناس بالدولار الذي استطاع الحفاظ على مركزه القوي، ثم ثقة المستثمرين بالاقتصاد الأمريكي، و عدم وجود عملة قوية تواجهه منذ الحرب العالمية الثانية، حيث عششت الولايات المتحدة الأمريكية حول العالم و باضت و ظهرت الأمركة فيه ظهورا واضحا، و صارت تهيمن من موقعها القوي في الاقتصاد العالمي مطلقا من مستوى منابعه تفوقها العسكري و إستقرارها السياسي بوجه عام، و نهضت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية و تفوقت في الأسواق العالمية في صناعتي السيارات و الطائرات و الكمبيوتر حتى أصبحت أكبر دولة مصدرة على مستوى المعمورة، و تفوقها أيضا في الأبحاث في حقول التكنولوجيا المعقدة و التقنيات الرفيعة و التقدم و التطور جعلها تحتل و تتبوأ مكان الصدارة و الإستمرار في الهيمنة و السيطرة على الأسواق العالمية في تأدية دور نقطة وصل بالنسبة للاقتصاد بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي و برامجها الحاسوب و شبكة الاتصال أو الاتصالات على مستوى المعمورة (الإنترنت)، كما تتحكم في التقنية العسكرية و الاقتصادية و الفكرية و السياسية و الإعلامية، و لها العلاقات التي تلي حاجات مواطنيها على مستوى

المؤسسات الخاصة و الإقليمية و على مستوى الدول، و حتى تضمن التحالفات تأخذ بالعصا من الوسط و بالهراوة من الأعلى، و بصورة خاصة ضد الدول المارقة التي تخوض معها الصراع من أجل القوة، و من تم تعمل جاهدة ضمن هيئات مالية مثل صندوق النقد الدولي و البنك الدولي حتى تضعها تحت الضيم الاقتصادي، جادة في خلق الأزمات و الافتراءات كما فعلت بالعراق عندما إتهمتها بامتلاك الأسلحة النووية أو هو يسعى بخطى متسارعة لتخصيب اليورانيوم، كما له الأسلحة الكيماوية و البيولوجية و له القدرة التطويرية الصاروخية التي يمكن أن تطل إسرائيل و غيرها، و بمقدور العراق استخدام السلاح الكيميائي و البيولوجي ضد جيرانه العرب، لأن العراق يسعى إلى شراء كميات كبيرة من اليورانيوم من إفريقيا، و هذه الإفتراءات تمت بشكل متواصل، حيث جعلت الكونغرس الأمريكي يمنح و يفوض رئيس الولايات المتحدة الأمريكية شن الحرب على العراق في اجتماعه المنعقد يوم 24 سبتمبر 2002، و الحقيقة هي اهتمام الولايات المتحدة من الهيمنة و الاستحواذ على مصادر النفط العراقي و المواد الأولية و لتمكين الشركات الأمريكية من تحقيق السيطرة على النفط الخليجي قصد تحقيق المزيد من الأموال ونهب خيرات الآخريين فضلا على السيطرة الاقتصادية و الثقافية بنظامهما الشمولي، حيث أصبح من الصعب التنبؤ بإنهيار الولايات المتحدة الأمريكية شأنها شأن الطاغوت الإمبريالي، و إن كان تفوقها قد أنشأ نظام عالمي جديد تصوغ ملامحه العولمة التي فرضت رغباتها الاقتصادية بالسيطرة الأمريكية التي أصبحت القوة التي لا تقهر، إذ أصبحت تسيطر على اقتصاديا على الساحة الدولية بقدر ما أصبحت مسيطرة على الجوانب الإستراتيجية و السياسية و الثقافية، حيث يجنم على المعمورة الأحادية القطبية بشكلها الأكمل الذي ظهر بعد ذهاب الاتحاد السوفياتي عام 1990، أما الأمر الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على التجارة العالمية، هي الترتيبات المالية المتبعة منذ الحرب العالمية الأولى و خاصة في فترة العشرينيات من القرن الفائت، فقد كان للتدفق الدولارى الآتي من دور الاستثمار الأمريكي من ألمانيا و الدول الغربية و العائد بالفائدة إلى موطنها الأصلي الولايات المتحدة الأمريكية بثت الحركة وقوة الروح الاقتصادية طوال هذه الفترة، حيث تدفقت الفوائض

من رؤوس الأموال الأمريكية، حيث ساد الإنتعاش الاقتصادي الذي حدث في أسواق الأوراق المالية حيث تم ارتفاع الفائدة المحلية و إلى غاية الإنهيار يوم الخميس الأسود عام 1929، و الذي أتى على الأخضر و اليابس، و هو ما كان متوقع طوال فترة نهاية العشرينات من القرن الفائت بسبب التصرفات في النسبة الاقتصادية الدولية التي ساعدت على الإنهيار الكامل، حيث أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتصدير أفكارها و قيمها قبل تصدير رؤوس أموالها وسلعها، و بذلك تكون قد أسهمت في أمركة الأفكار و القيم الدولية في طابعها بشكل مطرد، الشيء الذي شجع على تطوير نوع مشترك من التصورات و المعتقدات الثقافية و لاسيما الأفكار المرتبطة بشكل مباشر بأخلاقيات العمل التجاري الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم فيه، و يعتبر العمل التجاري من أهم عناصر التنمية الشاملة التي أصبحت دعامة من دعائم الشؤون الخارجية و شؤون السلطة الحاكمة،، حيث أصبحت صورة الولايات المتحدة الأمريكية جذابة بنموذجها العلمي العقلاني الذي كانت تنطوي عليه في العالم العربي الذي مزقته الحروب، حيث تفاءلت الدول الأوروبية كثيرا بالنجاح الاقتصادي الأمريكي، و رأت في رؤية بعيدة للمستقبل الصائب. و نشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت وراء تشجيع البحث العلمي و التطوير و التقدم و التعلم و الابتكار و الإبداع، و نقل التكنولوجيا و استيعابها مع تطويعها و ما يتلاءم مع البيئة الأمريكية، التي سلمت تماما من الحروب، و إن ساعدت في تعجيلها، و كانت وسائل و أدوات هذه العملية هي السينما و السيارات و المذياع، و نتيجة لانتشار هذه الأفكار و الأشياء كانت هناك أمركة التجارة العالمية و الهيمنة هي بدايات النظام عالمي تجاري و السيطرة الاقتصادية للمشروعات الاجتماعية، و السياسية و الهيمنة على التكنولوجيا و الاحتكار لها بواسطة التشريعات الخاصة بالملكية الفكرية و براءة الاختراع الصناعية و التقنية و حرية الاستحواذ على المواد الطبيعية الموجودة في باطن الأرض على مستوى المعمورة، و عدم السماح للآخر باستخدام تكنولوجية الاختراع و الاستمرار في السيطرة على الأسواق العالمية و إخضاعها خضوعا حقا لها التقدم الاجتماعي، و تبنى إستراتيجيات على المدى البعيد سمحت لها بتعزيز

التقدم في جميع الاتجاهات الملموسة و ما حققه العلم والتكنولوجيا في البحوث المتعلقة في ميدان التسليح و الصناعية الحربية بجميع أشكالها و أنواعها التدميرية. و إستراتيجيات الأفراد بإمتلاك الأسلحة الهجومية و أسلحة الدمار الشامل على مستوى المعمورة، حيث تبنت الولايات المتحدة إستراتيجيات فرق تسود بحزبها الجمهوري و الديمقراطي يتقاسمان و يشتركان في نفس الرؤية بالنسبة للاستحواذ و السيطرة على خيرات الشعوب المتأخرة في إطار إستراتيجية اقتصادية، ثقافية عسكرية مشتركة، و لهذا فهي تطرح شعارات براقية في الخطاب السياسي الذي يجري التلاعب به مثل: "حقوق الإنسان" أو "الديمقراطية" الأمر الذي سمح للهيئة الحاكمة أو القلة المحتكرة للسلطة من أصحاب رؤوس الأموال الأخذ في الخداع بما يحقق صوالهم مع الجماعات المجندة لمصالحهم و خدمتهم مثل المنظمة الأوروبية للتعاون و التنمية و البنك و صندوق النقد الدوليين و منظمة التجارة الدولية، و حلف شمال الأطلسي و منتدى دانوس و النوادي الثقافية و ذيول تستجيب لرغبات الولايات المتحدة الأمريكية و بكفاءة كبيرة و خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في كل ما تتطلبه الحياة الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية للولايات المتحدة الأمريكية إلا من رحم الله.

تتمحور إستراتيجية الهيمنة على التجارة العالمية بفضل تقدمها التكنولوجي الذي أثبتت سيطرتها على المعمورة، و إن كانت تتصرف كما تصرف هتلر من قبل عندما قام بغزو تشيكوسلوفاكيا وكانت الطرف الضعيف خلال الحرب العالمية الثانية و إنما الهدف لهتلر هو توجيه ضربة موجعة للضعيف حتى يخيف القوى، و هذا ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية بدءا بالبلقان و حتى آسيا الوسطى لإذلال روسيا تم احتلال العراق و السيطرة على منطقة الشرق الأوسط التي هي قريبة من روسيا و بعيدة جدا عن الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن إقامة قواعد عسكرية أمريكية قريبة من روسيا و الصين في إطار تطويق و تفكيك روسيا و حتى الصين و حرمانهما من القدرة على التفوق العسكري الفاعل، أو تدميرهما، أو تشجع القوى المعارضة و تغذية النعرات و الصراعات بين القوميات، كالمسلمين في إقليم تشينغيانغ و الرهبان التبت، و حتى الهند بإثارة القلاقل بين مسلمي شبه

القارة الهندية و بين المسلمين و الهندوس في المجتمع الواحد¹ . و تضع باقي المجتمعات أمام ظاهرة جديدة هي ظاهرة العولمة الشمولية و من أراد الحياة عليه أن ينظم و بالرغبة المسلمة إلى النظام الليبرالي الأمريكي الرأسمالي و يتخلى عن أية مبادرة تنموية أو التمسك بالاستقلال في اتخاذ القرار السياسي دون إذن الولايات المتحدة الأمريكية في كل صغيرة وكبيرة أو تبدي مقاومة لأوامر البيت الأبيض. فهذا الاختيار هو دمج المعمورة في أنماط ثقافية أمريكية و غربية، و الاستيلاء على مناطق البترول و الغاز و الخيرات و تجريد دول الجنوب من كل صلاحيات صناعة القرار السياسي مستقبلا، و فضلا عن ذلك التأييد المطلق و غير المشروط لإسرائيل بالنسبة للعرب و المسلمين في التوسع و إقامة المستوطنات بشكل طبيعي، إذ تقوم إسرائيل بما تراه يناسب صوالحها و من ثم فهي قاعدة عسكرية أممية تعتمد عليها الولايات المتحدة في إقامة التوازن الجهوي و يشار إليها على أنها قوى لا تقهر و تتحكم في مصير جيرانها العرب و الرأي العام الساذج للإقناع بهذا، و بفرض الهوية الأمريكية و لرواج حكم الولايات المتحدة في العالم بمفردها و تضع الاتحاد الأوروبي في حالة تبعية لها واليابان و روسيا و آسيا ستفرض عليهم الولايات آليات التحكم في السياسة و الاقتصاد و الثقافة، و إعطاء الأولوية في هذه البلدان لإعادة بناء ساسة مواطنيه، فهي ممهدة للديمقراطية و هي الوحيدة القادرة على تجميع الأمم و الشعوب بمختلف أطيافها حول مائدة واحدة، بحيث تأكلت شعارات الوطنية الشعبوية التي ميزت مرحلة الاستقلال و التحرير الوطني فهذه كلها أوهاام على أن هذه الأوهام تبددت في نهاية العقدين الماضيين من القرن العشرين الفئات بشكل دراماتيكي، عندما أصبحت منظمة التجارة الدولية (WTO) تشرف و تهيمن على إدارة النظام الدولي الهادف إلى تحرير التجارة الدولية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي طالبت من الدول إزالة الحواجز و العوائق الجمركية و فرض سياسة صندوق النقد و البنك الدوليين، و لأول مرة في التاريخ التجاري للدول و الأمم أصبحت التجارة قضية و شأن

¹ ينظر الأب جرجس داود داود، أديان العرب قبل الإسلام " و وجهها الحضار و الاجتماعي ، الطبعة الثالثة ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 2005 ، ص - 214

دوليان و أصبحت الوطنية و الاستقلال و السيادة الوطنية في خبر كان، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي و بروز مظاهر الخوصصة و الليبرالية و تحرير التجارة العالمية، و من أجل هذه الأسباب كلها وجدت الإمبريالية الأمريكية فرصتها الذهبية في السيطرة و التمدد و الهيمنة و التحقير على العالم العربي و الإسلامي. متذرعة بحجج و ذرائع كاذبة زائفة تحت شعار "محرارة الإرهاب" و من ثم السيطرة و تركيع كل نظام أو حركة تسعى إلى إستنهاض القوة و التحرر الديمقراطي الوطني و حتى القومي و العدالة الاجتماعية و وحدة الأمة العربية و الإسلامية في ضوء ما تقدم، تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تكريس تبعية الشعوب العربية و الإسلامية و إعادة هيكلتها سياسيا حتى يتكيف بما يخدم و يضمن الولاء المطلق لسياسة الأمريكية و التي تستهدف بالدرجة الأولى تطبيع التجارة مع العدو الصهيوني وكيانه و تفعيل و تحديد الهيمنة الإسرائيلية بما يتوافق مع المصالح الأمريكية و استمرار هيمنتها كقاعدة أمامية في المشرق العربي و شمال إفريقيا، بالإضافة إلى سلب إرادة الدول العربية و الإسلامية، ثم التمهيد للقضاء على الشخصية العربية و الاندماج في الثقافة الصهيوالأمريكية اقتصاديا و سياسيا و ثقافيا. و أصبحت الوصاية الأمريكية المفروضة بسبب الردع الذي تمارسه على العرب و المسلمين لضمان تدفق النفط العربي بالأسعار التي تقررها الولايات المتحدة الأمريكية و استبعاد الاتحاد الأوروبي و الصين و اليابان و حتى روسيا بعد احتلال العراق و تهديد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأن النفوذ الأمريكي المباشر يزداد يوما بعد يوم بدعوى دعم حقوق الإنسان و نشر الديمقراطية على الطريقة الأمريكية و محرارة الإرهاب، كما تروج دائما و ضمان حماية الدول المنضوية تحت المظلة الأمريكية في الميادين الاقتصادية و التجارية و العسكرية، و التكتلات الاقتصادية التي تشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك التجارة الإلكترونية التي شهدها القرن العشرون و الواحد و العشرون التي تعتمد على السوق الحر و الاستقرار السياسي.

6 - الاقتصاد العربي في عصر العولمة:

بعد أن تناولنا في الورقات السابقة، بشكل إجمالي هيمنة الولايات المتحدة على التجارة العالمية وفقاً للأوضاع السياسية و الاقتصادية و العسكرية على نحو وصفي، فإن الاقتصاد العربي في عصر العولمة هو بحاجة إلى وضع إستراتيجية الاستثمار المرحلي الذي يسمح بتعزيز التطور و التقدم، مهما كانت المشروعات الاقتصادية لمواجهة القضايا المستحدثة، بعد الهيمنة الأمريكية و تدخلها في أفغانستان و احتلال العراق و هشاشة الأنظمة العربية و خضوعها لمطالب صندوق النقد و البنك الدولي و منظمة التجارة العالمية و سيطرة الشركات متعددة الجنسيات و الـ وول ستريت (Wall street) و شركات الأدوية و هوليود و وكالة الأنباء، و حتى منظمات المجتمع المدني و سمسرة النفط و البورصات و التجارة الحرة لأمريكا الشمالية و التعاون الاقتصادي لدول آسيا المطلة على المحيط الهادي و الاتحاد الأوروبي و التعاون الاقتصادي الإقليمي، هي الأنظمة التي تتعاون و تتكامل لاسيما التحالف الثنائي الأمريكي البريطاني و تفاهم روسيا على ضوء التطورات التي حدثت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، جعلت الاقتصاد العربي يعيش تحت وطأة تقاليد غريبة و بيروقراطية مستحكمة رغم ما يوجد و يجمع بين الدول العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي من عناصر التجانس، غير أن الأوضاع الاجتماعية مختلفة فكل من هذه الدول لها خصائص و ظروف خاصة، فعدد من هذه الدول يعيش و ينعم أفرادها بالترف و زخرف الحياة و يحيا حياة البذخ، و بعضها الآخر يعيش تحت وطأة الفقر و قسوة الطبيعة و الفقر و المرض و الجهل، رغم أن مساحة مجموع الدول العربية تقارب 14,21 مليون كيلومتر مربع، و هو ما يمثل تقريبا 10% من مساحة المعمورة المسكونة¹، و تعاني المنطقة العربية في مجملها ندرة كبير بالنسبة للمياه بإستثناء بلاد ما بين النهرين و أرض الكنانة ففي الأولى الدجلة و الفرات و الثانية النيل، كما تتمتع المنطقة العربية بكمية كبيرة من الطاقة الشمسية و تحتوي الأراضي العربية في باطنها على ثروة هائلة من النفط و الغاز الطبيعي في مقابل ندرة المياه، و لا بد من

¹ ينظر البيلاوي، حازم، الاقتصاد العربي في عصر العولمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية أبو ظبي 2003 ص -

أن تتضافر الجهود أي جهود القائمين على عمليات التنمية و صانعو القرار أن يبدؤوا بالأولويات الخاصة بإدارة موارد المياه، و مدى التوافق في مجال الموارد المائية علاوة على أن معظم دول منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا تزداد فيهم أهمية المياه بسرعة كبيرة لتصبح قضية القرن الحادي و العشرين، حيث تدنت مستويات المياه الصالحة للشرب إلى وضع خطير بالنسبة للجزائر، كما نلاحظ أن دول شبه الجزيرة العربية بما فيهم إسرائيل التي تسرق المياه الجوفية على سبيل المثال، ستجعل كل من الأردن و سوريا و لبنان و السلطة الفلسطينية تستهلك كمية المياه جد قليلة لا تتجاوز بعضا من متر مكعب للفرد سنويا وفقا للتقديرات البنك الدولي 1995، و الماء عنصر الحياة بحيث وصف عرش الرحمن بأنه كان على الماء، ويقول الله سبحانه وتعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...". سورة هود آية 7، كما وصف الله تعالى الجنة بالماء حيث يقول: "....جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ....." سورة البينة آية 8، و هكذا فإن عنصر الماء يمثل دورا كبيرا في التنمية الاقتصادية، و نذرة الماء تمثل فقر يهدد حياة الإنسان العربي و إن كانت وفرة الطاقة تمنحه و تعطيه أهمية كبيرة و إستراتيجية عظمى، أما فيما يتعلق بتوزيع السكان فإنه يختلف من دولة إلى دولة فمعظم التجمعات السكانية تتجمع حول مراكز الطاقة و الموارد الطبيعية فحيث تتواجد و تتوافر مرافق الحياة تتركز التجمعات السكانية منذ القدم، حيث ظهرت أول حضارة على ضفاف وادي النيل و الهلال الخصيب و شمال إفريقيا (الجزائر)، أما مراكز النفط فيوجد بها مراكز خفيفة إلى حد ما نوع من الازدحام، حيث يقيم أغلب الوافدون عليها من اليد العاملة الأجنبية و تجدر الإشارة هنا إلى أن الدول العربية تعتمد بشكل رئيسي على مداخل البترول، لأن البترول يمثل صادرات هذه الدول التي مازالت حتى الآن يمثل نسبة هامة من صادراتها، و التي تتغير من سنة إلى أخرى (الأسعار) مما يجعل التفاوتات الشديدة في مستويات الدخل بالنسبة للدول العربية و يتنوع. فالمتوسط الذي يتراوح بين 2300-2500 دولار للمواطن العربي بشكل عام يعكس منحرجا و إنحرافا بين متوسط الدخل للفرد أقل من 500 دولار في الجمهورية الإسلامية الموريتانية حوالي 250 دولار

و السودان حوالي 400 دولار و اليمن الموحد حوالي 470 دولار، مقابل أكثر من 29000 دولار للفرد الواحد في دولة قطر، و أكثر من 21000 دولار للفرد الواحد في دولة الإمارات العربية المتحدة.¹ و هذا يعني عدم تحقيق التوازن للإشباع المادي لحاجات المواطن من دولة إلى أخرى، و الشعور بعدم الرضا و السعادة على مستوى الفرد، و وجود تناقض شديد في الأوضاع الاقتصادية العربية، مما يؤدي إلى وجود الصراعات الطبقية و بذلك نجد القلة المحتكرة لرؤوس الأموال الآتية من الربح البترولي تتحكم في الأكثرية لتحقيق الانتفاع بالنسبة لفئة قليلة، أو لنقول لمجموعة من الدول النفطية (دول مجلس التعاون الخليجي) و المجموعة العربية النفطية الباقية.

وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى إتساع الفجوة بين دول عربية غنية و أخرى فقيرة فمجموعة دول الخليج العربي تتميز بإرتفاع معدلات الدخل للمواطن بما يعادل و يزيد أضعاف مضاعفة بالنسبة للدول الفقيرة العربية، و حتى الاستثمارات الأجنبية شحيحة كالسودان و موريتانيا و لبنان و الصومال تعاني هذه الدول العربية و بشكل مستمر فجوة كبيرة في مواردها الداخلية بسبب الحروب الأهلية الطائفية و العشائرية و خاصة بين الطبقات الدنيا من المجتمع في عصر العولمة الكاسحة، و في زمن الأسواق الحرة نجد الدول العربية غارقة في المشاكل الاجتماعية و العلاقة الطبقية أو القبيلية أو العشائرية أو الطائفية و غياب المشاركة الجماعية في إتخاذ القرار السياسي في كثير من الدول العربية، و أحيانا إنقطاع الصلة بين جماهير الشعب و بين الحكام أو الشرائح العليا في سلطة الحكم السياسية مثلما يقع لقادة العرب، كل على هواه يتطلب أولوياته و غاياته الدنيوية و يسعى إلى كسب متاعه على حساب المصالح العامة، و لا يبالي ليتجبر على الناس بأنانيته ظالمة أو ينحاز إلى فئة لأسباب نسبية، حتى أصبح الحاكم العربي مصدر الإزعاج و غير مشارك في الأحداث الجارية بسبب النظم الملكية الموروثة و الرئاسية المحسوبة بشهوة حب السيطرة و العلو و تسلط الإدارة، مع فرض نظم حالة الطوارئ جبروتا و يسود كبتا و ظلما إنزال قسوة بالقوى المعارضة مع

¹ ينظر الببلاوي، حازم، الاقتصاد العربي في عصر العولمة مصدر سبق ذكره، ص - 28.

تشديد الظروف القمعية في سبيل الحكم الإنفرادي الأبوي، و هذا راجع للأتماط التقليدية للعلاقة الموروثة و النظام العائلي و القبلي، العشائري و الجهوي و المشيخة و الأشكال النموذجية لممارسة السلطات و القوة في إطار العائلة الممتدة، هي التي أنشأت أتماط الوصاية الأبوية بالنسبة للسلطة السياسية في المجتمع العربي، و العالم يتعولم بخطى سريعة أكثر مما كنا نتصور أو نتخيل على الرغم من أن تسمع بخطب صاحبة عن الوحدة الاقتصادية العربية أو التعاون أو التكامل الاقتصادي العربي، كاققتصاد متراص له دوره الفعال وكيان اقتصادي قائم يتفاعل بعضه مع بعض لتحقيق الوحدة السياسية و التاريخية و الثقافية و له وزنه في ميدان القوى العالمية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي و إنتصار الليبرالية الغربية، أي دول التحالف في حرب الخليج الثانية و طرد العراق من إمارة الكويت بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية و إيجاءاتها الإيديولوجية بإنتصار النمط و الطراز الأمريكيين و قيم المجتمع الغربي، و اكتسابه لباقي الأتماط و الطرازات، و من ثم يجب إتباعه بل تبنيه كفلسفة و إيديولوجية معينة إلى الحياة و العالم كله، حتى و إن كان العالم العربي منسجم ككيان ثقافي ديني لاسيما الخوض في موضوع الاقتصاد هو من قبل الخيال و التمني، لن يتحقق، فالاقتصاديات العربية مجزأة و مبعثرة و من ثم فهي قليلة الانسجام و الترابط فيما بينها، حيث ترتبط كل دولة عربية على حدى بالعالم الخارجي و لها سياسة اقتصادية عارقة و غير مستقرة في غالب الأحوال، رغم أن الكيان العربي يمثل رابطة الدم و الأخوة الحقيقية التاريخية و الجغرافية والمصير المشترك و اللغة و الحضارة و ما شابه ذلك، لاسيما الحقيقة الاقتصادية لا ترتقي إلى مستوى الشراكة الفعلية كالتعاون الاقتصادي العربي أو الاندماج أو حتى التكامل أو الإنبعاث العربي. و هذا يعني أن عقل الدولة العربية منقسم في شخصيتها بين ثقافتين الثقافة العربية الإسلامية الممثلة في التيار الفكري الإسلامي، و الثقافة الغربية الممثلة في أصحاب القرار و هم النخبة الملائمة فكريا و سياسيا على مستوى الوطن العربي كله¹ رغم ذلك فإن الشيء

¹ ينظر الدكتور: الجابري محمد عابد . العقل السياسي العربي " محدداته و تجلياته الطبعة الخامسة م.د.و.ع. بيروت 2004 ، ص

المدرک و منذ إنشاء جامعة الدول العربية في عام 1945 وكذلك المجلس الاقتصادي و الاجتماعي في عام 1953 و مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عام 1957 بشأن تحقيق و حدة اقتصادية عربية مثلما هو الحال بالنسبة للسوق الأوروبية أو مجموعة الدول الآسيوية و حتى دول أمريكا اللاتينية و غيرها من التكتلات الاقتصادية، فإن الضعف في الترابط الاقتصادي العربي مازال يراوح مكانه رغم توقيع إتفاقية منطقة التجارة الحرة العربية عام 1998، و رغم هذه الإتفاقية فإن الهياكل الإنتاجية في كل دولة عربية تبقى منفصلة على الدول العربية الأخرى. و هذا مما لا يحقق إشباع للحاجات الأساسية و بدرجة حماية حقوق الإنسان العربي و حرياته، بإستثناء بعض الدول (الجزائر) في مجال الحريات السياسية، و خاصة في مجال التعليم و الصحة و توفير بعض الخدمات الأساسية كالكهرباء و الغاز و المياه الصالحة للشرب، وكذلك دول الخليج العربي قامت بإنجازات كبيرة تفوق بعض الدول الأوروبية و حتى العالمية، حيث تم تحقيق فترة نوعية في تعليم الإناث و قد نجحت دول مجلس التعاون العربي الخليجي في القضاء على الأمية و توفير حياة الرفاهية للمواطن الخليجي. وكل هذا يقابل إنتقال المنطقة العربية أو لنقول الجزيرة العربية من المراحل البدائية إلى الحضارة القديمة إلى النفط و الغاز و خاصة النفط العربي الذي لعب دورا هاما في اقتصاد الجزيرة العربية، حيث أصبح النفط سلعة إستراتيجية خلال النصف الثاني من القرن العشرين الفائت، و منذ إنشاء منظمة الدول المصدرة للنفط و ارتفاع الأسعار في الوقت الحاضر إلى حوالي 60 دولارا للبرميل، و أحيانا أكثر، و ارتبط ذلك بظروف العولمة السياسية المتعلقة بأحداث 11 سبتمبر 2001 و بالأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا و قبل هذا كان هناك في الشرق الأوسط أحداث الثورة الإسلامية الإيرانية 1979 التي لعبت دورا لا يستهان به في العلاقات الدولية في إعطاء أهمية خاصة لمنطقة الشرق الأوسط. و هكذا كان إنتاج النفط و الغاز في كل أرجاء العالم العربي بمنحه وزنا اقتصاديا و إستراتيجيا يفوق حجم الولايات المتحدة الأمريكية بإعتبارها أكثر دولة إستهلاكا للنفط، و إذا كان معظم الدول النفطية قد اختارت أن تستخدم عائداتها النفطية بشكل أساسي في توظيفات مالية كالولايات المتحدة

الأمريكية و غيرها من الدول الغربية إلا أن ظاهرة الحادي عشر من سبتمبر 2001، أظهرت خطر كبير على الدول العربية و الإسلامية، و هو خطر التجميد في إطار سياسة محاربة الإرهاب و التي قادت إلى كوارث بدأت بغزو أفغانستان و احتلال العراق و الذي أدى بتوقيف التنمية في بلاد الرافدين الأمر الذي أدى إلى حرب أهلية و توترات اجتماعية في أوساط الأمة العربية أو لنقول الدول العربية التي هي صغيرة و مبعثرة و صاحبة الحكم المطلق و الاستبدادي. و هكذا فهي تحتاج إلى سوق واسعة و زيادة الكفاءة الإنتاجية و ربطها بعضها ببعض الباقي مع إنتشار المواصلات كالسكك الحديدية، الشيء الذي يساعد على تحقيق وحدة السوق العربية، و توسيع الاستثمارات فيما بينها، و في إنشاء الطرق البرية بوجه خاص بما يدمج و يربط الاقتصاد العربي، و هذه العملية تتوقف على الإرادة السياسية حتى تنتقل رؤوس الأموال و الأشخاص بحرية كبيرة بين الدول العربية مع توظيف الصناعات حتى تكون السوق العربية كالأسواق الكبيرة أكثر قدرة على استيعاب الصناعات الأكثر تطوراً تكنولوجياً، و خاصة الدول المنتجة للنفط و هي خفيفة الكثافة السكانية و مرتفعة الدخل الفردية كما قلنا آنفاً. و لكن سيف الحجاج وقع على رقبتها في بداية القرن الحادي و العشرين و هو تجميد أرصدتها باسم محاربة الإرهاب و احتلال أراضيها (العراق) وكانت مكاسب فردية و خسائر جماعية للعرب و المسلمين، و ضاعت المنطقة العربية في ظروف و أوضاع سياسية و إدارية جعلت الوطن العربي مفتت و لا يشعر بالثقة في السياسة و السياسيين و ظهرت ظاهرة الصراع الاجتماعي و الثقافي و الإيديولوجي للمرحلة المقبلة، أي في بداية القرن الحادي و العشرين و ما تلاه من الانهيار في زيادة الاستثمارات الحقيقية و الهزات السياسية، كل هذا أدى إلى تآكل معظم المدخرات العربية و الفساد الإداري و ضغوط البيروقراطية و عدم الاستقرار و الانضباط الاجتماعي و القانوني و غياب الأمن، أبعاد تحقيق التكامل الاقتصادي الكامل بين الدول العربية التي هي مطالبة بتحقيق الوحدة السياسية، و توفير السوق العربية المناسبة للصناعات العصرية، يتجاوز العقبات المادية و السياسية و الإيديولوجية و المؤسسية التي عرفت العلاقات الاقتصادية العربية

على نحو مأمول. و لعل دول مجلس التعاون الخليجي التي شكلت الدول الست (المملكة العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر البحرين و عمان) كان لها نصيب من حركة تحرير التجارة منذ حقبة الثمانينات، ففي عام 1981 تم قيام هذه الكتلة التعاونية الخليجية فيما بينها حيث تنطوي تحت عملية اقتصادية و سياسية و ثقافية، تقوم على أساس الوحدة الاقتصادية بين الدول الست في مجالات التجارة و الاستثمار و حركة عناصر الإنتاج و التكنولوجيا و الاتصال و المبدلات و النقل وكذلك بالنسبة للسياسات المالية و النقدية، حيث تمت الإتفاقية التي أنشأت دول مجلس التعاون الخليجي في عام 1983 على إيجاد منطقة حرة للتجارة، حيث تم بموجبها إزالة العوائق و الحواجز الجمركية على التجارة ذات المنشأ الداخلي بالنسبة للدول الست. و خلال هذه التحولات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي جرت في المشرق العربي، فإن المغربي العربي شهد هو الآخر في مدينة الجزائر العاصمة عام 1988 مؤتمر رؤساء الدول المغاربية و هي الجزائر، المملكة المغربية، تونس، ليبيا و موريتانيا و انبثق عن هذا المؤتمر لمنطقة المغرب العربي للدول الخمس لأول مرة في أواخر الثمانينات من القرن العشرين الفئات، تضمن إنشاء لجنة لتنشيط التعاون المغاربي، وكانت مهمتها هي وضع الأساليب اللازمة لإقامة تكامل إقليمي لمنطقة المغرب العربي و قد تبنت هذه اللجنة فكرة قيام دول المجلس التعاون الخليجي في مختلف أنشطتها، و من ثم جاء مؤتمر القمة المغاربي الذي انعقد في مدينة مراكش المغربية عام 1989، حيث تم التوقيع عن ميلاد الاتحاد المغاربي للدول الخمس أسوة بشقيقتها المشرقية. و الواقع أن الدول المشرقية و المغربية منضوبة تحت لواء الإسلام من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي نظرا لتوافر الظروف و العوامل البيئية و الجغرافية و التجانس السياسي الذي يوفر الحد الأدنى من التعايش السلمي و الأمن الغذائي و المزايا الاقتصادية و التشابه في العادات و التقاليد و وجود خلفية اجتماعية و ثقافية مشتركة في قطب سياسي لقيادة المجتمع العربي، هذه العوامل تتمتع بأولوية و أسبقية على أساس التجانس السياسي الصرف وفق أهميته و شموليته الواسعة، وصلته القديمة قدم الإسلام بمسار عملية التكتل الإقليمي في شكلها الطبيعي جملة وتفصيلا.

هناك بطبيعة الحال صناديق عربية كالصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي و صندوق النقد العربي، حيث يهدف الأول إلى تمويل المشاريع الاقتصادية ذات الطابع الاستثماري بقروض سهلة و ميسرة للحكومات العربية و الهيئات و المؤسسات العامة و حتى الخاصة، و يقوم بدور تشجيع الدول العربية على توظيف الأموال، بما يضمن و يكفل التطور و التنمية الاقتصادي العربي و يقدم القروض للمشاريع المعتمدة وكذلك المعونات بصورة منفردة. و الثاني صندوق النقد العربي الذي أنشئ بهدف العمل على إرساء المقومات النقدية للتعاون الاقتصادي العربي و تطور الأسواق المالية العربية وكذا تشجيع نقل حركة رؤوس الأموال مع التبادل التجاري فيما بين المنطقة العربية، بالإضافة إلى الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، ثم البنك الإسلامي و غيره، من هنا تأتي أهمية التعاون العربي بين هذه المؤسسات التنموية للبلدان العربية في مواجهة العولمة التي تعمل على فشل التعاون العربي ففي الميدان الاقتصاد و الاجتماع و السياسة، حتى لا تكون هناك الإرادة السياسية العربية في اتخاذ القرار الذي يخدم المصلحة العربية، لأن إسرائيل التي تريد أن تكون يابان الشرق الأوسط و شمال إفريقيا تحارب التعاون الاقتصادي العربي خشية تحقيق مصالح المنطقة العربية و القضية الفلسطينية، حيث أوقعتنا إسرائيل في التوقع الثقافي و صار لكل دولة عربية بيئة ثقافية تكسب رعاياها شخصية و سلوكا و أفكارا و عقلية متميزة و فرض ثقافة الغرب على العرب ما يؤدي إلى فقدان الأصالة لا سمح الله، و تحارب أي تقارب أو تفاعل أو تداخل مع الوحدة العربية و أصبح كل فرد داخل الوطن العربي يكتسب سلوكا عقلية متميزة عن الآخرين. و أصبح العرب أيتام على موائد اللثام بسبب الشماللة الإيديولوجية و العصبية الحزبية و صارت الوحدة العربية متنافرة و متصارعة بدلا من أن تكون متناسقة و متجانسة وظيفيا كحركة الجسد الواحد، و هذا يعني أن النظم العربية لا تتمتع بقدر كبير من العقلانية على حماية مصالحها لأنها لا تتعاون إقليميا ولا تسلك السلوك الرشيد فيما يتعلق بتطوير العلاقات الاقتصادية العربية منذ تحرر معظمها في بداية الخمسينات والستينات من القرن الفائت من الاستعمار الغربي الذي اصطنع لها حدود سياسية قد عانت منها في ذلك الوقت و

مازالت تعاني بشكل أو بآخر، و فكرة الوحدة الاقتصادية العربية، بل وضع لها الالتباس و التناقض و التناحر و الصراع الذي عانت منه أوروبا و أنهكها خلال القرن الماضي بعد حربين عالميتين مما جعل قادة أوروبا يفكرون جيدا في القارة الأوروبية إلى مزيد من التنازل عن الغطرسة و النضج السياسي لمعظم الدول الغربية و التي بدأت تمارس شكل "الوحدة الأوروبية" منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وفي ضوء هذا التصور لمفهوم الاتحاد الأوروبي فإننا نستطيع أن نفسر السلوك العربي إزاء مشكلة التعاون الاقتصادي العربي بعد حرب جوان 1967 أو ما أطلق عليها النكسة و أن نفسر معنى إقدام الإدارة السياسية لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي بالاستناد إلى مفهوم النكسة و الصورة العدائية أم أصبح هذا من ذكريات الماضي يمكن نسيانها بسهولة، و الأهم من ذلك أن فترة السبعينات من القرن الماضي قد صادفت نمو الثروة البترولية، و بذلك تقوي التضامن العربي وكادت أن تكون شبهة الرغبة في توحيد الرؤى السياسية و خاصة خلال حرب أكتوبر 1973، عندما استعمل العالم العربي حرب النفط ضد حلفاء إسرائيل من الدول الغربية، وكان قد أطلق شعار "نفط العرب للعرب" إما نأخذ منه حقنا أو نشعله لها و لا مناص من توحيد التعاون الاقتصادي العربي بالغ الأهمية بالنسبة للنخب السياسية القائمة على صنع القرار و التي اتجهت إلى التعاون الإقليمي الذي كان ينطوي على السيادة الوطنية للمنطقة العربية في سياستها الاقتصادية و المالية. وكل هذا صادف قبولا شعبيا منقطع النظير حتى و إن كانت الأنظمة العربية أي النخب السياسية الحاكمة تتمتع بكل السلطات المطلقة داخل بلدها، و التي كانت تشمل مناحي كافة الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و إذا كانت هذه مزايا الأنظمة العربية التي كانت تستهدف زيادة الروابط الاقتصادية و التجارية و الاستثمارية بين دول المنطقة العربية فإن العولمة إرتأت أنها الوسيلة لحل المشاكل المنطقة العربية، و خلق عالم عربي جديد أكثر ديمقراطية و حرية و استقرار و حقوق الإنسان العربي و الذي تتبناه المواثيق الدولية كإعلان العالمي لحقوق الإنسان و الشرعية الدولية لحقوق الإنسان العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية الاقتصادية و

الاجتماعية و الثقافية، و العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وكثير من هذه المبادئ التي جاءت بها العولمة و تسلحت بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي و منظمة التجارة العالمية، التي تنص على أنه إذ استمرت عملية دمج دول المعمورة طبقاً للمبادئ التي تجسدها منظمة التجارة العالمية وطبقاً لسياسات إعادة النظر في البنك وصندوق النقد الدوليين، بما في ذلك منظمة العمل الدولية فإن ذلك سيؤدي إلى دمج المنطقة العربية في النظام العالمي الجديد باستغلال الموارد العربية لصالح الشركات الكبرى وزيادة معدلات النمو الاقتصادي الغربي و تحسن فرص العمل و التنمية و الرفاه الاقتصادي للدول الصناعية الغربية و تطبيق نظرية السمك الكبير يأكل السمك الصغير التي هي سائدة وأن العولمة كظاهرة اجتماعية وجدت لخدمة مصالح الدول الصناعية الكبرى القوية في مواجهة الدول العربية الضعيفة بسبب فقدان الأمن الجماعي و افتقاد للاستقرار السياسي، و افتقاد العدالة الاجتماعية و افتقاد الشورى، و افتقاد الإنصاف الاجتماعي، وقد أفادتنا التجارب أن الدول الغربية تتعامل معنا أو تتفاوض باسم دولة أو دويلة وليس باسم مجموعة الدول العربية، رغم أن المنطقة العربية تتمتع بميزة إستراتيجية و بثروة نفطية و غاز طبيعي أكثر من 60% من احتياطي العالم إلا أنها تحتاج إلى تحقيق التعاون فيما بين المنطقة العربية، موازنة بالاتحاد الأوروبي. وفك القيود و نقل الأموال و المعلومات و الأفكار فيما بين الدول العربية و تسهيل إنتقال العمال و الأفراد بين المنطقة العربية وكسر القيود والعراقيل أمام انتقالات العمالة، و يظهر من كل ما تقدم أن العولمة هي حقيقة و ظاهرة اقتصادية خاصة بالأسواق و متعلقة بالثقافة و الأسواق و التجارة الخارجية و أسعار الصرف والاستثمارات بعد إنتصار الليبرالية على الشيوعية، و غلبت الإيديولوجية الغربية الرأسمالية الديمقراطية و تمزق الاتحاد السوفياتي، و تحول الكتلة الاشتراكية الإيديولوجية الجديدة الممثلة في الرأسمالية و الديمقراطية و البرجوازية، وأصبحت حدود المنطقة العربية الإسلامية عند الغرب بؤر النزاعات المسلحة و الاضطراب و بداية الصراع بين العرب و الغرب و هو الإرهاب الإسلامي و الإرهاب العربي. إن هذا التحول الكبير الذي طرأ على طبيعة العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أظهر العرب

بمظهر الخوف والقلق نتيجة قصورهم في تحقيق تكتل اقتصادي وسياسي وعسكري عربي يربط بين جميع المتطلبات والغايات والإمكانات، وبين جميع القوة المادية والشعارات والممارسات والغايات على مستوى العالم العربي.

الباب الأول

الجوانب العامة لظاهرة العولمة

الفصل الأول

الجوانب الثقافية

الفصل الثاني

الجوانب السياسية

الفصل الثالث

الجوانب الإقتصادية

الفصل التمهيدي

المقدمة

كلمة شكر

1- الإنسان في مفهوم العولمة:

تعولم الإنسان بشكل هائل مع التحولات والتحديات الصاروخية النفاثة التي تلتهم الأخضر واليابس في كافة مناحي الحياة. ووسائل وأدوات التشكيل الثقافي والمعرفي والتربوي وأصبح الإنسان ذا طبيعة مادية مغرق في شهواته وملذاته وتخلي عن مسؤولياته تجاه أسرته وتجاه خالقه وتحول إلى ذئب مسعور يبحث عن حظائر الحيوانات ليفترسها وينهش لحمها ويشرب من دمائها ويرغب أن تتحول المجتمعات الإنسانية إلى غابات تحصر فيها القيم الأخلاقية والروحية ومبادئ الأديان والممارسات الشعائرية بجيويتها تظل قاصرة على جماعة أخلاقية قليلة جدا ومنفردة تسمى الكنيسة.

ومما يذكر أن الإنسان في مفهوم العولمة لا يهيمه إلا الطعام والشراب وبقاؤه قوي في دائرة العولمة التي تقوم على تقوية القوى في مواجهة الضعيف الذي يفتقر للأمن الغذائي والإستقرار السياسي والعدالة الاجتماعية والإنصاف والديمقراطية والتقدم والتقارب مع الآخر، وتتحول العلاقات المباشرة بين الناس إلى ساحة كبيرة من الإباحية والتمرد على المجتمعات التي حافظت على شبكة العلاقات الإنسانية قوية كانت مبنية تتحدى الصعاب والطوفان الفاسد العام. بإسم الحرية الشخصية وحقوق الإنسان وحرية الأفراد لمعطى طبيعي خارج نطاق القانون الطبيعي الذي يحمل في طياته بناء الأسرة وحمايتها وإمدادها بالضروريات وتوظيفاتها المختلفة في جميع مجالات الحياة. إلا أن الإنسان جعلت منه العولمة حيوان لا يهيمه إلا حقه على حساب الآخر والذي لا نهاية له، ولا يفكر إلا في إشباع غرائزه وبطنه وفرجه، فلم يألو جهدا في تلويث العادات والإعتداء عليها، وأفسد منها ما كان صالحا في أصل الفطرة، فقد تقلبت بالإنسان الأحوال ووقعت به أحداث على مدى عصور وقرون متلاحقة جعلت العولمة في مضمار العلوم الطبيعية والمادية والكونية سبق بها الإنسان غيره من بني جنسه في الإختراعات القائمة على التجربة والملاحظة، فإبتدع وإخترع من الوسائل المادية ما يكفل له مزيدا من التمتع بالحياة وزخرفها وما فيها من شهوات ومتع ولذائد، غير أنه نسي أو تناسى في غمرة فوزه ونجاحه وتسلطه وتغلبه على الشدائد والصعاب وتحكمه في الطبيعة وتكيفه مع البيئة

وتدليله كل ما تصبو إليه نفسه من شراب وطعام ما لذ وطاب لمتعته ولذائده، ولكنه لم يستطع أن يحافظ على القيم الإنسانية فإنحدر من سلوكه، وهوى إلى أسفل سافلين، وساعده الغرور على الأبهة والبزخ والإنحدار إلى الرذيلة والإباحية. فلما توسع الإنسان فيها تحللت العلاقات الأسرية والزوجية من كل القيود والضوابط الخلقية والروابط الاجتماعية، حتى وصلت إلى مستويات تنزّه وترقى عنها و تأنفها و تأنف منها الحيوانات غريزيا، حيث بات التبجح بالزنا والفضائح الجنسية والحياتان الزوجية من مميزات العصر الحالي، وغياب الشهامة والرجولة التي كانت موجودة عند القدامى وكانت الصفة تعد من الفضائل الراقية¹. وهكذا فإن الإنسان في مفهوم العولمة يهتم بالشركات والأسواق الحرة المالية ويتصل بالرأسماليات الصناعية والإقتصادية المفتوحة على بعضها بعض و إختلاطها أو تطورت العولمة وأصبحت أكثر خطورة على القيم الإنسانية بما أحدثته من خطر حقيقي لكافة الكائنات والموجودات وبما يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية بالنسبة للإنسان، ويضاف إليها الآن عداوات الماضي المدمرة، التواطؤ والتآمر العولمي ضد المسلمين في العراق وفلسطين وما جرى في البوسنة والهرسك وكوسوفيا، والشيشان وأفغانستان، ومذبحة الحرم الإبراهيمي ومذبحة قانا الأولى والثانية بلبنان، على يد الصهاينة الظالمين، إذ نجد أن مفهوم الإنسان في العولمة هو فقدان الهوية في ظل شروط عدم التكافؤ الذي يحكم عملية التبادل الثقافي، ويصبح للعولمة وجهان وجه ضاحك للإنسان الغربي ووجه عابس للإنسان العربي ذا الإحساس بالخشوع والخوف خصوصا تجاه الإنسان الذي لم يشارك ولم يكن له دور فعال في صنع مظاهر العولمة التكنولوجية والمعلوماتية التي أعطتنا أعداد هائلة من الفقراء والبؤساء تفوق ما عاشه الكون في أي وقت مضى، وما تتعرض له البيئة من الأخطار وعلى حياة الإنسان، إن تركيزنا على مفهوم الإنسان في العولمة يكتسي طابع المتظاهرين في أواخر عام 1999، بمدينة سياتل قرب واشنطن عندما إجتمعت منظمة التجارة العالمية في نهاية الألفية الثانية وأرادت الإنقضاض على المجتمعين الذين هم من أنصار العولمة إحتجاجا على غلق مصانع الفولاذ

¹ ينظر. المسعود الشابي محمد. نحو إستراتيجية للعالم الإسلامي. المستقبل العربي : 311 ، جانفي 2005 ص 80 و ما بعدها

والسيارات وطرد العمال وجعلهم في أوضاع سيئة للغاية و وضع الأفخاخ الكثيرة في طريق الإنسان من طرف رجال السياسة والمسؤولين الحكوميين وهي تتحرك كي تصيده وفق فناعاتهم ورغباتهم.

أ- تحرير الأسرة:

الزواج ظاهرة قديمة قدم الإنسان أي منذ الخليقة، وعليه أودع الله سبحانه وتعالى في الأنثى والذكر الإشتهاء و هو إتصال الرجل بالمرأة إتصالا جنسيا قصد الإبقاء على الجنس البشري عن طريق الشرع وهو النكاح بالعقد الذي يستمر مدى الحياة، وليس قضاء الشهوة بل هو التوالد والتناسل ودوام الحياة الزوجية والعشرة الطيبة رغم الفروق الجسدية والنفسية لكل من الرجل والمرأة بينهما حتى يصيرا كأنهما جسد واحد يتألم كل منهما بألم صاحبه ويفرح لأفراحه برباط المحبة والوئام والمودة حتى تحصل السعادة لهما في الدنيا والآخرة عن طريق الأسرة الزوجية التي تجعل الإستمتاع ممكن وأكيد في الزواج والتنشئة الاجتماعية الأسرية حيث يملك الرجل بواسطة العقد حق الإستمتاع بالمرأة دون غيره، وهذا مانعا أو عدم جواز تعدد الأزواج لإمرأة واحدة. كما يجلب للمرأة أن تستمتع بزوجها دون سواه، لكن مظاهر التغير الذي شهدتها القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين غيرت مجتمعنا تغيرا ملحوظا خلال العقود الأخيرة، عندما أصبحت مجتمعات التكنولوجيا الغربية المتقدمة معلوماتيا متأخرة أخلاقيا بحيث عملت على زيادة إنتاج الخيرات المادية والسلع والخدمات بمعدل كبير و إحتراق الأسواق العالمية قصد إشباع حاجات مواطنيها على حساب المجتمعات والشعوب المغلوبة على أمرها، فأدى هذا الإشباع الإقتصادي المتوفر بكميات هائلة و رخيص الثمن إلى جعل الفرد العادي لا يثير أي إهتمام للأسرة وتقاليدها بإعتبارها جسد متماسك الإنسجام وإنما انطلق يبحث عن الألفة الاجتماعية وعلاقات الصداقة الخاصة بالفئة الغربية وما تنطوي عليه من مظاهر التفكك الأسري وتحلل من كل العادات والتقاليد والقيود والضوابط والروابط الاجتماعية من خصائص أو سمات أو زيجات متميزة تجعلها تقف لما يتراءى من مكارم الأخلاق وآداب الأسرة في سياق التحكم بالنطف والأجنة مستقبلا بإسم الحرية الجسدية والدخل الحر الإضافي المتاح للإنفاق

الرشيد، حيث صار الإقتصاد الغربي ذا الوفرة والرفاهية بمعدل زيادته على نمو و زيادة السكان، ومن ثم يوجد الترويح و الإستقلال عن الأسرة بل يهيئ للفرد التعامل مع الفئة العمرية المشاركة في البهجة والسرور عندما يغادر الشاب أو الشابة البيت ويتحرر من تسلط الأسري، وما يرتبط به من أوضاع ونظام، وينخرط في الإدمان على المخدرات والجريمة والفشل في الحياة العامة، ويسلك طريق الإستمتاع بالكحول والمخدرات و الأفيون والحشيش والتدخين والزنا واللواط وكل الخبائث بإسم الديمقراطية التحريرية من التسلط الأبوي في كل المؤسسات والظواهر الاجتماعية، ولكن هذه الحرية الإباحية التي تبيح الإتصال بأصناف متعددة من الشواذ ذكورا وإناثا في قضية الجنس والدعارة تجاوزت كبار السن والمراهقين والشاذين من الجنسين، بسبب ما ألحقت من الأمراض والإصابات القاتلة الفتاكة منها الإيدز¹ وأصبحت الأمراض الخطيرة والمعدية تنتشر في صفوف المراهقين والمراهقات والأطفال القصر، وأصبح الشاذ جنسيا يشتهي الأطفال لتسكين شهوته عن طريق الخطف والإعتداء والإغتصاب ثم القتل والخنق حيث سَخِرَت الحضارة الغربية من العفة والزواج بأركانه وسهلت للمرأة و الرجل العاري والعارية بإبراز الصدور دون حياء واللباس الشفاف الذي لا يرتاح له الرجل العاقل، وهناك أماكن يرتادها الشاذون جنسيا ولهم محلات وقنوات بحجة ممارسة الجنس قبل الزواج، ففي الولايات المتحدة الأمريكية الكامنة وراء إنتشار الجرائم الجنسية والمدافعة عن وجود الحرية في العلاقات الجنسية صار الرجل يعيش مع المرأة شهورا وأعوام بدون الإرتباط بعقد زواج أو حتى عرفي وبدون محبة ولا مروءة ولا نخوة وكرم ولا وفاء ورجولة وقد يغادر متى شاء أو تغادر متى شاءت، ولهذا صارت المرأة في الحضارة الغربية تعيش على الأعصاب والقلق والخوف من المجهول، فهي تخادن من تشاء والرجل يخادن من يشاء ولا بد لأحدهما أن ينفصل عن صاحبه أو كما يقولون عن صديقه وصار المجتمع الغربي مريض بالشواذ ويدعى الإعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية.

¹ الإيدز: مرض قاتل فتاك فقدان المناعة المكتسبة، وهو مرض ينتقل بعدة طرق منها اللواط والعلاقات الجنسية الشاذة، وعن طريق استعمال الحقن و للمخدرات.

ب- المساواة بين الرجل والمرأة في ممارسة الجنس:

لا غرابة بعد هذا أن تحتل المساواة بين الرجل والمرأة في ممارسة الجنس عندما حرصت الثورة الصناعية على إدخال وإشراك الإباحية بين جميع شعوب العالم بما أحدثته من حاجات ومتطلبات وضروريات وكماليات إنسانية كبيرة، حيث بدأ أرباب المنشأة والمعمل بإحضار الفقراء والمساكين الفارين من رجال الإقطاع من قراهم بالأرياف و سخرهم و شغلهم بأجور قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تسد رمقهم اليومي، وقام هؤلاء مصاص الدماء الرأسماليين بسحق العمال والعاملات في ثقافتهم عندما تم إحتكاك الرجال بالنساء في العمل الليلي داخل المنشأة، وأخذت العلاقات الاجتماعية تتعقد في المجتمع، بتشغيل النساء ليلا، فقدمت هذه الظاهرة بأنها حرية شخصية في فلسفة إقتصادية جديدة ولا داعي للقلق بالنسبة للآباء والأزواج مادام العمل حق للرجل والمرأة وأنها تأخذ أجر لكن دون أجر الرجل مما جعل نفسها تضطر و لا تظمن لأجرها مقابل الإرهاق الذي يصيبها أثناء العمل في المنشأة ومن منطلق عمل المرأة بصحبة الرجل، جاءت فكرة الدعوة إلى الحرية والمساواة في كل شيء وظهرت في أوروبا حركة تسوية تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الأجر وساعات العمل والحوافز والإكراميات، وعليه نصبت لجان تطالب أرباب المنشأة بالمساواة التامة بين الجنسين وبعدها النقابات العمالية التي إتسعت رقعتها وتعددت مطالبها بالنسبة للنساء فصار حق الفساد داخل في حقوق المرأة الغربية المتحضرة تحت موضوع إختيار الرجل المناسب لها كبعل، وبهذا الإختلاط صارت ترتكب الزنا والفواحش والفجور والفسوق مع من كل من هب ودب وأعلنت تحللها من القيم الأخلاقية والعادات البالية ووقعت في فتنة التبرج لإظهار زينتها، و إنحلال الروابط الشخصية والعائلية نتيجة حرية العمل في المنشأة وعدم التدخل من طرف رجال الدين في شؤون المرأة بل رجال الدين قاموا بإنتهاكات المرأة بدل الإحترام. ولقد ساهم إبتزاز المرأة خلال العمل جنسيا من طرف رئيس الوحدة الإنتاجية عندما تستجيب لرغباته عن طريق منصبه، و فوض في العلاقات الجنسية حيث صارت المرأة تبحث عن الرجل لإشباع شهواتها عن طريق الإحتيال والمخادنة وتسيء إلى نفسها والمجتمع على حد سواء.

ج - انهيار السلطة الأبوية والقيم الأخلاقية:

نتناول في هذا الموضوع إتهام السلطة الأبوية والقيم الأخلاقية العائلية في إطار المجتمع الغربي حيث ذهبت قيم الشرف والإحتشام عندما إنخرطت المرأة في التعليم والعمل مع الذكور وتخلت عن العمل المنزلي ورعاية الأسرة، التي تستند عن قيام المرأة بدورها كربة بيت لها وظائفها وسلطتها الطبيعية تمارسها بلا منازع وتخلت عن هذا الموروث المألوف، فالتغيرات الاجتماعية منذ قيام الثورة الصناعية التي عاشتها المرأة الأوروبية مع بداية القرن التاسع عشر والتحويلات الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والعوامل الديمغرافية والجغرافية والإتجاهات المعاصرة جعلتها تختلف وتختلط بإختلاف قيم المجتمع المعاصر، أي قيم الإنتماء الاجتماعي والإشباع للشهوة خلال الحفلات والإشتراك في الخدمات التي يعلق عليها بالترويجية عن النفس والألعاب الشيطانية التي تزيد من قوة العلاقات الجنسية والموسيقى الصاخبة التي تخلق الإحساس بالرديلة، وألوان اللهو الأخرى، كالجشع والإسراف، والمقامرة والرشوة، والغش وتزيف النقود وترويجها والإحتكار، ذلك أن تقرير هذه الموبقات تحقق للمرأة الإشباع والرضا والرقص النفسي، والرقص الجماعي كوسيلة لقضاء الشهوة بين الرجال والنساء في النوادي الليلية والملاهي، حيث يتم تحصيل المال و إكتسابه بسهولة فيتحقق بذلك الثراء بلا سبب بالأوراق المالية عن طريق المقامرة والفحشاء و الإتحراف و الفساد و السطو و السرقة و الإتصال الجنسي غير المشروع في غير حرج بمن يتصل به، كطريق لكسب المال بهذه الأفعال المنافية للأخلاق لأنها تفرض مبدأ الأنانية وتجعلها الغاية الأولى في حياة المرأة الغربية صاحبة العبث والفساد عن طريق وفرة المال والحرية الشخصية اللامحدودة.

هذه المدنيات الغربية التي تؤمن للرجل والمرأة العلاقات الجنسية خارج النكاح الشرعي والشذوذ الجنسي والإنجاب غير الشرعي في سياق مدنية تجنح إلى إشاعة الفحشاء وتوسيع نطاقها، منذ إتهام البنية البطركية أو النظام الأبوي بصورة عامة داخل الأسرة الغربية في التربية والتنشئة الاجتماعية وفصل الدين عن الدولة و تنحيته وإبعاده من الدخول في أي شأن من شؤون الحياة الإنسانية، و إختزال السلطة الأبوية وإستحداث حرية التصرف إزاء العواطف وإزاء

إختيار أساس الحرية الجسدية مقابل فك قيود الماضي المتصلب أو التسلط الأبوي في كل مستوياته وظاهره المبنية على الإحترام والعفة والتماسك الأسري الذي كان قائما في البنية الأسرية والمعايير الخلقية والعطف والحب والتعاون بما يليق بالأسرة كنواة للتنظيم الاجتماعي، وكقوة تؤمن للأفراد الأمن والإستقرار وتحسين أوضاعها المعاشية والاجتماعية والدينية والفكرية والمحافظة على كيانها من الإنهيار، وقد كانت تعاليم المسيحية كما أوحى بها رجال الدين تمنع الإستمتاع المعقول الذي يتمثل في الزواج وفي إيجاد تلبية الهوى الجنسي كما أمر به الشرع، لأنه ينهي مشكلات القوة الجنسية، ويهدئ و يسكن الشهوة الجامحة بيد أن المدنية الغربية بدأت بالإختلاط الهائج والشهوات الجارفة والإباحية الجنسية والإفساد تكفلها تشريعات وضعية متشعبة من الثورتين الأطلستيتين اللتين بالغتا في تقرير حرية الفرد، ولم تقدر حقوق الأسرة على أسس سلمية بل عملت على نشر الإباحية بواسطة الصور والأنباء والأفلام المنافية للآداب والأخلاق، حيث تمارس العلاقات الجنسية جهارا، وهذا راجع لسياق الإنهيار والتفكك الأسري والنهوض بالمدنية المتميزة بخروجها عن سلطان الدين والقيم العليا، هذه الصور البشعة الفظيعة زلزلت كيان الشرف والرأسمالية والديمقراطية وحقوق الإنسان والحشمة.

ونلاحظ من هذا السياق أن العيب الرئيسي في القوانين المدنية وكل ما صنعتته في هذا المجال لإضفاء عدم الإرتباط بعقد زواج يفضل عليه المخادنة، حيث تشقى المرأة ويشقى الرجل في المجتمع الغربي الذي ينهش بأعينه العازبات والمتزوجات مغريا إياهن بواسطة الإعلام والإعلان بإثارة الشهوات، كل شيء بغية لفت الأنظار وتحقيق و جني الأرباح والمكاسب جراء تهافت النساء والرجال على ما تعرضه الأطباق الهوائية من أجسام عارية وجميلة وأجساد تستهلك لمن يدفع أكثر، وصارت المرأة لعبة أو دمية تستهلك طاقتها الجسدية و النفسية، لنصل في نهاية المطاف إلى ما تسميه مرض القرن الحادي والعشرين أولا وهي الشيخوخة ومرض الزهري والأمراض المعدية. وغير ذلك من حالات الهلع والهستيريا وأصبحت المرأة وليمة يدعى إليها ألف طالب و راغب، بدعوى الخروج عن الأشكال النمطية و إستحداث أشكال الإباحية مع إختيار السلطة الأبوية التي هي ليست كما يقولون الزواج. حيث صارت المرأة

تعتمد على نفسها إقتصاديا ولها الحق أن تمارس أنوثتها بصورة حرة ومستقلة عن الرجل، ولها الحق في العمل خارج البيت وعلى السلطات أن تلزم الرجال بالأعمال المنزلية إذا كانت هناك حالات زواج، وعادت إلى تبرج الجاهلية الأولى والملذات والفتن التي ذهبت بالدول بما حملته.

2- الإنسان في منظور الإسلام:

إرتبطت نشأة حقوق الإنسان بظهور الإسلام في جزيرة العرب في القرن السابع ميلادي فقد إستطاع الإسلام بمنهجه المتكامل أن يذيب شعوبا متباعدة عن بعضها بعض ومختلفة تمام الإختلاف في شرائعها وتاريخها إلى ثقافة الإسلام وإيديولوجيته وهي الإيمان بالله، فالإنسان قبل الإسلام كان محكوم عليه في كل شيء بالخط المستقيم والمنحني، المسموح والممنوع، من طرف الجماعة التي نشأ فيها، ومثل ما تريده له في واقع حياته وتصرفاته وسلوكاته حتى يحمل تراث تلك الجماعة، والجماعة تكسبه عقيدتها وقيمتها وحتى إتجاهاته نحو إنسانيته ونحو غيرها من الجماعات البشرية ونحو المجتمع ككل. ولذلك كانت دعوة الإسلام للإنسان هي دعوة إستنهاض للتكلف والتحرر من سلطان الجماعة التي نشأ فيها ومن تراثها المتراكم ومما في ذلك التراث من أباطل وأساطير، فالإنسان في منظور الإسلام لا تطبق عليه مجموعة من الأقوال والأحاديث والنصوص و الطقوس التعبدية، بل جاء بنظام عملي، وممارسة حقوقه الطبيعية حركة وسلوكا، وحرية التعبير في كافة مناحي الحياة وهو يصلح لكل زمان ومكان، فجاء الإسلام بالحقوق النفسية للفرد وللجماعة بالتنظيم والتقنين قال الله

تعالى: "مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" سورة الأنعام آية 37، وقال الله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا" سورة المائدة آية 3، ومن المجالات التي شملها المنظور الإسلامي حقوق الإنسان¹، لأهميتها في الحياة البشرية اليومية، ركنا حقوقيا أساسيا وهو الحق، فالحق أداة رئيسية في المنظور الإسلامي الذي يرجى خيره بالنسبة للإنسان منذ أن بدأ دورة الريادي والقيادي في خصم تنوع مغريات الحياة

1 ينظر. الدكتور. محمد عبد المنعم حقابي . الإسلام و الإنسان . دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر . الطبعة الأولى الإسكندرية 2004

للقياصرة والكياسرة، وتعدد الأزمات الفكرية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية، و قد تكفل المنظور الإسلامي بالإنسان قي مواجهة أشكال الماديات ومكافحة صنوف الأزمات، في مشارق الأرض ومغاربها. أمام عجز سائر الحلول الإنسانية في الأداء وحل النوازل والمشاكل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و في إيجاد الحلول للأزمات والحيف والخوف والقلق والجهل والمرض والخنوع الذي يصيب الإنسان، وذلك بوصفه عنصرا حاضرا في سائر الحقوق والواجبات بالنسبة للفرد والجماعة، لأنه وضع إلهي والله أعلم بالخلق منذ الأزل، وبما أن الإنسان في منظور الإسلام يتضمن المبادئ الكلية التي تحكمه، و بسبب طغيان الطغاة و إستبداد الأقوياء بالمال والبطانة والجاه والصوالح والعصبية سارع إلى وضع الأوامر الإلهية ورسم الحدود والأطر العامة التي تلزم الفرد والجماعة لا ضرر و لا ضرار، بينما ظاهرة العولمة فهي في بعض الأحيان أداة هدم وردم وتخريب وإفساد كما نشاهده اليوم بالنسبة للتطور التكنولوجي العسكري عبر الحروب والصراعات والأزمات التي مرت بها الإنسانية على مستوى العالم.

لقد عاش العالم خلال القرن العشرون عددا كبيرا من الحروب التي شملته من أجل حقوق الإنسان كإنسان، حيث خيم الخوف و إستشرى الفرع وكثرت التساؤلات عن حقوق الإنسان وعن الأسباب والإمكانات لعدوى العولمة وعمما تحمله من مشكلات أو بالأحرى إنهيارات حقوق الإنسان في العراق وأفغانستان والصومال وغيرها، بسبب الفجوة بين الحكام والمحكومين وتعطيل حقوق الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وخلق العوالم من أجل الإنسان وسخر الكون من أجله قال الله : "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين" سورة إبراهيم آية 33، وقال: "وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" سورة النحل آية 12، وقال: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" سورة لقمان آية 20، هنا الكون مسخر للإنسان والألوهية لله سبحانه وتعالى ومن ثم وجب على الإنسان الإقرار لنصرة الحق على الباطل، ومكافحة الشرور والإعتداء والطغيان في علاقات الجماعات التي يكون إستهوائها للشر أكبر. ومن هذا المنظور فإن الإنسان مطالب

بأن يكون في جانب الحق ونصرته إلى يوم الدين، ليؤكد أن الكون جميعه عالم واحد من خلق إله واحد، وأن كل الموجودات فيه من خلق الله لا إله إلا هو الحي القيوم، ذلك أن الأمر يتعلق في الحقيقة بالإنسان الفرد الواحد في كل جماعة بشرية وفي كل عصر، بصورة جلية يتحدد بها وضع الإنسان في هذا الكون، حيث كان مدار الإهتمام في القرون السابقة على الإسلام وحتى القرون الوسطى و هو العلاقات بين الإنسان والله. ففي المنظور الإسلامي تحدد وضع الإنسان المؤمن من خلال الإسلام بالفطرة التي إختصه الله بها، وبالقوى الروحية والمعرفية الإدارية اللازمة لتجسيد الرغبة الفطرية في هذه الفطرة بمعرفة آيات الله تعالى في الخلق طلبا لمعرفة خالقها قال الله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" سورة الذاريات آية 56، أما في عصر العولمة الذي نحيا فيه فالإهتمام مركز بنسبة كبيرة على علاقة الإنسان والجماعة البشرية التي يحيا فيها ويعيش معها، والتي بدأت تتصف بالعولمة فيما يتعلق بمفاهيم حقوق الإنسان وتمت مع ظهور أفكار روسو ومونتسكيو في القرن الثامن عشر وتبلورت مع ظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية الصادر في 10 ديسمبر 1948¹، إلا أن الإنسان في المنظور الإسلامي وحتى في الديانة المسيحية كان أسبق في ذلك بقرون، حيث بدأ الإهتمام بحقوق لصيقة بالإنسان وهي الحرية التي هي أصل جميع حقوق وأسبقها في النشأة عندما عرف الإنسان الإستقرار ومباشرة الأنشطة الإقتصادية مثل الزراعة والرعي والصيد والصناعة والتجارة شعر بفطرته التي فطره الله بها، هي تحرره من العبودية والإسترقاق، والعمل وإتيان كل ما يستطيع من منفعة وكل عمل لا يضر به الغير، بسبب إنسانيته بحماية الدين والنفس والعقل والنسل والمال. عرف الإنسان هذه الغايات التي قذفها الله في نفسه بواسطة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وليست العولمة المستحدثة التي تدعي أنها ستجمع ما بين القديم والجديد في الفكر الليبرالي بين المعتقدات التقليدية للرأسمالية وبخاصة تبادل السوق الحرة بعدم إنقسام العالم إلى ما يسمى بالعالم الأول والعالم الثاني والعالم الثالث وفق التمايز الذاتي للبشر، وبعناصر موضوعية مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات، والعرب ليسوا جزءا من أي كيان

¹ ينظر. الدكتور النجار مصطفى . حقوق الإنسان . مصدر سبق ذكره ص - 29

ثقافي، رغم أنهم أصحاب حضارة، لأن المواطن الأمريكي يعرف نفسه بدرجات متباينة الشدة كونه أمريكي وكعربي، ينتمي إلى هوية ثقافية لا يفوقه فيها أحد لأن الدور المزدوج للولايات المتحدة الأمريكية عزز وعيه الحضاري، فهو يعيش أوج قوته و يحضى بشعبية أكبر بين دول العالم. ومن ثم يصبح أكثر قسوة فقد تركت حرب الخليج شعور قوي بالزهو والفخر بعد إحتلال العراق وتدمير قواته والسيطرة على دول الخليج العربي النفطية و مساندة حكوماتها الأستقرافية المتسلطة في منطقة الشرق الأوسط تحقيقا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية القلقة على حقوق الإنسان و الديمقراطية و المعارضة للحركات الإسلامية الشعبية المنتخبة ديمقراطيا، بحجة أنها مناهضة للغرب و العرب الأصدقاء و الولايات المتحدة الأمريكية تساورها الشكوك حيال سياسات العرب الأصدقاء الأعداء الذين يسعون عن طريق الإسلام لتحرير العرب و المسلمين، من منظور تحرير صام للمصلحة العربية في كل أرجاء العالم، حتى تلك الأنظمة العربية الحليفة التي تمد الغرب بالنفط بأسعار منخفضة و تقدم له التسهيلات العسكرية في ظل العولمة و في مظلة الحماية الأمريكية، فحوى هذا أن إختلاف العناصر و الهويات بالنسبة للغرب، فهناك إنسان أبيض غربي و هناك إنسان أسمر عربي، فالعربي عند الغربي ليس بالضرورة أن يكون كائنا رفيعا يجب عليه أن يتعلم كل شيء من جديد و يصحح معتقداته خصوصا الدينية. و المنظور الإسلامي يرى أن البشرية أسرة واحدة و إن تعددت بطونها و تعددت أقسامها و إختلفت ألوانها و ألسنتها قال الله تعالى: " وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ" سورة الروم الآية 21، هذا هو حكم القرآن الكريم في أسرة بني آدم و هي أسرة واحدة رغم تباعد القارات و اختلاف الغايات و المعتقدات المتوارثة، علاوة على ذلك يعتبر الإنسان بالنسبة للمنظور الإسلامي المكون الأساسي في كمال الإنسانية و التي بدونها يتحول إلى حيوان مفترس¹ فالله تعالى لا يحث الإنسان على الإيمان به و إنما يدعو إليه فإذا كان الله تعالى يدعو النفس

¹ ينظر. الجابري محمد عابد (و آخرون) . حقوق الإنسان في الفكر العربي . دراسات في النصوص، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2002، ص- 47

الإنسانية والتي هي أحسن و بدون قوى قال الله: " يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً " سورة الفجر آية 27 و 28، فمن باب أولى أن تكون العولمة السياسية الإقتصادية الاجتماعية العسكرية قابلة للنقاش حتى لا يستمر الطغيان الغربي في هيمنته على المؤسسات الإقتصادية والسياسية الدولية ويتم تسوية القضايا العالمية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنظور تكريم الإنسان على سائر المخلوقات والكائنات.

أ - التكريم الإلهي للإنسان:

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان من المنظور الإسلامي هي هبة من الله عز وجل منحها للإنسان فهي حق مشروع له، وأمره بالحفاظ عليها وعلى مقوماتها الأساسية الجسدية والنفسية، وهي ليست من وضع البشر، وإنما جاءت بها الكتب السماوية المقدسة، إذ ليس في مقدور أحد أن يدعى أنه موجد لها بل شرعها الله لنا وهو رب العرش العظيم. وهو رب العزة وهو خالق العوالم ومسيرها وهو العليم الخبير بخلقها، فمن آمن به عرف الحقوق والإكرام فلقد أكرم الإنسان بأحسن تكريم و وهبه ومنحه من الحقوق ما يحفظ ويصون إنسانيته قال الله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" سورة التين آية 4، فالإنسان في منظور الإسلام مكرم، لأنه هو جوهر الحياة ومحورها، فهو أعلى وأتمن وأشرف المخلوقات والكائنات وأجلها عند الله سبحانه وتعالى، حيث زوده بنعمة العقل والتفكير قال الله تعالى: "قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" سورة الملك آية 23، كما سخر للإنسان العوالم من أجل كرامته فقد قال الله عز وجل: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" سورة الإسراء آية 69، فهذه الآيات الكريمة تشمل الإنسان وكل مخلوق و تضع الإنسان في أعلى المراتب بين خلق الله، و لم يربط تفضيل الإنسان بدينه أو شريعة من شرائعه، و يشرح ابن كثير هذه الآية "الإنسان يمشي قائما منتصبا على رجلين و يأكل بيده، و غيره من الحيوانات يمشي على أربع و يأكل بفيه و جعل له سمعا و بصرا و فؤادا يفقه، بذلك كله و ينتفع به و يفرق بين الأشياء، و يفرق منافعها و خواصها و مضارها في

الأمور الدينية و الدنيوية¹، لقد كرم الله الإنسان بالعقل و المنطق و التمييز و القامة و الصورة الجميلة حتى قيل أن الإنسان مقدم على سائر المخلوقات الأخرى و حتى الملائكة عندما خلق الله الإنسان الذي علمه البيان و من ذلك قوله عز وجل: "وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ." سورة البقرة الآية 30-32، و التكريم الإلهي للإنسان جاء أيضا في الحديث الشريف يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده " و في حديث آخر: " ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من بني آدم: قيل و لا الملائكة قال: ولا الملائكة، الملائكة مجبورون كالشمس و القمر " و في حديث آخر عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا و خلقت بني آدم و جعلتهم يأكلون الطعام و يشربون الشراب و يلبسون الثياب و يتزوجون النساء و يركبون الدواب، ينامون و يسترحون و لم تجعل لنا من ذلك شيئا، فاجعل لهم الدنيا و لنا الآخرة، فقال الله عز وجل: لا أجعل من خلقتهم بيدي و نفخت فيه من روحي كمن قلت كن فكان " و واضح مما تقدم أن الإنسان مقدم على سائر المخلوقات فهو ركب على الدواب من الجمال و الخيل و البغال و الحمير و أكل الأنعام، و ركب البحر أيضا بواسطة البواخر و السفن العابرة للقارات كما سافر في الجو بواسطة الطائرات و لبس أنواع الملابس الرفيعة من سائر الأشكال و الأنواع على اختلاف أصنافها و ألوانها و أشكالها مما يصنع في بلاد بعيدة و أقطار و أقاليم وراء البحار تجلب

¹ ينظر. ابن كثير الدمشقي إسماعيل . تفسير القرآن العظيم . نشر دار الأندلس للطباعة و التوزيع-بيروت، لبنان، الجزء الرابع ص-

بألوانها المشتهاة و تعاضم الثروات و أن ذلك ليختار الإنسان و يضعه في الذروة من الكمال و سيرتقي للإستخلاف في الأرض و سينخاطبه الله عز وجل بصيغة المفرد، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَقَدَرَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" سورة الإنفطار الآيات 7-8 و قال سبحانه: " وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" سورة السجدة الآية 7، ليرفع إلى درجة القاضي في ملك الله و يحكم في مملكته و لهذا تكريم عظيم، و أيضا قال سبحانه و تعالى: " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" سورة الحجر آية 28 و 29، إن التكريم الإلهي للإنسان سيعكس بإحساسه إلى التطلع بإعتباره فردا و شخصية مستقلة و جعله في نفس الوقت يساهم في بناء المجتمع و الحفاظ على الأشخاص و الممتلكات و الإنفاق في سبيل الله و المنافع العامة. والإيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد، وكما خلق الله العوالم ودبرها وسخرها لحساب الإنسان لكشف أسرارها ومخباتها والنهوض بتابعاتها لإصلاح أمره بواسطة العقل المسؤول عن العوالم. فيقول الله عز وجل في هذا الصدد: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً"¹ وأيضا: "اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، وَلِيَسْتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" سورة الجاثية آية 12 وقال الله: "وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" سورة النحل آية 5. والتكريم الإلهي للإنسان في المنظور الإسلامي لا يقتصر على الترقى إلى أحسن تقويم، بل يشمل مختلف العلاقات بين الناس، من العلاقات الأسرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، حتى تتجمع إذن المساواة، الإخاء، الكرامة و العدل مهما تباعدت بين بني الإنسان القارات و المواطن وتميزت و تحزبت المجتمعات بحدود متباينة وتشعبت الإيديولوجيات وتعددت الحضارات بينهم لابد من ترسيخ و

¹ ينظر. سيد قطب . في ظلال القرآن . الطبعة الشرعية الثانية عشر، دار الشروق، بيروت 1986، المجلد الرابع، ص-2331

إنصهار الناس على إختلاف مذاهبهم في قيم النجاة وحرية المعتقد والحق في الحياة والشورى بحالتها الإسلامية. كما جاء في الحديث الشريف " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " هذا هو القسطاس الذي ينشئ للإنسانية التكريم الإلهي كما يقول سيد قطب: فيا للتكريم! للتكريم أن يكون الله هو الذي بذاته يختار، يختار عبدا من العبيد هو فرد من جموع الجموع.. تعيش على كوكب من الكواكب هو ذرة في مجموعة المجموعة هي ذرة في الكون الكبير الذي قال له الله: كن .. فكان! ولكنها رعاية الرحمن لهذا الإنسان¹ ابتداء بالوحي إليه وتكليمه إياه ذلك هو سيدنا موسى عليه السلام الذي قال الله: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى " سورة طه آية 9 و10، وأيضا (فلما أتاها) أي النار، واقترب منها يقول الله عز وجل "....نُودِيَ يَا مُوسَى" وفي آية أخرى "نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله" وأيضا "إني أنا ربك" أنا الله عز وجل الذي يكلمك ويخاطبك بدون واسطة وهذا إعلان من الله عز وجل بالتكريم لسيدنا موسى عليه السلام يؤكد هذا التكريم بكل المؤكدات بالإثبات المؤكد، لأن سيدنا موسى يمثل البشر في ذلك الوجود كله، وحال سيدنا موسى نموذجا لرعاية الله للبشر وقصة موسى عليه السلام هي أكثر قصص المرسلين في الظاهرة القرآنية الكونية ورد ذكرها.

وبذلك كان التكريم الإلهي للإنسان والتكليف هو الأمر الذي خصص للأمانة والحكم بين الناس بالعدل والحق بما يؤمن عليه الإنسان من تطبيق القانون على القوي والضعيف والجميل والقيبح وبين جميع الأجناس الإنسانية مهما تفاوتت طبقاتهم الاجتماعية، حتى لا يكون الفوارق بينهم سببا لإستغلال الإنسان لأخيه الإنسان أو إغتصاب حق الضعيف لصالح القوي على طول الخط وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" سورة النساء آية 58. وقال أيضا: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" سورة المؤمنون آية 8، ولهذا يستجيب الإنسان لله

تعالى في تطبيق شرعه ويحفظ لنفسه هذا الإمتياز والمزايا والتفاوت في الصفات وفي الأفضلية على سائر الأنواع الحيوانية، وكذلك إرتفع الإنسان بالعلم الذي علمه الله إياه غير أنه جعله في المرتبة الثالثة بعد الملائكة قال الله عز وجل: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ" سورة آل عمران آية 18، وهكذا نجد أن التكريم الإلهي للإنسان يوضع مقام الألوهية ومقام العبودية، فالإنسانية كلها خاضعة خاشعة لله تعالى ولا تجرؤا على شيء إلا بإذنه، بعد أن يؤذن لها جل وعلى في شأن من شؤون الحياة وهو العدل فالعدل يحقق حياة الإنسان، وتستقيم أمور الأمم والدول على مستوى المعمورة ويؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مع دور الكائن الآخر ويتحقق التكريم الإلهي للإنسان بتحكيم شرع الله ومنهجه الذي إختاره حياة العباد بالقسط والعدل وتلاؤم بين المخلوقات و سيادة الإنسان.¹

ب - الإنسان سيد الخليفة:

لا ريب أن التكريم الإلهي للإنسان هو من رب العالمين، لأن الله عز وجل هو الذي خلقه وأوجده خليفة في الأرض يعمرها وينميها، وينشر فيها الوثام والأمن والإستقرار والطمأنينة والإنسان مكرم عند الله لأنه من روح الله، لذا أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم قال الله عز وجل: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" سورة الحجر آية 29 إلى 31 ومعنى السيادة بالنسبة للإنسان أن الأرض وما عليها من شجر وبحار وأنهار والشمس والقمر دائبين والفلك لتجري بأمر الله و الليل و النهار والنجوم والأرض المقدسة و كنيسة القيامة وحتى المسجد الأقصى، والبقاع المقدسة فالإنسان أكرم على الله كما قال عمر ابن الخطاب عندما قبل الحجر الأسود "والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، لولا أني رأيت رسول

¹ ينظر. إبراهيم حسين . التفسير عن عمر بن الخطاب . الدار العربية للكتاب 1985، ص-443

الله يقبلك ما قبلتك" ومن أجل سيادة الإنسان وتكريمه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة يهودي عندما مرت أمامه وعندما قال له أصحابه: إنها جنازة يهودي يا رسول الله قال: "أليست بنفس" و قال أيضا: "لو أن أهل السماء والأرض اشتروا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار" وقال أيضا: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم"¹ -رواه الترمذي- وإذا كان الله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تقويم وجعل له السيادة والقيادة وكرمه بصفته إنسانا لحيوانا. ابتداء من آدم عليه السلام و إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وبدون إعتبار آخر من لون أو دين أو لغة أو سلالة أو قومية فالناس جميعا إخوة متساوون كأسنان المشط، والله عز وجل خالق الكون والناس أجمعين، وخلق الله منهم من دون الإنسان من جماد ونبات وحيوان لكن الإنسان ساد على المخلوقات بالعلم الذي علمه الله إياه والذي أوصله إلى سطح القمر وقد يصل في المستقبل إلى كوكب المريخ، وقد يتجاوز أبعد من ذلك والأهم أن الله فضله بالعلم لقوله عز وجل: "الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ، وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" سورة الرحمن الآيات من 1 إلى 7. فالله سبحانه وتعالى هو المسبب لسيادة الإنسان بشكل مستمر في كل ما يتعلق بالعالم ونواميسها فقد وضع الإنسان في الذرة العليا عندما خاطب الله سبحانه وتعالى فريقا من الرسل ليكونوا مبشرين ومنذرين بالمعجزات التي تثبت تلك الرسائل الإلهية إلى الناس كافة. فكانت معجزة سيدنا موسى عليه السلام تلك العصا التي تحدى بها الطاغية فرعون وملاه مع آيات كثيرة تثبت أنه كان يتكلم مع الله عز وجل مباشرة، و قد أجرى الله عز وجل على يديه الخوارق مثل فلق البحر إلى اثنتي عشرة فرقة بعدد الأسباط من بني إسرائيل و إنثاق الماء إلى اثنتي عشرة عينا قد علم كل الناس مشربهم، كانت معجزة سيدنا عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى وكانت معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، هؤلاء الأنبياء

¹ ينظر. د. الفهداوي، عبد الجليل إبراهيم حمادي. أثر القرآن الكريم في تغيير الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي (عصر النبوة) ط1

إختارهم الله سبحانه وتعالى على علم عنده بالوحي الإلهي حتى يصل خالق الكون بواسطة رسله إلى باقي خلقه كي يرشدهم إلى الحق المبين وإلى الطريق المستقيم قبيل بقبيل إلى عنوان الإنسانية كلها، كون الكون تم خلقه قبل خلق الإنسان، ذلك أنه مسخر بوجوده ونظمه للإنسان حتى يتمتع به.

وهكذا نرى أن الإنسان سيد الخليقة على نحو ما تذكر الآيات القرآنية الآتية قال الله سبحانه وتعالى: "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي، أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ" وأيضا قال: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" و أيضا قال: "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَأَنْ عَلَيْكَ لعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" وقال: "رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" وقال: "فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" وقال: "قَالَ بِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ" وقال: "فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" سورة ص آيات 74-83. ويمكنني أن أذكر من الآيات القرآنية الكريمة الكثير حيث نرى أن الحوار بين الله تعالى و إبليس بشأن الإنسان الذي هو سيد الخليقة على كل الأصعدة، ويشمل سيادة الإنسان أيضا على العوالم، والآيات التي إستشهدنا بها هي من سورة ص تعتبر عينات دالة في مغزاها الحقيقي على الحسد من طرف إبليس فهو الخصم الأول للإنسان ورده القبيح والحقد والانتقام ضد الإنسان الذي خلق من الطين، وخاصيته في السيادة على الخليقة والإرتقاء العقلي والروحي في نفس الوقت تتعلق به لا يشاركه فيها أي مخلوق من سائر الكائنات التي تعيش وتحيا على سطح الأرض. والإنسان عاصر وعاش منذ أن هبط إلى الأرض أنواع وأجناس شتى من الأحياء، والإنسان خلقه الله وأوجده ليكون بل هو مطالب بأن يكون دائما إلى جانب الحق ونصرتة ولو على نفسه لأن الله تعالى أودع فيه القدرة والفكر على الإرتقاء و الإستقامة وحصول المعرفة و منذ أن هبط إلى الأرض، إقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون مكلفا وحاملا للإمانة التي هي الحق والفرائض ومنها حق الحرية و الإستقلال و السيادة، وأن يتولى ويتقلد وأن يتسلم مقاليد سلطة الحكم، حكم العوالم في الحدود الشرعية ولا ينحرف بما يؤتمن عليه من إقامة العدل و يسير

على الطريق الذي خطه الله تعالى كما قال: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ " سورة النساء آية 58.

وقد وهب الله تعالى لعبده الإنسان خاصية السيادة على باقي المخلوقات و الحيوانات و الجماد بعدما سخر له كل شيء من الضرورات في هذه الحياة الدنيا من الكسب المادي الحلال عن طريق التجارة والصناعة والحرف والمهن. وأمر الله تعالى الإنسان بالإحسان و الإعتدال و التواضع و عدم البغي و الفساد في الأرض و هو وحده الذي يتميز بخاصية السيادة عن سائر الكائنات و قابليته في التكليف بحكم ما وهبه له الله من العقل والرؤية والتدبر و التأمل و الذكاء، فيهدي بها جميعا إلى الله خالقه، و هي سمات مشتركة في البشر وبعده، فقد منح الله تعالى الإنسان السيادة والكرامة، و جعل الحجة و البرهان و الإقناع سبيل الحق و الإيمان و ترك الله عز وجل للإنسان حرية الاختيار كما قال: " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ.... " سورة الكهف آية 29، وأعلن الله سبحانه و تعالى دستوره في الملأ الأعلى الخالد إلى يوم الدين "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.... " سورة البقرة آية 256، و قد أجمل رسول الله صلى الله عليه و سلم الإنسان في هذا الحديث الذي رواه أبو داود: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء فيهم الأبيض والأحمر والأسود و بين ذلك، و السهل و الحزن و بين ذلك، و الخبيث و الطيب و بين ذلك"¹. ينطوي هذا الحديث على الإنسان و مكوناته و تحولاته كالخبيث جورج بوش الابن الطاغية و الظلوم و العتو الذي يرتكب أبشع الجرائم و أغلظها ضد العراقيين و المسلمين في فلسطين و أفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام.

ج - الإنسان وسيادة الاستقلال:

عرضنا في الفقرة المتقدمة سيادة الإنسان على الكائنات، فماذا عن الإنسان و سيادة الإستقلال؟

¹ ينظر. بليق عزالدين . منهاج الصالحين . من أحاديث و سنة خاتم الأنبياء و المرسلين، الطبعة الثانية، دار الفتح للطباعة و النشر ، بيروت 1984 ، ص- 228

بالنسبة للإنسان كما هو معلوم بالضرورة، خلقه الله تعالى وكرمه تكريماً وفق مشيئته فإذا هو مستودع بحس إلهي عجيب قال الله تعالى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رَوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" سورة السجدة آية 7 إلى 9.

لقد تفرد الإسلام بفكرة سيادة الإنسان و إستقلاله منذ القرن السابع ميلادي إذ لم تدع إليه عقيدة أو مذهب أو إيديولوجيا أخرى، بإعتبار السيادة و الإستقلال من الأصول الأساسية في المنظور الإسلامي، إذ قضى أن يكون الإنسان حراً طليقاً، يتمتع بحرية المعتقد الديني و العبودية لله فله الحرية المطلقة و الخيار، ولعل رعاية الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذه الحرية المطلقة هي قوله "متى إستعبدتم الناس وقد ولدتمهم أمهاتهم أحراراً" فالإنسان في المنظور الإسلامي لا يساوم مطلقاً في الحرية الفردية أو في حريات البشر و لا في كرامتهم، بل يعنى بالعزة و لا يرضى الذل و الهوان فإن إستقلال الإنسان هو تمكينه في إتخاذ فاعليته السياسية العلمية و السياق الذي يذكره بأن ما في يده هو من الله عز وجل و هو مالك كل شيء، و المتصرف فيه، و وهبه للإنسان على سبيل الإستخلاف، و العمل في الطيبات التي سخرها الله حتى لا يمارس القهر بإسم الدين، أو يمارس الإضطهاد ضد الإنسانية بإسم العقيدة، فهذا النظام مزيف ودخيل و الإسلام منه براء، ولذلك كان أهم ما نصح به الإسلام للإنسان هو حرية التعبير و الوقوف ضد الطاغية المعتدي الذي لن يصل إلى طغيانه و إعتدائه إلا إذا جمع أسباب كل القوى المادية و العسكرية و الدعائية و سيطر عليها وحده أو هو و زبانيته و عصابته، فالقرآن العظيم قد إستنكر حتى على النبي محمد صلى الله عليه و سلم أن يكون متسلطاً على الإنسانية قال الله سبحانه وتعالى: "..أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" سورة يونس آية 99. وأيضاً "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" سورة الغاشية آية 21 و 22، وفي آية أخرى "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ" سورة ق آية 45، لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدأ طور جديد في الحياة السياسية لم يسبقه إليه أحد من الرسل، في تقييم الإنسان

في حياته العملية سواء بالنسبة للأعمال الإيمانية أو إعمار الأرض بالنشاط الإقتصادي والزراعي، الذي أظهر فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من المهارة و المقدرة و الحنكة و الحكمة في أول دستور (الوثيقة)، بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم أكتبه بين المؤمنين والمسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون على ربعتهم يتعاقلون بينهم، و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين و بنوا عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين¹ ثم تذكر الوثيقة كل بطن من بطون الأنصار والأوس والخزرج، والمحتفظة على مبدأ الأعراف التي كانت سائدة قبل هجرة الرسول عليه الصلاة و السلام و حق العشيرة بإستقلالها الداخلي وإحترام أهل كل دار، وإن ما رجحته الوثيقة أنظمة القبائل و العشائر ولم تدبر أو تلغي شيء من الأعراف بل حافظت عل ما كان في جوانب عدة و تجاوزت في جوانب أخرى حتى تتم عملية التكافل الاجتماعي، الذي كان يدعو إلى الإخاء و المؤاخاة بين طوائف المدينة، حيث تأسست أول دولة في المدينة المنورة بلغت من القوة و التمكين في الأرض بسبب إلتزام المسلمين بالعدل تجاه الطوائف غير المسلمة و عدم التمييز بين المؤمنين والمسلمين، واضح لأن المؤمن معروف بأن هو من آمن إقرارا باللسان وتصديقا بالقلب و المسلم هو من خضع لأحكام الإسلام و أدى فرائضه، حيث حلت الدولة محل القبيلة و نشرت العدل بين سكان المدينة المنورة ثم الجزيرة العربية إلى أن وصلت إلى أعنى الجبابة و الطواغيث من الفرس و الروم بقبول الناس التسيير الذي جاء به الإسلام. فهذا رجل جاء من البدو فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته الرجفة و الهيبة فارتعد و رجف... فما كان الرسول الرحيم صلى الله عليه و سلم إلا أن قال له و هو يتسم في وجه البدوي: "يا أخا العرب هون عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد" الحديث هذا بسبب ممارسة الحرية الاجتماعية العامة والإستقلال.

¹ ينظر. الدكتور العمري أكرم ضياء . المجتمع المدني في عهد النبوة . خصائصه و تنظّماته الأولى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدون

1- حقوق الإنسان والعولمة:

رأينا فيما سبق التقديس الإلهي للإنسان، كونه مخلوق شريف وكائن متميز أوجب له الله تعالى حقوقا يرتفع بها، وتناسب جلال مصدره. بل فرض الإسلام للإنسان حقوق أساسية أمره وألزمه بها، وليس من حقه التنازل لأنها تكفل له وتحقق كرامته وإنسانيته بوصفه كائنا أكرمه الله سبحانه وتعالى بالسمو بإنسانيته ذاتها، والكمال بروجه وجسمه وسخر له العالم تسخييرا لمنفعته وفائدته على جميع المستويات، ولهذا فهو مطالب شرعا بالتمسك بهذه الحقوق رغم عيوبه ونقصه وظلمه وطغيانه من خلال علاقاته بالمجتمع، والمجتمع خلق الله فالخلق عيال الله، والله يغار على خلقه، فهو يسوي ويساوي بينهم في الحقوق والواجبات في أبهى صورها من خلال حق الإنسان في الحياة التي هي هبة من الله عز وجل وهبها لأعز مخلوقاته عليه في الكون، وأنعم عليه بالرزق من خلال سنن العالم و من تمكينه في الأرض ليأكل من ثمراتها و غلاتها و خيراتها بدون التناحر الأحمق ليكون الأقوى في وسط الأقوياء حتى يقضي على الضعفاء في معيشتهم. لما نشاهده و نراه في الأرض اليوم من شعارات للقوى الغربية حول حقوق الإنسان ترفع في وجه الدول العربية و الإسلامية و التي ترفض الهيمنة و السيطرة و الخضوع لمآرب الغرب الإقتصادية و التجارية و السياسية. وجد الغرب ضالته ضد الحكومات و دول العالم العربي بتداوله مصطلح حقوق الإنسان على مستوى مجلس الأمن و منظمات حقوق الإنسان التي تحمل تحقير الشعوب المغلوبة على أمرها و التي تتولاها قيادات إنتهازية المعادية للإسلام في الرؤية و على إستعداداته لأنه يساوي بين البشر و منحهم العلم و الحكمة، و بهذا إستحق الإنسان أن يكون نائب عن الله في الأرض بدون الفروق العرقية أو الجنسية و العائلية، كما أن حقوق الإنسان في الإسلام من خصوصياتها الشمولية و العالمية حيث تعكس أهمية الإلتزام بين الحقوق الخاصة بالفرد كفرد و حقوق الجماعة تجاه الدولة أو المصلحة العامة، و الله هو الذي خلق الإنسان و من ثم فهو أعلم بحاجياته الذي خلقه من أجلها و واجبات ممارستها كتحصيل الحق من الدولة، و الحقوق الأسرية و الاجتماعية و الإقتصادية و السياسية و الفكرية. بل إن حقوق الإنسان في الإسلام محمية و مصانة الحرمة

والحق للجميع يتساوى فيها، و نستشهد في ذلك بالشريعة الإسلامية التي قدمت صحة الأبدان على صحة الأديان لأن صحة الأبدان مناط للتكليف و موضوع للنشاط البدني و الإيماني، و ليست الإعلانات الغربية لحقوق الإنسان الساكن في القارتين الأوروبية و الأمريكية، و الأرذلون و المستضعفون في إفريقيا و آسيا هم يتحملون عبء الرفاهية و الإزدهار في العالم الحر، و هم الذين يضحون في سبيل سعادة الغرب بالأنفس و بما يملكون من مصادر رزقهم، و بالتالي لا يتساءلون لما يجري حولهم من مظاهر العولمة و وضاع إستراتيجياتها من مدراء ورجال أعمال وساسة يرون عن طريق إعادة تقييم منافع العولمة و تفهم المناهج المختلفة التي تحدد كيفية التنافس للشركات و القطاعات العامة تتحول إلى الخواص عن طريق سيطرة السياسة كونهم الأوائل الذين إزدادت حوافزهم على المستوى المحلي ثم العالمي من خلال الإندماج لإستراتيجيات الأسواق الناشئة وتطوير تنظيم عالمي وعمليات بناء المصادر البشرية و البنى العالمية من أجل ثقافة و تعليم معولم، و لهذا نرى الكبار السبعة أكثر G7 زائد روسيا اللاعبين على المستوى العالمي، بينما الدول المتأخرة و التي لم تبتدئ بالتعولم لم تحصل على المزايا التي حصلت عليها الدول التي تعولمت في وقت مبكر على إثثار المنفعة المادية و مضاعفة المال والمنفعة الشخصية. و مسايرة المنطق المادي في الإنسان على حساب الجانب الإنساني فيه، و من ثم خططت العولمة لترويج الإلحاد و السخرية بالقيم الإسلامية كي يتسع الفراغ لإيديولوجيتها التي تتبناها، و هي إيديولوجية الحروب و الحصار و الغرب يأكل ويشرب حتى الثمالة. و العولمة تزداد في تجلياتها الإقتصادية من خلال الترابط البيئي للأسواق و الإنتاج في الكثير من الدول، و ذلك كنتيجة ديناميكية تبادل السلع و الخدمات و حركة رأس المال و التكنولوجيا المتطورة و المتزايدة للمعلومات و النفوذ و الإنسان الرأسمالي المتوحش منذ القرون الوسطى، عندما كانت البضائع و السلع تجرى حول العالم و خاصة بعد الحربين العالميتين في القرن الماضي عندما بدأت الدول الصناعية بإطلاق الأقمار الصناعية للإتصالات في الستينات من القرن الفائت الشيء الذي سمح بتبادل و تراسل المعلومات بسرعة البرق عبر الكون، وكذلك سقوط جدار برلين 1989، و إنحيار الإتحاد السوفياتي 1990 أعطى أكبر

دفعاً لعملية العولمة، و إنتصار الرأسمالية سلمياً على الشيوعية خلال الحرب الباردة كعدو قوي و شرير لا يمكن سحقه أو قهره إلا بقوة الإسلام و المسلمين في أفغانستان، و هكذا أزيل الإتحاد السوفياتي في بداية التسعينات من القرن الماضي تاركا الساحة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، التي بدأت بالتهديدات الجديدة لأسواقه و زبائنه المنشقين عنه، حيث برهنت الرأسمالية الليبرالية بأنها الطريق الوحيد أو كإستراتيجية يجب قبولها و عدم تجنب نتائجها رغم مساوئها بعدما تحولت أمم أوروبا الشرقية و الوسطى إلى المنظومة الرأسمالية و التي كانت تنهج الإقتصاد المخطط المركزي إلى إقتصاد السوق، ثم رأينا أن الصين بدأت في تخفيف قيود الرقابة، و العولمة تسير بمباركة الرأسمالية في كل إتجاه على أنها شعار و حضارة سامية مضيئة للتطور الاجتماعي و الإقتصادي و تسعى لإعطاء المزايا للمستثمرين، أي الدول العظمى السبع أو الثماني التي ستبقى في الرفاه المتزايد على طول الخط، على أن العولمة ستزيد مكاسب العمال ذوي المهارات العالية في الدول الصناعية السبع أو الثماني من خلال توسيع السوق أمام خدماتهم و تخفض أجور العمال الآخرين في الدول المتأخرة و الفقراء، يتوجب على أي إنسان أن يهتم بهم وخاصة المهرة منهم أو ذوي المهارات المتوسطة و الذين يتقبلون القيم الثقافية الغربية التي هي القيم الصحيحة، و يجب على الإنسانية أن تميل إلى الإعتقاد بالعقلانية الغربية و تفضلها على الحدس و القيم الغربية مفضلة منطقياً على تلك الموجودة في الثقافة الإسلامية و غيرها، و لا بد من إختفاء الثقافات الأخرى و الأشياء المحلية أو الذوبان في الثقافة الغربية المعولمة بطبيعتها البراقة و الأسمى سواء تعلق الأمر بأزياء اللباس أو المأكّل أو المشرب أو طراز العيش أو التقاليد أو العادات أو القيم، كاللغة الإنجليزية التي هي لغة العولمة لأن المشدودين الناطقين بها و يتحدثونها عبر العالم بل يفضلونها على لغتهم الأم كثير. و العولمة نفوذها الولايات المتحدة الأمريكية و تتبعها أوروبا و على رأسها بريطانيا و الشركات الأوروبية المتنامية الأطراف.

صحيح أن العولمة جاءت بالإنترنت و بالكمبيوتر و بطاقة الإئتمان و بالهاتف النقال و بالإنفتاح حول العالم و أجهزة الهواتف من الجيل الثالث و الرابع... الخ، و التكنولوجيا

سوف تفرض عملة السلع و المنتجات و الخدمات و سوف تعولم العائلة و المطبخ، حيث إستهدف خضوع النشاط الإقتصادي لقواعد و ضوابط واحدة منها ما نراه في الغرب و هو السوق الحرة الإقتصادية و خاصة بعد تحطيم سور برلين و سقوط الإتحاد السوفياتي، تبلورت صورة العولمة مستهدفة إنشاء و قيام نظام إقتصادي عالمي جديد، يقوم على أسس و قواعد صندوق النقد الدولي بنظامه النقدي المعولم، و نظام مالي معولم أيضا يقع تحت نظام البنك الدولي للإنشاء و التعمير و قواعد مع إستكمال قواعد منظمة التجارة العالمية قصد إتمام النظام التجاري العالمي الجديد من السيطرة على الدول المتأخرة، و وضع قواعد خاصة بالدول الصناعية الثمانية الكبرى عن طريق التحكم في التكنولوجيا في مجال المعلومات و الإتصالات، و تحرير التجارة العالمية مع إزالة الحواجز و العوائق الجمركية أمام تدفقات رؤوس الأموال المصرفية و توسيع الإستثمارات الأجنبية، و تضيق الخناق و الطوق على الدول المتأخرة، من خلال إتفاقيات دولية تفرض إلتزامات عليها لكي تضع قوانينها المحلية وفق شروط صندوق النقد و البنك الدوليين، من خلال ممارسة أفخاخ العولمة الداعية إلى تراجع السيادة الوطنية في إتخاذ القرارات السياسية أمام متطلبات الدول الصناعية الكبرى ذات التعصب العرقي و الديني و الثقافي، و الإبتهاجات التي تدعو إلى عدم التفاهم بين الشعوب و خاصة المتأخرة إقتصاديا و تكنولوجيا و مجال الإلكترونيات و الأجهزة الخاصة ببناء المعدات الثقيلة كالشاحنات و السيارات و المرافق النووية السلمية و الحربية، و حتى تبقى مجموعة الدول الصناعية الرأسمالية المركزية تسيطر على تكنولوجيا القمة أو على ثورة المعلوماتيات المعقدة جدا عالية التكنولوجيا، حتى تبدي ملامح الصورة الجديدة لهيكل النظام العالمي الجديد، و تظهر التناقضات بين قطبين متنافرين هما:

الشمال الرأسمالي الغني و الذي يتحكم في المعلومات و بالصناعة، و الجنوب الفقير الفقر المدقع المقيم في الجنوب و خاصة الدول العربية و الإسلامية، و المدلول الإقتصادي و السياسي خصوصا التناقض العالمي الرئيسي الذي يرجع إلى حقبة الحروب الإستعمارية بين الرأسمالية و العالم الإسلامي، و من قبله الوطن العربي صاحب الرسالة الروحية للإنسان التي

حررته من قيود الذل و التحقير و الإستعباد، جاعلة في الأشياء الإباحة حتى يقيم دليل التحريم بالكتاب و السنة أو تعارض مع الحق و المعروف، حيث عاش الذميون في دار الإسلام بكل حرية و أمان لهم ما يشاءون في الإعتقاد والإعتناق.

أ- التعددية السياسية هي شعار العولمة:

برزت ملامح التعددية الحزبية بعد الحرب العالمية الأولى و في بداية العشرينات من القرن الماضي، إذ ناضلت الحركات و من بينها الحركة الوطنية الجزائرية تحت نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب وحركة إنتصار الحريات الديمقراطية و حزب جبهة التحرير الوطني الذي قاد الثورة حتى النصر. و في حقبة الثمانينات من القرن الماضي شهد العالم تغيرات كثيرة لعل أبرزها و أهمها العولمة بعد إنتهاء الحرب الباردة بين الليبرالية و الشيوعية بقيادة الإتحاد السوفياتي في عهد غورباتشوف آخر زعيم سوفياتي، الذي جاء بالإصلاحات و رفع شعار البروسترويكا (الإصلاح) و الكلاسيكس " الشفافية " لحل مشاكل الإتحاد السوفياتي الإقتصادية و السياسية و نسي أن بلاده كانت تخوض حربا باردة مع الولايات المتحدة الأمريكية و الغرب، و بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية هللت أمريكا و معها الغرب و السذج من الدول المتأخرة على أساس أن العالم بعد إنتهاء الحرب الباردة سينعم بالرخاء و الرفاه، لكن هذه الأخيرة مارست مع غورباتشوف لعبة مسك العصا من الوسط ببراعة و ذكاء منقطعي النظير، حيث بدأت تطالب غورباتشوف بمزيد من الإصلاحات حتى إنهار و ظهرت قوة جديدة هي الإتحاد الأوروبي و الصين و اليابان إقتصاديا و قزم سياسي.

و إتجهت إستراتيجية العولمة إلى تحرير الأسواق، و إلى الخوصصة و إلى تعظيم المنافع الفردية عن طريق التعددية السياسية و الديمقراطية الليبرالية التي توفر للإنسان الحياة الكريمة و حسن الإختيار إذ يتوجب عليه أن يتجه إلى المجتمع الليبرالي¹، و من ثم يستفيد من جميع حقوقه بصورة مبسطة حتى يغدو هو الممتلك والمستهلك و هو المنتج، بدل الإستئصال والإقصاء من

¹ ينظر . سيلا محمد و (آخرون) . حقوق الإنسان - الأصول و الأسس الفلسفية - الطبعة الثانية. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء

طرف النظام الإقتصادي المركزي الموجه خصوصا بعد الإنتفاضة الكبرى عام 1988 بالجزائر و مسيبتها، فهناك من يرى أن التعددية السياسية تعتبر كنظام حضاري للعمل السياسي للفرد الجزائري، و خصوصا فئة الشباب الذي يعاني التحقير والتهميش بسبب إحتكار السلطة من طرف حزب جبهة التحرير الوطني نتيجة منصب الأمين العام للجبهة و هو في نفس الوقت رئيس الدولة، لابد من فصل الحزب عن الدولة و اللجوء إلى الشعب مباشرة في الإستفتاء الذي جاء بالتعددية السياسية و قانون الأحزاب التي يمكن توجيهها حسب المتغيرات الإقليمية و الدولية، و ظلت الأحزاب تلعب دورا أساسيا تعبويا في صفوف مناضلها، حيث عمدت إلى لفت إنتباه الجماهير إلى الأزمات السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية و تحولات العولمة و الإضطرابات و الهيجان الشعبي على كافة الإتجاهات. رغم أن الجزائر عاشت في هدوء نسبي تحت قيادة حزب جبهة التحرير الوطني بالإستناد إلى الشرعية الثورية والوصاية الأبوية من طرف المجاهدين الذين قادوا النضال المسلح ضد فرنسا، و بالاعتماد على الربيع النفطي الذي هو أهم مورد بالنسبة للإقتصاد الجزائري، و هنا يجب أن نميز بين مرحلتين:²

* مرحلة بن بلة و بومدين و تأييد الجماهير الشعبية للمنهج الإشتراكي، حيث عمل كل الجزائريين رغم تعدد الآراء و الإتجاهات لبعض الفئات ذات الإيديولوجية الكولونيالية و التي وجدت في التأميم الضرر لمصالحها حول مستقبل الجزائر الإشتراكي.

* مرحلة بن جديد و التعددية الحزبية التي جاء بها دستور 23 فبراير 1989³ بعد إنتفاضة 5 أكتوبر 1988، و التي جاءت بالإصلاحات المتمثلة بالسماح للأحزاب الجزائرية بالمشاركة في الحياة السياسية و أصبح نظام الحزب الواحد في خبر كان، بعد أن عاش بن جديد الإنتفاضة الكبرى رأى بأن التعددية هي المخرج الوحيد للإبقاء على السلطة و على النظام الجمهوري مع توسيع قاعدة المشاركة في العملية السياسية. و المفيد أن نضيف أن سياسة بن جديد كانت تميل إلى الليبرالية التي تتواءم مع الديمقراطية رغم الإضطرابات و المصادمات و المجابهات

² مرحلة بن بلة و بومدين 1962-1978.

³ الشاذلي بن جديد 1978 م 1992 م. دستور 23 فبراير 1989 لضمان حق تكوين جمعيات ذات طابع سياسي.

الدامية التي شهدتها الجزائر إبتداء من 5 أكتوبر 1988 و إلى غاية 1998، أو ما يسمى بال عشرية السوداء التي أصابت الأخضر و اليابس حتى رئاسة بوتفليقة 1999 ليدخل النظام السياسي في الوئام المدني بعد قانون الرحمة في عهد زروال. لتدخل الأحزاب السياسية في منتدى المناقشة و الصراع الفكري، بدل حشد الجماهير لإجراء تغييرات خاصة في جهاز الدولة و النظام السياسي ككل. و ساعد مناخ العولمة النزاعات الداخلية و الإختلافات السياسية حول تطوير الصوالم المشتركة و التناقضات للمجتمع الجزائري، بعد إلغاء نظام الحزب الواحد أي جبهة التحرير الوطني التي قادت الشعب الجزائري في نضاله العادل و حتى الإستقلال 1962، وكانت صاحبة الشرعية التاريخية الثورية و بما قامت به من دور في إدماج كافة الأطياف الجزائرية و وحدتها ضد الإستعمار الفرنسي وكانت وريثة الحركة الوطنية في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. و من خلال ذلك تتضاءل مصالح الغرب الذي كان يعمل من أجل التخلص من حزب جبهة التحرير الوطني و يتعاطف مع بعض الأحزاب التي تستوعب منظومته و عولمته ذات الوجهان وجه باسم للغربي الضاحك و وجه عابس للعربي صاحب الإحساس بالخشوع و الخوف. و بالتالي الإعتقاد على الأحزاب ذات الإتجاه العلماني المدافعة عن حقوق الإنسان و الذي يتماشى مع الإهتمام الغربي حام المكونات الثلاثة (الحرية، المساواة، الإخاء) و لئن وجد الصراع في الجزائر و التعددية السياسية عندما أخفقت جبهة التحرير في تطبيق الإشتراكية ومعها الثورات الثلاث (الزراعية، الصناعية، الثقافية)، و فشل مشروع إستغلال الإنسان للإنسان من جهة والعولمة وثورتها المعلوماتية من جهة أخرى.

قام الإنسان الجزائري بالهياج الشعبي الفريد من نوعه بالنسبة للدول العربية و الإسلامية و هكذا لم يكن ما جرى في الجزائر 5 أكتوبر 1988، مجرد انتفاضة عفوية الجماهير بل هي العولمة و مناخها الذي كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر الحمل و شهدنا الإنسان الجزائري يجابه العنف بالعنف و الدم بالدم، و إستمر العنف و مسلسل الإغتيالات بعد إستخفاف السلطة و إيقاف الإنتخابات التشريعية 1992، و مصادرة حرية التعبير و الإستئصال و الإقصاء و إستعمال العنف ضد القوى السياسية ذات التوجه الوطني الإسلامي

و إلغاء المسار الديمقراطي الذي إستهدف الجبهة الإسلامية للإنقاذ بسبب العولمة الأوروبية، مما زاد الطين بلة أن اتسعت وحشية المذابح التي كانت قريبة وتوجد بالقرب من الشكنات العسكرية و حتى طرح السؤال من يقتل من؟!!

و الحقيقة أن مأساة الجزائر للعولمة يد فيها بوجهها العابس لأنها كانت تنوي تقويض صرح الدولة الجزائرية الرشيدة و فتح حدودها أمام كل من هب و دب، لأن السياسة الجزائرية الثورية لم تكن ضمن العولمة و لا مرتبطة بها و كانت الجزائر إلى وقت ليس بعيد شاغلة الكون و القادة من خلال تحرير القارة الإفريقية و مساعدة أمريكا اللاتينية و دورها الرائد بالنسبة للقضية الفلسطينية و مجموعة عدم الإنحياز و في المحافل الدولية، و مناصرة الحركات التحررية حتى أصبحت الجزائر كعبة الثوار، و لم يغب هذا عن اللوي اليهودي الذي بوجه السياسة الأمريكية رائدت حقوق الإنسان و حامية ظاهرة العولمة و الدفاع عن التعددية السياسية و الديمقراطية بالمنظور الأمريكي، إذ هلت الولايات المتحدة الأمريكية على إلغاء نتائج الإنتخابات التشريعية في الجزائر عام 1992، و قالت إن هذا الإجراء هو إجراء دستوري و لا غبار عليه و هذا من قيم الديمقراطية الغربية. و حقوق الإنسان التي تستجيب لشعار العولمة التي زرعت التفرقة بين صفوف أبناء الوطن الواحد و نصبت أنظمة دكتاتورية تتحكم في مصائر الدول المتأخرة، و أيدت هؤلاء الطغاة البغاة الذين يسبون و يشتمون الإمبريالية نهارا جهارا و يتوددون و يتباركون بها ليلا.

ب - حق الأمن الفردي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001:

مما سبق يتبين لنا أن التعددية السياسية هي شعار العولمة و هي في نفس الوقت طبخة جيدة من صنع البروستاتينية الإنجيلية بطبعتها الصهيونية و لاسيما بعد سقوط حائط برلين عام 1989، و معه الإنتصار الغربي اللبرالي الأبيض بعد إعلان إنهيار الإتحاد السوفياتي تعززت التعددية السياسية و التي هي إحدى تحديات أنظمة الحزب الواحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، و تعززت قيم الفرد الغربي و حقوقه بعد أحداث 2001/09/11 على حساب

باقي بني البشر و خاصة العربي المسلم، وحتى الذي يحمل ملامح عربية يتعرض لنظرات إستحقار و إستهتار و إرتياب و على الصعيد الإنساني، بعد الأحداث يمكن تصنيف الأفراد إلى فئتين:

الفئة الأولى: تضم الفرد الأمريكي و معه الغربي أي المواطن ذو الملامح الغربية الواضحة و التي تشير إلى القيم و المواقف و أنماط السلوك العامة المشتركة بين الحضارة الأطلسية الغربية بإعتبارها المهيمنة على العالم، بالتمايز الإقتصادي و السياسي و العسكري و التفوق التكنولوجي، و بهذا فهي تشمل عنصر القيادة إلى المستوى الأرفع من باقي البشر بصورة الإستكبار حيث تصاعدت حدة موجات معاداة السلالة العربية في أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية و المتمثلة في أعمال العنف ضد السواح و المهاجرين، و إنتشار الكراهية ضد العرب. و هكذا أصبح يحرم المساس بحقوق الفرد الغربي، إذ أيقظت هذه في الولايات المتحدة الأمريكية و الغرب الهجوم الياباني على بيرل هابر خلال الحرب العالمية الثانية، بما كانت تحمله من نظرات عنصرية ضد الجنس الأصفر (الياباني) فحل محله العربي أو كل من يحمل ملامح العربي المسلم بنظرات شاحبة ساخطة بوصفها تحمل العدا للرب و المسلمين، لذا فالمساس بحقوق الفرد الغربي داخليا أو خارجيا يعاقب المذنب الذي أساء إليه بأقصى العقوبات و الإجراءات الصارمة الحازمة سواء كان فردا أو مجموعة أفراد أو دولة أو دول بل توجه لهؤلاء الإتهامات غير المحدودة و التي يمكن أن تعلن ضده أو ضدهم حصار و عقوبات اقتصادية لفترة غير محددة أو تستخدم القوة العسكرية و إستظهار العضلات و الإبادة الجماعية بحجة الدفاع عن النفس.

الفئة الثانية: تضم العربي المسلم و باقي البشر، إلا أن ظاهرة إرتفاع العدا ضد العربي المسلم الذي يرتبط إرتباطا وثيقا بالإسلام، ففي هذه الحالة يتم تجاهل إنتهاك حقوقه كما هو الحال الآن في العراق و فلسطين و أفغانستان و الصومال، وكما فعل بليبيا في العهدة الريغانية 1986 و غيرها من بلاد الإسلام، فبادئ ذي بدء هناك غربي أبيض البشرة يستخف دائما بالعربي أسمر البشرة و بإستمرار و خاصة من قبل رجال الأمن الإتحاديين و مكتب

التحقيقات الفدرالي (المباحث الجنائية) و من قبل وكالة الإستخبارات الأمريكية (CIA) * و منظمات أخرى، و رجال اليقظة من طرف العنصرين و الملاحقات و الإستجابات أمام مدخل الميتر و محطات القطار و في دور المرافق العامة و في المستشفيات، و يوجد في سجون الولايات المتحدة الأمريكية عدد كبير من العرب الأمريكيين المسلمين بدون محاكم، و هناك سجون سرية تابعة لوكالة المخابرات الأمريكية في أوروبا كرومانيا و غيرها. هذا التحدي الأمريكي الذي أصبح أكثر فاعلية مما كان قبل أحداث 2001/09/11 و المصحوب بتشريعات على مستوى عال هو لتخويف الدول العربية المجتمعة التي أصبحت تعيش في كابوس الضباية المتراكم و فقدت جذوة الحماس و شعلة النشاط، و تسرب نحوها الإذلال للنكسات و الخضوع للمصائب. و هذا حتى تصل إلى مرتبة الإسترضاء الأمريكي الذي يرى في الفرد العربي المنبوذ المغبون داخليا و خارجيا هو ذاك الإنسان الفاشل غير القادر على الصمود و التحدي للأزمات و المشاكل و المصائب التي يتعرض لها في حياته. يجب عليه أن يتعلم من جديد واقعية الحياة وكيفية التفاعل و التعامل السليم معها. و لعل في ذلك ما يعكس النزعة العسكرية العدوانية الإنتهازية العنصرية التي تتعامل بها الثقافة الأمريكية الكابوية مع الفرد العربي، و هناك ربما عوامل أخرى تساهم في ضعف حق الفرد العربي بالنسبة للأمن بعدما وقعت أحداث 11 سبتمبر 2001، عندما انضمت عدة دول غربية و عربية إلى قائمة الدول التي تدعي أنها تكافح الإرهاب تحت المظلة الأمريكية التي أصبحت لا تفرق بين المقاومة المشروعة للإحتلال، و صار لديها الخلط بين العمليات الإرهابية التي كانت تتحالف معها ضد أنظمة في إفريقيا و أمريكا اللاتينية إلى زمن غير بعيد، و إنقلب السحر على الساحر و خاصة المقاومة الإسلامية التي أصبحت تشكل الهاجس الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية كتلك التي تستخدم الرموز و الشعارات ذات الدلالات الدينية و العبارات في غالبية البيانات الصادرة و المعادية للهيمنة الأمريكية. كان أحد العوامل التي ساهمت في تكون رأي يزداد سوءا عنها لدى الدول العربية و الإسلامية، و ما حصل

* centre intelligence americain

للمسلمين في قاعدة غوانتانامو البحرية الأمريكية (كوبا) حيث يحتجز المشتبه فيهم كونهم قاموا بمهاجمة أو خططوا للبرجين أعضاء نشطاء في تنظيم القاعدة و هي صنع أمريكا ضد السوفيات هذا من جهة، إذ أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بدرجة كبيرة في حق الفرد العربي الأمني، و من جهة أخرى في العلاقة بين الدول. فالصين مثلاً سبب كثافتها السكانية و نمو إقتصادها بسرعة كبيرة و إختلافها إيدولوجيا مع الليبرالية الأمريكية و تحديها الأكبر للغرب نراها قد إتخذت و وسعت إجراءاتها و ترتيباتها أكثر صرامة لمجابهة الحركات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى و مراقبة تركستان، و إن كانت قد وقعت كل من الصين و روسيا وكازاخستان و قيرغزستان و طاجكستان على معاهدة شنغهاي عام 1996 و التي تضمنت تقييد حق حرية الفرد المسلم في التحرك عبر حدود هذه الدول. كما أن اليابان هو الآخر إنضم إلى قائمة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل مكافحة الإرهاب أو ما يسمى الإرهاب الإسلامي العالمي، هو في الحقيقة نوع من التحرر النسبي من القيود المفروضة عليه منذ الحرب العالمية الثانية ثم ليظهر حسن النية و إزالة الشك و الوجدس الأمريكي حيال اليابان. قدم أفراد من القوات المسلحة اليابانية لمساعدة القوات الأمريكية لمحاربة الجماعات الإسلامية و أمريكا لا تكترث بإضطهاد الفرد المسلم و هي تتحدث عن حقوق الفرد و لعله الفرد الغربي لأنها تتجاهل حق الفرد الفلسطيني في الأمن، بل العكس تبارك التنكيل الوحشي ضد الفرد المسلم سواء في فلسطين أو العراق أو أفغانستان و مآسي العراقيين في سجون أبو غريب الوحشية و المعاناة اليومية للشعب العراقي تحت عباءة حرية التعبير، و الصور المخلة بالحياء التي تبثها قنوات فضائية كشف عن الوجه الحقيقي لأفعال الرجل الأبيض المتحضر، و زيف مزاعمه عن الديمقراطية و تحرير الشعب العراقي الذي سوف ينعم الفرد العربي بالرخاء و الرفاه و الأمن ؟

ج - حق حرية التعبير هو شعار النظام العالمي الجديد:

مما سبق يتضح لنا أن الإهتمام بأمن الفرد بعد أحداث 2001/09/11 من الأولويات الدول الكبرى، و ما صاحب العولمة من تطورات في العلاقات الدولية و توسيع إهتمامات العالم و

تعدد قضاياها و ظهور تحديات تواجه الإنسان بغض النظر عن الوطن بالنسبة للغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، و نجاح الإعلام الصهيوني في تصوير الفرد العربي موصوما بالعداء للولايات المتحدة الأمريكية و بالتخلف و الجهل و الأصولية و مجرد من جميع الأحاسيس و المشاعر الإنسانية و يحترف الإرهاب و القتل منذ الفترة الكولونيالية عندما كانت الثورات مستعرة بين الثوار و الإستعمار لتثير مخاوفه و مخاطره في الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا هذا من جهة، و من جهة أخرى لطالما كان حق حرية التعبير هو شعار النظام العالمي الجديد، كان إبتكارا و مطالبه فضفاضة عن حق حرية التعبير المزعومة من طرف أمريكا، فهي مرتبطة بالإصطفاف الأطلسي و متطلبات الأمن القومي الأمريكي بعد أن طورت أساليب الرقابة المباشرة و غير المباشرة، المفروضة منذ أن أدرك الكونغرس و الشعب الأمريكي و رئيسه بعد أحداث 2001/09/11 أن الحرب المقبلة تختلف و هي من نوع مختلف تمام الاختلاف، فالأشخاص الذين قاموا بإختطاف طائرات الخطوط الجوية الأمريكية لإقتحام و تفجير مركز التجارة العالمية و مهاجمة وزارة الدفاع (البنتاغون)، ليسوا مثل أعداء الولايات المتحدة الأمريكية الذين إعتادت أن تحاربهم خارج التراب الأمريكي بشكل عملي في حربي فيتنام و اليابان من قبل، جعل أمريكا تعلن الحرب على المجهول أولا ثم على العرب و المسلمين بعد إختيار الشيوعية، وجدت أمريكا ضالتها بالعثور على العرب بعد كارثة الحادي عشر من سبتمبر، لتملأ مكان الإيديولوجية الشيوعية التي سقطت فجأة.

و لهذا التحليل و التدليل السريع، فرضت الولايات المتحدة الأمريكية رقابة مسبقة على حق حرية التعبير مركزت دائما على مصطلح "متطلبات الأمن القومي الأمريكي" ¹ مختزقة دستورها الذي حرص على حق الفرد في حرية التعبير و هي تهزأ بمشاعر المسلمين كل يوم كقضية الشعب الفلسطيني و إنتفاضته المباركة و المشروعة ضد الصهاينة الغاصبين، عندما أقدم على إنتخاب حركة حماس الإسلامية عام 2006، فرض عليه الحصار من طرف المجموعة الأوروبية

¹ ينظر . أركون، محمد . العلمنة و الدين - الإسلام ، المسيحية، الغرب- ترجمة : هاشم صالح . الطبعة الثالثة ، دار الساقي، بيروت

بالتعاون مع العتاة المجرمين الصهاينة و من قبل الولايات المتحدة الأمريكية راعية حقوق الإنسان و الديمقراطية، و منعت حتى وصول الإغاثة للأطفال و النساء و الشيوخ و منعت حتى المنظمات الدولية و الهيئات الخيرية على المستوى العالمي من أجل تركيع الشعب الفلسطيني كعقاب له بكل وقاحة لإختياره حركة إسلامية في إنتخابات حرة و نزيهة، و أمريكا تريد الحكومة العلمانية الإباحية المتفسخة من القيم و المتحللة من القيود الدينية و الأخلاقية، و تريد أن يتجه الشعب الفلسطيني تجاه حضارة الغرب حيث تنتشر المخدرات و السموم و الصخب و النزوات و حب الشهوات و السهرات الحمراء و الإتهيار الخلفي، بدل الإنتفاضة و مقاومة العدو الصهيوني الإجرامي الذي يفرض قبضته الحديدية و ممارسة التنكيل و التعذيب و القتل و الطرد و الضرب و السجن، و نسف المنازل و الهدم و الردم و الإغتيالات و إطلاق النار على الجموع و على الجميع و إرتكاب أعمال همجية مشينة تمثلت في الإعتداء جنسيا على الفتية و الفتيات صغار السن داخل المحتشدات و المعتقلات، بحجة الدفاع عن النفس و حرية الرأي و الحق في التعبير تقوم بها إسرائيل بعبريتها و ممارساتها الإرهابية، و الفرد العربي يقف مندهش تحت تأثير التخدير العشائري و الطائفي لا حول له و لا قوة، و مكثفي بالجش و التنديد و الإستنكار و إطلاق الشعارات الطنانة التي لا تسمن و لا تغني من جوع سرا أمام عريضة إسرائيل الأنانية و تزوير الوقائع و تكرار بإستمرار شعار العداة للسامية لتهيئة الرأي العام لقبول إسرائيل مهددة من طرف جيرانها العرب الذين يرفضون حرية حق الفرد في التعبير عن رأيه، حتى يستشير من هو أدرى بأمور الحياة فيرفض عليه مثلا وظيفة لا تتفق مطلقا مع ميوله و مواهبه، فتتوالد الخلافات و ربما تكبر إلى أن تشرف على حافة الهاوية، و كذلك الرأي المقرون بالصحافة و التي تتضمن ظاهرة العولمة بإعتبارها ثورة معلوماتية و إقتصادية و اجتماعية، و ما هي المشاعر المتباينة التي تتراوح بين أنصارها الذين يرحبون بها و المناهضون لها منذ بداية التسعينات من القرن العشرين الماضي بقيادة السيدة الحديدية التاتشيرية في بريطانيا و الريغانية في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما ساوى الغرب بين المعرفة و الإقتصاد و رفع شعار حق

حرية التعبير، تمخض أو تمخضت صيغة جديدة التواصل الفكري الغربي في العديد من المجالات أعطى مؤشرا صادقا على أهمية ما حققه الغرب خلال مسيرته الطويلة ذات إستراتيجيات الأكبر و الأفضل.

2- حقوق الإنسان من المنظور الإسلامي:

قلنا بأن حق حرية التعبير هو شعار النظام العالمي الجديد، و هو شعار يرفعه الغرب و الولايات المتحدة الأمريكية لكي تتدخل في الشؤون الداخلية للدول المتأخرة، حتى قوي هذا الاعتقاد الذي تمارسه القوى الغربية تحت زعامة الأمريكان في وجه كل الدول التي لا تستجيب لإيديولوجية الغرب و لا تخضع لسياساته و توجهاته، و هي الدول العربية و الإسلامية التي أرسى فيها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا و نصف حقوق الإنسان، على نحو لم تعرفه البشرية و لو طبق دون تحريف أو تزييف و دون ضغط أو تهيب ما كان ليحدث في العالم من التغيير المستمر و الخلخلة في البنيان الإقتصادي و الاجتماعي و السياسي من التفاوت الطبقي، و نشوء طبقة الأغنياء من محتكري ثروات العالم و أيضا من مستخدميها كسلاح قد يؤدي إلى حدوث كارثة بشرية بالنسبة للدول المتأخرة، التي أسهمت بدورها في حدوث الهوة بين من يمتلكون مصادر العلم و المهارة و المال بصورة مميزة من مواطنيها و التي لا تبدي السلطات المسيطرة على المجتمع أي تسامح فكري مع الرأي الذي يخالف نهج الدولة، و تعمل على كبت روح النقد و التحليل العقلي عندها يكون الإنسان مهمشا و مضطهدا و لا يتميز بأي بناء فكري و ثقافي فلا ينتظر منه الصعود إلى عالم المعرفة أو يتأقلم مع ثورتي تكنولوجيا المعلومات و قوى التغيير العالمي التي تحدث الآن، بل هو في إنحدار مستمر مقارنة بنمو حرية التعبير للمواطن الغربي الذي بدأ يحول المجتمعات العربية و الإسلامية إلى مجتمعات تابعة مستهلكة لثقافة الغرب الغث منها و السمين حتى الثمالة.

و هكذا أصبحت الأقطار العربية عبارة عن قناة منافع تقوم بتوزيع الريع النفطي و المكاسب على المحاسب و البطون و العشائر و الأنصار و الأصهار، حتى عم الفساد و طال البلاء البلاد و العباد. بالإضافة إلى التفكك والتحلل و الزوال فقد أمر الله سبحانه و تعالى الأمة

بأن تتمسك بالكتاب و لا تتفرق فقال: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" سورة الأنعام آية 153 وقال أيضا: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" سورة البقرة آية 120، و قال عز و جل: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ هُم يَتْلُونَ الْكِتَابَ.." سورة البقرة الآية 113، فبعد أن أخبرنا الله عز وجل عن اليهود و النصارى و عن مواقفهم المترددة حيال بعضهم البعض، يأتي المنظور الإسلامي ليجمع بين خصائص الإنسان بإعتباره فرد حر ذا كرامة و قيمة زوده الله سبحانه و تعالى بالعقل و الضمير، و منحه العلم و الحكمة يقول الله سبحانه و تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمْنَاكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ.." سورة النساء الآية 113 و يقول ابن القيم الجوزية في هذا الصدد " فإن الله أرسل رسله و أنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط و هو العدل الذي قامت به السماوات و الأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق و قامت أدلة العقل، و أسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله و دينه و رضاه و أمره و الله تعالى لم يحصر الطريق العدل و أدلته و أماراته في نوع واحد و أبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه و أدل و أظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصود إقامة الحق و العدل و قيام الناس بالقسط، فأبي طريق إستخرج بها الحق و معرفة العدل و جب الحكم بموجبها و مقتضاها، و الطرق أسباب و وسائل لا تراد لدواتها و إنما المراد غاياتها التي هي المقاصد و لكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها و أمثالها، و أن تجد طريق من الطرق المثبتة للحق ألا و هي شرعه وسبيله للدلالة عليها."¹

و عليه فإن المنظور الإسلامي هو الممارسة الحقيقية لحقوق الإنسان، لأن الله تعالى هو الذي أعطاه إياها و هو أعلم بحاجات عبده الذي خلقه من تراب و أكسبه ممارستها و تسخيرها. مما يدفع بالقول أن كرامة الإنسان مطلب حضاري و بشري، فالكرامة من أهم الحقوق

¹ ينظر. ابن قيم الجوزية . إعلام الموقعين من رب العالمين. تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المتوفي عام 751 هـ راجعه و قدم له و علق عليه طه عبد الرؤوف . دار الجيل بيروت لبنان، ط 4، ص 373 و ما بعدها

الإنسانية، التي تلتقي حولها جميع الحضارات و الأديان السماوية، لأنه لا حياة مع القهر و الظلم و وأد الحرية و إضاعة الكرامة²، فالكرامة الإنسانية تستلزم حق السلامة الشخصية و إحترام حرية الإنسان في التصرف و في ممارسة أي نشاط يعود عليه بالنفع و على المجتمع بالمصلحة العامة، في مجالات التنمية الثقافية والإقتصادية والاجتماعية دون حواجز، وكل ذلك يزيد ويقوي حرص المنظور الإسلامي الذي ركز على مبدأ ضمان الحقوق الفردية و التقليدية و الحريات الشخصية، و سبق المنظور الإسلامي على مر أربعة عشر قرناً و نصف التشريعات المختلفة و المواثيق و الدساتير التي طبعت النصف الثاني من القرن العشرين الفئات بطابعها حقوق الإنسان، و إبراز المعايير في تحديدها و الإهتمام الدولي بأهميتها بإعتبارها إحدى السمات الأساسية و المميزة لنظام العولمة، الذي نعيشه و الذي فتن الناس فيه أكثر فأكثر كلما كان منظوره الزماني موجهاً بشدة نحو الدول المتأخرة التي وقعت في إنعدام التوازن في القوة بينها وبين أعدائها في التحقير المسلط عليها من طرفهم كونهم المتفوقين عليها عسكرياً وسياسياً و إقتصادياً، و لذلك فإن المنظور الإسلامي وضع قواعد أساسية تؤكد حقوق الإنسان و واجباته تجاه الدولة و أسلوب ممارستها.

- المنظور الإسلامي قرر أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يستطيع الإنسان التصرف وفق ما يستحقه ما لم يحرم بنص القرآن أو السنة.¹

- يمارس حريته الفردية و يقف عند حدود حرية الإنسان الآخر، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لا ضرر ولا ضرار".

- يمارس الإنسان حقوقه الفردية و يقوم بالإلتزامات تجاه المصلحة العامة مقدماً مصلحة المجتمع. "وحيثما تكون المصلحة العامة يكون شرع الله".

- خلال القرون الماضية كان الإنسان يجادل بالحسنى و الدعوة بالحكمة و الإلتزام بأخلاقيات الإسلام و لا يجهر بالسوء من القول ويفعل أكثر مما يقول.

² ينظر. أمير موسى . حقوق الإنسان . مدخل إلى وعي حقوقي ، ط 2 ، بيروت 2002، ص - 19.

¹ ينظر. د. عبد العال عبد المجيد محمد . السلوك الإنساني في الإسلام. مرجع سبق ذكره، ص- 114

نهى المنظور الإسلامي عن التجسس قال الله جل ثناؤه: **"..وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا.."** سورة الحجرات آية 12، و الولايات المتحدة تتجسس على جميع دول العالم بواسطة الإمكانيات التي تتوفر عليها من عقول إلكترونية و أقمار في الفضاء الخارجي بقصد إكتشاف إبرة لو تحركت في الصين لعلم بها البيت الأبيض في الحين، و هكذا فإن ممارسة الجوسسة هي من إختصاص الأمريكان في كل مكان منذ عهد الرئيس الأمريكي جورج واشنطن (1732-1799)² و هم يجمعون المعلومات الإستخبارية و هي إستراتيجية أمريكية من أجل ترسيخ سيطرتها و تسلطها و توسيع نفوذها على الشعوب العربية و الإسلامية و التحكم في كياناتها السياسية و الإقتصادية، رغم أن الله جل ثناؤه قد إستهجن الخضوع و التقليد الأعمى و دعى إلى التدبر و تحكيم العقل في خلق السماوات و الأرض و إختلاف الليل و النهار قال الله جل ثناؤه: **"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ"** سورة ص آية 29 .

- المنظور الإسلامي يدعو إلى تجنب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و يأمر بالتأمل و التفكير في كل ما يسبب ضررا للإنسان و الجماعة كالمخدرات و المسكرات التي تعتبر تشكل في نفس الوقت كارثة إنسانية بدأت الأمم جميعها تسعى لمحاربتها حتى تحقق السعادة و الرضا للإنسان، بما يتلاءم وحق السلامة الشخصية أي "إنزال الناس من منازلهم" هذا كله من مقومات حق الإنسانية في سلامة الجسم و الروح، إذ ليس لأحد أن يعكر عليه حياته لا في البدن و لا في أي عضو من أعضاء الإنسان تحت أي شعار كما حرم الله جل ثناؤه الإنتحار فقال سبحانه: **"..وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا"** سورة النساء آية 29.

- إلا أن الدول الغربية فرضت منشأ حقوق الإنسان بما يتماشى و فكرتها متأثرة بثقافتها خشية المنظور الإسلامي و تراثه اللانهائي (القرآن و السنة) للثقافات الذي جمع بينها و هذا

² أنظر مايكل لي لانج " 100 قائد عسكري تصنيف لأكثر القادة العسكريين تأثير في العالم عبر التاريخ . الطبعة الأولى. مركز الإمارات للدراسات والبحوث أبو ظبي 1999، ص11.

هو سر قوته، إذ فتح و حقق الوئام ليعيش الإنسان أول تجربة الشورى في إطارها و مبادئها الإنسانية التي قررها و فصل فيها، ذلك أن الإسلام هو دين ودولة معا.¹

أ - حق السلامة الشخصية:

يمثل حق السلامة الشخصية أحد الركائز الهامة في الحياة، بل هو أسمى الحقوق الإنسانية على الإطلاق فهو الحق اللصيق بالشخصية للإنسان، و هو الشرط الأساسي و البديهي للمخلوق الآدمي، حتى يتمتع بسائر الحقوق، إذ لا يستطيع الإنسان التفكير في مباشرة وممارسة أي حق كان دون تأكد و ضمان حق السلامة الشخصية، و هذا ما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تعتر بقيمة الإنسان الأمريكي و لا يلومها أحد على ذلك، حيث بسطت حماية مواطنيها داخل التراب الأمريكي و خارجه. و لا يستطيع أيا كان أن يقلل من شأن قيمة الإنسان الأمريكي على الأخص و بالضرورة تأمين حياته و غلو دمائه، هو أولا و قبل كل شيء إنسان ذو قيمة و شأنه ليس شأن باقي البشر في نظر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة المتحضرة صاحبة التفرقة العنصرية أو التفوق العسكري العنصري عندما تجاوزت خلال حرب الخليج الثانية (91/90) فيما يسمى بحملة عاصفة الصحراء التي قادتها أمريكا و بريطانيا و فرنسا و من معهم، حيث قامت هذه الدول بأكثر من مائة ألف طلعة جوية و غارة على الشعب العراقي في فترة زمنية جد قصيرة لا تتجاوز و لا تتعدى أربعين يوما ألقت بواسطة القاذفات بـ "52" B، و غيرها من الطائرات و الصواريخ الذكية أكثر من ثمانين ألف طن من المتفجرات على الأراضي العراقية و قضت على النسل و الحرث والله لا يجب الفساد، و قتلت مائة و خمسة و عشرين ألف عراقي معظمهم من الشيوخ و الأطفال و النساء، و دمرت و هدمت كل البنى التحتية و الفوقية و ملجأ العامرية شاهد على ذلك إذ حولت معيشة شعب مسلم إلى جحيم و مدنه و قراه إلى خراب بعمليات قصف ليلا نهارا من البحر و الجو و البر، بدون رحمة و لا شفقة فيها للإنسان المسلم العربي. و استخدمت

¹ ينظر. دكتور السيد عبد الحميد فوده. حقوق الإنسان بين النظم القانونية الوضعية والشريعة الإسلامية. دار الفكر الجامعي الإسكندرية 2004، ص45.

أمريكا التكنولوجية المتطورة على سبيل التجربة على نطاق كبير مست كافة شرائح المجتمع العراقي وكأنهم فئران تجري عليهم تجارب لأحدث الأسلحة الجرثومية و البيولوجية و الترسانة النووية الحربية الغربية¹، ذلك هو تعامل الحضارة الغربية و إحساسها بالتفوق و سيطرتها و هيمنتها على مصير الشعوب، و الإنتقال بالأسلوب الغزو الإمبريالي العسكري و إحتلال العراق في صورة إستعمارية صريحة و إخضاع الشعوب العربية و الإسلامية مدة أخرى للتحقير و السطو و القسوة و إستعمال العصا الغليظة ضد العرب إذا لزم الأمر، و حرمت حق الشعوب في تقرير مصيرها و هو حق الوجود و البقاء المتأصل في الإنسان و حماية الجنس البشري من الإبادة الجماعية، و زين للأمريكان أهل الشر و الفساد سوء عملهم و شاع لديهم داءان عظيمان أحدهما: الإستيلاء على حوض النفط الخليجي و تطويق بلدانه بسياج عسكري خاضع للسيطرة الأمريكية و منطقة الشرق الأوسط المتحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية، و حماية إسرائيل من هبوب رياح المقاومة الإسلامية و ترويض المشروع الصهيوني عبر الغواية أو الضغط بالنسبة للقوى الصاعدة في منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا. و ثانيها بسط الحماية الأمريكية في إطار الإهتمام الإقتصادي ذي البعد الإستراتيجي و التغلغل بعيدا حتى على حساب حلفائها أنفسهم، و خلق الصراعات مع قادة العشائر بعد إحتلال العراق و التصدي للمقاومة بوسائل مباشرة عبر العملاء في تدبير حملة إستنزاف للوجود الوطني في العراق مسنودة بآلاف المرتزقة من جميع الدول السائرة في طريقها. و تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإهدار حق السلامة الشخصية و إنتهاك قانون الطبيعة و هلاك الإنسان و الحيوان في بلاد الرافدين، و تدمير الحضارات الإنسانية و جعلت الإنسان العربي إرهابي و إعتبرته جسدا بلا روح و حرمته حق الحياة في الوجود، و حثت على قتله بإعتباره كائنا غير مرغوب فيه. و لا يخفى على أحد أن المنظور الإسلامي جعل حماية روح إنسان تعادل أرواح الإنسانية جميعا و إعتبر أن قتل أي إنسان بدون شرع هو قتل النوع

¹ ينظر. للدكتور الشافعي محمد بشير. قانون حقوق الإنسان مصادره وتطبيقاته الوطنية والدولية . الطبعة الثالثة، منشأة المعارف الإسكندرية 2004، ص30.

البشري بأسره، هذا الغلو الذي تتسم به الهيمنة الأمريكية بمفسدة لم يعرفها التاريخ البشري من قبل في المعصية و العتو من دون تمييز، في ميسرة الإنسانية المتشردمة المختلفة، و لهذا فإننا بالرجوع إلى الآية الكريمة: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا.." سورة المائدة آية 32، هذا و قد أردنا التأكيد على ضرورة حق الحياة في مقدمة حقوق الإنسان، و نرى بأن معظم الآيات القرآنية الكريمة قد نصت بل تشددة و ركزت و منعت قتل النفس البشرية بدون حق " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا " سورة الإسراء آية 31، وأيضا "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " سورة التكوير آية 8-9، فالولايات المتحدة الأمريكية التي أمطرت الشعب العربي المسلم العراقي المسكين بالقنابل الذكية و المحرمة دوليا منذ حرب الخليج الثانية 1990 إلى غاية إحتلاله في أوائل عام 2003 و حتى كتابة هذه السطور، تحت دعوى كاذبة هي حماية المجتمع الدولي من الإرهاب، و قد خاضت الحرب ضد العراق مع بريطانيا دون الرجوع و موافقة مجلس الأمن الدولي و الأمم المتحدة متخفية تحت أحداث 11 سبتمبر 2001 و جعلتها حجة تستغلها متى تشاء لإرغام من تشاء إذلاله وفقا لسياسة (من ليس معنا فهو ضدنا)، و قد أدى احتلال العراق إلى قتل آلاف الأطفال و التفجيرات اليومية و التي أسفرت عن القتل العشوائي و مزيد من العنف و الظلم و التطرف و قسمت المجتمع العراقي إلى عشائر و طوائف وفق سياسة فرق تسود، و هي مستمرة في تحيزها الواضح لدولة الكيان الصهيوني الذي يقتل يوميا عشرات الأطفال الفلسطينيين بدون ذنب فلا ضير على إسرائيل سيدة منطقة الشرق الأوسط أن تفعل ما يجلو لها و يحمي مصالحها، و أطفال فلسطينيون يموتون و نساء حوامل يقتلون و يشردون و يقصفون و بيوت مدمرة و تدمر على رؤوس ساكنها، و إقتصاد منهار و غلق مستمر و العقوبات الجماعية اللاإنسانية و الإبادة الجماعية للفلسطينيين لأسباب دينية و عرقية. و نرى و نقرأ في معظم الإعلانات و المواثيق الدولية أنها قد ركزت على حق السلامة الشخصية للإنسان الذي يقع على عاتق الأمم المتحدة، و مجلس الأمن يتأثر تأثير كبير فيما يتعلق

بالنزاعات الإقليمية. و إلا فكيف نتصور تحقق العدالة الاجتماعية و تحقيق التنمية و السلام و الوئام الاجتماعيين داخل العولمة و مطالب قانونية و سياسة للحرية المتساوية من منظور عالمي كميّار مشترك للإنجاز، يكفل للأمم و الدول و الشعوب الأمن و الإستقرار و الحرية و العدالة و السلام.

إذن يأتي حق السلامة الشخصية التي تتجلى في الإتفاقيات و المواثيق الدولية و المعاهدات الصادرة عن الأمم المتحدة و التكتلات الإقليمية. كما أقر ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة الأولى منه على أن "لكل فرد الحق في الحياة و الحرية و سلامة شخصه".
يعتبر حق السلامة الشخصية كحق أساسي في الحياة التي تكفل السعادة و العيش الكريم و عدم الإعتداء على حياة الإنسان و الحفاظ عليها و حق التمتع بالطيبات قال جل ثناؤه: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ... " سورة البقرة آية 267، وفي الحديث " إعمل لآخرتك كأنك تموت غدا و إعمل لدينك كأنك تعيش أبداً " و أيضا: "إذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمته عليك".

ب - حق الأمن الفردي:

من حق الفرد أن ينال نصيبه وكفايته من الأمن داخل المجتمع الذي يعيش فيه و السلطة التي تتولى حمايته الشخصية و سائر الحقوق الجسدية و النفسية، و هذا بتوفير السكن و الكساء و العمل و الرعاية الصحية و الإطمئنان إلى الروابط الاجتماعية التي تقوم على التآخي و المودة و الحب و التواصل بالمرحمة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الصدق في القول و التعاون القائم على حرية الفرد في ممارسة حركاته و حقوقه بدون عوائق، كما يجب على السلطة أن لا تقدم على الإجراءات التعسفية في إستعمال السلطة ضد حرية الفرد إلا في نطاق ما يسمح به القانون و ذلك تطبيقا لمبدأ شرعية الجرائم و العقوبات أي أنه لا جريمة و لا عقوبة إلا بنص قانوني. و قد يتبادر إلى السلطة أن تميز بين فرد و آخر في تطبيق القانون أو تحاكم فرد دون سواه و تتبع أهواءها، فحقوق الفرد كما وردت في الحديث الشريف مضمونة من توجيهات موصولة بتوجيهات الرسول صلى الله عليه و سلم في قوله: "ليس للإنسان أن يعتز

بحسبه ولا بماله، ولا بجاهه ولا بعنصريته ولا هويته ولا جنسه، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وأيضاً "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى". و في هذا الصدد يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "إني وليت عليكم ولست بخيركم فإذا رأيتموني على حق فأعينوني و إن رأيتموني على باطل فقوموني، و أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه و الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له"¹. و الأصل في هذه الخطبة هي الأمن و العدالة و الحق للمواطن حيث تعظم المساواة بين الإنسان و الإنسان في فرص الحياة و في كافة مجالات السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية و تسمح للإنسان بتطوير إمكانياته و إطلاق قواه الكامنة لتحقيق ما تصبو إليه نفسه من الأهداف و الإحساس بالإنتماء إلى المجتمع السياسي، أي علاقة الحاكم و المحكوم تكون تحقيق أكبر قدر من العدالة و صيانة حقوق العامة و الخاصة، و توفير الأمن و الراحة للجموع بالسهر على الأمن الوطني و توزيع الدخل الوطني بشكل عادل و من غير إخلال بإعطاء الحق لصاحبه في شفافية و عدالة مطلقة. و في مثل هذه الحالة يتحول الحاكم و المحكوم إلى علاقة وجدانية تربطهما بالمجتمع و الدولة العادلة، و في هذه العلاقة الوجدانية التي تتجسد على أرض الواقع يشعر كل منهما بأن لهما حقوق يمثل ما عليهما من واجبات حتى يصل المجتمع إلى حالة الإستقرار و الأمن و يشعر الفرد بالإحساس الأمني في حرمة البيت و العمل و الشارع، و توصل كل الأبواب أمام غواية الشيطان و لا ينقص شيئاً من الحق الأمني سواء أكان الأمن داخلياً أو خارجياً، حتى تتم إشاعة الطمأنينة كاملة في ربوع الوطن و أكنافه. فعلى ضوء هذه المفاهيم فإن حماية الأمن الفردي تقتضي أصولاً معينة من تدخل الدولة العادلة في حماية الأفراد و الأشخاص و تأمين ضمانات للمتهم أمام الجهات القضائية و عدم المس بشخصه أو تعذيبه و المحافظة على كرامته و إحترام حقوقه، و لا لرجال الأمن أو غيرهم أن يتعرضوا لحرته في غير الحالات التي يسمح أو يجيزها القانون. حتى ينال الفرد مسلماً كان أو غير مسلم الأمن

¹ ينظر. شاکر محمود. التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون. المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان 1985م، ص58.

والطمأنينة بنصيب موفور و حياة يومية مستقرة، برز الكثير من المشاكل و الإضطرابات في كثير من الدول هذه الأيام و ذلك بسبب التمييز المتعلق بالرعايا و المواطنين من الناحيتين السياسية و الاجتماعية، أما المواطن فيجب أن ننظر عندما يتعرض للإعتداء أن تقوم السلطة بتوفير الوسائل الضرورية لحماية حتى لا يتكرر هذا الإعتداء عن طريق القضاء من خلال تنظيم و إحترام حقوق المواطن لتحقيق محاكمة ترضيه و المحافظة على سلامته و له المساواة السياسية و القانونية ملموستان موازنة بالحقوق الدستورية معاً. أما الرعاية الذي يفتقد الإحساس بالإنتماء للوطن فله المصاعب و المشاكل التي تأتي في عباءة الإحساس بعدم الإنتماء، نتيجة واجهة العدالة بعدم عدلها تجاهه، و في هذا الصدد يقول جان جاك روسو إنه ليس الظلم الذي يدفع الأفراد إلى التمرد، و لكن الإحساس به و بطبيعة الحال فإن الإحساس بالظلم يولد الكراهية و فقدان الأمل و تصبح المسألة صعبة المنال إن لم تكن مستحيلة، مما يدفع الفرد أو الجماعات الخروج لا على سلطة الدولة فحسب بل على سياسة المجتمع بعينه. و لو كانت الأنظمة السياسية منذ ظهور الإسلام تعرف ما يمكن أن تجنبه من خلال إشاعة الأمن للفرد و الجماعة بتطبيق السنة الشريفة لتتابعت في سبيل الوصول إليه.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الغزالي رحمه الله¹:

حدث زيد بن سعدة -و هو من أحبار اليهود- أنه أقرض النبي صلى الله عليه و سلم قرضاً كان قد إحتاج إليه ليسد به خللاً في شؤون نفر من المؤلفعة قلوبهم، ثم رأى أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بدينه، قال: أتيت -يعني رسول الله صلى الله عليه و سلم- فأخذت بمجامع قميصه و ردائه و نظرت إليه بوجه غليظ قلت يا محمد ألا تقضني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلاً أو مسوفين في أداء الحقوق و لقد كاد لي بمخالصتكم علم !!

¹ ينظر. الشيخ الغزالي محمد .حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة . الطبعة الخامسة، دار الدعوة 2002، ص40.

و نظر إلى عمر وعينه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال يا عدو الله أتقول لرسول صلى الله عليه و سلم ما أسمع و تضع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أخذ رخوته. لضرب سيفي رأسك و رسول الله صلى الله عليه و سلم ينظر إلي في كون و تؤده فقال: "يا عمر أنا و هو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن إتباعه إذهب به يا عمر فأعطه و زده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته" قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر فقلت ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أزيدك مكان رعتك.

إن ترويع و تخويف يهودي آذى محمد صلى الله عليه وسلم بلسانه و يده قابله النبي صلى الله عليه و سلم بالحسنى و زيادة حتى طابت نفس اليهودي. و لو إتبعنا منهاجه صلى الله عليه و سلم لإستقر الأمن الفردي و إستقرت الحياة الإنسانية، بديلا للحروب و الإنتهاكات الإسرائيلية في شمال غزة و القطاع يوميا في عمليات عسكرية تستمد طوال السنة ضد الفرد العربي الفلسطيني، و ما تقوم به من ترويع و تخويف العشرات خلال عمليات التوغل و بغطاء جوي من الطائرات الحربية ذات الصنع الأمريكي لتدمير منازل الفلسطينيين على رؤوسهم، و تجريف الأراضي الفلاحية و الزراعية و قطع الأشجار و قتل حتى الطواقم الصحفية بحجة أمن الفرد الإسرائيلي، و الواقع أن أمن الفرد العربي يمر بمأزق و أزمة كما هو حاصل في أراضي العراق و بخاصة بعد تقسيم العشائر العراقية إلى سنة و شيعة و الأطياف الباقية بدون أن يؤخذ بمنظور الإنتماء الإسلامي.

ج - حق العمل والعيش والضمان الاجتماعي:

إذ يمكن القول بأن الإحساس بالإنتماء للمجتمع و الدولة العادلة، تدفع الفرد إلى إنجاز عمله على الوجه المطلوب و يكون مخلصا في كل شيء و أي شيء، كمقولة الهرمزان عندما وجد الخليفة عمر بن الخطاب نائما خارج المدينة المنورة تحت ظل شجرة من دون حراسة: "حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر" و أيضا مقولة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز: "حصنوا مدنكم بالعدل"، و الكل يعرف و يردد أنه ما أهلك الأمم الماضية هو أنه إذا سرق الشريف

فيهم وضعوا و التمسوا له الأعذار، و إذا سرق الضعيف قامت قيامته و طبقوا عليه القانون الجنائي أشد صرامة¹. إذ يرتبط الحق في العمل و العيش و الضمان الاجتماعي بقول الله تعالى " وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ " سورة التوبة الآية 105، و أيضا " وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا... " سورة الأحقاف الآية 19، و تدل الآيتان على أن العمل يأتي في مقدمة العناصر الإيجابية الفعالة بالنسبة لكافة طرق الكسب المشروعة في النشاط الإقتصادي، و على ذلك فإن العمل هو أساس الثروة إذا كان بالكدح من أجل الإشباع الفردي و المباشر للحاجات، حسب مبدأ الإستحلاف فالإنسان مسؤول عن مستوى الكسب بل مكلف بالعمل حتى يستطيع العيش، و لهذا نجد أن القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و آثار السلف الصالح تعكس قيمة العمل في الإسلام. قال الله تعالى: **"..وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"** سورة الأعراف آية 129، فقد حث المنظور الإسلامي على العمل و الإنتاج، فإن جسد الإنسان لا تتماسك به حرارة الحياة إلا بالطعام الذي يوفر القوة في البدن التي تمنح الوقود المتجدد لجسم الإنسان حتى يستطيع إظهار حركات و تثبيت الأقدام و العمل جعله الله تعالى سببا للجزاء في الدنيا و الآخرة، لقوله جل ثناؤه: **"وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ"** سورة الأنبياء آية 7، وأيضا: **"وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ."** سورة الشورى آية 26، وكل إنسان قادر على تحصيل العيش فهو مطالب بالعمل، و من أجل هذا نجد أن الله قد جمع بين العمل و العبادة في الكثير من الآيات، فربط بين العمل و الصلاة و الزكاة في قوله سبحانه وتعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ ءَاتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"** سورة البقرة آية 277، و حينما ذرأ الله الحياة الإنسانية على ظهر هذه الأرض و هيأ كافة الوسائل و العناصر لخدمة الإنسان، طلب من الإنسان الإرتباط بالعمل و أمره أن يتزود بالخير له و للإنسانية بما ينفعه في الدارين، قال الله تعالى: **"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا"**

¹ ينظر. تركي أحمد. هنا يبدأ التغيير. الطبعة الأولى، دار الساقى بيروت 2004، ص 266.

مِنْ رِزْقِهِ.. " سورة الملك آية 15، و أيضا: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى، كُلُّوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى" سورة طه 53-54 و أيضا: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ.." سورة الأعراف آية 10 و أيضا " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً"، و بما أن الأرض هي مقر الإنسان و مهده و لحده منذ أن هبط إليها و إستخلفه الله فيها فهو مأمور بتعميرها بالعمل كوسيلة إلى رفع الكفاية الإنتاجية تحقيقا للغرض الأساسي الذي يسعى إليه، و هو زيادة إنتاج الخيرات المادية و إستصلاح الأراضي البور و ما شاكل ذلك من ضروب زيادة الثروة الزراعية.¹ حتى يصلح شؤون حياته و حياة مجتمعه يقول الله جل ثناؤه: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ" سورة النحل آية 81، و عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده" -رواه البخاري-، و إن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده و قال أيضا: " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" -رواه ابن ماجة بسند جيد- و قال أيضا: "إن الله يحب المؤمن المحترف" -رواه الطبراني- و في هذا فضل من الله الذي سلم للإنسان زمام هذه الأرض و تطلق فيها يده بمشيئة الخالق الإبداع و التكوين و التحليل و التركيب و إستخراج الكنوز و الخامات، إلا أن هذا الإنسان المكرم عند الله و المعتمي به من الله، و المفضل في الأرض و التي هي مسخرة له، و مهياة له للعمل فيها حيث يجب تكريمه و حفظ حياته فهو النواة و اللبنة الأولى في المجتمع المعولم، فهو (الكافر) يحمل النفس الأمانة بالسوء الخسيسة فيظلم و يبغي في الأرض بغير الحق، و يحقر من هو أدنى منه و يخوفه و يروعه و يمسه في عرضه و يسخر منه ، و منذ أن قامت الثورة الصناعية ببريطانيا في منتصف القرن الثامن عشر، و ظهرت أساليب الإنتاج الآلي و الإستغلال الرأسمالي و ظهرت فكرة التأمين ضد الأخطار المترتبة على وقوع خطر معين،

¹ ينظر . الشيخ الغزالي محمد، مصدر سبق ذكره ، ص 125

يشكل عاهة أو عجز، فيبدو واضح أن هذا الأثر يجرم العامل بطبيعة الحال من ممارسة أي نشاط مادي يسمح له بسكب العيش بوجه عام. و يتألب و يتلاعب عليه صاحب المنشأة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما تحرر العامل من الإقطاعي صاحب الملكية الزراعية و تخلص من الضغوط و الفاقة هاجر إلى المدينة، حيث و فرت له بعض ظروف العمل و كان العامل الجزائري في هذا الوقت تحت نشأة الإستثمارات الفرنسية الأجنبية التي كانت تؤجر الجزائري من طلوع الشمس إلى مغربها و تلقي عليه أنواع الأعمال الشاقة في ظل الإحتلال، بدون أن توفر أدنى خدمة إجتماعية، و هذا إلى غاية نشوء الحركة الوطنية ثم حرب التحرير ثم الإستقلال 1962. إذ إرتسم في أذهان الجزائريين محاولات التصنيع التي سبق أن قامت بشكل واسع في عهد الرئيسين بن بلة ثم بومدين. و جاء التأمين الاجتماعي الذي خرج من رحم الإستعمار، و بدأ تاريخيا بالتطبيق بدفع أقساط التأمين بالنسبة لصندوق الضمان الاجتماعي. و يحمل المؤمن بطاقة الضمان الاجتماعي و التي تسمى شهادة الإشتراك هذه البطاقة لها أهمية كبيرة في حياة المؤمن، و بصفة خاصة فيما يتعلق بالترتيبات قصد الحصول على مستحقته في حالة الوفاة أو بلوغ سن التقاعد أو المرض المزمن أو فقد الوظيفة سواء أكان العمل في الإدارة أو الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو حرفة، و نتيجة لهذه السياسة طرحت الجزائر سياسة شعار القضاء على نظام إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان و قامت بتوزيع الثروات الوطنية توزيعا عادلا بين العاملين في جميع قطاعات العمل بإخضاع المجتمع الجزائري لمبدأ " من كل حسب مقدرته و لكل حسب عمله " و كذلك وضع " الرجل المناسب في المكان المناسب "، و بذلك تكون قد وصلت إلى تطوير التنمية و رفع نوع ما الإنتاج كما و كيفا في الميدان الزراعي و الصناعي و التجاري و حتى الثقافي و مع ذلك نرى بأن الضمان الاجتماعي و التكافل يتم تبعا لنظم التأمين الاجتماعي المعاصر للعمولة بهدف مواجهة ظروف المعيشة الصعبة من قلق و عدم إستقرار و مخاطر غير متوقعة. إذ ينبغي إعادة تنظيم الضمان الاجتماعي على أسس علمية و خلقية قبل كل شيء، و يجب تحديد الحقوق و الواجبات المتبادلة للمواطنين و جعل كل إنسان يشعر بواجبه و يحترم حق الآخر،

و القضاء على التفاوت بين الإنسان و أخيه الإنسان بأسلوب توجيهي و سياسة الحوار لا الدكتاتورية القائمة على حق الأقوى، و توزيع الإشتراك حسب نسبة كل منحط في صندوق الضمان الاجتماعي، الشيء الذي يسمح بالعيش الكريم و بالرضا على أساس مبدأ كفالة المؤمن و رعايته، و توفير الخدمات الأساسية له و لمن يقول كالخدمات الاجتماعية و الرعاية الصحية و الحصول على كفايته من الطعام و اللباس و الدخل المحترم. فعن أبي ذر الغفاري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"¹. أما غير القادرين على إيجاد عمل و هم أصحاب فعلى السلطة أن توفر ضرورياتهم و إحتياجاتهم و تعتبر المسؤولة على رعايتهم هي و سائر الفئات الاجتماعية، و المجتمع ضامن الحاجات الأساسية للعاطلين عن العمل، حتى يوفر فرص عمل للقادرين، و رعاية العجزة و الشيوخ و الأطفال و النساء من الظلم و مراعاة حقوق المواطنين في توزيع الثروة لتحقيق التوازن في الأمة الإسلامية، حتى يتمتع كل إنسان بأعلى مستوى من الصحة و العلم و التربية و الثقافة و جميع حقوق الإقتصادية و الاجتماعية وفقا لإمكانياتها المادية، و يشعر بأن له الحق في العمل و في العيش الكريم له و لأسرته، و تساوي بين الجميع في فرص الترفيه بدون وساطة أو رشوة، و تعميم التعليم بمختلف مستوياته و أنواعه و جعله متاحا للجميع بكافة الطرق و الوسائل، و إحترام حق الملكية و حماية الحقوق الفكرية، و المساعدة على تكوين الأسرة بالزواج بحرية و رضا الرجل و المرأة و تأمين لهما العيش و الكساء و المأوى، و مكافأة الجميع بكفالة الحق في تكوين النقابات و حق الإنسان في الانضمام إليها دون شروط مسبقة أو قيود، و للإنسان الحق في الضمان الاجتماعي و في ذلك التأمينات الاجتماعية بحيث تلتزم الدولة بتقديم المساعدة للمحتاجين في الحالات الموجبة بتقديمها كالعجز أو الشيخوخة أو المرض.

د - حق الملكية وتوزيع الثروة:

¹ ينظر. دكتورة مشهور أميرة عبد اللطيف. الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي القاهرة 1991 ص113.

و ما دمنا قد إستخلصنا بعض حقوق الفرد و قمنا بتتبّعها، فقد بقي علينا أن نقوم بحقه في الملكية الفردية بمعناها الصحيح و وفق مقتضاها و نشير إلى توزيع الثروة الوطنية و تفاوت في القيمة الفردية تفاوتاً محسوساً، تعد ثنائية الصراع بين أقليات سطرت و إستحوذت على الثروة التي تعود إلا لعدد قليل: أمراء، فرسان، تجار، محاربين، كهنة على أساس سلطة إستبدادية مطلقة، تتميز عن عامة الشعب بميزات هائلة، حيث تتخذة عبيدا لها بالمعنى الصحيح. حيث ظهر الفرق بين الغني و الفقير، أو القوي و الضعيف، وكان هذا التمييز الطبقي هو ذاته بداية إستغلال الإنسان للإنسان، إذن تراكم الثروة و لو على نطاق ضيق يتيح للغني أن يتصرف بالفقير كما يشاء، و يستغل ضعف مركزه من أجل فرض شروطه عليه. التي تنطوي على إستغلاله إستغلالاً تاماً يصل إلى حد التحكم في شخصه معنوياً و مادياً، حتى أصبح الفقر يعد معطى من معطيات نظام الأمور و صارت الكائنات البشرية محكومة بالتسول والتشرد، وعلى مدى مئات السنين وكانت الوثنية و الأديان الوضعية و الخرافات و المعتقدات قد أسهمت في توسيع القبول بسلطان الحق الإلهي، بالفقر و التسول و التشرد بإعتبارها أجزاء ثابتة و محتومة في المشهد الاجتماعي بالنسبة للإمبراطوريات الكبرى مثل اليونانية و الإمبراطورية الرومانية و حتى الصين والهند.¹

وكانت الكنيسة في الغرب تبارك هذا الوضع بمعية الملك و الطبقات الاجتماعية الثرية حيث سادت في الغرب سلطة الكنيسة قرناً طويلاً من التاريخ الغربي، حكم أثنائها رجال الدين المسيحيون بإسم الحق الإلهي و بإسم الوساطة، و سادت هذه الهرطقة كافة أنحاء العالم القديم رغم وجود الأديان التوحيدية كاليهودية و المسيحية، حتى جاءت ثورة الإسلام التوحيدية التشريعية في داخل قلب الجزيرة العربية ذات المجتمع البدوي القبلي في القرن السابع ميلادي، و رفعت شأن الفرد بالنسبة إلى الأديان السابقة عندما استطاعت أن ترتقي بالقوى المقدسة إلى أعلى مستويات التجريد العقلي عندما أكدت على وجود إله غير منظور لا يدركه إلا العقل "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ.." سورة الأنعام آية 103 و حررت الإنسان من

¹ ينظر. د. جورج قمر. الفوضى الاقتصادية العالمية الجديدة جذور إحقاق التنمية. الطبعة الأولى، دار الطليعة بيروت 1994 ص20.

الرق العبودية و التسول و التشرّد، عندما أصابت مجتمع الجزيرة المكون من البطون و أنظمة العشائر و القبائل، كما جاء في دستور المدينة المنورة² حيث تنص الوثيقة أو الصحيفة (الدستور) في أحد بنودها بالتكامل الاجتماعي و ترك التمايز حتى و إن كان الاختلاف في اللون أو الدين، لأن الإسلام ساوى بين المسلمين المؤمنين، و الناس تعني غير المؤمنين بالدعوة الإسلامية، إذ أصبحت المدينة المنورة بعد الهجرة تقوم على أطياف عديدة مسلمة و يهودية و غيرها، بينما الدولة مشتركة ينتمي إليها جميع الطوائف، فهناك دولة مركزية واحدة و ديانات مختلفة. فالدولة حلت محل القبيلة و أصبحت مسؤولة على حق الفرد و رعايته و حمايته و الدفاع عنه و مواجهة الظلم بوضع القوانين و تطبيقها على المخالفين و منع الفتنة الداخلية و تأمين الجبهة الخارجية بنشر العدل، و بات الفرد يتمتع بجميع حقوقه ضمن الإطار القانوني حيث أقرت مبدأ المساواة و توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي الذي كان بلا طبقات بعدما قضى على الضغائن و الأحقاد عند الناس، و هذا الإجراء كان مرتبطاً بحسن إستغلال الثروة الوطنية و توزيعها بشكل عادل و إيصالها إلى شبكة المجتمع حتى الحد الأقصى، و في هذا الصدد يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" و بهذا تحقق بالمدينة المنورة المجتمع المثالي في طبقة واحدة منسجمة، حيث يقوم كل فرد بالأعمال اليدوية و بما يحتاج إليه المجتمع في معيشتهم في ظل النظام الاجتماعي الذي ربط كل فرد برباط المجتمع القائم على نظام المؤاخاة و المواساة التي شرعت، و ترتب عليها حق الفرد في الملكية و توزيع الثروة كما حدث بين المهاجرين و الأنصار في السنة الأولى الهجرية، كلف ولي الأمر (الدولة) بصفة خاصة بتمكين مالك الملكية الخاصة أن يستأثر و يتمتع بحرية إستعمال الشيء و إستغلاله و التصرف فيه في حدود ما يسمح به الشرع، و بما لا يضر الأمة كالسكن و إستغلال الأراضي الفلاحية و وسائل النقل، و تقديم الكساء و النفقات و جلب كل مصلحة واجبة أو مندوبة، و ترك كل مفسدة محرمة أو مكروهة، و قد أقام الإسلام مجتمع قائم على

² ينظر. الدكتور العمري أكرم ضياء. المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدون تاريخ ص119.

علاقات الإحترام المتبادل فلا يستعلي غني على فقير ولا حاكم على محكوم ولا قوي على ضعيف، مهما كان لونه أو جنسه و يجب عليه أن ينخلع من صفاته الجاهلية و يكتسب الشخصية الإسلامية ليمتع بسائر حقوق الملكية، و توزيع الثروة الوطنية و أن يتصرف بحرية تامة في استعمال و إستخدام الشيء في كافة أوجه النشاطات بما يحقق النفع الذي خصص له بشرط عدم تجاوز الحدود و القيود التي تجلب الضرر للأمة، ذلك أن كل إخلال يتم إستعماله بطرق محرمة تخالف النظام العام و الآداب، و ينتج عنه ضرر للأمة أو إحدى هيئاتها أو مؤسساتها الشرعية العامة يتحمل المالك المسؤولية المباشرة عن حماية الملكية العامة بدون إستثناء و يدفع للأمة مقابل مادي يتمثل في حق المصلحة العامة.

نستنتج بأن المنظور الإسلامي و بخاصة مع المجتمعات التي تعربت في العهد المدني، متميزة بالنشاط المشترك و المنسجم ذات الطابع الديمقراطي في إتجاهاتها. و يتساوى الجميع في الثروة الاجتماعية، إذ ما قيس بالمجتمعات التي فتحتها الإسلام أو غزاها كالفرس و غيرها ذات الحضارة و المدنية و الأرض -بثرواتها جميعا- ملك الله سبحانه و تعالى: "لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ" سورة المائدة آية 120، و من ثم فهي عطاء من الله للبشر أعطاهم حق الإنتفاع وحو لهم الإستغلال، فهي حق كل فرد أن ينال نصيبه من العطاء الإلهي: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ..". سورة الجاثية آية 13 و هكذا يظهر لنا مجتمع تتوافر فيه الفرص المتكافئة ليتحمل كل فرد فيه تكاليف الحياة بحسب قدرته و كفاءته، من كسب الحلال، حتى يستأثر بالتسلط على كيان الشيء و وجوده¹، و من ثم يحتفظ بكل عناصر الملكية الخاصة و المشروعة و توظيف مصادر الثروة و وسائل الإنتاج لمصلحة المجتمع واجب، فلا يجوز إهمال أو تعطيل مشروع من المشاريع الذي ينظم أو يخدم المجتمع و يحقق الخيرات المادية و الرفاهية الاجتماعية و الأمن.

¹ ينظر. دكتور منصور محمد حسين. نظرية الحق ماهية الحق أنواع الحقوق، الأشياء محل الحق ميلاد الحق و حمايته وإثباته الشخصية القانونية الشخص الطبيعي المعنوي. بجامعة دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية 2004، ص228.

ظهر لنا مما قلناه أعلاه أن المالك و المنتفع في الملكية الخاصة حق متعلق في رقبته وهو ملك لغيره، فيتعين عليه بادئ بدء الشروع في تقديمه للحاكم حتى يتمكن من إعطائه لأصحابه الفقراء من المجتمع كما نظمته الزكاة: "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ" سورة المعارج آية 24-25، و هذا توزيع عادل لا يجوز تعطيله و حق معلوم بالنسبة لمصلحة المجتمع، و لكل فرد الحق في توزيع المناصب السياسية و الحقائق الوزارية و أن يشارك منفردا و مع غيره في الحياة السياسية دينيا، و اجتماعيا، و ثقافيا، و إقتصاديا، و أن ينشئ الأنظمة للتفكير الهادئ و يصطنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة حق الأمة كإستعمال سلاح النفط خلال حرب أكتوبر 1973 و ما رافقه من إنتصارات بشكل لم يسبق له مثيل، قد إنتعشت الآمال العربية التي حققتها تلك الحرب، و لما كان إستعمال سلاح النفط قد أدى إلى إرتفاع أسعاره بشكل كبير وحاد فإن الثروة النفطية و عائداتها التي تمخضت عن ذلك وصل جزء من فائضها إلى الأقطار العربية الأخرى و إن كان بنسب متفاوتة فقد أصبحت تشكل في غالبية الجماهير العربية نوع من توزيع الثروة. و من حق كل فرد في الأمة هو أهل لتولي المناصب و الوظائف العامة، متى توافرت فيه الشروط الشرعية، و لا تسقط هذه الأهلية، أو تنقص تحت أي إعتبار عنصري جهوي أو فتوي أو محسوبي أو طائفي أو طبقي، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم، و هم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم".¹

لقد بينا فيما سبق أن توزيع الثروة بشكل عادل يعني العدل الاجتماعي و يسود الحب لدى الطبقة الوسطى و القضاء على البغضاء التي تحتل كثيرا من الأفراد أي قلوبهم، فيتحول الظلام إلى نور، فإن ذلك يكون عامل إستقرار حين يشعر الفرد بمجىء ذلك اليوم الذي تحب فيه لا فيك ما تحبه لنفسك فعلا لا قولاً. فأيا كان مصدر (الثروة النفطية زراعة، إنتاج صناعي أو تداول) ليس هناك من سبب يدعو الدول العربية و الإسلامية إلى عدم الأخذ بذلك الإتجاه نحو المساواة في الأجر بالنسبة للفرد العادي، و الذي من شأنه القضاء على التصدعات

¹ ينظر. دكتور الشافعي محمد بشير. مصدر سبق ذكره، ص 68.

الاجتماعية المفرطة، بل يجب على الينبوع النفطي أن يسيل برفق فيسقي النسيج العمراني بكامله حتى لا يكون الثراء في يد حفنة شيء غير شرعي، أو بيد مجموعة النهب و السلب و الفساد و يعم البؤس الطبقات الوسطى و الدنيا، صغار المزارعين، الحرفيين من الصناعات اليدويين و سكان البيوت القصديرية على أطراف المدن الذين هم دون الكفاف.

هـ - الحقوق الاقتصادية والعدالة الضريبية:

إن مفهوم الثروة الذي أشرنا إليه سابقا يعني في عمومها توزيع عادل حتى ينال كل فرد حقوقه كاملة غير منقوصة، و لكن بالعمل في سبيل الحصول على الحقوق الاقتصادية المتوازنة مع العدالة الضريبية التي تساوي فيها العامل و الموظف، كما تشمل أيضا الدخل التي يحققه المهنيين الأحرار (الأطباء و الصيادلة، و المهندسين، و المحاسبون، و الموثقون و المحامون... و غيرهم)، و الحرفيون (النجارون و السباكون، و غيرهم) و المستوردون و المصدرون و غيرهم، حتى تعتبر الضريبة أداة رئيسية في المنظور الإسلامي لإرساء العدالة الاجتماعية و الاقتصادية، و المساهمة في تحقيق المشاريع و البنية الاقتصادية و الاجتماعية في الأمة، و هكذا يتضح بما لا يدع مجالا للشك في العدالة الضريبية تؤدي إلى إعادة توزيع الدخل و زيادة إيجاد فرص التشغيل للشباب الذين لا يملكون رأسمال أو الفئات الاجتماعية و منخفضة الدخل، للحد من الفقر المدقع فيه و إصلاح الإختلالات و الهزات الاجتماعية التي تطرأ على الأمة، و تعتبر الضريبة مصدرا أساسيا للتمويل في المشاريع الاقتصادية و الاجتماعية بالنسبة للأمة، و نظاما محكما للتأمين و الضمان الاجتماعي في الدولة العادلة و هي أيضا أداة فعالة من أدوات الحث على زيادة الخيرات، و توزيع الثروة و تداولها بين جميع أفراد الأمة الإسلامية. و الآن و قد زاد عدد الموظفون و العمال الذين يتقاضون أجور و مرتبات شهرية، كما أصبح المستوردون و المصدرون و التجار و الحرفيون و الفلاحون و الناقلون من ذوي الدخل الكبيرة في الأمة، و يحصل الكثير من فئات المهنيين على أتعاب كبيرة من مظاهر الإعتدال و التوازن في النظام العربي بين فئات المجتمع بإيجاد ضوابط إجتماعية حتى لا تطغى الإعتبارات المادية على الإعتبارات الأخلاقية، أي عدم الإعتراف بالحقوق المطلقة و لا بالحريات المطلقة.

إذ تختلف دخول الأفراد في الفئة الواحدة إختلافا كبيرا و زيادة و علاوة على ذلك فإن النفقات قد تختلف من رب أسرة إلى رب أسرة أخرى بإختلاف عدد الأطفال و من يعولهم، و في هذه الأيام التي يواجه فيها الكثير من الأفراد و خاصة فئات كبار السن في زمن العولمة و نفقاتهم و علاجهم و الأمراض المزمنة الكثيرة، و لهذا العوامل إختلاف في الدخول، و تباين النفقات و الأسعار الصاعدة صعودا جنونيا، حيث لا يتاح لكثير من الفئات الاجتماعية تحقيق إدخار و لو بسيط نظرا لجمود الأجور و المرتبات منذ برهة في سبيل تغيير واقعهم الاجتماعي و الإقتصادي إلا بالعودة إلى الحقوق الإقتصادية التي تعمل الشريعة الإسلامية على تطبيقها، سواء كان المجتمع يستند إلى أهداف دينية أو وضعية، فنقصد بالوضعية الدول العربية ذات الإتجاه العلماني، و هنا أن يكون مرادفا لمفهوم الإنسانية بمعناها الشامل، أي بما تشتمل عليه من القوانين و القيم التي تصب في حال تطبيقها في مصلحة الفرد أيا كان إنتماؤه الديني أو اللوني أو العرقي أو الجنسي أو الجغرافي.¹ لأن الله جل ثناؤه أعطى للبشرية الطبيعة بجميع خيراتها و ثرواتها المعدنية و النفطية لأجل الإستغلال، و منحهم حق الإنتفاع بها: " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.. " سورة الجاثية آية 13، كما حثهم على عدم إفسادها و تخريبها و تدميرها بواسطة الحروب و الله لا يحب الفساد إذ قال جل ثناؤه: " وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " سورة الشعراء آية 183، و عليه فلا يجوز لأحد أن يقوم بالتبذير و الإسراف و يجرم الإنسان و يعتدي على حقه في الإنتفاع بما في الأرض من خيرات، و يقول القرآن الكريم في وصف الاقتصاد و ما سيتبعه من آثار إيجابية "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"² قال يوسف عليه السلام: إجمع الطعام و إزرع زرعاً كثيرا في هذه السنين الخصب و إدخر الطعام في سنبله فيأتي إليك الخلق ليتماروا

¹ ينظر حسن خليل غريب . مفاهيم الإسلام بمنظار قومي معاصر . (أبحاث في العلاقات بين القومية والدين) دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سبتمبر 2003، ص 37.

² ينظر القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي أشرف على إعداده ومراجعته الشيخ رئيس بعثة الأزهر في لبنان محمد فهمي أبو عبيه والأستاذ مروان سوار مدقق للمصاحف لدى وزارة الأوقاف السورية. الأستاذ عبد المنصوح العالي دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1404هـ-1984 سورة يوسف عليه السلام آية 54.

منك، و هذا دليل آخر على أن الله تعالى رزق كل من يدب على الأرض و فضل الإنسان بتحصيل الرزق من وجوهه المشروعة "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا.." سورة هود آية 6، وأيضا "فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ" سورة الملك آية 15، و أيضا "وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى" سورة النجم آية 48، تهدف هذه النصوص التشريعية إلى تبصرة و رعاية حق الفرد و الأمة عامة بما يتفق و شعوب الأرض، و بما يحفظ تعاونها و تعاضدها و مشاركتها على طريق بناء إقتصاد إنساني يخدم علاقات الأمم و الدول و الأفراد على أسس تشريعية إنسانية حتى يزيل الغبن و التحقير اللاحقين بالمغبونين المنبوذين منذ فجر الإستقلال، إذ سنت قوانين إستثنائية أوقفت العمل بعدد من الحقوق الإقتصادية و العدالة الضريبية بسبب الفساد الاجتماعي الذي عتش و تعفن و إتخذ ذريعة للأنظمة العربية، بإتخاذ إجراءات تميزت بالإرتجال حتى يستطيع تطويع العامة بدل من حمايتها بالإستناد إلى حالات الطوارئ أو الأحكام العرفية و المعلنة و الخفية و التي وصلت إلى مستويات جد خطيرة و مخيفة، حيث تمخضت عنها بعض الحالات في الأوساط الشعبية الذين أعوزتهم الحاجة إلى الأمن و الوئام و الهروب إلى بلد مستأمن بخصوص حالات غليان الحياة السياسية في كافة مؤسسات الدول العربية، و لأن المنظور الإسلامي هو السمة البارزة في تاريخ الدول العربية و الإسلامية، و لا يزال يشمل علاج كبير و ضروري في تشكيل أو إعادة تشكيل العدالة الضريبية التي تقتطع من أجور العمال و رواتب الموظفين و من المصدر و ترتفع نسب تلك الضريبة بإرتفاع الدخل أو الأجور لفائدة التمويل في الدول العربية و الإسلامية، و نظامها محكما للتأمين و الضمان الاجتماعي في المنظور الإسلامي و الضريبة هي أداة من أدوات التكافل الاجتماعي لمصلحة الأمة و واجبة فلا يجوز إغفالها و إهمالها و لا تعطيلها، سواء من خلال الشفاعات أو التدخلات المباشرة في سياق عملية الرشاوى بخصوص أصحاب "عدالة الليل" كما يقال، و في هذا الصدد يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله، و لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا حتى يدخله جهنم" و أيضا "إياك و التنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين". فالحبابة بالنسبة لجابة

الضريبة المخولة لهم وفقا للنسق الجبائي القائم فالكل يدفع و ليست المحسوبة و الجهوية بمختلف أنواعها، لذا يجب إعادة بناء الدول العربية و الإسلامية بناء شموليا قائما على الفضيلة، إنطلاقا من أسبقية الزكاة التي هي فريضة مؤكدة بالقرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و الإجماع، و قد حددها الله جل ثناؤه بالتفصيل و الأصناف الثمانية المستحقون للزكاة بقوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" سورة التوبة آية 60، الفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل و يلاحظ أن ما يخص الغارمين و في الرقاب العبيد الأرقاء يشترطون بمال الصدقة لفك رقابهم و يعتقدون لوجه الله، و الصنف الأول هم الذين تحملوا الديون و تعذر عليهم أداءها، يكون ولي الأمر كفيل بها و يؤديها عنهم و يتصرف في توزيع الأموال على الأنواع و الفئات الباقية كما يرى¹، و لكن هنا يأتي السؤال الأهم، هل الحقوق الاقتصادية و العدالة الضريبية حقيقة ذات ثوابت تمس أفراد الأمة في مسيرتها التاريخية الفعلية، و ليست فيها المحاباة أو معوقات الممارسة؟ في إعتقادي أن التعصب بسبب هيمنة إيديولوجية حزبية أو جماعة الضغط على قنوات تحصيل النظام الجبائي تستثني بعض الزمر داخل النظام و خاصة الأطراف المسيطرة و الحاكمة قبضتها على الكعكة و البحبوحة، و المزايا الميالية التي وصلت إلى مستويات في دواليب و أجهزة المؤسسات العمومية إلى درجة جد مخيفة، وفق آليات معرفية معينة، و من خلال الإنغماس المطلق في الشؤون الخاصة و على رأسها شأن الرشاوى الذي ينخر التحصيل الجبائي و الثقوب و الثغرات، إنطلاقا من مفهوم نفسي نفسي بصفة خاصة قبل الغير، لأنه واثق في كل الأحوال من إستحالة محاسبته في ظل الثقافة السياسية السائدة و المرسخة في كافة مجالات الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الأخلاقية، قوامها الثراء بلا سبب و الكل ما عداي

¹ ينظر. أ.د. أبو زيد خليفو (وآخرون) دراسات نظرية و تطبيقية في محاسبة الزكاة، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية 2002، ص

مغفل، و بذلك نستطيع أن نقول أن التهافت على المادة زاد بدرجة كبيرة لدا كل فرد يتولى أو أصبح قادر في زخم الواقع السياسي أو الإقتصادي المعاش يقع تحت سلطته و يكون مهيمنا على شيء يتحول بالضرورة إلى أن يكون مستفيدا وحيدا لا ثاني له، و هذا بالطبع يستلزم كما ذكرنا سابقا من يتحكم في كل صغيرة و كبيرة و يستمد قوته من قوة جماعة الضغط المهيمنة على دواليب الحكم في الوقت نفسه، دون أن يجرؤ أحد أو يقدر على مناقشتها أو حتى الشك في تصرفاتها أو في أمرها رغم أن ما تسرحه وسائل الإعلام و الأخبار من تحويل الملايير من الدنانير في الصفقات المشبوهة و الفضائح المالية موازاة مع الرشاوي و الفساد، زيادة على الفضائح في البنوك العمومية و الخاصة إذ أصبح الفساد متفشي بقوة كبيرة و على جميع المستويات فتحوّلت المؤسسات العمومية إلى مؤسسات إجتماعية خاصة لجلب النفع الدنيوي لأصحابها من ثروات و لذائد العيش و مناصب إجتماعية رفيعة، و أصبحت الوسيلة و الأحباب و المعارف مصدر للوجاهة الاجتماعية و جمع الثروات الطائلة و البعد عن العقاب و عن طائلة النظام و القانون بل وصل الفساد و جمع الثروات درجة كبيرة تضمن لأصحابها مكانا رفيعا يدور حول الجنس و الجاه و المال و الحصانة من طائلة العقاب، كما أن النصب و الإحتيال و الرشوة و الأموال المسروقة أو المغتصبة أغرقوا فيها إلا من رحم ربك، و تفشت في الأمة العربية و الإسلامية ظاهرة الإنقسامات الاجتماعية الموروثة عن الإستعمار و التي تتغلب فيها رعاية المصالح الضيقة الفرعية و الجهوية عن المصلحة العامة الوطنية المشتركة، من أجل مصلحة الفرد قبل مصلحة المجتمع، و مما سبق غدا الحصول على لقمة العيش و على الضروريات و الحاجات الأساسية، ناهيك عن الرفاه و البذخ و الغنى و البجوحة مطلبا صعبا و عسيرا لكثرة الكاثرة من رعايا الأمة العربية و الإسلامية في ميدان الحقوق الإقتصادية و العدالة الضريبة بين الحاكمين و المحكومين و على وجه الخصوص فئات السذج و الرعاع الأميين و السفهاء الغافلين المشغولين بحاجاتهم اليومية و يجب عليهم لزوم القناعة في كل الأحوال و ذلك أن عدم تطبيق نصوص العدل التي وردت في القران الكريم " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" سورة النحل الآية 90، قال الحسن في تفسيرها: " أن الله جمع الخير كله الشر كله في أية واحدة فو الله ما ترك (العدل و الإحسان) شيئاً من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، و لا ترك قوله (الفحشاء و المنكر) من معصية إلا جمعه. ¹ و قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " سورة النساء الآية 135، و هنا نجد القرآن الكريم في أسلوبه التوجيهي يأمر بإتباع العدل أكثر و يؤكد كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه " العدل إنصاف و الإحسان التفضل، فالعدل : هو كل مفروض من عقائد و شرائع، من أداء الأمانات و ترك الظلم و الإنصاف و عطاء الحق " و الحقوق الاقتصادية و العدالة الضريبية مرتبطة بشكل مباشر بالحرية السياسية و حرية الرأي و التعبير و التجمع و ما يرافق ذلك من إقتصاد سليم و تطور سريع في الدول العربية و الإسلامية في ميادين التجارة و الصناعة و لا سيما الصناعة الثقيلة منها مما يساعد على فسح المجال أمام إمكانيات كبيرة و واسعة لتراكم الثروات في ظل سياسة إقتصادية حرة دون تقييد أو إلحاق الضرر بالغير، و تشجيع المبادرة الفردية قصد تسهيل جلب رؤوس الأموال و التي تنتج بشكل أو آخر القوة المعنوية على صعيد الفرد و الأمة، و كل ضعف في عدم توزيع الثروة بين الأفراد يرافقه الخسارة نتيجة المحاباة و ما يكتنف ذلك من سوء التنظيم حتى يصبح الفقير أسير الغنى، و يصبح التعاون ظاهرة ملحوظة في الأوضاع المعيشية نظراً للاختلال الواضح في عدم توزيع الدخول و الثروات الإقتصادية مثل الحق في العمل و الحصول على الحريات الاقتصادية و السياسية في الأنظمة السياسية هو العمل المناسب و الأجر المناسب و السكن المناسب و الضمان الاجتماعي المناسب و الملائم، حتى نضمن الحد الأدنى من الضروريات و

¹ ينظر. عبد التواب ياسر محمد . حق المساواة بين الإسلام و المواثيق الدولية . دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، الشارقة مكتبة الصحابة

المستلزمات المادية للفرد العادي، وحق يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية التي تمثل في حد ذاتها الحقوق الإقتصادية و العدالة الضريبية التي على أساسها يتحدد مدى إقتراب حرية الرأي و التعبير و التجمع .

و - حرية الرأي والتعبير والتجمع:

و لهذا يمكننا القول أن يشارك كل فرد في تحقيق التوازن بين القوى الاجتماعية حتى لا تبدد قوة الفقراء المعوزين سعياً وراء الحصول على قوتهم اليومي أمام سلطة سياسية تغلق أمامهم أبواب الكسب¹ و تمنعهم من المشاركة السياسية، و الحقيقة أن الحرية و التعبير عن الرأي و حرية التجمع جميعها تعتبر من أهم القيم الإسلامية بإعتبارها أساس كل دعامة حقوقية قانونية ثابتة لنظام إسلامي شامل كامل، بحيث يتمتع الكل داخل التنظيم الاجتماعي بممارسة حرية الرأي و التعبير بجميع أفكاره دون تمييز بسبب الدين و العرق، فقد مارس أصحاب كتب الحرية الاجتماعية و الفكرية و حتى أكل الأطمعة التي أباحتها ديانتهم و لهم الحق فيما يتعلق بالأحوال الشخصية و كذلك الأسرية، وحرية الجدل الكاملة الواعية و التي لا تضر الأمة العربية و الإسلامية و لا تتعدى على حقوق و حريات الآخرين.

و المقصود بالحرية هنا حرية الرأي أي لكل فرد أن يفكر و يعتقد و يعبر عن رأيه و معتقده دون تدخل السلطات أو هيئات أخرى شرط أن يحترم و يلتزم بالدستور الإسلامي و النصوص الذي أقرها² فقال الله جل ثناؤه " لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْغَرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا " سورة الأحزاب الآية 60 - 61، و لا يجوز نشر الفاحشة أو

¹ ينظر . الدكتور. بيرم عيسى . الحريات العامة و حقوق الإنسان بين النص و الواقع . دار المنهل اللبناني للطباعة و النشر الطبعة الاولى 1998 م - 1419 هـ ص 21 .

² المقصود بالدستور القرآن الكريم

ترويج المخدرات و المسكرات أو الدعارة بإعتبارها ظاهرة اللاأخلاقية و ما تخلفه من أثار مضرّة على المستوى الفردي و الاجتماعي، و على الصحة العامة و الآداب العام و النظام و إنهيار القيم و إفساد الأخلاق بإسم الحرية و نشر الإباحية و أمام الملام و هذه هي الوقاحة يحث عليها الشواذ، وقد وقع نظير هذا و يقع في الغرب، و تفسر هذه الأفعال بإثيان المنكر إذ أن الغرب يعلن و يجهر بالفاحشة و ما وصل به من الشناعة و البشاعة و الدنس و الفجور علانية. فإن الإسلام قد أباح الحرية العقائدية و الفكرية و السياسية و الحرية بالمنظور الإسلامي و هي دعامة لجميع ما سنه الله تعالى من الحق لإقامة مجتمع إنساني سليم، و الحرية هي أيضا الكرامة و بهما يستكمل الإنسان حقوقه و يمارس حرية الرأي و حرية الاجتماع السلمي و حرية تكوين الجمعيات بما في ذلك الانضمام إلى النقابات و المشاركة في إدارة الشؤون السياسية و تقلد الوظائف العامة في جهاز الدولة كمواطن في وطنه دون أي تمييز، و بالحرية تكون صورة المواطن متكاملة مثل الحق في التملك و ما يتصل بحقوق في توزيع الثروة و الحق في التنقل و إختيار مكان العمل و الإقامة و المساواة في العدل و ضمانات التقاضي و حق اللجوء السياسي و حماية اللاجئين السياسيين.

كما حدث في التاريخ الإسلامي أنه ترك اليهود و النصارى و غيرهم من ممارسة عبادتهم بالطريقة التي يرتضيها دينهم فبالإضافة إلى الآيات القرآنية التي نزلت حول هذا الموضوع قال الله تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ كَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ۖ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " سور البقرة الآية 256، لا إكراه في الدين، و يعني ذلك عدم إجبار أو إكراه إنسان على ترك ما يعتقد أو يدين به، حيث مارس الرهبان و الحبار شعائهم و عباداتهم داخل المجتمع الإسلامي فهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوصي أتباعه بعدم إيذاء أهل الذمة و هذا أبو بكر رضي الله عنه خليفة المسلمين الأول يوصي بحسن معاملة الرهبان في أدياتهم و كذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما زار فلسطين صلى خارج كنيسة القيامة في القدس الشريف، و المعروف أيضا أن اليهود و النصارى و أصحاب الديانات الأخرى عاشوا

تحت النظام الإسلامي في رعاية و أمان، حيث ترك لهم حرية الجدل و المناقشة العامة في إطار البحث عن الحقيقة، إذ يأمرنا القرآن الكريم في قوله تعالى : " **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** " سورة النحل الآية 125، و من قول الله عز وجل ثناؤه: " **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...** " سورة العنكبوت الآية 46، كما أقر المنظور الإسلامي حرية التفكير و حرية الرأي في الأمور السياسية و المدنية و التعبير عن الأفكار مكفولة للإنسان بإعتباره سيد المخلوقات و صاحب عقل يتميز عن غيره من الكائنات، و الإسلام أعطى الحق للمسلمين في مناقشة أولياء الأمور، في نظام الحكم و مبدأ تطبيق الشورى كما يقول الأستاذ أحمد أمين " إن الشورى الإسلامية نظمت في العصر الحديث بما يسميه الأوروبيون البرلمان، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تشكل في المدينة الحديثة بحرية الصحف في النقد، و حرية الأفراد و الجماعات في تأليف و إبداء الآراء في صراحة يستحسنون ما يرون، و يستنكرون ما يرون و يخطبون كما يشاؤون، فلا أحد معصوم و لا حكومة معصومة، و لا والي المتعالي معصوم، و إنما الذي يقومهم و يخيفهم و يلزمهم الحيادة و يقضة الرأي العام و حرية في النقد، و هذا ما سمي في القرآن : بالنواصي بالحق. كل هذا واضح جلي و لا بد منه، و لكن إدارة السلطان عبد العزيز هي الصخرة تنكسر عندها كل هذه الآراء"¹ " **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** " سورة البقرة آية 25

ويأتي مثال آخر في حرية الرأي مع عمر بن الخطاب عندما قال له رجال _ إتق الله يا أمير المؤمنين فإعترض أحد الحاضرين و قال لهم تقولون لأمر المؤمنين إتق الله فتدخل عمر بن

¹ ينظر. أمين أحمد . زعماء الإصلاح في العصر الحديث. الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن محمد و اولاده القاهرة 1975، ص 46

² ينظر، برهان غليون (و آخرون) . حقوق الإنسان " الرؤى العالمية و الإسلامية و العربية " الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005 ، ص 147

الخطاب و قال للرجل دعهم فليقلوها فإنه لا خير فيكم إذا لم تقلوها و لا خير فينا إذا لم نقبلها منكم.²

ومما لا شك فيه أن هذه الدرجة من الوعي و من سعة الصدر و ترك الحرية للأفراد كان له أكبر أثر في إعطاء حرية الرأي، و إرساء قواعد التجمع السليم و حرية تكوين الجمعيات ذات الطابع السياسي داخل المجتمع الإسلامي قبل قيام الأمم المتحدة و ميثاقها العالمي لحقوق الإنسان في 10 ديسمبر 1948، و قبل تمجيد حقوق الإنسان في الوثائق الدستورية الوطنية و العالمية التي ترجع إلى نهاية القرن الثامن عشر، و كان أول تفكير في حقوق الإنسان هي مسوغة و وثيقة فرجينيا للحقوق عام 1776 و هي أول إعلان للحقوق الإنسان طالب بها المستوطنون الأمريكيون من أصول أوربية جلالة ملك بريطانيا العظمي، و قد نصت هذه الوثيقة على بعض حقوق الإنسان الطبيعية مثل حقه في المياه و الحرية و في الأمن بوصفها حقاً قائماً على أحسن نظام لبرالي و قد كتبها توماس جيفرسون (1743- 1826)، و لقد تأثرت الثورة الفرنسية بالثورة الأمريكية فيما يتعلق بإعلان الحقوق الإنسانية عام 1789 و قد كتب الإعلان أما نوبل جوزيف سيبس (1748 - 1836) حيث جاء فيها أن السيادة ملك لشعب يمارسها بواسطة ممثلين عنه و الشعب هو و حده مصدر السلطات في المجتمع و الكل سواسية أمام القانون، و قد أنشأ كذلك مبدأ فصل السلطات التشريعية و القضائية و التنفيذية و التي أقرتها الجمعية التأسيسية ثم أصدرتها كإعلان تاريخي ووثيقة أساسية و إجتماعية ثورية في 26 أوت 1789، و ذلك بالإعتماد على نظريات المنظر الفرنسي جان جاك روسو و فلاسفة عصر الأنوار و الإنبعث و على رأسهم فولتير و مومنتيسكيو، و هكذا يعتبر إعلان حقوق الإنسان و المواطن الفرنسي ثورة غيرت كل شيء في الحقوق المدنية و السياسية إذ أصبح القانون يطبق على القوي و الضعيف، أي سيادة القانون و خضوع سلطة الحكم و الإذغان له و خضوع المحكومين له. و بناء على هذه الإستنتاجات نرى أن حل

مشكلة حقوق الإنسان و المواطن الفرنسي الذي جاء بها دستور (1791)¹ و حتى اليوم قد تغلغت نصوصه في نفوس الفرنسيين و صارت شريعة و منهاجا حازت الإهتمام بالنسبة لباقي الدول الغربية، إذ جسدت شمولية و عالمية صداه عندما نقرأ عولمته التي دخلت مضامينها في ميثاق عصبة الأمم المتحدة سنة 1920 بعد الحرب العالمية الأولى، ثم ميثاق الأمم المتحدة سنة 1945 بعد الحرب العالمية الثانية و صارت من ثوابت الثقافة الغربية و خصوصيتها و هي خصوصيات و ثوابت تختلف عن باقي الثقافات الأخرى. و لا بد من الإشارة إلى الدور الكبير الذي قام به المنظور الإسلامي مند خمسة عشر قرناً، إذ شرع حرية الرأي و التعبير مكفولة مع إبداء الآراء و التجمع و هو غير خاضع لأي قيد شريطة عدم المساس بحرية الأفراد و الجماعات الأخرى، و تعتبر حرية الرأي التي أقرها المنظور الإسلامي أنها تبرز أهمية النقد الذاتي فلا يقتصر الأمر على إعطائه للرجل وحده، بل إعطائها للمرأة أيضاً سواء بسواء و لعل قصة المرأة التي جاءت عند عمر بن الخطاب عندما قرر أن يأمر و ينهي جموع المسلمين عن الغلو في الزواج "الصدّاق" فعارضته معارضة شديدة و إستشهدت بقول الله جل ثناؤه " وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا " سورة النساء آية 20، و قالت الله يعطينا بالقنطار و أنت يا عمر تعطينا بالدينار فلم يعترض عمر بن الخطاب و هو خليفة للمسلمين و أقر بخطاه و قال _ كل الناس أعلم منك يا عمر_ حتى النساء، أصابت امرأة و أخطأ عمر _ و حرية الرأي مكفولة بالنسبة للأمر الديني، أما الأمور الدينية ليست مشاعاً لأي إنسان فلا بد لمن يتصدر لمثل هذه الأمور أن يكون من أهل الحل و العقد. و يقول في هذا الصدد الإمام علي للاشقر النخعي حين ولاه على مصر واصفاً مبدأ الأخوة في الإسلام " و لا تكونن عليهم ليثاً ضارباً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في الخلق "¹

¹ ينظر. الدكتور. بيم عيسى . الحريات العامة و حقوق الإنسان. بين النص و الواقع. الطبعة الأولى، دار ... اللبناني للطباعة و

النشر بيروت 1998 ص 138

¹ - ينظر. الدكتور نايف معروف . الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين. الطبعة الثالثة، دار النفاس للطباعة و النشر بيروت 2005 ص

يتضح لنا من هذه الدراسة أن المنظور الإسلامي ينظر إلى البشر جميعا على أنهم سواسية لا فرق بينهم إلا بالأعمال الصالحة للإنسانية حتى يعيش عيشة راضية، نتيجة المساواة التي لا تأتي إلا بالتشريع الإسلامي الذي حث و نمى و جدان الفرد و حرره من خرافة التفوق أي تفوق الأجناس، إذ قدر الإسلام و حدة الأجناس في المولد و المصير و في الحقوق و الواجبات أمام الله سبحانه و تعالي و أمام الشريعة في الدنيا و الآخرة و ليس في الإسلام فضل إلا بالتقوى .

ن - حقوق الأقليات في الإسلام:

إن كفالة حقوق الأقليات في الإسلام قد أرسى دعائمها منذ خمسة عشر قرنا، فهي أقدم من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فقد كانت هيئة الأمم المتحدة قد أعلنت في ميثاقها أنها تعمل على تأمين الحريات الأساسية داخل المجتمعات الإنسانية كافة و بخاصة منها المجتمعات المغلوبة على أمرها و الفقيرة منها، و تنمية العلاقات الودية بين الشعوب و الأمم على أساس الإحترام المتبادل و الذي يفضي بالمساواة على قدم و ساق في الحقوق بين الأمم لكل منها حق إختيار النظام السياسي بدون قيد أو شرط بإعتباره حقا أساسيا من حقوق الإنسان كالثورى، أو النظم الديمقراطية العربية و حقوق الأقليات التي يحكمها النص القرآني الكريم " **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** " **سورة البقرة آية 256**، و المبدأ العام بالنسبة للآية القرآنية لا يجوز إكراه أحدا على إعتناق و دخول الإسلام إلا على بينة من أمره و بصيرة لأنه لا يفيد من دخل في الدين الإسلام مكرها مقصورا، لا بد من أن يشرح الله صدره و يهديه للإسلام و للإيمان و يطمئن إليه قلبه عن إقتناع، و حسب الإقتناع يكون للأقليات ما للمسلمين و ما عليهم بإعتبارهم ضيوف نازلين في كنف المجتمع الإسلامي و لا يحجر على حركاتهم و يخضعهم للرقابة و المدهمات الليلية و التفتيش من آونة لأخرى، و هم على كل حال لهم أوضاعهم الدينية و لهم أحوالهم الشخصية يحكمها التشريع الإسلامي إن هم تحاكموا إليه و تبرز أهمية هذا الحكم في قوله "... **فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** " سورة

المائدة الآية 42، و هذه هي سماحة التشريع الإسلامي في المعاملة و الحكم إن تحاكموا إليه، فإن لم يتحاكموا إليه كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي عندهم لأصل الهي إذ قال سبحانه تعالى: " وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ " سورة المائدة 43، و أيضا " وَلِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " سورة المائدة الآية 47، و قوله جل ثناؤه " ...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا... " سورة المائدة الآية 48، و ينبغي أن نشير أن المجتمع الإسلامي قد أتاح للأقليات ببناء البيع و الكنائس و إقامة الشعائر الدينية في معابدهم و ديارهم، فلا يجرمون منها أو يمعنون إلا بما يضر أو يعطل شعائر الإسلام و عقيدته، و الإسلام يعامل الأقليات بالمعاملة و حسن المعاملة في غير عنصرية و المشهور أنهم لا يدعون إلى القضاء في أيام أعيادهم لقوله صلي الله عليه و سلم : (أنتم يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت ¹ ، يبين لنا هذا أن الأقليات تتمتع بالحريات و الحقوق و تدير شؤونها داخل كيان الدولة الإسلامية بلا تمييز و لا محسوبية و لا عرقية، و لا يجوز أن نفرق أو التفريق بين رعية و أقلية فالخدمات تقدم من طرف الدولة لجميع الأفراد المحكومين للمجتمع فالمواطن جميعا كتلة واحدة، و لا تصدر حرية أي فرد و من ثم نرى أن عمر بن الخطاب رأى شيئا يهوديا يتكفف فأمر له بالرزق يجريه عليه أي المعاش من بيت مال المسلمين و قال له " ما أنصفناك يا هذا، أخذنا منك الجزية فتى و أضعناك شيئا ² . و قد أرشد القرآن الكريم المسلم بأنه مأمور بتصديق جميع الأنبياء من قبل محمد صلى الله عليه و سلم، " قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " سورة آل عمران آية 84، هكذا نرى أن الأقليات في الإسلام تتعايش بمقتضى حماية الحكومة الإسلامية التي تتولى رعاية مصالحهم الجماعية إلى مستوى لائق بهم دون تجريح

¹ ينظر. العقاد عباس محمود. الديمقراطية في الإسلام. دار المعارف بمصر 1964، ص 120 و ما بعدها.

² ينظر. الدكتور الجبوري جميل عائد علي. دراسات في الحضارة الإسلامية. المدينة المنورة عام 1991 م ص 188.

لشخصيتهم و مصادرة لحریتهم، بل تعمل جاهدة للنهوض بما ينفع العباد و ما يحقق العدل للناس كافة حيث يتساوون أمام الله تعالى في الحقوق و الواجبات لأن رسالات السماء منذ أن نزل آدم إلى الأرض و الأنبياء الذين جاؤوا بعده و ختمت على يد خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و سلم، أعلنت أن جميع البشر إخوة و أن رسالات الأنبياء واحدة، و أن المقصود أو الهدف الذي من أجله بعثوا كما أعلنه الإسلام هو تصحيح العقيدة و هي الفطرة التي فطر الله البشر عليها أن كل إنسان يميل إلى أخيه الإنسان منذ فجر الإنسانية التي أدت إلى الاجتماع الإنساني بالضرورة و ذلك بما يتواءم و الأخلاق القرآنية الطيبة، فالقرآن الكريم يأمرنا بالصدقة و الإحسان و إيتاء ذي القربى و الوفاء بالعهود و الإحسان في الأقوال و الأفعال و العدل و إنجاز الوعود و إكرام الوفود، وحب الأقربين و إحترام الجيران و حماية اليتامى و المساكين و ابن السبيل¹ ، من أجل تكوين مجتمع صالح يجد فيه كل فرد مأمناً، ينشر فيه الوثام و الخير للجميع و ترفع فيه راية السلام و يبحث على تفاهم الآخر قصد قيادة البشر و نشر العدل و خلق روح الإبتكار في الفرد و في مختلف مراحل حياته و نتيجة لذلك عاشت الأقليات النصرانية و اليهودية و غيرها من أهل الكتاب، بل حافظت على عقائدها و مذاهبها الدينية السابقة و حتى العادات و التقاليد و طراز الحياة، و تمتع النصارى العرب في ظل الحكومة الإسلامية كباقي المجتمع الإسلامي، و يدلنا على ذلك مكانة الأخطل الشاعر في مبدأ التعددية و إحترامها في حدود المعقول و في نفس الأقليات في جميع الدول العربية و الإسلامية محمية من طرف الأغلبية لأن المنظور الإسلامي يعامل الكل بعموم الإحسان فقال الله تعالى: " لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" سورة البقرة الآية 272 .

ر - حق التعليم :

¹ ينظر . العقاد.عباس محمود . الفلسفة القرآنية (كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية و الاجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات الكتاب الكريم). منشورات المكتبة العصرية . صيدا. بيروت بدون تاريخ ، ص 88.

رأينا أن الحقوق الأقليات مكفولة في الإسلام على درجة كبيرة من التسامح الذي يسود بين عامة المجتمع الإسلامي و الطمأنينة المطلقة، التي هي من المسلمات عند العرب و المسلمين حتى و إن كان الإستعمار ترك ميراث داخل الدول العربية و الإسلامية، بالرغم من نقاوة الطبيعة و عقبات و مدى المشاكل السياسية من دولة إلى دولة، إذ عمل على خلق الأقليات داخل الكيان العربي الإسلامي، حتى يضمن العودة من جديد بدعوى أن الدول العربية و الإسلامية تقلل من شأن وجود الأقليات، كالبربر في المغرب العربي و خاصة اللهجات " التشلحيت "، و أنشأ الإستعمار قوى من الحركى بالترتيب بداءة بالطائفية بالعراق بين أبناء الدولة الواحدة و الوطنية الواحدة إلى أكراد و تركمان و سنة و شيعة، و هذا قبل الإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين، وبث الكراهية في منطقة المشرق العربي و عرقلة الديمقراطية في فلسطين خشية الإنسجام بين حركة فتح و حماس و باقي الفصائل، و العمل على القلاقل في سوريا بين العلويين و الأكراد، كما حدث في شهر مارس 2004 في المنطقة الكردية بسوريا من مصادمات و توترات عرقية و طائفية، و الأقباط في مصر و الإسماعيليين، و في المملكة العربية السعودية و الدروز و المارونيين و أطياف أخرى في لبنان و القائمة طويلة في العالم العربي و الإسلامي، حتى يأتي الإستعمار الغربي تحت غطاء حماية الأقليات بواسطة القوة العسكرية بطريقة القضاء على الدولة بما حملت و فرض رؤى العولمة برؤى غربية مستمدة من قيمه و ثقافته و أفكاره و مبادئه، و السبب الكبير هو الإسلام مستهدفا شريعة و عقيدة. لأنه يؤلف بين الشعوب العربية الإسلامية بثقافة متميزة واحدة عن باقي الثقافات الأخرى كالرومانية و الإغريقية، إذ تفوقت الثقافة العربية الإسلامية عليهما و على غيرهما. و بذلك نرى أن حق التعليم واجب و فرض و إلزامي على الآباء و الأمهات إذ به تتحقق حسن تربية البنين و البنات، فقد هيا الله سبحانه و تعالى في هذا الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم وزوده بأدوات التعلم ووسائل التلقي و لقد قال جل ثناؤه " **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** " سورة النحل الآية 78، و لئن كان الحصول على العلم بالإسماع و الأبصار كما هو في الآية القرآنية

الكرامة يتم أيضا عن طريق الإدراك بالوقائع و الحواس إدراك مباشر في حين وقوعها، وهو أحد طريقي العلم بها، ثم يأخذ بها على مر الزمن طريقه إلى تحقيق القيم و المثل عليا و الإرتقاء الفكري حتى يبلغ أشده لكي يؤدي دوره في التغيير عن طريق تكوين علاقات صحيحة بالدوائر العلمية الذي تحيط به، بهدف ربط موضوعات البحوث بخطط التنمية الإقتصادية و الاجتماعية حتى يتكون وجود الفرد المعنوي مضمار العولمة من غير أن يتأخر عن قطارها المندفع بسرعة البرق بلا هوادة و يعتبر التعليم المنفذ الوحيد الذي يفجر المعرفة العلمية و ضرورة الإتصال بين الفرد و الطبيعة التي يحيا فيها و تشد حواسه و بصيرته التي تتلاءم مع مقدرته الفطرية من ناحية و غرس فيه قيم المجتمع و مثله و نظامه مما يحقق في نهاية المطاف إنسجام ذلك المجتمع و تماسكه و أمنه و إستقراره و تطوره و من ثم فاعليته، و عندما يبصر الفرد حقيقة ما يحيط به من الأشخاص و الأشياء و يعي ما هو مطلوب منه ينبغي أن يجمع بين تسامي القيم و الأخلاق و بين إمتلاك أسباب القوة المادية و الوثام و الأمن و السلام، و هذا لا يتأتى و لا يتحقق إلا بالعلم و إمتلاك أسباب القوة القاهرة و الأكثر فاعليه في الوصول إلى مجال إمتلاك المعرفة و الثقافة العالية و المنعة الإقتصادية و العسكرية و الفكرية بالتنسيق مع القدرات الوطنية الهادفة الفعالة، إذ يمثل التعليم بالنسبة للفرد السلاح الأول في إمتلاك الثروة الإلكترونية بأسلوب علمي صحيح و مما يجعله يتحدى قوة الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في الثقافة الصناعية الحربية و الزراعية و السلاح و الإدارة و التخطيط الطويل المدى. و المراد من كل هذا الكلام، هو القول الفصل أن التعليم هو الذي يوثق العلاقات بين الفرد و بين العوالم الذي يعيش فيها بين أراضيها و سمائها و يشهد العالم اليوم على ذلك في مجال المعلومات و المخترعات التي ليس لها نظير في القرون الخالية، وهناك اليوم مقومات كثيرة تدعوا إلى ظاهرة التقنيات التي تعتبر أن التقدم التقني هو أهم مصادر للنمو و التطور الإقتصادي الذي تحتكره الدول الصناعية على المستوى العالم، حيث تتم صناعة السيارات و الطائرات و تحويل الموارد إلى سلع و خدمات و تطوير السكنات و الزراعات على يد الشركات العالمية التي تقوم على الإحتكار و السيطرة و تلغي

أي فرصة لظهور منافسين محليين، أو محتملين، فهي تبقى الحصان الأول في حلبة السباق العالمية¹، و طالما ظل العرب و المسلمون في البلاد الفكرية و الرذيلة النفسية فلا أمل في واجهة العولمة، ذلك أن قوى الولايات المتحدة الأمريكية تأتي من إمتلاك و تحكّم في الثقافة الحربية عدة و عتاد بالسيطرة على الموارد و الأموال و النفط و الإحاطة بالعالم العربي و الإسلامي من جميع الجهات، و في هذا السياق أصبحت التنشئة الاجتماعية عملية يعاد فيها النظر الشامل الذي يحدد لماذا نتعلم و ماذا نتعلم و كيف نتعلم و هل نتعلم " فك الحرف " و نحو الأمية على أنها من مستلزمات التطور و التقدم و الفعالية في القرن الحادي و العشرين، و الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم في التكنولوجيا و تفهمها و تهممها و توظفها و تستخدمها في الصناعات الحربية و تنشأ صناعات جديدة تعتمد على الموارد المحلية و الإطارات المحلية و الأدمغة المهاجرة لها و الكوادر من جميع أنحاء العالم، و أننا إذا عدنا إلى القرآن الكريم و السنة الشريفة نريد أن نرتقي و نتقدم بأسلوب منطقي مدروس لإنجاز التقدم بوجود فلسفة شاملة تؤطر التربية الإسلامية التعليمية و تجعل الحياة الاجتماعية كيان متناسقا، متزن يسير في الطريق الصحيح بعيدا عن التلاعب أو تلاعب بعض فئات المحسوبة على مناهج التربية و هم في الحقيقة مجرد أناس باحثين عن "لقمة العيش"، و بكثير من اللامبالاة فيما يتعلق بالتعليم الذي هو العمود الفقري المحقق للأمة الذخيرة الهائلة من الإنتاج الفكري و المعرفي، مما هو موجود في تراثنا مثل الفارابي و الغزالي و ابن سينا و ابن خلدون، فإحتلت مسالة التعليم حيزا كبيرا في كتاباتهم و مشاريعهم الفكرية التي شاعت قبل فلاسفة عصر التنوير الذي فتح شهية الغرب على الهجوم على العرب تحت تأثير ما عرفوه عن العالم الإسلامي، فالإيمان يرفع الوساطة بين الله سبحانه تعالى و الإنسان و الحقيقة أن القارىء لسورة العلق يستشعر فضل العلم و أثره و قيمة القلم الذي به تصد الإنسان زمام القيادة و الريادة قال الله تعالى: " اقرأ باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

¹ ينظر. الدكتور. الصيداوي أحمد. الدراسات في الجامعات العربية: من الواقع إلى الحاجات. مجلة إتحاد الجامعات العرب 2000 ص

، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" سورة العلق آيات 1-5، و مما لا شك فيه أن المجتمع العربي الإسلامي مطالب بتحصيل العلم و يقبل عليه لإستشراف أفاقه للمستقبل و البدء بعلاج مشكلاته الرئيسية و العامة و العمل على تنويع أنماطه و تطوير مناهجه و طرقه لمواجهة العولمة و إزاء ذلك فنحن بحاجة إلى :

أ- المدرسة العربية مفتوحة يأتيها الطفل و هو على فطرته إذ يستوعب و يستفتح أبواب المعرفة بقوة، عندما تقوم المدرسة بتوسيع مدارك هذا الطفل و تخصيص العلم الذي يتلقاه بلون معين من الثقافة حتى تجعل الحياة أمامه كتابا مفتوحا قابلا للقراءة و التلاوة و المناقشة و في هذا التفتيق الذهني القوي في تلقي المعارف فيتحول الطفل في هذه الحالة إلى المنتبه بدل آلة تستقبل من دون تفكير .

ب- المتوسطة العربية مكمل للمدرسة الإبتدائية حيث يكبر الطفل و يبدأ في تلقي العلوم الرابطة بينها و بين فلسفة تجمعهما برامج الإشراف البيداغوجي الواحد على جميع المواد الدراسية المتوسطة و تولى إعداد أعضاء هيئات التدريس في مختلف التخصصات و إمداد الثانويات بالتلاميذ.

ج- الثانوية العربية متممة للمتوسطة حيث يدخل التلميذ فصلا آخر يتعلم فيه تاريخ الحضارة الإنسانية بصفته إنسان، و يهيم هذا التلميذ في عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى و لكن تهيئة الجو للتلميذ يجعله يستوعب الحصص القصيرة و الطويلة ضمن خطة بيداغوجية متكاملة للحاجة.

د- الجامعة و هي نظام التسجيل الموجه كما هو في الجامعة الجزائرية حيث يشمل التعليم العالي مختلف أنواع التعليم و المواد التي درست في المرحلة الثالثة بداية بالمدرسة الأساسية و الثانوية حيث تم التدريس باللغة الوطنية التي يدرس بها الطالب إلى جانب لغات أجنبية و الإحاطة بها.

هـ- جامعة التكوين المتواصل، التي تسهم في تكوين متواصل و في وضع خطط قصد أداء رسالة التعليم العالي بالنسبة للطلبة و غيرهم، و في نفس الوقت تخفف من أعباء الجامعة الرسمية

في إستيعاب فئات عمرية من الطلبة للإخراط في سلك التعليم العالي و تهيئ للطلاب حرية إختيار مناهج فيها من قابلية التطوير ربما أكثر مما يوجد في الجامعة الرسمية .

و- الجامعة النوعية: إنما في بداية القرن الحادي و العشرين نتطلع إلى جامعة تكون مبرأة من كل النقائص و المشكلات و العيوب حيث تصرف غايتها و عنايتها و جميع طاقاتها حتى تكون قاعدة التعليم النوعي الذي يتلقاه الطالب و توجيه الطلبة النجباء إليها و تحسين نوعية التكوين الذي كان يؤديها أسلافنا القدماء حين يصفون عالم من العلماء زمانهم بأنه (الم من كل علم بطرف)¹ بذلك نرى أن الجزائر تحقق مثل هذه الجامعة و ذلك منوط بجل أهم مشاكل التعليم الجامعي في كل الميادين جامعة ترعاها الدولة الجزائرية و تتعهدا، لتحقيق رغبات الطلبة الأوائل في فروع الثانوية على مستوى الجمهورية، فتنفاعل الثقافات و يشتد التنافس و هذه الجامعة يركز فيها على المناهج التطبيقية و التقنية و يقلل فيها من الدراسات النظرية و الإنسانية كما يجب تحديد عدد الطلبة و تهيئ فيها ظروف العمل من أساتذة مختارين و مختبرات جد متطورة و أجهزة حديثة متوفرة و مكاتب عامرة و غنية و الإحتكاك المباشر مع الجامعات العالمية حتى تتاح فرص المناقشة و تبادل الخبرات و البحث و تطوير مساهمة الأساتذة في الإبداع فإن عليهم واجب تشجيع الطلاب الموهوبين لتحقيق و الإمام بالمادة العلمية التي يتخصص فيها الطالب حتى تكون قريبة من حاجات التنمية الوطنية و الحاجات الملحة الأخرى للمجتمع الجزائري، و هكذا فإنه يتم حينما يعطي الفرد حق التعليم القائم على مبدأ المساواة، و على حريات الإقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية، فالتعليم يحقق التنمية الشاملة التي تربط بحرية إبداء الرأي بحرية التعبير فكلاهما يهتم بالعقل و الفكر و الوجدان الذي يحقق للأفراد النمو الشامل عقليا و جسميا و صحيا و روحيا بما يمدهم و يمكنهم من الحياة السعيدة الحرة الكريمة و بمستوى معيشي مناسب و تربية

¹ ينظر. الدكتور. الأسعد عمر . الجامعات العربية حتى العام 2000م . الواقع و التطورات المستقبلية . مجلة اتحاد الجامعات العربية مرجع سبق ذكره. ص 32-351 .

متوازنة تجعل للفرد الحق في التعليم القائم على المساواة بين الأفراد و تكافؤ الفرص التعليمية و إجراء الدراسات العلمية و التجريبية.

كما جاء في الأحاديث الشريفة المشيرة إلى التعليم في جميع مراحلها منها قول محمد صلى الله عليه و سلم : " من سلك طريقا التمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " ¹ و قال أيضا : " ما إكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن رديئ " ² و قال : " لا حسد إلا في إثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها " ³ و قال : " الله و ملائكته و أهل السماوات و الأرض، وحتى النملة في جحرها و حتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير " ⁴ و قال : " طلب العلم فريضة على كل مسلم، و واضع العلم عند غير أهله كما قلد الخنازير الجوهر و اللؤلؤ و الذهب "، إن الحث على التعلم و التعليم إلزامية يؤديها الفرد و يرحل لطلبها سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو اليابان و إلى أقصى المشارق و المغرب، حتى يطلع على التطور التقني الذي شهده العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين الماضي، و إلى الأشكال الجديدة من التعاون الاجتماعي و نشأ طبقة النخبة من محتكري الفن المعلوماتي في شبكة الأنترنت في عصر العولمة، و التطور التكنولوجي الذي أدى و سيؤدي إلى التحولات و التغيرات الإقتصادية و الاجتماعية، و الغرب يمر من مجتمع صناعي إلى مجتمع المعلومات حيث ربط التعليم كأداة رئيسية في تكوين و تطوير العقلية الوطنية و الثقافة الوطنية، أيضا إمداد الوطن بالأساتذة القادرين على الإرتقاء بالمجتمع و تطوره من خلال التربية و التعليم كما ربط الحق في التعليم من خلال تعليم حقوق الإنسان لأن حقوق الإنسان جاءت بها الثورة الأطلسية كمبادرة و قيم يجب أن تتعلمها و تتحترمها جميع الإنسانية، و إن

¹ - الشيخ محمد الغزالي مرجع سبق ذكره ص 147

² الشيخ محمد الغزالي مرجع سبق ذكره ص 148

³ الشيخ محمد الغزالي مرجع سبق ذكره ص 150

⁴ نفس المرجع: ص 164

المجتمع العربي الإسلامي الذي يسير في مرحلة إنطلاق كبيرة كما سار منذ خمسة عشرة قرنا و خلال القرون الأولى من ظهور الإسلام الذي حرر العقل الإنساني و ما حفل به من الحريات و ما سنه من عدالة إجتماعية و مساواة حتى أصبح الإنسان قادر على التوأم مع أي شيء، و القارئ لكتاب الله تعالى سيجد أنه كتاب يصل الإنسان بالكون و خالق الأكوان لقوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" سورة الأنعام الآية 95، و أيضا " فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" سورة الأنعام الآية 96، و للإنسان حق التعليم و حرية التعبير و الرأي و حق المشاركة في القرارات السياسية في هذه الحياة من خلال تلقين الإنسان المفاهيم العلمية و إختيار نوعية التعليم الذي يتلقاه و أن يتمتع بفرصة متكافئة متساوية مع غيره من أترابه، و يكون التعليم ضروري أو ما يطلق عليه مستوى التعليم الإلزامي حتى يعرف الإنسان ماهيته و من أين أتى، و يقول الله سبحانه و تعالى " وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ " سورة الأنعام الآية 98 و أيضا " وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" سورة الأنعام الآية 99، فقد إهتم الإسلام بالعلم و المستقرئ للإسلام بمنظوره للإنسان و للعلم يجد أنه لم يبدأ الإسلام بمحمد صلى الله عليه و سلم و إنما بدأ بالإنسان و شمل كل أفراد من الجماعات البشرية في صعيد واحد و القرآن الكريم يبين هذا " الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " سورة الرحمن آيات 1-4 و في هذا السياق نرى أن ما أتى به القرآن الكريم في ميدان العلم هو دعوة الإنسان إلى العلم و إلى الإسلام هي الأصول الأولية في رأينا التي قرنت بين الأجرام السماوية و الحساب و هي ما يمثل منظور الإسلام للإنسان و للعلم و للإلهية و معرفة الحقيقة في الإنسان نفسه و في الكون و في كل ما فيه من آيات طلبا للعلم و لمعرفة الله تعالى سبحانه،

و حررت الإنسان من الأباطيل و الأساطير التي يكون قد إكتسبها خلال التنشئة الاجتماعية

ز - حقوق الدفاع و الضمانات القضائية في الإسلام :

لقد إختص الله تعالى الإنسان بالعقل ليرشده إلى طريق النجاة و السعادة في هذه الحياة بتوفير الحق في التعليم و جعله إلزامي، و على المجتمع أن يساعد الإنسان بالإمكانيات التربوية و التعليمية و البيداغوجية الممنوحة لتحقيق النجاح، فقد عنى الإسلام و الشرائع و الأديان السماوية بالتعليم و الحجة على ذلك أن أول ما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم بصفة الأمر (إقرأ) لأن القراءة تأتي عن طريق الكتابة التي هي الوسيلة التي يتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات و بها يتعاطى العلم و المعرفة و الشعور و الإدراك و بالعلم النافع الذي دعا إليه الإسلام بصفة خاصة القضاء، فهو مبدأ المساواة بين المتقاضين أغنياء كانوا أو فقراء و هو مبدأ من مبادئ الإسلام، بل أهم مبدأ بمنظور الإسلام إذ حمى الضعفاء من فكرة الطبقة عندما كانت عدالة للأغنياء و عدالة للفقراء كما هو الشأن في القانون الروماني و الأعراف الجرمانية و حتى التشريعات الهندية و الجاهلية تتميز في إيقاع الجزاء بين الأغنياء و الفقراء، و المنظور الإسلامي جاء بالمساواة بين الناس في العدالة و التقاضي و القرآن الكريم قد نادى بهذا منذ خمسة عشرة قرناً فقال الله تعالى : " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ " سورة ص الآية 26 وقال جلي في علاه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " سورة النساء الآية 135

و إنطلاقاً من هذه النصوص السامية إجتهد المسلمون على مر أزمانهم و على رأسهم أول قاضي هو محمد صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا " سورة النساء الآية 105

وقوله تعالى: " وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ " سورة المائدة الآية 49، يتضح من الآيتين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مأمور بأن يقيم و يحكم بين الناس بالكتاب الذي أنزله الله عليه و القيام بالوظيفة القضائية على الوجه المطلوب، و هو الحكم و الفصل بين المتقاضين بالحق و العدل كما قال صلى الله عليه و سلم: " إنما أنا بشر إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فاقضي بنحو ما أسمع فمن قضيت له من أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار"¹ ويدل على ذلك أن محمد صلى الله عليه و سلم تولى القضاء بنفسه الشريفة و حرص عليه و على تطبيق الأحكام بالإلزام بين الخصمين كما روى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى في إمرأتين من هذيل، إقتلتا فرمت إحداهما الأخرى بجرح فأصيب بطنها فإختصموا إلى النبي فقضى أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة "²، لذلك فإن حقوق الدفاع و الضمانات القضائية في الإسلام تقوم في الأصل بالمساواة التي تكفل للخصوم حرية الدفاع و المرافعات و المناقشات من أجل حماية الحق و كرامة الإنسان و تحقيق العدل، و منع الأذى و الظلم و العدوان على حقوق الغير و نهي عن مخالفة أوامر الله لهذا قا الحق سبحانه و تعالى: " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " سورة الحديد آية 25، إن النصوص القرآنية الكريمة جاءت لبيان الحكم الشرعي و الإخبار به و لتصحيح مفاهيم الحكم القضائي الذي يمثل حرية المواطن و إرادته بشكل قانوني بين علاقة الحاكم بالمحكوم من

¹ ينظر. الدكتور . بودي حسن محمد . ضمانات الخصوم أمام القضاء في الشريعة الإسلامية. " دراسة مقارنة بالقانون المصري. الجامعة الجديدة الإسكندرية 2006، ص 18

² ينظر . الدكتور السحمراني أسعد . العدل فريضة إسلامية و الحرية ضرورية إنسانية. دار النفائس الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م بيروت، ص 29 .

خلال النظم السياسية عن طريق أداء حقيقة الإسلام الذي هو دين و دولة، عقيدة و شريعة، نظام و أخلاق، سياسة و حكم، الذي يزيل الغموض كما جاء في النص القرآني الكريم قول الله سبحانه " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " سورة النساء الآية 58، نستطيع القول أن هذا النص القرآني يدعو إلى إقامة العدل بين جميع فئات المجتمع، وفي كافة مواقع المسؤوليات و كل من ولي أمر من الأمور إدارية و إقتصادية و سياسية و إجتماعية و ثقافية فعليه تأديتها و رعايتها بأمانة، و قد قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة الأنفة الذكر إلى إظهار الآية أنها عامة لجميع الناس فهي تناول الولاية فيما إليهم من الأمانات و في قسمة الأموال و رد الظلمات و العدل في الخصومات ... و تناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع و التحري في الشهادات و غير ذلك كالرجل يحكم في نازلة و ما نحوه، و هذا ما ذهب إليه الحديث الشريف " كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته "، فالإمام هو مسؤول عن رعيته و الرجل راع على أهله و هو مسؤول عنهم و أن المرأة راعية على بيت زوجها و هي مسؤولة عنه) - رواه البخاري و المسلم - بهذا المبدأ بدأ العالم منذ القرن السابع الميلادي يشهد تشريع إسلامي مكتمل من حيث حماية حقوق الأقليات اليهودية و النصرانية في العالم الإسلامي، و حتى سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية عام 1924 وضعية إجتماعية لائقة فإستطاعت خلالها ممارسة شعائرها و عقائدها الدينية و القانونية و الحقوقية و كافة التشريعات و الأحكام على ما ينظم العلاقة فيما بينها، و بهذه المرتبة كانت الأقليات ترتقي إلى أعلى المناصب و المراتب في المؤسسات و الهياكل السياسية و الإدارية و إحتلال أيضا المناصب العلمية بمقتضى ضمان الإسلام و الإعتراف بالأديان الأخرى و بتشريعاتها و مؤسساتها، و كفالة حقوقها ما دامت معاملاتهم تحفظ حقوق الغير في قضاء مصالحهم و أضحى المنظور الإسلامي يتميز بعدم التفرقة على كل المخاطبين بأحكام الشريعة الإسلامية التي جاءت لمقاومة الظلم و الإستبداد و الطغيان و الإضطهاد و التعذيب، و هي الأكثر ملائمة لضمان حقوق الجماعة و المقومات الأساسية في كل ما يرتبط بالجانب

السياسي و الإقتصادي و الاجتماعي و لأهمية هذه المفاهيم هو إحترام الآراء و الأفكار للأفراد الذين يخالفون قواعد الإسلام و أصوله الكلية، و المثال على ذلك ما روى أن علي رضي الله عنه إدعى على ذمي درعا سقطت منه فقال القاضي للذمي ما تقول فقال مالي و بيدي فقال لعلي كرم الله وجهه ألك بينة أنها سقطت منك قال نعم فأحضر كلا من الحسن ولده و عبد قنيره فقال: قبلت شهادة قنير و رددت شهادة الحسن فقال علي ثكلتك أمك أما بلغك أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة " فقال اللهم نعم غير أني لا أجزى شهادة الولد لوالده، فقال لليهودي خذها فليس عندي غيرها فقال اليهودي لكني أشهد أنها لك و أن دينكم هو الحق هذا قاضي المسلمين يحكم على علي أمير المؤمنين و يرضى اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله فدفع أمير المؤمنين علي الدرع له فرحا بإسلامه¹ ، و هذا يعني أن السلطة القضائية مستقلة عن السلطتين التنفيذية و التشريعية فلا يحق لأحد أن يتدخل في أعمال القضاة أو أن يكون له إمتياز و أفضلية على غيره من المواطنين في الدعاوى و الحقوق و الأحكام، فجميع الأفراد حكام و محكومين سواسية و متساوون أمام القضاء حتى لو كان خليفة المسلمين علي كرم الله وجهه بالإضافة أن أنظمة القضاء الشرعي وجدت متوافقة على مبدأ إستقلال السلطة القضائية حيث أنه لا يجوز للسلطة التشريعية أو السلطة التنفيذية الفصل في الخصومات التي تنشأ بين الأفراد لهذا إهتم المنظور الإسلامي بمبدأ إستقلال القضاء عن السلطتين التشريعية و التنفيذية، و هذا يعني أن القاضي يحكم في أية قضية من القضايا بإرادته الحرة و ليس لأي إنسان كائنا من كان أن يملي على القاضي ما يخالف ضميره و لا يتلاءم مع عقله بغض النظر عن المحكمة التابع لها القاضي حتى لو كان رئيس هيئة قضائية أعلى من المحكمة التابع لها القاضي المعني بالقضية أو حتى وزير العدل حافظ الأختام بإعتباره المسؤول الأول عن القاضي و القضاة و القضاء، لأن المنظور الإسلامي يؤكد على حياد القاضي و يطالب بنزاهته حتى لا يثير الشك في أحكامه و بهذا يتفق و المبادئ الأساسية التي جاءت بها الأمم المتحدة بعد أربعة عشرة قرنا

¹ ينظر. دكتور. حسن محمد بوري مرجع سبق ذكره ص 34

من الزمان أكدت هذه المساواة المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 ديسمبر 1948، إذ نصت المادة الأولى (على أن جميع الناس متساوون في الكرامة و الحقوق و هم قد وهبوا العقل و الوجدان و عليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء)¹ ، كما نصت المادة الحادية عشرة من نفس الإعلان كل شخص متهم بجرمة يعتبر بريئا إلى أن يثبت إرتكابه لها قانونيا في محاكمة علنية تكون قد وفرت له فيها جميع الضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه.

- لا يدان أي شخص بجرمة بسبب أي عمل أو إمتناع عن عمل لم يكن في حينه يشكل جرما بمقتضى القانون الوطني أو الدولي كما لا توقع عليه أية عقوبة أشد من تلك التي كانت سارية في الوقت الذي إرتكب فيه الفعل إجرامي²

الأصل في الإنسان البراءة و المتهم بريء حتى تثبت إدانته بمحاكمة عادلة و يمكن الإستدلال برسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما قال له: " أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، و سنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك و أنفذ إذا تبين لك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس الناس في مجلسك و في وجهك و قضاءك حتى لا يطمع شريف في حيفك و لا يبأس ضعيف من عدلك البينة على المدعي و اليمين على من أنكر و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا و من إدعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهي إليه، فإن أعطيته حقه و إن عجزه ذلك إستحللت عليه القضية فإن ذلك هو أبلغ للعدر و أجلى للعمى و لا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجع فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه إلى الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء و مراجعة الحق خير من التماري في الباطل...³

هذا النص من الرسالة العمرية في القضاء يتضح فيها أهمية و مكانة القضاء بالمنظور الإسلامي، وقد ولت المبادئ القضائية و ما يجب على القاضي من الإستماع إلى الخصوم و عدم

¹ امير موسى مرجع سبق ذكره ص 19 .

² نفس المرجع: ص 88 .

³ ينظر. التريباتي عبد المجيد. مدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي. طبعة الأولى. مشورات جامعة قارونس بنغازي ليبيا 1994 ص 85

مقاطعتهم بغير مبرر و إتاحة الفرصة لهم، و من ثم يتناول القضية بالتمحيص أو التنفيذ و على القاضي أن يساوي في مجلس القضاء بين الخصوم لأن لفظ الناس في العمرة يتناول المسلم و غير المسلم دون تفرقة قال تعالى " ...وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...." سورة النساء الآية 58، و حق التقاضي حق معطى بالنسبة للمنظور الإسلامي لكل إنسان مقيم مسلم أو غير مسلم لأن التقاضي هو رفع الظلم في كل نزاع يقع بين الأفراد، و القاضي بإعتباره مستأمن على مصالحهم و حرص مصلحة المتقاضين و العمل على تيسير كفالة حق التقاضي لكل صاحب حق، إن الإسلام يتميز بالوضوح التام في القضاء بالنسبة لحقوق الإنسان كتلك القضية التي عرضت على رسول الله صلى الله عليه و سلم نزل فيها القرآن الكريم و هي قول الله جل ثناءه " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً، وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " سورة النساء الايات 105 - 113، قال المفسرون إنها نزلت في شأن رجل من بني ظفر يقال له طعمه بن إبيرق قد سرق درعا من جار له يدعى قتادة بن النعمان و وضع المسروق في جراب دقيق به خرق ينثر منه فالقاها في بيت رجل يهودي، و قال طعمة لنفر من عشيرته إني غيبت الدرع و ألقيتها في بيت زيد بن السمين و ستوجد عنده، فإنطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا يا نبي الله إن صاحبنا بريء و إن الذي سرق الدرع

زيد بن السمين اليهودي لأنهم إتبعوا أثر الدقيق حتى إنتهى إلى بيت اليهودي فأخذوها منه، قال اليهودي إن الدرع دفعها إلي طعمة، و شهد له ناس من اليهود، و المسألة أن اليهودي لم يسرق رغم أن اليهود لا يعرفون حقا و لا عدلا، و لا يقيمون أي إعتبار للعهود و المواثيق بينما الأنصار هم الذين أووا و نصرؤا و جاهدؤا في الله حق جهاده و إتبعؤا الإسلام في هذه الحقبة التي هي تطهير المجتمع من شؤائب و رؤاسب الجاهلية و العصبية و إقامة العدل بين الناس، حتى و لو كانت هناك الإعتبارات السياسية هي التي تتحكم و تحكم موازين القوى فالجماعة الإسلامية مأمورة بإقامة العدل لتنهض بقيادة البشرية و حتى يتضح لها منهج الحق و لتمحص كيائها تمحيصا شديدا بقيام ميزان العدل و الحق و لو على يهودي، لأن العدالة الإسلامية كانت صاعدة من السفح إلى القمة من دون دهاء سياسي و لا مرء و كياسة و لا براعة و لا مهارة و لا مصلحة الدولة فالإنسان هو الإنسان¹ و قد نظم بعضهم الأمور التي تطرأ على الشخص فقال "

مراتب القصد خمس هاجس ذكر ... فخاطر فحديث فحديث النفس فاسمعها

يليه هم فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقع .

لا خلاف أن حقوق الدفاع و الضمانات قد كفلها الإسلام لأن الحياة وديعة و أمانة، لا يجوز التفريط به، أو التهاون أو إلقاءها إلى الهاوية و في هذا الصدد يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم " من قتل قتيلا من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة " -رواه مسلم-

¹ ينظر. سيد قطب. في ظلال القرآن . الطبعة الشرعية الثانية عشر. دار الشروق بيروت 1986، ص 752

1- حقوق المرأة هي قميص عثمان في نظر العولمة

ألمحنا في الفصول السابقة مع إمارة اللثام عن العولمة و حقوق الإنسان حسب ملامح الغرب و المنظور الإسلامي، الذي وضعه الله سبحانه و تعالى و أعطاه الحق بما يلائم النفوس البشرية التي فطر الله تعالى الناس عليها، و له فيها القداسة العظمى و الخضوع المطلق و يظهر إثر هذا التقديس و التقدير في الذكر و الأنثى لقوله تعالى: " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ " سورة ال عمران الآية 195، و أيضا " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " سورة النحل الآية 97، هذه السعادة التي كفلها الإسلام للأنثى و الذكر لم ترض الغرب، لأنها السعادة الخالدة و الغرب يدعو إلى الشر و الفساد و الشقاء المقيم لمن يخالف تنظيمه للعولمة على الواقع و ليس من ريب أن تصبح حقوق المرأة قميص عثمان بالإعتماد على ظاهرة العولمة، و اللجوء إليها و الإستعانة بها و العمل بإسمها و على جميع مستويات التجمعات و الفعاليات الاجتماعية جمعاء، و تبنت الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية حركة تحرر المرأة المزيف، و من أجل ذلك عقدت مؤتمرات عالمية بتزكية أمريكية و تحت ظل هيئة الأمم المتحدة جعلتها خاصة بالمرأة و المبادئ التي إفتعلتها في هذه المؤتمرات من حيث التسويق الإعلامي المقدم للنساء على جميع الأصعدة، مما جعل الحركات النسوية تكثف دورها في تطوير مشاركتها و نقل تصوراتها لكي يصبح الإسهام من خلال الفجور و السفور هما شعار (حرية المرأة) في زمان العولمة التي يقولون أنها جاءت لتحرر المرأة التي كانت حبيسة الجهل و المرض و الفقر و سجين البيت و الحجاب، و أسيرة لدى الرجل و محرومة من التعليم و المشاركة في بناء المجتمع، بحجج واهية كالفتنة و صون شرفها و عفافها، و العولمة تراها في لباسها و شكلها لا في عقلها، و أرجعتها إلى عهد معابد روما و بابل عندما كانت لعبة جنسية للتلذذ¹ دون مراعاة العفة و الشرف، فقد

¹ ينظر. العقاد محمود عباس . المرأة في القرآن . منشورات المكتبة العصرية. صيدا- بيروت، بدون تاريخ ص 32

سخرت الولايات المتحدة الأمريكية من الإسلام الذي يدعو إلى العفة و الإخلاص و المحافظة على البكارة حتى الزواج، و لكنها تدفع الآن ثمن سخريتها و إستهتارها بعقاب الله هي و من معها، حيث تطالعنا الصحف بأن لكل إنسان الحرية في إختيار اللباس الذي يرتاح إليه و يراه مناسباً له حتى لو أدى ذلك إلى الإساءة لباقي المواطنين، و أمريكا تسعى جاهدة لنشر الفساد فقد سمعنا أن شرطة المدينة الإقتصادية العالمية نيويورك سمحت للنساء و الرجال على حد سواء ركوب المترو عاريات الصدور، لأن أمريكا تحمل راية الحرية و الإباحية و وجود الحرية المطلقة في العلاقات الجنسية، الشيء الذي نتج عنه كثرة أولاد الزنا الذين ينشئون فاقدين للعطف و الحنان و الرحمة و الحب الأبوي في ظل الأسرة المتماسكة، بالإضافة إلى تولد الحقد و الكراهية في قلوبهم تجاه البشر كما أن الفتاة الأمريكية تفقد عذريتها في سن المراهقة أو ربما في سن جد مبكرة، و هكذا نجد أمريكا تنقل صورتها الأخلاقية من الواقع النظري إلى الواقع التنفيذي العملي عن طريق لجان و صناديق و برامج تابعة للأمم المتحدة كلجنة مركز المرأة و صندوق الإنماء الخاص بالمرأة قصد إثارة حقوق المرأة إلى أبعد حد ممكن، حتى تجعل منها قضية حيوية بالنسبة للسياسات الإستراتيجية الأمريكية و من يحدوا حدودها، و خاصة الدول الغنية التي تستغل الدول المتأخرة القائمة على أسس الإسلام المبني على المودة و الرحمة بين سائر الأقارب مهما صعدا و نزلوا لقوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " سورة الروم الآية 21، و أيضا " هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَّهُنَّ " سورة البقرة الآية 187، فالولايات المتحدة الأمريكية مفسدة و تستعذب الراحة و اللذة العاجلة و إثارة الرغبات و الشهوات و الأهواء الماثلة في الأفلام الفاسدة من خلال المرأة، و صارت قبلة الإباحية و الرذيلة و تعمل جاهدة لتعميم الشذوذ الجنسي باسم حقوق المرأة و الحرية الجسدية، و تعمل من خلال منظمات يهودية على تقويض و تفتيت الأسرة لمنافع دنيوية و غرس بذور الفوضى الجنسية التي تقضي على نظام الأسرة و الأنساب و تجعل النساء لبنات مبعثرة مشتهة،

لا يجمعها حياء و رباط عقدي و لا يظللها قانون الحياة الآمنة الشريفة، فإذا ثبت لأمریکا و من معها أن الدول المتأخرة لا تنتشر و لا تنفشي فيها ظاهرة الإنحلال و الطريق الذي إرتضاه الغرب تمنع عنها المساعدات المالية و التجارية بدعوى عدم إحترام حقوق المرأة، و قد حدث هذا فعلا للصين و كوريا الشمالية و كوبا جزيرة الحرية توقفت عنها الإعانات المالية كما توغز إلى المنظمات المالية كصندوق النقد و البنك الدوليين، بعدم تمويل أي مشروع إقتصادي أو تنموي للدول التي لا تزال تحدد أدوار و سلوك البنات و النساء في الحياة الجنسية، و ربما تفرض عليها عقوبات إقتصادية من أجل إخضاعها لرغبات الدول الغربية، أو أنها دول راعية للإرهاب ترعاه و تدعمه، و لقد إهتمت الولايات المتحدة كمنظر للنظام العالمي الجديد بقضية المرأة في مؤتمر القاهرة 1994 و مؤتمر بكين 1995، اللذان كان يهدفان و يدعوان إلى تحرير المرأة من القيود و التقاليد و العادات و التأكيد على حريتها و الحصول على حقوقها كاملة غير منقوصة، مع إعطائها كافة حقوقها بتكوين أسرة لا نمطية أي زواج المتعة عبارة عن عقد صفقة تجارية ينفصل من يشاء من الزوجين متى كره ، وأغلب ما جاء في هذين المؤتمرين :

- تفويض النساء و تمكينهن من التقدم، بما في ذلك إمتلاكهن لحقوق حرية الفكر و الضمير و الدين و المعتقد، بما يساهم في تلبية الحاجات المعنوية، و الأخلاقية و الروحية و الفكرية للنساء و الرجال أفراد أو في حالة تآلف مع الآخرين وصولا إلى ضمان تمكينهم من تحقيق طاقاتهم الكاملة في المجتمع و من صياغة أساليب حياتهم الكاملة وفقا لتطلعاتهم الخاصة .
- حقوق النساء هي حقوق إنسانية .
- ضمان التطبيق الكامل لحقوق الإنسان بالنسبة إلى النساء و الفتيات و الأطفال بوصفها جزءا ثابتا عفويا، غير قابل للتجزئة من مجمل الحقوق الإنسان و الحريات الأساسية .
- و لا يخفى على العاقل خطورة مثل هذه المفاهيم على مستقبل الإنسانية و على الحضارة الإنسانية الإسلامية، فإن مثل هذه الدعوات من خلال منبر الأمم المتحدة و إستغلالها هو

طغيان الغرب الذي ينادي بإنحدار المجتمعات الإسلامية إلى أسفل السافلين في حالات من الفوضى الاجتماعية .

أ - الدعوة إلى تحرير المرأة :

الحرية و التحرر بشأن المرأة تختلف و فقا لظاهرة العولمة، التي تنشذ أصناف مختلفة غربية على الناس حيث تكون حرية المرأة غير محدودة و تطلق لها العنان حتى تخلق جوا يكون فيه الأفراد في حالة تصادم لا حدود له مع بعضهم البعض، مما قد يؤدي إلى فوضى إجتماعية و أخلاقية تمنع حق السلطة من التدخل كما قلنا بشأن إحترام الأدب العام، عندما نرى أفراد نصف عراة في المجتمع الغربي يحميهم القانون و الحقوق السياسية بشكل عام، فالحرية بالنسبة للعولمة تلك المؤتمرات التي تعتبر المرأة - كما قلنا - هي المعاشرة بدون عقد زواج صحيح و الإعتراف و الدعوة إلى حرية الجنسية و الإباحية و إباحة الشذوذ الجنسي (اللواط و السحاق) كثمرة لحرية المرأة الشخصية .

إن التفكير و الإرتباط بظاهرة العولمة، مدلولهما أنهما أقبلوا إفشاء شهوة الفرج الخارجية عن نطاق ما أحله الله تعالى، لأن الإستجابة للشهوة فيها من الآفات ما يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد، و العولمة تدعو إلى الحرام و الرذيلة و هذا يولي المرأة أمرها بنفسها خارجة عن سلطة شرعية، أي مكتسبة من قبل الله سبحانه و تعالى إما بطريق منحها الشرع للإنسان مباشرة ليدير شؤونه و شؤون من يدخل تحت سلطته كالأب أو الأخ، أو عن طريق إكتسابها من الغير لإدارة شأن من الشؤون بمقتضى و كالة أو وصاية أو عقد من العقود كالولاية العامة و القضاء، حتى يعقد الرجل على المرأة لقوله تعالى : " فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ " سورة النساء آية 25، و النكاح لا يكون إلا بعقد و الرسول صلى الله عليه و سلم يفتخر بنسبه : " ولدت من النكاح لا من سفاح " ¹، من أجل هذا لقد أولى المنظور الإسلامي للعلاقات الجنسية عناية بالغة الأهمية، و ما ينظم هذه العلاقات بين الرجل و المرأة إذ هي ليست مجرد

¹ ينظر. الدكتور إبراهيم ناصر أحمد . موقف الشريعة الإسلامية من تولى المرأة عقد النكاح " دراسة فقهية مقارنة " الجامعة الجديدة الإسكندرية 2005 ، ص 53

قضاء الشهوة التي تشترك فيها حتى الحيوانات و البهائم و كل من يتناسل لقوله تعالى: " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " سورة الذريات الآية 49، و لقد ركز المنظور الإسلامي على العلاقات بين الزوجين و يقيمها على أساس الاحترام و المودة و الرحمة و التعاطف و التعاون المتبادل بين الرجل و المرأة لبناء الأسرة، التي هي اللبنة و النواة الأولى لتكوين صرح المجتمع الصحيح الشامخ، حتى تثمر جهود كل من الرجل و المرأة في تكوين جيل طيب الأعراق، إذ يختار الرجل المرأة التي تكون شريكة حياته و المرأة كذلك، بشرط عن طريق الكبش و الحنة و الفرض و السنة أي أوليائهما أو من يقوم مقامهم، حتى تنشأ الشفقة و رعاية مصلحة الزوجين و حتى لا يتعرض واقع حياتهما الزوجية للإهانة و الشحناء و الشقاء، كرفض المرأة للأعمال المنزلية بحجة أنها أعمال تقوم بها لوحدها و بدون أجر، أو التماثل التام بين الرجل و المرأة في كل شيء بما في ذلك الأعمال المنزلية و الرضاعة و الحضانه و خروج المرأة للعمل المختلط الليلي المعولم بحجة أن الحياة المعاصرة تحتاج إلى أعمالها و مقتضياتها و مسؤوليتها و تبعاتها.

فإن العولمة تريد إفساد المرأة بدل إصلاحها، و إبراز المفسدين و المفسدات أولئك الذين تزداد نسبتهم في المجتمع الأوروبي الآخذ في الشيخوخة، و ما يعيشونه من تجاهل و حرمان بسبب تفكك الأسرة و عقوق الأبناء و البنات بحجة الحرية، حيث يلجأ و يقضي الكثيرون من كبار السن منهم في ملجأ العجزة أو في شققهم الصغيرة بقية حياتهم دون أن يدري أو يرعي أحد حالتهم لولا رائحة الجثث المنتنة (الموت)، ألا تثير قصص ما نقرأه في الصحف و المجلات عن المسنين و المسنات تهز مشاعر أي إنسان سوى ؟

في سياق هذا الحديث نرى شيوع ظاهرة الطلاق بصورة مخزية في الولايات المتحدة الأمريكية و الانفصال، فضلا عن الإنجاب خارج إطار النكاح دون إعتراض من جهة السلطات المخولة قانونا بحجة الحرية الجسدية في المجتمع الأمريكي و الأوروبي. أليس هذا إمتهان لكرامة المرأة من جهة، و تفكيك النواة الأولى و اللبنة التي هي الأسرة و تماسكها. صحيح

الإسلام

أن المرأة تتمتع بكثير من الحرية المطلقة و المتعة غير المشروعة في سن المراهقة و الشباب، بيد أنها و ما أن تنقضي زهرة العمر و تمر تلك المرحلة، حتى تصبح عجوزا رهينة و حبيسة أفعالها و تجاهل من كان قريبا منها و تأتي المعاناة و أوضاع العمل المتعبة في سن الشيخوخة في كثير من الأحيان، و الخيانة الزوجية، إذ كانت متزوجة، تعدو جزء من حياتها، أما بالنسبة للأطفال فيتركونها حالما يعتمدون على أنفسهم و ربما يتذكرونها في الأعياد كعيد الأم إذ كانت ثرية ببطاقة ورد، و قد لا يفعلون، و لا يسأل بعد ذلك عن وحدتها في سن الشيخوخة و المرض، أما المنظور الإسلامي الذي تخشاه العولمة فهو يحصل في غالب الأمر على المرأة الصالحة التي يجد فيها الرجل الدفئ الأسري مع الأطفال و الاحترام إذا نظر إليه أعجبتة و إذا أمرها أطعته و إذا غاب عنها حفظته في نفسها و في ماله، فهي الزوجة و هي الأم وهي الأخت و البنت و حتى الجدة، فهي مصانة عفيفة شريفة، و حتى و إن خرجت إلى العمل حال وصولها إلى الفقر فإنها تشارك الرجل المصروف كزوجة و تكون معنية وعاملة بالأوضاع الإقتصادية الصعبة، و تتحمل و تعاني البؤس بسبب ضالة الأجر و تحافظ على عدم تفكك الأسرة رغم المعانات اليومية و الفقر و البطالة، في ضوء ذلك ستكون أكثر بؤسا من المرأة الغربية بكثير، ذلك أن الدول الغربية و خاصة الغنية بإمكانها أن توفر عملا للمرأة، و إذا لم تجد بإمكانها أن تحصل على إعانات العاطلين عن العمل من خلال خزانة الدولة و بإمكانها حتى الحصول على المسكن و المأكل و المشرب و حتى اللباس، بالطبع فالدولة الجزائرية و معها الدول العربية لا يمكنها توفير ما توفره الدول الغربية نظرا لضالة الإمكانيات حتى و إذا كانت بعض الدول غنية هذا نظرا لسوء توزيع الدخل الوطني. فالنتيجة هي فقدان المرأة لإحتياجاتها و إمتيازاتها الأسرية كزوجة و أم و أخت و بنت و خالة و عمه و جدة، و من المناسب أن نتذكر دعاة الدعوة إلى تحرير المرأة في ضوء ما نلمسه في التشريعات الرأسمالية الغربية المحمومة لنقل الأوساخ و الإباحية و السفاح و الزنا و اللواط و نكاح المحارم إلى المجتمع العربي الإسلامي، و إلى المرأة المسلمة الطاهرة العفيفة و الأسرة الشريفة و ما لديهم من قاذورات إلى ديار الإسلام، و

هذا ليس رحمة و لا رأفة بيناتنا و نساتنا و أمهاتنا و لا من أجل تحرير المرأة العربية المسلمة، بل لضرب أسس و قيم و تقاليد و عادات المجتمع الإسلامي المتماسك البنية الأسرية المسلحة بتعاليم الإسلام، التي لولاها لا زدنا اضمحلالا و بؤسا و فقرا على فقرنا و لضاعت كياناتنا الأخلاقية و أصبح المجتمع في خراب كان، فالأسرة المسلمة استطاعت أن تصمد في وجه الإحتلال بالجزائر مدة قرن و نصف و الآن تصمد في العراق و الصومال و في فلسطين، رغم مواجهة النكبات و الويلات، تبقى المرأة مرفوعة الهامة جميلة الوجه راجحة العقل ذكية الفؤاد سليمة التفكير تتحمل المسؤولية بدون النوى تتمنى أن يكفها الزوج أتعاب و عناء الخروج إلى العمل لتتفرغ لتربية البنين و البنات، و المرأة هي التي تقوم بتأمين الضروريات و إسعاد الحياة الزوجية من خلال العفة و الشرف و التكافل الأسري و المودة و الرحمة و حسن الخلق، و لا تكون خاضعة أو مستسلمة لنزوة عابرة لأنها سليمة التفكير و عقلانية بمقتضى الخلق و التكوين، و قد قال في هذا الصدد رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أراد أن ينسأ له في أثره و تبارك له في رزقه فليصل رحمه " ¹ لأن المرأة الصالحة هي التي تعني بالأولاد و أولادهم و الإخوة و الأخوال و الخالات و العمات و الأعمام، و الغرب و على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية التي تستهدف المرأة المسلمة و ما فعلته و ما تفعله بها في العراق و فلسطين من خلال سياسات الإذلال و الابتزاز و القتل، لا شيء إلا أنها مقيدة بتعاليم الإسلام و المتدينة به، فالولايات المتحدة الأمريكية تريد تحجيم مصار التدين في الدول العربية و الإسلامية و تحثها و تطالبها بالعمل التطبيقي على تخفيف مصادر و ينابيع العقيدة الإسلامية في البرامج التعليمية و خاصة عند المرأة الفاضلة، وإيجاد أنظمة ديمقراطية كبديل للأنظمة الحالية الغير الدينية أو الدينية المعتدلة .

ب) المساواة بين الرجل و المرأة :

¹ ينظر. أبو زهرة الشيخ محمد - المجتمع الإنساني - مصدر سبق ذكره ص 259

تطرح مشكلة المساواة بين الرجل و المرأة منذ الخليقة أو بالأحرى منذ نزل آدم و هبطت معه حواء إلى الأرض بقوله تعالى " قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ " سورة الأعراف آية 24، و مشكلة المساواة بالنسبة للمرأة قائمة في كل زمان و مكان تتأرجح بصورة الحرمان و القهر و الذل في المجتمعات اليونانية و الرومانية و الجرمانية، عندما بلغت إهانة المرأة و العيب بكرامتها و تصورها بأنها قناع الشيطان، و لا غرابة في ذلك فقد ألصقوا الخطيئة بها رغم أنها نصف البشرية من حيث التعداد السكاني أو ربما أكثر، وأصبحت عندهم فاقدة الأهلية و حكم بالحجر عليها و تصنيفها على أنها مصدر لكل الشرور، و من هذا القبيل كانوا ينظرون إليها عند الزواج " تنتقل المرأة من وصاية الأب إلى يد الزوج حسب القانون الروماني " و تبقى تحت سلطته مدى الحياة كونها تتميز بالعاطفة و الحنية، و من ثم فهي تعتبر أداة من أدوات الترف و البذخ يحرص الرجل على إبرازها، زهوا و عجبا و متعة لشهواته، من أجل هذا كان القانون الروماني يتغاضى عن الاستهزاء بها بما كانوا يفسقون بها كالقردة خاسئين، وقد إنتشر العهر عن إتصال الرجال بالعاهرات و بائعات الهوى و صارت المرأة مجرد متعة و لذة يستمتع بها و يلهو كما شاء، و كانت سلطة الرجل على المرأة مطلقة، فهي رمز غواية، و ما يستتبع ذلك من حرمان في الميراث إذ كانت تركة الأب الهالك تقسم على الأبناء الرجال دون النساء، و شاع و ذاع الإحتقار للمرأة في شرائع الهنود و الديانات الوثنية، حيث انتشرت الإباحية و الزنى جهارا و كشرت بيوت الدعارة، و جابت المعابد العاهرات و الخليلات و ظهر البغاء الرسمي و العهر في اليونان و الرومان و من على شاكلتهم مهنة يتردد عليها الزوار. و لم تكن المرأة بأي حال من الأحوال مساوية للرجل إنسانيا، فهذا أفلاطون أكبر مفكر عرفه النظام الثقافي اليوناني يقول في جمهوريته الفاضلة بمشاعية النساء و الأطفال خاصة بين فئتين و الجنود والحكام و الفلاسفة، ثم دعى إلى إلغاء النظام الأسري و ذهب على طريقه تلميذه أرسطو، الذي إعتبر المرأة و العبيد

من جملة أدوات الرجل الضرورية و من ضمن مقتنياته اللازمة للحياة¹ و حتى العشائر و القبائل العربية صارت في نفس الطريق و الإتجاه و الغاية لذاتها و إن كانت الأصول العربية ترتبط بالبداءة، و ما يحدث من منازعات و حروب بينها، فإن المرأة كجنس كانت مضطهدة في الحقوق و المساواة في العصر الجاهلي الذي إنتهى بظهور الإسلام لقوله تعالى " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " سورة النحل الآيات 58-59، و أيضا قوله تعالى " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " سورة الزخرف آية 17، و قوله تعالى " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " سورة التكويز الآيات 8-9، و في هذا المنظور أعني منظور الإسلام من حيث هو أصل و وضوح العدالة و حق و مساواة و حرية و هو يقف إلى جانب المقهورات المعذبات، المظلومات المحقرات، و ليس إلى جانب السلطة و الطغيان، و من هنا نفهم كيف هانت النفس البشرية للمرأة في الجاهلية إذ كانت أنماط الوأد عادة قد انتشرت في بعض القبائل العربية ذات طبائع كطبيعة الصحراء و التي كانت تثور كما تثور الرياح على الشرف أو الخوف من العار أو من البؤس و الفقر و حكي القران الكريم هذا لقوله تعالى " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا " سورة الإسراء آية 31، و كانت العلاقات فيما بينهم علاقة مشحونة بالبغض و النفور حتى إلى الغزو و الحرب وهذا ما حدث بين عبس و ذبيان و ما جرى من السب للنساء و هذه الشناعة و البخس كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة على كل حال، حتى ساوى الإسلام بين الرجل و المرأة في ثورة مستمرة لم تتوقف حتى حولت المجتمع العربي تحويلا جذريا و شاملا على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي، و أظهرت قدرة المرأة في نفس الوقت كالرجل داخل المجتمع العربي الذي كان يفرق بين الذكور و الإناث فيما يتعلق بالخصائص الجسمية و النفسية في صورة

¹ ينظر. الخرساني غادة، المرأة و الإسلام، أول موسوعة عن المرأة العربية عبر العصور، دار النهار للنشر بيروت 1980 الجزء الأول ص

قاسية ملؤها المذلة و المهانة تتجرع كؤوسها صباحا و مساء، بمقتضى العادات القائمة فكرة تفوق الذكر و النظرة الدونية للمرأة مؤدها إذا سييت في غزوة من الغزوات فهي غنيمة مطلوبة للخدمة و الإستمتاع عند عرب الجاهلية هذه النظرة التي تميزت بها المرأة العربية تراجعت منذ أن أكد الإسلام بأنها إنسان موفور الكرامة على قدم المساواة مع الرجل، مؤكدا على التكامل الدوري للرجل و للمرأة كل يحتاج إلى صاحبه حتى يعتدل المجتمع، سنة الله في خلقه و لن تجد لسنة الله تبديلا، فالأرض تتطلب تكاثر البشر لإستمرار الحياة عليها، من خلال الرجل و المرأة لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ " سورة الحجرات الآية 13، نفهم من خلال هذه الآية الكريمة أن المنظور الإسلامي يساوي تمام التسوية بين الذكر و الأنثى في التكليف و الشخصية الاعتبارية للمرأة و الحقوق الشخصية و الحقوق الاجتماعية و السياسية و الإقتصادية. و مما يدل على المساواة في التكليف الشرعية قوله تعالى " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " سورة الأحزاب الآية 35، أخص الله سبحانه و تعالى المساواة بين الرجال و النساء كمظهر من مظاهر التكليف الشرعية حيث لا فرق بين رجل و امرأة، وقد ذكر من صفات أهل الإيمان عشر صفات هي (الإسلام، الإيمان و القنوت و الصدق و الخشوع، و الإحسان، و الصوم، و العفة، و ذكر الله تعالى، و البعد عن الزنى وهذه هي الأخوة الإيمانية)¹، و يتضح لنا من خلال النص القرآني الكريم أن الرجال و النساء مطالبون بالقيام بمثل هذه الأعمال فهم سواء لا يختلفون إذ يعطى لأحدهم حال إتيانه فعل الخير أكثر مما سواه، و ليس لأحدهم الفضل على الآخر إلا في بعض الحالات و

¹-لمزيد من المعلومات انظر القران الكريم و بمامشه ذرة التفاسير بقلم خادم الكتاب و السنة الشيخ محمد علي الصابوني المكتبة العصرية للطباعة و النشر الدار النموذجية المطبعة العصرية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1424 هـ - 2003 م ص 30

الإستثناءات كالحيض في حال الطمث و النفاس، هذه المساواة التي قدرها المنظور الإسلامي بين الرجل و المرأة هي حقيقة العودة بالمجتمع إلى الفطرة الصحيحة و السليمة التي جعلها الله جل شاناه ميثاقا غليظا بين الذكر و الأنثى، بسبب تكوين الأسرة التي من أجلها تركت المرأة الأب و الأم و الإخوة و الأهل و الأقارب لتضع نفسها في أحضان رجل جديد و هي لا تعلقوا شيئا عن ذويه، فتعطي لزوجها ما لم تمنحه لأحد من أهلها الذين نشأت و ترعرعت بينهم و في أحضانهم تغارهم بالمساواة عزيزة مكرمة و ليست غريزة بعد أن رفع المنظور الإسلامي من شأنها و برأها من خطيئة الشجرة وأمرها أن تبتعد كل البعد عن كل ما يمس أو يخذش شرفها أو ينال من سمعتها و عفتها، فالله قد جعل المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق و الوجبات بصفة مطلقة فلا قيود إلا في أمر واحد لقوله تعالى: " الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... " سورة النساء الآية 34، و أيضا " .. وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ... " سورة البقرة الآية 228، و المراد بالقيام و الدرجة هنا هو الرئاسة يعني القيادة و لكن ليس معناه أن تكون المرأة المرؤوسة مسلووبة الإرادة بل الطاعة، أي أن تطيع زوجها فيما أمرها الله تعالى به من طاعة، و طاعته أن تكون محسنة لذويه و أهله و محافظة للحياة الزوجية كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أمرتها أطاعتك، و إذا غبت عنها حفظتك في نفسها و مالك " ¹ و قال أيضا " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت فرجها، و أطاعت زوجها قيل لها أدخلني الجنة من أي الأبواب شئت ". هذه هي المساواة التي تقوم بتوزيع المسؤوليات و تنظيم الأدوار بما يذكر الرجل و المرأة و كل البشر أنهم خلقوا من أصل واحد من ذكر و أنثى تأكيد في قوله صلى الله عليه و سلم: " إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية و تفاخرهم بآبائهم لان الناس من آدم و آدم من تراب و أكرمهم عند الله أتقاهم " ² و لا تفاضل فالمرأة تساوي الرجل في الحقوق و الواجبات

¹ ينظر. الإمام الجليل ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل . تفسير للقران العظيم . دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع بيروت بدون سنة الجزء الثاني ص 273 .

² ينظر. عبد القادر عودة. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي . مكتبة دار التراث 2003. ص 22

فلها مثل ما له و عليها مثل ما عليه و هذا ما نص عليه الحديث الشريف " الناس سواسية كأسنان المشط الواحد، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " يذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس أنهم جميعا ينتسبون لآدم الذي خلق من تراب، و من ثمة فهم متساوون و لا يميزون بالتفاضل و لا بالمال و لا الجاه و لا الشرف و اللون و لا يتفاخرون بالآباء و الأجداد و الأمهات و القرى و الدوار و العرش و لا القبائل و الأجناس فالمرأة تتصرف في شؤونها الخاصة و تمتلك الحقوق دون أي سلطة حتى و إن كان الأب أو الزوج أو الأخ لا يحق أن يشرف عليها أو يتدخل في مشاريعها و أعمالها و لا إمتياز لأحد عليها إلا بموافقتها لقوله صلى الله عليه و سلم في تزويجها بعد أن تختار الكفء لها " اسْتَأْمَرُوا النِّسَاءَ فِي أَبْضَاعِهِنَّ. " ¹ و قال أيضا " و الأيم أحق بنفسها من وليها "، فالمنظور الإسلامي الذي رشحها لتكون بين الرجل و المرأة أو بين المرأة كزوجة و كأنثى و الذكر في ميادين تكافؤ الفرص، و قد قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم بين فاطمة إبنته و زوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بتوزيع الأعمال فيما بينهما و جعل المساواة لا تنقص في حق علي بن أبي طالب كزوج و فاطمة كزوجة، و الحكمة من وراء هذا هو الإنصاف حيث أمر فاطمة الزهراء بأن تقوم بشؤون البيت و خدمة الإمام علي كرم الله وجهه كما أمر علي بالسعي و الكسب لتحقيق المماثلة في أتعاب و مسؤوليات الأسرة لقوله سبحانه و تعالى " ..وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ .. " سورة النساء الآية 19، و أيضا " ..وَأَتُوهُنَّ أَجْرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... " سورة النساء الآية 25، فالناس جميعا متساوون على إختلاف أجناسهم بالنسبة للمنظور الإسلامي مساواة تامة و ليست مساواة الغرب و خاصة أبناء المستعمرات التابعة له، حيث فضل الأبيض الأوروبي على العربي و الأسود الإفريقي و ما تدعيه اليوم الولايات المتحدة الأمريكية بالأفضلية على بقية السلالات البشرية كونها إبتدعت و إخترعت من الوسائل المادية ما يكفلها التفوق التكنولوجي و ساعدها أيضا الموقع الجغرافي و التطور المعلوماتي و تدليل

¹ ينظر. الدكتور أحمد أحمد .موضوع النسب في الشريعة و القانون. قطر 1403هـ- ص 70

الإسلام

الصعاب نظرا للإمكانيات الطبيعية المتاحة لها، نراها تعمل بأقصى جهدها و بكل الوسائل الميسرة لها من أجل أن تقضي على عفة المرأة المسلمة و تضيق الخناق عليها في العراق و فلسطين و تظهر الفساد الجنسي و الرغبات البهيمية و الحيوانية الطائشة حتى تقضي على لحمة النسب فيستوي النكاح و السفاح ثم تقضي على المساواة التي يمتاز بها الآدمي على البهائم .

ج - الإباحية و انهيار القيم الأخلاقية :

و في هذا القبيل تعمل الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و الإتحاد الأوربي و اليهود على عولمة الإباحية بواسطة الموضة و لباس المرأة الضيق و القصير بغية الهاء المسلمين عن القضايا الكبرى و بالتالي نشر الرذيلة و الفواحش من خلال المؤتمرات الخاصة بالمرأة و السكان بمقتضى تشريعات وضعية، حتى تحارب المنظور الإسلامي الصالح الجامع لمكارم الأخلاق و محامد الشيم، و الذي نهي عن الجور و عن الكذب و الغدر و الفواحش و غوائها منذ أيامه الأولى، شن عليه اليهود مغالطات و إشاعات عنصرية و بثوا السموم في مؤتمراتهم السرية و تشاءموا من ثورة الإسلام التشريعية التي حرمت السفاح و الزنى و الربا و اللواط و نكاح المحارم و إجتنب الرذائل، و هذا لا يخدم مآرب اليهود الذين ينشرون الفساد و الإباحية بينهم و إباحة المنكرات التي حاربتها التورات. و الواقع أن إباحية اليهود الذين عمدوا إلى تنفيذها بوسائل و وضع خطط و برامج و مشاريع يعتبرونها تبيح لهم جميع الضلالات و الإنحرافات الأخلاقية و تشكيك الناس في دياناتهم و عقائدهم عن طريق بث الإباحية و أفكار حرية الموضة، و ينقحون و يسخرون من المؤمنين بأفكار مغايرة لإيمانهم بالإسلام و عقائده، و يضعون موضع الإيمان و الديانات الملاهي و الملذات و يكثرون من الحاجات المادية عن طريق إختصاصيين عالميين بالواقع المعاش بتصنيفه بحذق و مهارة و هيئوا الجو كله لجلب السذج في إتجاه الإلهاء بالملاهي و الملذات المادية و الدنيوية من خمور و إباحية و إختلاط بين

الرجال و النساء و غير ذلك، بحجة زائفة كشعار الحرية و قمع الكبت و الدق على الأوتار بقوة لإيقاظ سياسة في ذهن الإنسان، اشتغل اليهود بالإعلام بإعتباره أقدم الوسائل في الأفراد و إبلاغهم بالمستجدات السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية لقوله و تعالى: " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ " الأعراف الآيات 109 - 112، كان الإعلام للجمهور و إتباع فرعون سادة مصر و موجه للعامة إلى مشاهدة ما سيجري بين موسى عليه السلام و السحرة الذين يعارضوه بنظير مرآهم من البيئات الدامغة، و من ثم تأثير على الجماهير كما أخبر الله تعالى عن فرعون لقوله: " قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى، فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى " سورة طه 57 - 60 ، و الإعلام هو الذي له تأثير على الناس و يجعلهم في شوق لمعرفة من ينتقد و من تكن له الغلبة و من ثم يتلذذ الجمهور، و قد إنتشر في عهد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام، و كان الشعر و النثر و الخطابة داخل المسجد و في الأسواق، و اليهود قبحهم الله تعالى و لعنهم يستخرجون و يغوصون لأنهم يعلمون أن الملاحية و المقاهية و الإختلاط ما هي إلا بيوت شيطانية، ولا تعمر إلا بالفساق و حدهم دون أي شيء سواهم و هذه قمة المنكر و أساسه و بلاؤه، سبب الرقي و التقدم العلمي و الفكري، الداعي إلى التمتع بالحرية الجنسية و الإنحراف وراء الملذات دون وعي و إدراك، و من هذه الملذات النوادي الليلية التي تغص كل ليلة بزوارها المنتمين إلى سائر الطوائف، بما فيهم بعض من ينتسب إلى الإسلام يعاقر الخمر و يرقص مع من يشاء من النساء الموجودات في النادي سواء كانت على معرفة به مسبقاً أم لا، و النساء متوفرات و الخيارات بإمكان كل طالب هوى، و المرأة تلبس ما تشاء و تشرب ما تشاء و ترقص مع من تشاء، و الذي نراه اليوم و الله أعلم بالقصد و الصواب أن الإذاعة و

التلفزيون و الفيديو و السينما و الصحف و المجالات و النشرات و الملصقات و اللافتات و الإعلانات و الأعمار الاصطناعية و هي وسائل إعلامية فائقة القدرة، يستعملونها اليهود للدسيسة و للتأثير على الناس بواسطة الصورة التلفزيونية التي تتحرك بطريقة أسرع و المشاهد عليه أن يتدارك بصورة كلية و إلا فإن الشريط يبقى معلق بعقله و هو ينظر إلى الشاشة كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، و لذا فإن التلفزيون أصبح أحسن وسيلة لنقل الصورة و الصوت و كذلك الفيديو يشبه إلى حد كبير تأثير التلفزيون على الإنسان خاصة إذا كان في حالة الإسترخاء التي يكون عليها و هو أمام شاشة التلفزيون. و ربما أصبح جهاز التلفزيون أحسن من دور السينما و حتى المسرح فإنهما يتطلبا من الإنسان التجهيز و لباس معين و التحضير النفسي و المعنوي، و لنا في التعلم الاجتماعي مثال يقول بأن " الإنسان يتعلم من خلال المشاهدة و الملاحظة أكثر مما يتعلم من خلال الأسلوب القديم و هو أسلوب (المحاولة و الخطأ) عبر التجريب المباشر¹ و من قدرات اليهود و إيجاءاتهم هي البث التلفزيوني، الذي يؤدي غالباً إلى تفرغ طاقة الجنس و الإباحية بين المجتمع و آخر و دور المرأة بإظهار وجهها و بعض من جسدها بل إنهم يتفنون في إظهار ما يدفع إلى الإباحية، و اليهود يستخدمون المرأة في كل الميادين و المجالات كتلك الصور التي تصور الرجل و المرأة جنباً إلى جنب في كافة الميادين، حتى في الشوارع و على أبواب الملاهي و في الباصات. و المنظور الإسلامي حرم هذا كله و السبب في هذا هو حضور التهيج الجنسي أو الشهوة الجنسية من خلال الأفلام السنمائية و التلفزيونية و ما تجرّه من بلاء عظيم على الشباب، فظهور المرأة إلى جانب الرجل في أشكال اللاأخلاقية كالضم المحموم و مشاهد أخرى كالمسلسلات التي لا تنتمي إلى أعراق المجتمع الجزائري و لا تقاليد، هذه الخلاعة اللاأخلاقية بكافة وجوهها التي تظهر الرجل و المرأة عاريان وفيما يؤول إليه هذا المشهد من حياة غرامية و نسأل الله العافية. و الوضعية في إزدیاد فیامر بها اليهود حتى يتسنى لهم التنافس لإظهار الأفلام الإباحية التي

¹ ينظر. كرم جان جيران. التلفزيون و الأطفال. دار الجيل. بيروت لبنان الطبعة الأولى 1988 ص 37 .

الإسلام

انتشرت في كل المحطات و في كل القارات و عن طريق الأجهزة اللاقطة المتطورة مثل الأطباق الهوائية و الآن أصبحت ألعاب جهاز الكمبيوتر الإباحية تغزو العالم، وأشرطة الفيديو الإباحية الجنسية و خاصة مشاهدة المراهق و المراهقة مثل هذه الإنحرافات السلوكية الجنسية، قد يؤدي إلى الإستمتاع والتلذذ الذاتي، إنها الإنعكاسات الناتجة عن مشاهدة المراهق للأفلام الإباحية وما ستوحي به من الإدراك الخاطئ للعلاقات الجنسية، مما قد يدفع بالمراهق للتهالك على اللذة البيولوجية، حيث يقوم بطلبها دون مراعات القيم الأخلاقية و الدينية لأن أحاسيسه الجنسية قد تفتحه بسبب الأفلام الإباحية و قد يصل به الأمر إلى الإعتداء على الفتاة طلبا للذة، و يستهان بالقيم الروحية والأخلاقية لتحقيق رغباته لقد تم توجيه هذا المراهق بالألفاظ التي وردت في مشهد الفلم و قد تابع صور المشهد بطريقة أو بأخرى تحت لواء الإباحية و العلاقات الجنسية بطرق مختلفة. تعني هذه الإشارة التي ألصقوها اليهود بالمراهق هي إهيار القيم الأخلاقية على الضوء الذي يظهر على شاشات البث التلفزيوني بعينه و تصبح الفتاة عبارة عن مصب للأشواق و الشهوات .

د- إستعمال أنوثتها :

فلا غرو أن تكون الأنثى عنوان ما تنشره الصحف من أخبار الإثارة الجنسية و إشاعة الفاحشة بأسلوب درامي مثير، يسرد تفاصيل و مواصفات في توريث المثريات لضعاف النفوس و تبعث فيهم الإثارة خلال قراءة الصحف، و ربما تدفعهم تلك الأوصاف عندما يقرؤون النبأ إنطلاقا من تفاصيله المنشورة في الصحف، و قد يدفعهم الفضول إلى تقليد ما جاء في الصحافة، ثم تتوالى الصور التي تظهر المرأة المترجعة بزینتها و محاسنها وبدنھا كعارضات الأزياء و بعض الملابس بنقوش و أشكال تحمل **signe** علامة موقعة من أشهر المصممين العالميين، زيادة لإستهلاك و إستنزاف أموال الغلابة و تقص شعرها على طراز ما يراه مصمم عارضات الأزياء و لباسا مكشوف الطوق والصدر على أساس الموضة العصرية، و في هذا الصدد يقول السيد محمد قطب " الفتاة التي تلبس فستانا عاري الصدر عاري الابطين «جابونيز» و تسير في

الطريق أو تجلس في السيارة أو في «الكازينو» وسط الرجال و الشباب و تقول أنها تمارس «حريتها»، في إنتقاء ما تريد من الملابس، إنها فتاة حرة متحررة تحقق كيانها المتحرر. ما لكم أيها الناس؟ من أنتم بالنسبة إليها؟ ما دخلكم في شؤونها؟ ما علاقتكم بها و ما وصايتكم عليها؟ إنها حرة في نفسها تصنع بها ما تشاء، هل تحجزون على حرية المرأة؟ هل تلغون كيان المستقبل؟ هل تستعبدونها؟ هل تجعلونها تابعة للرجل؟ تلبس ما يفرضه عليها و يختار بنفسه ما يريد؟¹ و إن حدث و إعترض أحد على ذلك سارع الناس إلى إتهامه بالرجعية والتخلف و العودة إلى أيام الحریم، مع علمهم بأن المرأة ليست بضاعة الإستمتاع وما يتلذذ به ضعاف النفوس، وهي بضاعة حولتها الإباحية إلى الإشهار والدعاية إلى الإنحرافات الأخلاقية و نشر الفساد في شتى مجالاته في القرن الحادي والعشرين بزعامة اليهود الذين كانوا هم وراء إستعمال أنوثتها في أوروبا، حيث أغروا المرأة بالعمل في مرحلة أولى في منشآتهم القريبة من منزلها تسهيلا لأمر خروجها و إقناع الأسرة بالوظيفة و منع الإختلاط مع الرجال لتعمل مع بنات جنسها و تصون عفافها، ثم قام اليهود بإغراق المال على المرأة العاملة بالمنشأة البعيدة عن المنزل في المرحلة الثانية وبدأت المرأة تبتعد قليلا عن المنزل، و ساد الإعتقاد بأن المرأة تعمل و يجب أن تعمل خارج المدينة بدل أن تصير زوجة مرتبطة بالأومومة و التربية و رعاية المنزل، كونها عاملة و لها راتب و لا عليها إن كانت أم و ربت منزل، لكن لا تكون عالة على المجتمع، واليهود يحسنون صنعا لإجتذاب المرأة إلى العمل و ذلك لتغيب دورها عن جو الأسرة، حتى تطالب هي بالإباحية كونها كانت تحت قيد المجتمع عندما كانت خاضعة للرجل و عاشت الإكراه في كل شيء، وهي الآن تسعى طلبا للشهرة، و إستطاعت أن تؤكد مساواتها مع الرجل كمديفة ومضيفة و صارت لها الأفضلية تستشرى في عصر العولمة الآن. لاسيما أن الأنوثة صارت الآن متصيبة، و ليتهما سببه المؤثرات و التي أشرف عليها سيد العالم الأكبر و خاقان البر والبحر والجو جورج بوش الابن و المؤثرات السابقة لعهدته يطالب السيدات

¹ د. القطرجي. نهي الاغتصاب. مرجع سبق ذكره ص 222

الفاضلات و جميع الآنسات الإتصال به عبر البريد الإلكتروني أو بالأمين العام للأمم المتحدة الذي هو الناطق الرسمي للبيت الأبيض، قصد تطبيق وثيقة بكين، التي تمثل منتهى الإباحية الجديدة و مخطط ظاهر الملامح لتدمير الأسرة و المرأة و العودة إلى الجاهلية الأولى. و في الواقع الحضارة الغربية تسعى لتدمير الحضارة الإسلامية، التي تمثل المساوات بين الناس، و تقضي في الحقوق و الواجبات على الفوارق بين بني الإنسان لقوله سبحانه وتعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " سورة النساء آية 1، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة إن أصل الخلق من أب واحد و أم واحدة ليعطف بعضهم على بعض¹ لكن الأمر مختلف بالنسبة للحضارة الغربية التي بدأت تضمحل وقد شارفت على الهلاك بإذن الله تعالى، فهي حضارة علمانية مادية ذات كراهية للدين الإسلامي و نظمه الاجتماعية و قوانينه في الاجتماع الإنساني والأسري، و الحضارة الغربية التي إستعملت الأنثى لخلق الفوضى و لتدمير الأخلاق بسبب خضوعها لليهود و لأفكارهم عن الأنثى وعن الشذوذ الجنسي و اللاأخلاقي، و اليهود يعلمون أن حضارة الغرب في حالة من العقد بسبب إنحلال الأخلاق و الإنقراض الأسري و عدم تعويض الأجيال العجوزة بأجيال حديثة الولادة، و إرتفاع الطلاق بصورة مخزية والإمتناع عن الزواج بسبب الإختلاط بلا حجل أو حياء، و إرتفاع نسبة الأطفال غير الشرعيين بسبب ظاهرة الإلحاد، رغم أن الولايات المتحدة و بريطانيا و الإتحاد الأوروبي و من معهم دول تعتبر ذات مستوى عال من الرفاه و تعيش في الرفاهية. إلا أنها تريد فرض نموذجها الثقافي و الاجتماعي على العرب و المسلمين و تجعله شرطا مسبقا للإندماج الإقتصادي المعولم، و مع إنتهاء الحرب الباردة تغلبت الثقافة الإباحية بشكل متزايد على الإختلافات المذهبية و هذا

¹ ينظر. تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774هـ، مرجع

هو ما أطلق عليه صمويل هنتينجتون "صراع الحضارات"² أي أن القرن الحادي العشرون هو قرن صراع الثقافات، و ستضل الثقافة الإسلامية تقلق الحكومات الغربية رغم إلتزام حكامها الشفهي بالديمقراطية و التعددية فإن تصاعد الشريعة الإسلامية لن تتغير و لن يتغير حكم الله و رسوله و ما إتفق عليه أئمة المذاهب، و تبقى المرأة هي المرأة مهما بالغ الغرب في إستعمالها و إسقاطها في الإباحية و الرذيلة بحجج لا أساس لها من الحقيقة كل يسمع لجاجا و جدلا في مساواة المرأة بالرجل كما جاء في وثيقة بكين بخصوص مصطلح الجنس و الكلمة التي تشير إلى الذكر و الأنثى و تناسى الجميع حقيقة إختلاف الذكر و الأنثى هو من صنع الله "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى " سورة الليل الآية 3 و الإختلاف ناتج عن التنشأة الإجتماعية و

خصائص الأنثى و خصائص الذكر و الحياة الأسرية و البيئة التي يتحكم فيها الرجل. أرادت وثيقة بكين تغيير الهوية الجنسية و الأدوار المترتبة عليها و من ثم لا بد من الإعتراف رسميا بالشواذ و المخنثين، و الدعوة على المستوى العالمي في مجال حماية حقوقهم و الممارسة العملية لهم و المطالبة بإدراج حقوق المنحرفين ضمن حقوق الإنسان و منها الحق في الزواج و تكوين أسرة بالمفهوم الغربي مع الحصول على الأبناء غير الشرعيين بواسطة التبني و تأجير البطون، و تطالب الوثيقة بحق المرأة و الفتاة في الإستمتاع و التمتع بحرية جنسية آمنة مع من نشاء و تهوى و متى تشاء و كيف تشاء و هذا الإستهتار هو ظلم و هو تحطيم للمرأة، فبينما أكد المنظور الإسلامي على مكانتها السامية عند الله و عند الناس إن هي إهتدت و إستقامت على الهدى كما قال فيها:

شاعر النيل حافظ إبراهيم : الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.
و قال فيها أيضا نابوليون بونابرت : إن المرأة التي تهز المهدي بيمنها تهز العالم بيسراها

² ينظر. بي هانتجون صموئيل. الاسلام و الغرب أفاق الصدام. ترجمة مجدي شرشر. الطبعة الاولى. مكتبة مدبولي القاهرة 1995 ص 72 .

و قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من كانت لديه كريمة فأحسن تغذيتها و تربيتها و تعليمها كانت له عصمة من النار". هذا في الوقت الذي نجد فيه أن وثيقة بكين تطالب الدول بإعطاء الأولويات لتعزيز حرية المرأة و الإباحية التي أوصلتها إلى الإصابة بالأمراض الخطيرة و منها مرض الإيدز بإستعمال أنوثتها، و رأى الغرب من ذلك أن الأفضل في المرأة أنوثتها محكومة بوظائفها البيولوجية جنسا و سريرا في أمور إبتدعها اليهود إبتداعا، وفق معايير إباحية مصنوعة في غالب الأحيان، و الكثير كما كانت تقوم به البغايا في الجاهلية كن يضعن رايات مميزة تكون إعلاما على أبوابهن ليعرف زوارهن مكائهن و لا يمتنعن عن يد طالب بل يلبن رغباته و الغريب في الأمر أن الراية ولت و حل محلها تلفزيون الإستبضاع متبعا في عدد من الحضارات الغربية و بصورة خاصة عند الفرنسيين و الأمريكان الذين يسمحون بهذه المناظر الشاذة و الأخلاقية في تصوير الأنثى في مشهد الرذيلة .

و بالرغم أن مبدع الخلق هو الله تعالى و هو الأعرف بمن أبداع و بجوهر من خلق و طبيعته و الله يقرر أن الإنسان عبارة عن ذكر و أنثى و بالتالي هما متداخلان متعادلان، فإن الإنسان رجل و امرأة لا ينفصلان و لا ينقسمان، هذه المشاركة الإنسانية هي النفس الواحدة التي هي الأساس الذي تقوم عليه المساواة الأزلية بين الرجل و المرأة لقوله تعالى: " وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " سورة الذاريات الآية 49، و أيضا: " أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى " سورة القيامة آيات 36-39، و ليست وثيقة بكين التي إعتبرت المرأة العاملة هي المرأة المعتبرة. أما المرأة العاملة داخل المنزل - ربة الأسرة - فهي خارجة عن الشرعية الدولية بإعتبارها متخلفة و لأنها لا تمارس عملا مقابل أجره ثم إنها ربطت نفسها بعقد الزواج و الأطفال و التربية و تكوين الأسرة .

هـ_ العولمة القديمة:

ظاهرة جديدة قديمة بدأت مع سقوط غرناطة سنة 1492 إذ أنشأت محاكم التفتيش للإستخدام العنصري بشأن المسلمين بأمر من الكنيسة الكاثوليكية، و التصرفات الرعناء التي كانت تتسم بها بعد الإستلاء على الأندلس و إحتلال جانب من الموانئ المغرب العربي بعد ضعفه و تفهقره أمام زيادة التنافس بين الدول الأوروبية على إقتسامه و إكتشاف خيراته و الهيمنة الثقافية و التجارية لأصحاب رؤوس الأموال الضخمة في الغرب، و لم يكن المشرق العربي بأحسن حال إذ ضعف رؤساءه و إستصلوا بالدولة العثمانية التي بسطت نفوذها على بغداد و دمشق و القاهرة و الجزائر و كانت الحكومة في الآستانة على الأقاليم العثمانية ترسل باشاوات بإسم ولاية لحكم إقليم مصر و الجزائر و غيرها، و كان هذا الوالي أو الباشا العثماني يشبه إلى حد كبير نظيره المقيم في القاهرة أو في دمشق أو في بغداد و كان من كبار القياد العثمانيين غير أنه يحمل هبة الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية لأنه لم يقم بأي تطوير و تقدم في نظم الحياة السياسية حتى تحولت الجزائر في عهد الأتراك إلى ما يشبه الجمهورية العسكرية التي يتحصل و يصل فيها كل ضابط إلى منصبه حسب أقدميته. و إن كان الإعتماد على رؤساء البحر الأوجاق أو الإغاوات قادة الجند و الكتائب الإنكشارية، و كانت أهمية رؤساء البحر في إزدياد ثم إستيلائهم على السلطة حتى وقعت و سقطت الجزائر في أيدي القوات الفرنسية 1830، و مصر فقد إستولى عليها نابليون سنة 1798¹، و إحتل البريطانيون عدن سنة 1839 ثم مصر سنة 1882 و السودان و ليبيا إستولى عليها الإيطاليين سنة 1912، و هي نفس السنة التي احتل فيها المغرب الأقصى و من قبل تونس سنة 1899، و روسيا سيطرت على المقاطعات الإسلامية في آسيا الوسطى و إحتل البريطانيون المحميات الإماراتية العربية ثم جاء وعد بلفور 1917 الذي إستجاب لأمانى اليهودية الصهيونية بإنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي أستبدلت أحسن المساعي الغربية لتسهيل بلوغ غاية اليهود على حساب الفلسطينيين أصحاب الأرض و أصحاب الحق عليها،

¹ ينظر. الدكتور. أمين جلال . العولمة و التنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة الأوراغوي 1798-1998 الطبعة الثانية. مركز

هذه كانت بداية الأحداث التي أدت إلى العولمة بعد الحرب العالمية الثانية و ظهور النظام العالمي الثنائي القطبين بعد التخلص من المستعمرات بالنسبة لفرنسا و لبريطانية على الخصوص و البرتغال التي إحتلوها في القرن التاسع عشر و حصلت تلك المستعمرات بعد حروب دامية على الإستقلال السياسي². و لكن الغرب وضع الإستراتيجيات و الإجهات في كل المجالات الثقافية و الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية من أجل تثبيت و تغلغل الأنشطة و إنتشار القيم التي تتفاعل مع إتجاهاته قبيل أن تضع الحرب العالمية أوزارها، دعت الولايات المتحدة حلفائها للمؤتمر الذي إنعقد في مدينة بریتون ووتز سنة 1944 وضعت فيه الإستراتيجيات التي سידار عليها العالم من الناحية الإقتصادية و بعد التفكير خلص المؤتمر إلى إنشاء عدد من المؤسسات المالية تكون بمثابة الركائز التي يجب أن يقوم عليها النظام الإقتصادي العالمي و التي تتمثل في صندوق النقد و البنك الدوليین اللذان يقومان و يعملان على التخطيط المالي على المدى الطويل و يضاف إلى صندوق النقد و البنك الدوليین مؤسسة المنظمة العالمية للتجارة و هي في واقع الأمر الشريك الثالث لصندوق النقد الدولي و البنك الدولي للإنشاء و التعمير، هذه المؤسسات تقوم بالدرجة الأولى بخدمة من في أيديهم زمام الأمور و يمسكوا بمستقبل العالم فلا بد أن يجمعوا عند إتخاذ القرارات و الرؤى و الأفكار المهيمنة في مجلس الأمن الذي هو عبارة عن نادي دولي للنظر برأي جماعي لحل العضلات و المشاكل و تجنب المواجهة بين الكبار و اللعب مع الصغار عن طريق حقوق الإنسان، في إطار ميثاق الأمم المتحدة كما خطط الخبراء السياسيون و الإقتصاديون الأمريكيون و البريطانيون في مؤتمر بریتون ووتز و تمثلت المبادئ الحاكمة في مجال التعاون في المستقبل و خاصة الدول المتأخرة التي سادتها الفوضى و التي تميزت خصائصها بالإنقلابات العسكرية و نهب المال العام في إطار المحافظة على الهوية الوطنية، و لا ضير في أن تكون الولايات المتحدة وراء الإنقلابات و ويلاتها و سوءاتها و هذا من أجل منفعتها و فرض

² ينظر. الشامي صلاح الدين علي زين الدين. مقصود جغرافية العالم الإسلامي. منشأة المعارف الإسكندرية 1998 ص 312

ثقافتها و قيمها، و ما يرافق ذلك من إدعاءات تسوغ لقطب حقوق الإنسان و نشر الديمقراطية و النمو الإقتصادي و الإجتماعي و الحريات العامة، فقد ضمنت الولايات المتحدة الامريكية عن طريق صندوق النقد و البنك الدوليين و الجات الهيمنة السياسية و الإقتصادية و الثقافية و التي جعلت كل هذه المظاهر ترتبط إرتباطا وثيقا بعضها يشد البعض، و من ثم تصب في نقس الإتجاه المعولم حسب هندسة الولايات المتحدة الأمريكية للنظام العالمي للقرن الحادي و العشرين حتى تؤثر في حياة الأمم و الشعوب على ظهر المعمورة أينما وجدت و خاصة بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي في شهر ديسمبر 1991، و أحداث العراق و تحرير إمارة الكويت أعطت الولايات المتحدة الأمريكية معنى للعولمة و هو الإهتمام بالسياسات الخارجية و التوجيهات حيث تريد فرض زعامتها على الأقوياء و من ثم على سكان المعمورة بإسم العدالة و حقوق الإنسان، أما السبب الحقيقي هو تزييف الحقائق و التضليل و الترويج المتكرر و المتقطع و التي إستطاعت به بناء الأساطير لتصل حد التصديق و من ثم حقيقة للوصول إلى ضرب من تريد من المخاليفين لسياساتها بل هو أخطر من ذلك أنه لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية تقوم على تغيير نظام بلد مثل العراق لتحرر شعبه دون ثمن و لأجل عيون حفنة من الأتباع للأمريكان عاشوا في أحضانه و إحتموا بظله تاركين المساحة العراقية خالية من كل معارضة و نضال ضد النظام الديكتاتوري، كما يزعمون إن كانوا مناضلون حقا كما يقولون و أنهم أصحاب وطنية فليفعلوا مثل رومانيا في 31 ديسمبر 1989 إن كانوا حريصون على حب العراق. و حركى العراق إستجاروا بعدو صهيوني معروف بعدائه للعرب و المسلمين وشاهرا سيفه وقد أعلن حربه على السلام والمسلمين والإسلام، تعدى حجم التدمير الشامل الذي قام به على العراق و شعبه حيث لم يستثنى هدفا مدنيا و عسكريا إلا و دمره تدميرا كاملا، حتى شل كل مناحي الحياة ومقوماتها و حرق العراق بإسم الثقافة الغربية أرضه و شعبه، و ها نحن في نهاية السنة الرابعة على العدوان و إحتلال العراق وشعبه الذي أصبح لا يجد مكانا ليستقر فيه، أم أجهزة الدولة التي تم تشكيلها من طرف

المحتل فهي تائهة بين آراء و أفكار الثقافة الأمريكية ممثلة في المحتل (حاكم مدني وآخر عسكري)، شخص أو لجنة أمريكية تحقق وتخرج كل يوم بفكرة أو قرار قد لا يؤدي تطبيقه إلى ما يصبو إليه الشعب العراقي بل بالعكس يجد من طموحاته ويهضم الشيء الكثير من الحقوق، و المثال على ذلك هو القرار الأمريكي الذي تم به إلغاء الجيش العراقي وقوى الأمن والدفاع الوطني و إلغاء قانون الأحوال الشخصية المشتق كله من الشريعة الإسلامية، أين الحرية الثقافية التي جاؤوا بها أو جاؤوا لتطبيقها و المواطن العراقي لا يستطيع أن يمشي حرا في حارته و شارعها أو دربه و يتنقل من محافظة إلى محافظة فلا أمن ولا أمان ولا وئام. و المستعمر المحتل في إنتهاك الحرمات و المقدسات الإسلامية بإسم الغزو الثقافي الصليبي الذي سعى في الإبقاء على ضعف المسلمين و فرقتهم و على حزبيتهم الطائفية إلى دويلات عشائرية أو دينية أو مذهبية أو وطنية في الشمال الأكراد و الوسط السنة و الجنوب الشيعة، و هرول الناس نحو معتقداتهم بعدما كان العراق وحدة واحدة لا تتجزء يريدون الإنسلاخ عن الوطن العربي و عن الأمة العربية تحت مظلة الإحتلال الأمريكي الذي عمل على تعميق العداء و الكراهية بين أبناء الوطن الواحد في القطر الواحد الذي عاش فيه العرب و الأكراد بأمن و سلام، حتى جاءت الثقافة الإنجلو الأمريكية لطمس المعالم الحضارية التي تعود إلى عهد الملك حمورابي "2500 ق م" ¹ و طمس الهوية العربية الإسلامية و الشخصية و الجنسية هو الإطار الحاكم لإختراق الشعوب بالنسبة للقرن الحادي و العشرين، و من الطبيعي أن يكون الأقوى في الألفية الثالثة هو الذي يفرض ثقافته و يطمس باقي الثقافات و إختراقها و تعميم قيمه و معاييره على كافة الثقافات، و لأن الولايات المتحدة هي الأقوى تعمل على إشاعت قيمها و مبادئها و معاييرها الثقافية و هذا نتيجة إنفرادها كقوة مهيمنة في السياسة الدولية بحجة نشر مفاهيم الديمقراطية الليبرالية و العمل على تعميمها عن طريق أعوانها في الخارج و أصدقائها المعتدلين في الوقت الحاضر و القضاء على الموروث الثقافي القديم للأمم،

¹ ينظر. أمين سمير مرجع سبق ذكره، ص 31

يصل إلى إستعمال القوة العسكرية و الإقتتال كما هو جاري الآن في بلاد الرافدين و تصفية المجتمع بالسلاح كما هو الحال بالعراق إلى حد قتل الأطفال والنساء والشيوخ و إزهاق أرواح الغلبة الأبرياء وكما هو الحال في أفغانستان و باكستان أحداث المسجد الأحمر في الشهور الأخيرة إذ تحول الخصام بصورة كبيرة إلى العراق حيث تؤيد أمريكا هذا الفريق الإسلامي إذا كان الخطر قادمًا من الإسلاموية و مرة تؤيد الأكراد إذا كان الخطر قادمًا من كردستان العراق و مرة أخرى تؤيد الشيعة إذا كان الخطر قادمًا من الحركة السلفية والسنة و هذا من أجل إشعال فتيل الحرب و النار بين أبناء الكيان الواحد حتى يضعف الجميع الذي كان يسعى للسلطة ويرى أنه أحق بوراثته الحكم من المنافس الآخر، و يتحول الصراع على السلطة ويصبح الوطن مستباح في العرض والدم منتهكة حرمانه وقد إستفادت أمريكا و حلفائها بتغيب الوثام المدني والوفاق الوطني و الانفلات الأمني و الإنغلاق السياسي على الذات ورفض الآخر، و بالتالي تأتي الهيمنة الأمريكية كتعبير لفرض القيم والعادات الأمريكية فرضًا كنموذج يمثل العولمة الكونية بأكملها بحيث يحل محل حضارة بلاد الرافدين حتى يحقق العلوج المكتسبات الإستعمارية في نطاق الغزو لتحقيق الفائدة المرجوة من الإحتلال ألا وهي طمس مخزون الأمة العربية الفكري الحضاري في إطار النظام الحضاري العالمي الجديد والذي يتمسك بالتفوق العسكري كونه النظام الفعال للقرن الحادي و العشرين و الذي يقوم على إيديولوجية ومفاهيم الليبرالية المتوحشة، حيث فرضت ثقافة العولمة على باقي الثقافات إذ تمثل أخطر تحديات للألفية الثالثة و هذه الخطورة تتم بإجبار دول العالم العربي على إعادة هيكلة كيانها وفق الآليات و الأدوات التي سوف تستعمل و تستخدم لتوضيح ظاهرة العولمة التي ستقفز على الدولة و الوطن و الأمة، و تعمل الشركات المتعددة الجنسيات التي يتركز مقرها في الدول الأم أي الدول الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية و من على شاكلتها تقوم بتقديم رشاوي على الجماعات الضاغطة و كبار مسؤوليها من مختلف الفئات من أجل الحصول على الصفقات في دول العالم المتأخرة الفقيرة للإعلام و المتعطشة للغزو في جميع ميادين الأنشطة الإنسانية نظرا

لتعرضها لظاهرة العولمة الثقافية المنتشرة عالميا، و كأنها نسيج محكم كنسج العنكبوت عبر المعمورة و هذا خلال عقود الخمسينيات و الستينيات و في السبعينات، أحداث 1973¹ في أمريكا اللاتينية خصوصا الشيلي التي أدت إلى سقوط الرئيس الأندي سلفادور ذي التوجه الشيوعي، وما جرى لرئيس الحكومة الإيرانية عندما أقدم على تأمين مصافي النفط و أباريه قامت الشركات الأمريكية بإسقاط حكومة السيد مصدق، و ما يجري في إفريقيا كالكونغو و نيجيريا إذ الشركات الغربية العاملة هي الحكومة الفعلية، و أما السلطات النيجيرية أو الكونغولية فهي عبارة عن واجهة السياسة لتحقيق أغراض الشركات الكبرى العابرة للقارات حيث وجدت غايتها و إستراتيجياتها القائمة على الرياء الدبلوماسي التجاري الهادف إلى حماية المصالح الغربية و نشر القيم و إقحام الأسواق والإستيلاء على الموارد الطبيعية، حيث كانت طموحات الغرب منذ الإختراعات التي مهدت له الطربق للهجوم على العالم العربي و الإسلامي الذي إعتكف على عبادة الماضي في سبات طويل و عميق، بينما كان الغرب يسجل النصر تلوى النصر على تحدي الطبيعة و التحكم في التقنيات و ثورة المعلومات و الاتصالات الأسلكية التي تمتد عبر القارات حتى جعلت منها مقهى صغير يبيح لكل من يجلس فيه قبول أو رفض مشاكل العالم تحت المظلة الأمريكية راعية حقوق الإنسان و نشر الديمقراطية و هي في نفس الوقت حامية الضعفاء على مستوى المعمورة مثل "البوسنة و الهرسك، إقليم كوسوفا و كشمير، فلسطين، العراق و أفغانستان" و في هذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتن " إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، و أننا نستشعر أن علينا إلتزاما مقدسا لتحويل العالم إلى صورتنا"¹، من يستطيع أن ينكر أن هناك نمطا أمريكيا للعيش و الإستهلاك و تقليد الحياة الأمريكية في قيمها و غزوها للمعمورة من خلال الأفلام الأمريكية التي تسوق العادات و أنماط الحياة الاجتماعية المختلفة كونها وسيلة للسيطرة على الإدراك و تسطيع الوعي وتنميط الأذواق و تسويق أفكار التمايز

¹ ينظر. أمين سمير. نفس المرجع، ص 36

¹ ينظر. د. محمد الخزون العولمة بين منظورين . منشور على الانترنت ص7

البيولوجي التي تروج له ثورة المعلوماتية في الوقت الحاضر قصد إكمال حلقات التحكم في البلاد و العباد و الإقتصاد و الزمان و المكان

و-العولمة الحديثة:

كما سبق لنا أن رأينا أن الغزو الثقافي الوافد من الغرب بمفهوم العولمة القديمة، تحذو العولمة الجديدة بالتفرد الثقافي و طمس الهوية الثقافية للأمم بعولمات كثيرة مركبة ولها أشكال متعددة ثقافية و سياسية و اقتصادية و دينية، تحذو حذو المعايير و القيم الأمريكية بصورة متزايدة أو إكتساب أنماط حياتها، بإعتبارها أصبحت هي المهيمن على الثقافة الدولية بمفردها بالقطبية الأحادية قد جعلت منها كظاهرة عالمية، فقد بدأت رياح الثقافة الأمريكية تجتاح حتى الثقافات العريقة الراسخة المرتبطة بالتصورات و الأنظمة و السلوك الديني، ولهذا فإن الإستراتيجية المعولمة للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، تمت في الميادين الثقافية و الإقتصادية و السياسية و العسكرية من أجل فرض الثقافة الأمريكية غير القابلة للمقاومة في المدى المتوسط و خلق حياة للمجتمع العالمي على الصورة الأمريكية بواسطة الثالوث المالي الذي هو السلاح الفتاك بيدها، و الذي منحها منذ إنشائها منظمة الأمم المتحدة القوة العسكرية و الثقافية و الإقتصادية و التقدم التكنولوجي بلا حدود، وفي الوقت عينه، كان التفوق المالي و النظام النقدي الدولي أي أن الدولار أصبح "وسيط التبادل" و مخزون القيمة "يلائم مصالح السلطات الصناعية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية و كونه أي الدولار الأصل الإحتياطي الرئيسي المكون الأساسي للسيولة العالمية، ومن ثم أصبح المجتمع الدولي جميعه عمليا في الأعمال الإنمائية الكبرى محيطة بالثقافة الأمريكية أي أن الليبرالية الأمريكية تستثمر في أوروبا وكندا بواسطة الشركات عابرة للقارات و متعددة الجنسيات وفيه أيضا الشركات غير الأمريكية تستثمر في الولايات المتحدة الأمريكية التي تديرها إدارة أمريكية مطلقة، منذ أن إنهارت الحواجز التي كانت تضعها الأنظمة الإشتراكية منذ مطلع الستينيات من القرن العشرين الماضي حين إلتقى الرئيس الأمريكي (كندي) و الزعيم السوفيياتي (خروتشوف) في فينا

عاصمة النمسا سنة 1961 و إتفقا على إنهاء الحرب الباردة، و اقتسام العالم الثالث، و عزل كل من بريطانيا و فرنسا و إنزالهما عن مكائتهما الدولية. و هذا ما عرف بسياسة الوفاق بين العملاقين و لكن حقيقة الأمر غير ذلك، حيث كانت الولايات المتحدة تسعى للقضاء على الإتحاد السوفياتي الإشتراكي بكل الوسائل، و لذلك أعلنت حرب النجوم و سباق التسلح و إستجاب الإتحاد السوفياتي لهذا السباق و هذا الصراع إلى أن وقع صريع عام 1991، وكان من الطبيعي أن تعتبر الولايات المتحدة و حلفائها هذا السقوط و الإنهيار و التفكك إنتصارا أبيضاً للمبدأ الليبرالي بإعتباره نمط عيش و إنتصار بدون حرب في إزالة الكتلة الإشتراكية، ثم إنتهاء حرب الخليج الثانية و طرد القوات العراقية من إمارة الكويت على يد التحالف الذي قاده الولايات المتحدة الأمريكية ليعلن رئيسها جورج بوش عن ميلاد عالم و نظام دولي جديد، قائم على العقل الإلكتروني و الثورة المعلوماتية القائمة على أساس المعلومات، و الإبداع المتزايد أكثر فأكثر للأنظمة و الثقافات و الحضارات و القيم و إزالة الحدود الجغرافية و السياسية القائمة في ظاهرة العولمة الأمريكية التي تسيطر على الأسواق العالمية والشركات المتعددة الجنسيات التي لا تعترف لا بالدولة ولا بالوطن ولها ولاء واحد هو الدولار، وتعمل الثقافة الأمريكية بكل ما تتضمنه من الإباحية كالمرأة التي تصحب رجلا غريب إلى منزل العائلة وتباشر معه الغرام في منزل العائلة وتحت سمع وبصر أفراد الأسرة بإسم الحرية الجنسية، و المجتمع يقبل هذا السلوك الشاذ و هذه العلاقة بين الرجل و المرأة لأن الثقافة العلمانية تقبل هذا المشهد المحرم و الممنوع في المجتمع الإسلامي و يرفضها المجتمع الأخلاقي، إنما الثقافة الأمريكية تبدو رائعة و جميلة من الناحية النفسية بيد أنها تسعى بالتفرد و طمس الهوية الثقافية للأمم بواسطة السيناريوهات و الإخراج و التمثيل و الملابس الشفافة و الإضاءة و الإنبهار الفني عندما تقوم الممثلة و الممثل بالتمثيل عراة ما يחדش المشاعر الإنسان السوي، فإن الذي ينشأ عن هذا المشهد يكون مباحا بعدما كان محظورا في أي بقعة من المعمورة عبر الفضائيات وأجهزة الإذاعات والتلفزيونات و شبكات الأنترنت، فضلا عن كونه أصبح المبدأ الأول للحرية الجنسية الأخلاقية عبر وسائل

الإسلام

الإعلام والدعاية، و الأهم هو السعي لإذابة الثقافات و شيوع أطماع الإنغماس في الرذيلة، و إتصال الرجال بالخليلات بدون حياء و عار، بواسطة الإعلام الأمريكي الضال المنحرف الذي يثير الفتن و التبجح بالشهوات و طفحت مظاهر العنف و الجريمة و التحلل الأخلاقي، و القيم الفاسدة باسم الحضارة المادية ذات السوابق السقوطية و الهبوط إلى حال البهائم في موجة من جرائم العنف و الإغتصاب و السطو و السرقة، و هذا ما تراه أمريكا التحدي الثقافي الذي تريده أن يسود المعمورة كما كانت الثقافة الرومانية اليونانية و حتى الفارسية قبل ظهور الإسلام، و هكذا إنطلقت الإنحرافات الثقافية الأمريكية بصورة متزايدة كونها البضاعة الأكثر رواجاً و يظهر أنها سوف تستمر على هذه الحالة حتى المستقبل المنظور، بأساليب و صور و رسومات مما يظفي عليها الرؤية اللبرالية من حيث إطلاق القيود التي تعترض الجنس، كما أنها تعني تأمين الحريات الجنسية التي تكفل للمرأة حق الممارسة الجنسية و الحرية بالإستقلال المادي الذي يعني الخلوص من كل قيد أو عادة أو حياء يجد من التمتع بالحياة الدنيا في إطار الفلسفة المادية للحياة. و لدى كانت و لا زالت الحرية الجنسية لدى الأمريكيان تعني أن تكون المرأة قادرة على فعل ما تريده لا أن تكون مقيدة بأي قيد و لدى أصبحت الحرية تسبح في الشر و الرذيلة في عرف الثقافة العلمانية الأمريكية المعاصرة، و مع أن الأمريكيين يؤمنون بالنواحي المادية تحت سلطة اليهود و لا يؤمنون بما وراء الطبيعة أي بالغيبيات و النواحي الروحية ظهرت الحريات الفوضوية كما ان العلاقات الشادة في الإنتشار و شرب الخمر و المخدرات و اللواط و الإفراط في الإباحيات، وهي مقبولة في المجتمع الأمريكي عارياً و الثقافة الأمريكية تعمل على طمس الهوية للأمم وخاصة الإسلامية لا سيما بين الفتيات و الفتيان و الأجيال الشابة بإعتبارهم مستهلكين للمأكولات و المعلبات والمشروبات و الصور والأزياء ولكل المنتوجات الثقافية الأساسية للعولمة الأمريكية المتمثلة في سلسلة مطاعم مكذونالد الشهيرة، بعد غياب الإتحاد السوفياتي القوة الوحيدة التي كانت تقف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، و بعد إنحيار الكتلة الشرقية، أوقف الصراع الثقافي و

الإقتصادي و السياسي مع الأمريكان وأدى إلى عدة كيانات ودول أو دويلات مستقلة إنفتحت أسواقها أمام ثقافة الأمريكية من خدمات ومنتجات، ثم أن حرب الخليج الثانية فتحت شهية الولايات المتحدة لكي تقود العالم وهذا التعامل الجديد أفرز أشكالا للهيمنة بواسطة إيجاد مفاهيم و بثها وزرعها على المستوى الدولي، كالعولمة و حقوق الإنسان تحت ظل القطب الواحد، و أصبحت المخاطر بعد أحداث 2001/9/11 على اليهودية الثقافية للأمم و الشعوب و خاصة العربية الإسلامية أعظم، و أصبح الإستقلال الوطني و إرادات الشعوب في حق تقرير مصيرها بعد إختيار المنظومة الإشتراكية و إنتصار الليبرالية في مهب الريح. ذلك أن الحركة الوطنية التي قامت بدور التحرير و بناء الدولة الوطنية وتحديث المجتمع العصري، أصبحت مطوقة بالنظام العالمي الجديد، الذي تطبقه الولايات المتحدة الأمريكية والدول التي تسير على مشاكتها و هي تسويق ثقافة الديمقراطية و الحماية الدولية للأقليات و حقوق المرأة و الطفل و البيئة و إستخدام الأمم المتحدة كعصا لمن عصى و غوى¹ و كذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لطمس الهوية للأمم بشكل عام و للمسلمين بشكل خاص، فتلوم العرب متهمة إياهم ثارة بمساندة و دعم الإرهاب الدولي و أخرى بالأنظمة الدكتاتورية أو عدم إحترام حقوق الإنسان و الأقليات و لكن بسرعات متفاوتة و خاصة بعد إحتلال العراق و التجربة الفاشلة في تسويق الديمقراطية الغربية للبلاد الرافدين فحدث عكس ما كانت أمريكا و بريطانيا تريدان تطبيقه كوصفة علاجية بمجموعة مفاهيم عن الحياة في واقع الحياة و الدولة و المجتمع و من ثم و هما تعملان بكل قوة كي تصبح هذه المفاهيم مقاييس و شبه قناعات بالبسة للأمم العربية الإسلامية لذا فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على إيجاد دول كرتونية تدعى و ترفع شعار الإسلام بمباركته أمريكا أنها تستعمل على تطبيقه و هي في حقيقة الأمر لا تطبق إلا ما يرض الإدارة الأمريكية بإسم حريات الأديان و حتى إذا طبق يكون مشوها الأمر الذي جعل الغلابة يضيقون درعا للرؤساء

¹ ينظر. عقيل، نوري محمد. قياس اتجاهات الشباب العربي نحو المرأة: دراسة في أجديات الوعي التنموي. المستقبل العربي. 300، 300، 300

و الملوك العرب و أمريكا بدائها و خبثها جعلت العرب إلا قليلا الإنظام و الإشتراك طوعية لحرب الخليج الثانية التي كانت سماتها إشراك دول العالم ضد العراق و بالمناسبة توحيد الأنماط السياسية في العالم من أجل إعادة هيكلة الدولة الوطنية لتصبح دولة مؤسسات و تصبح الحكومة مؤسسة صغيرة. و الأفضل لها أن يشتمل أو يقتصر عملها فيما يتعلق بالأعمال الدبلوماسية و نتيجة لذلك يكون لها جيش صغير و التخلي عن الأسبقية للتسلح بالتدريج و إيجاد و ظهور دوائر بكامل أهليتها الأمنية و الهيئات الإستشارية تأخذ بنظر الإعتبار القطاع الخاص ممثلا و مقدما على الدوائر الحكومية و بالمقابل فإنه يبدو أن الحكومة تعامل في هذه الحالة كالقطاع الخاص و تتساوى مع أي مؤسسة قياسا لا تفضيلا و من ثم تعامل معاملة القطاع الخاص و ينتج عن ذلك بأن الحكومة هي إحدى مؤسسات المتخصصة في مسألة الحكم بشكل رئيسي أو بعبارة أخرى فهي تحكم و تملك و الأكثر من ذلك ان القطاع الخاص و المؤسسات هي التي تملك و لا تحكم و من الجدير بالذكر أن خطط و أساليب الدبلوماسية الأمريكية قد إستطاعت بعد حرب الخليج الثانية أن تحكم قبضتها على المعمورة و من ثم تصرف أمورها الإعتيادية و تحل مشكلاتها اليومية وفق المنظور الأمريكي الذي يناسب الثقافة الليبرالية و هي حرية التجارة و التأكيد على المساوات بين الرجل و المرأة و حرية السوق الحرة بمعنى الكلمة لشروط الثقافة الأمريكية أهمية قصوى للمنتجات الليبرالية بذهنية مرتبطة بالإستبداد و القهر و التفوق أمام المنتج المحلي و تعمل الثقافة الأمريكية على تطويق المنتجات الأوروبية و شركاتها الرأسمالية بإيجاد تكتلات و تجمعات عملاقة تجارية مثل إتفاقية (النافتا) و هي إتفاقية بين الولايات المتحدة الأمريكية و المكسيك و كندا. و إتفاقية (الإيباك) ظهرت إلى الوجود عام 1989 و تضم في عضويتها 17 دولة توجد بثلاثة قارات و الدول هي الولايات المتحدة الأمريكية، المكسيك أستراليا، كندا، الصين نيوزيلندا، اليابان غينيا الجديدة، هونغ كونغ، تايوان، بروناي إندونيسيا، سانغفورة تايلندا، كوريا الجنوبية، هذه التكتلات الثقافية الإقتصادية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية في

الإسلام

الحياة أي محاكاة الغرب المتفتح روحيا و أخلاقيا و على حساب التضحية بالقيم الثقافية الاخلاقية لهذه الدول من أجل الثراء و الرفاهية و الإنبهار بأفلام هوليوود و الكوكاكولا التي تتسامى على جميع المشروبات على المستوى المعمورة ساهمت مساهمة كبيرة في تحقيق الطفرة الثقافية الإقتصادية لأمريكا الشمالية و في الوقت نفسه تضم الولايات المتحدة الأمريكية منظمة (النافتا) لمجموعة دول أمريكا الشمالية (الاسيان) لمجموعة جنوب شرق آسيا و هي ماليزيا إندونيسيا بروناي فلين تايلندا و سانغفورة هذا بالإضافة إلى الدول الصناعية الكبرى و روسيا الإتحادية التي أضيفت سنة 1998 و هي الولايات المتحدة الأمريكية و كندا و اليابان و بريطانيا و فرنسا و ألمانيا و إيطاليا، و على هذا الصعيد التكتلي الثقافي و الإقتصادي نجحت الولايات المتحدة الأمريكية لفترات عديدة في إتخاذ القرارات الحاسمة كنموذج ثقافي في العلاقات الدولية في الوقت الحالي الذي خلف إختيار الإتحاد السوفياتي، لصنع القرارات المالية و الإقتصادية و التجارية على مستوى المعمورة و مع هذه التكتلات إضافة إلى الجات (الإتفاقية) العامة للتجارة و التعرفة الجمركية و هذه هي المرجعية الدولية أو بعبارة أخرى نشر القيم و المبادئ الأمريكية و فرضها فرضا على العالم بواسطة ثورة المعلومات و تقنيات الإعلام و المعرفة و الثقافة التي تجعل المستثمر الأمريكي الأبواب مفتوحة أمامه و لعل وضع القطبية السائدة في العلاقات الدولية من طرف الولايات المتحدة الأمريكية قصلت فيها بعد أحداث 2001/09/11 فقد أجاز الكونغرس الأمريكي قانون مكافحة الإرهاب و أعطى صلاحيات كبيرة للرئيس كالتنصت على المحادثة الهاتفية بوضفها طريقا يؤدي الوصول إلى المشتبه فيهم لأسباب ثقافية و دينية و الإجراءات التي إتخذها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لتقديم العرب و المسلمين المتهمين في قضايا الإرهاب إلى المحاكم العسكرية بمجرد إنتماء إنسان إلى الإسلام يكون تلقائيا عرضه للإشتباه و الظنون و الريبة و الإتهام و قد تغاضت الولايات المتحدة الأمريكية عن تجاوزات حقوق الإنسان التي جعلتها ثقافة لها و لن تتغاضى عن إنتهاكاتهما بل هي سمات من أجل الحصول على المساعدات و القروض من

الصندوق النقد و البنك الدوليين و هذا في مجال تنشيط الإقتصاد التي تصوع سياسته العولمة و تحدد علاقاته الولايات المتحدة الأمريكية القائمة على عدم دعم الأساسي للسلع الأساسية و الضرورية بشتى الأشكال و تخفيض التوظيف بالنسبة لليد العاملة و القيام بالإصلاحات الضريبية و النظام الجباية و تخفيض الإنفاق الحكومي و توظيف و زيادة أسعار الطاقة و الخدمات الإجتماعية و زيادة الأسعار المواد ذات الإستهلاك الكبير بشكل عام و العمل على جلب رؤوس أموال و زيادة الأسعار الفائدة من تكثير الإدخارات و تحرير التجارة الخارجية من العوائق و القيود و تشجيع الخوصصة و تحويل القطاع العام إلى الخاص بحجج واهية كضعف الإدارة بالنسبة للقطاع العام و سوء التسيير و عدم الإنتاج و فساد و رشوة و محسوبية و محاباة الأقارب كما هو جاري بالنسبة للدول المتأخرة كل هذه الإجراءات من أجل المستثمر الأمريكي الذي يجب أن تفتح الأسواق العالمية أبوابها حسب حساسية السوق و حرية التجارة من وجهة المنظور الليبرالي الذي إتخذ من مؤتمرات المرأة و السكان و الإتفاقيات الدولية لحقوق الانسان و القضاء على جميع أشكال التميز العنصري ضد المرأة مثل لوس أنجلس بالولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر الجنس أمرا عاديا بل أنها تصدر إلى بعض الدول آسيا نساء بعقود عمل وهمية لممارسة الجنس اللاأخلاقي كما هو جاري في بومباي بالهند و قرى الهيمالايا و النبال حيث تباع سنويا عددا من الفتيات المراهقات لهذه الأغراض¹ .

و واضح مما سبق أن الدول التي شرعت في نظام العولمة و قبلت بالإتفاقيات الخاصة بحقوق الاسرة و الزواج و حقوق المرأة و حقوق الطفل و العلاقات الجنسية و الإجهاض و الشذوذ و أهملت قيمها متى ثبت كل ما يتصل بالحياة الاجتماعية و تطبيق كل ما جاء في المؤتمرات (القاهرة بكين) الداعية لحرية الإنسان في تغيير جنسه و أيضا للفتاة و المرأة الحق بالتمتع بحياة جنسية آمنة مع من تريد و في أي سن تريدو كذلك مؤتمر نيويورك الذي إنعقد في 5 جوان 2000 يعتبر على رأس المؤتمرات من نايروبي 1985 و ما قبله من التأكد من مدى وفاء

¹ - ينظر. الدكتور حجازي عبد الفتاح بيومي . المحكمة الجنائية الدولية، دار الفكر العربي ، الإسكندرية 2004 ، ص 596

الإسلام

الدول و المنظمات غير الحكومية و حتى القطاعات الخاصة بالتزاماتها تجاه الحرية الإباحية للمرأة .

2- وضع المرأة في الاسلام :

و لعل من أهم مظاهر التفرد الثقافي و طمس الهوية الثقافية للأمم هي المظاهر الإعلامية للثقافة الأمريكية التي جعلت العالم يسعى ليلتحق بركب الولايات المتحدة الأمريكية في تبني قيم و منتجات الثقافة بصورة فعالة بالنسبة للدول، التي يمكن السيطرة عليها من خلال منظمة التجارة العالمية و المؤتمرات الخاصة بالمرأة و الدول التي تتمرد، فإن صندوق النقد و البنك الدوليين جاهزان للتدخل في الشؤون الداخلية و خاصة الدول العربية و الإسلامية و حتى الدول النامية التي تأخذ القروض من المؤسسات المالية الدولية وتعجز عن سدادها سواء القرض الأصلي أو الفوائد المرتبة عليها، و قد تلجأ الدول الدائنة إلى ما يسمى بـ (نادي باريس) أو تجمع البنوك الدائنة المسمى بـ (نادي لندن) قصد جدولة الديون أو تريد أخذ قروض جديدة لتفعيل و تنشيط إقتصادها، يطلب منها نادي باريس و لندن إحضار شهادة ممضية من طرف صندوق النقد الدولي يثبت فيها حسن سلوك الدولة المعنية بالأمر و للحصول على هذه الشهادة يشترط صندوق النقد الدولي عدة شروط منها :

- تخفيض قيمة العملة المحلية
- إلغاء الدعم الأساسي للمواد الغذائية الواسعة الإستهلاك
- إلغاء القيود على التجارة الخارجية
- طلب رضی أمريكا و بريطانيا و فرنسا و من معهم .
- حق المرأة و حق الفتاة فيما تمارسان من علاقات جنسية خارج الزواج و لا حاجة للتساؤل عما إذا كانت الفتاة متدينة أو غير متدينة .
- السماح بتعاطي الجنس بغير قيود و تقليل الإنجاب بالتوفير المجاني لوسائل منع الحمل .

الإسلام

و أخيرا و ليس أخيرا فلا بد من إيجاد صورة المرأة في تجلياتها الأنثوية في إنجداب الرجل نحوها بإرادتها الحرة حتى من خلال المنظور الثقافي الإقتصادي، و لا يتوفر اليوم للعالم العربي و الإسلامي أي من هذه الشروط فهو يتعرض إلى زلزال الظلم و الإستبداد من طرف مؤتمر بكين الذي طالب بفرض مساواة كاملة بين الرجل و المرأة في الميراث و بحضور سيدات مسلمات من عضوات المؤتمر، و كان الإسلام قيد ضيق الخناق على وضع المرأة و مكانتها في المجتمع الإسلامي. فهذا المؤتمر الدولي الرابع الذي إنعقد بالعاصمة الصينية بكين تجاهل حقوق المرأة منذ خمسة عشر قرنا عندما نادى بحقوقها الإسلام و شدد على إحترام آدميتها و صون شرفها و كرامتها، بعد ما كانت تعامل معاملة في غاية الزرابة و الحقارة و ليس عند العرب وحدهم و إنما كانت عند اليونان و الرومان و الهنود و غيرهم على أنها منشأ أو مصدر للأزمات، و أن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل و باطنها مسموم عندما تأكل منه العصافير تموت حالا¹.

هذا تحريف و هذا تزييف و هذا ترهيب و هذا تخويف، قد جعل بعض البطون من العرب كربيعة و كندة و تميم و طيء تقوم بوأد البنات إما خشية العار أو ندرة الأطفمة أو خشيتها معا، و المرأة كانت في الجاهلية تعد شيئا بإستطاعة الرجل أن يتصرف فيها كما يشاء و يحكم عليها كما يشاء أو ينعم عليها، و كانت العادة أن المرأة إذا أصابها الحيض لا يجالسونها و لا تأكل مع أفراد العائلة و لا تلمس ماعون و لا وعاء و لا شيء من وسائل الطبخ حتى لا يتنجس، أو ربما كانت تقيم بمفردها في خيمة حتى تطهر و كانت لا ترث بحجة أنها لا تحمل السيف و لا تحمي البيضة، ثم لم يكن لها على زوجها أي حق فيطلقها عدة مرات و هو يتزوج كما يشاء و لا قيود عليه له ما يشاء متى شاء، و كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غير أمه فإذا مات والده و أراد أن يتزوج زوجة أبيه طرح عليها عبائته و قد قال شاعرهم .

و إن من ألقى على زوج أبيه ... بعد التوى ثوبا يريه

¹ - ينظر. دكتور حسنين المحمدي . حقوق المرأة بين الإعتدال و التطرف. الطبعة الاولى . دار الفكر الجامعي الإسكندرية 2005

أولى بها من نفسها إن شاء ... نكح أو أنكح أو ساء

بالعضل كي يرثها أو تفتدي ... و مهرها في النكحتين للردى¹

و قد حرم الإسلام هذه العادة الحقيرة التي كانت تنتشر عند العرب لقوله سبحانه و تعالى " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا " سورة النساء الآية 22، يحرم الله تعالى زوجات الأباء تكرمة لهم و إعظاما و إحتراما أن توطأ من طرف إبنه فهو حرام في الأمة الإسلامية و هذا أمر مجمع عليه، بالطبع الإسلام رفض أن تعامل المرأة كسلعة غالبا لأغراض إنتاجية و ككبش فداء بوضعية المجتمع الجاهلي، حيث كان يسارع إلى زوجة المتوفي الأخ أو القريب فيلقي عليها ثوبه فتصبح زوجة له و إذا هربت و سارعت إلى أهلها قبل أن يصل إليها تحللت من إجبارها و إرغامها على الزواج من الأخ أو قريب الهالك حسب العادة و العرف، و في هذه الحالة تصبح حرة غير مقهورة و ترغب المرأة و هي تتزوج من تشاء. و أقر الإسلام للمرأة وضعية سنحت الفرصة بالمشاركة الفعالة في نشر الإسلام، و يكفيها فخورا بأول إنسان آمن بما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم هي امرأة السيدة خديجة بنت خويلد زوج محمد صلى الله عليه و سلم، و أن أول شهيدة في سبيل نشر الدعوى الإسلامية السيدة سمية زوجة ياسر و أم عمار بن ياسر، لا شك أن الديمقراطية التي جاء بها الإسلام نالت فيه المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة في طريق التقدم الإجتماعي و إرساء التساوي بين الرجل و المرأة، لذلك لا يجوز و لا يحق للرجل أو المرأة التباهي بالذكورة أو الأنوثة على السواء فالرجل و المرأة مخلوقان من نطفة من مني يعني لقوله سبحانه و تعالى: " أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنِي، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى " سورة القيامة آية 39، و قد وضع الإسلام لها مكانها إلى جوار الرجل في أصل الخلقة و هذه الحقيقة نراها واضحة جلية في كثير من الآيات القرآنية الكريمة و منها قوله سبحانه و تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ

¹ - ينظر . ياسر محمد عبد التواب . حق المساواة بين الاسلام و المواثيق الدولية . مصدر سبق ذكره ص 382 .

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " سورة النساء الآية 1، و شبهه بهذه الآية الكريمة في أن الذكر و الانثى من اصل واحد و في هذا إرساء لقاعدة التساوي بين الرجل و المرأة إذ إقتضت حكمته سبحانه و تعالى أن تكون جميع المخلوقات من ذكر و أنثى و في قوله عزوجل: " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " سورة الذريات آية 49، أي أن الله سبحانه و تعالى أوجد نوعين متقابلين كالذكر و الأنثى و الليل و النهار لأن هذا الكون الذي لا يعلم سعته إلا الله لا يصلح حاله إل بوجود هذين الزوجين، و إن كان التكوين البدني للمرأة يختلف عن تكوين الرجل و يحتم عليها أن تؤدي خلال فترة الحمل واجبات معينة كالولادة و الرضاعة، و الرجل يتحمل النفقة للمرأة و للمنزل و رعاية الرضيع الذي ينتهي إلى إنسان سوي في كنف الأبوين الكريمين، و الرجل ملزم بالإففاق حتى على أخته أو أمه و أبيه و هذا العبء الثقيل الواقع على الرجل الهدف منه هو تقوية الرباط الأسري و خلق الجو العائلي المبني على التآخي و الضمان الإجتماعي و رفع عن كاهل الأسرة ما تنؤ به من مشاكل على ألا تتعارض مع القيم و العادات الإسلامية، و الإسلام كان أول من نادى بأن تتمتع المرأة بحقها الجنسي المشروع كالرجل سواء بسواء و إن لم يستطيع الرجل على إشباعها و إرضاء رغباتها المشروعة فمن حقها أن تطلق منه، و كما أعطاه الإسلام هذا الحق و وضع لها أسس الزواج الصحيح السليم و الإستمتاع بالحياة الزوجية الدائمة، و ليس مؤتمر بكين الذي في الحقيقة هو خداع و شعار الإباحية الجنسية المؤقتة ثم الضياع الدائم عندما يتقدم العمر بالمرأة و تصير إلى الشيخوخة و تدبل زهرة العمر، و علينا أن نتساءل ما هو مصيرها في المجتمع الغربي و الأمل المعقود عليه و هو شعار النساء بيكين، و ظهر جليا شعاره اليوم أنه لا إله إلا الهوى أرأيت من إتخذ إلهه هواه. لقد زعم الشيوعيون و من معهم أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه و أعدل في توزيع و تقسيم الثروة على الجميع سواسية و ها هي نظريتهم تسقط في الوحل و أنها ركبان إمبراطورياتهم مثل جبل من الجليد و ما ريك بظلام للعبيد، و

الإسلام

الإسلام رفع من شأنها و أثبت عليها بما تستحق من تكريم و شملها بالرحمة و العدل و الرعاية و حرمت شريعة الإسلام تحريماً قاطعاً ما كان شائعاً عند بعض القبائل في الجاهلية من قتل البنت، و توعدت من يفعل ذلك بسوء المصير و قد إفتخر الفاروق بجده صعصعة بن ناحية و قال " و منا الذي منع الوائدات و أحيا الوئيد فلم يؤاد"، و كانت المرأة إذا أنجبت بنتاً تعيش في ظلام إجتماعي و إذا ولدت طفلاً إمتازت بالرعاية و توفير الراحة و لذا قال الشاعر :

إن المرأة حرة يوماً فلا عجب ★ و قد تجزي المدكار أحياناً (أجرات بمعنى ولدت بنت)

و قال آخر

كتب القتل و القتال علينا ★ و على الغانيات جر الذبول.

و قال آخر

و ما الحلبي إلا زينة نقيصة ★ يتم من حسن إذا الحسن قصدا¹ .

و الحلبي جمع حلبي من ذهب و فضة زينة للمرأة. و على هذا الحال كانت المرأة تنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها لا لتكون سيدة البيت بل لتؤدي فيه عدة وظائف بإعتبارها آلة إنجاب للأطفال و رعايتهم، و توفير الراحة للرجل و إدخال السرور إلى فؤاده في ظل تقاليد الجاهلية و هي من سقط المتاع، بل إنها كانت تعامل معاملة المال الذي ينتقل بالوراثة إلى أن رفع الإسلام وضعها و حررها من كل قيود العبودية، و ساوى بينها و بين الرجل في التكاليف الشرعية في كثير من آيات القرآن الكريم و في الأوامر الدينية، و في الثواب، و في الإحسان، و في العقاب على العصيان، و في توجيه الخطاب للرجل و المرأة معا لقوله سبحانه و تعالى: " إِنَّ

¹ - ينظر. الجوهري نصر اسماعيل بن حماد. الصحاح المسمى تاج اللغة و صحاح العربية . حققه و ضبطه ابو عمر شهاب الدين ،

طبعة جديدة و منقحة مصححة. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 1998 ص 458

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " سورة الأحزاب الآية 35 و الإسلام عندما تعرض لوضع المرأة و الحال كما ذكرنا تكلم عنها بكل إحترام و تشريف لا إمتهان و لا إساءة، فأخذ بيدها و أعادها إلى موضعها البشري المناسب و بث و زرع الأمل في نفسها الطيبة واعداد إياها بحياة سعيدة، و لم تعد مجرد تابع للرجل بل أعطاهما الإسلام الشخصية القانونية الكاملة لها مطلق حرية التصرف و السلطة على كل ما بحوزتها فتباشر نشاطها التجاري و المالي بإعتبارها ضوءا للرجل، و تتساوى المرأة مع الرجل في الأجر الدنيوي و الأخرى و الثواب و التكليف بالواجبات لقوله سبحانه و تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " سورة التوبة الآية 71، و للتأكيد على مكانة المرأة بما يتعلق بإصلاح المجتمع من أمر بالمعروف و نهي عن المنكر نذكر في هذا الصدد أن القرآن الكريم خص إحدى الصور الطوال هي سورة النساء و سورة أخرى وردت بإسم البتول الطاهرة مريم عليها السلام، و سورة أخرى طرقت حقوق المرأة الشرعية و واجباتها في الحياة الزوجية و هي سورة الطلاق، و سورة أخرى جاءت بحق المرأة التي إشتكت زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هي تقول يا رسول الله أكل مالي و أفنى شبابي و نثرت له بطني حتى إذا كبرت سني و إنقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " سورة المجادلة الآية 1، إن الآيات التي نزلت بشأن خولة بنت ثعلبة التي جاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم زوجها أوس بن الصامت الذي كان به لم أي جنون خفيف، فكان إذا أخذه لممه و إشتد به يظاھر من

إمراته و إذا ذهب لم يقل شيئا لم يمنع المرأة من طرح قضيتها على الرسول صلى الله عليه و سلم و هي تشتكي قائلة: يا رسول الله أكل مالي و أفنى شبابي و نثرت له بطني حتى إذا كبرت سني و إنقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، جاء الحكم من السماء بما يتعلق بإصلاح و حقوق النساء، و لحولة وقفه من عمر رضي الله عنه عندما لقيته و هو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها و دنى منها و أصغى إليها حتى قضت حاجتها و إنصرفت، فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجلات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك أتدري من هذه قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما إنصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلى أن تحضر الصلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها، هذا الإعراف بحق المرأة من طرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على حسن إهتمامه و عنايته بها، إنما هو حق التمتع بجميع الحقوق و الحريات التي جاء بها الإسلام الذي ساوى مساواة الرجل و المرأة في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية و الإجتماعية و السياسية و الثقافية و الدينية و المدنية¹

أ - المرأة و حقوقها في الحرية :

أرسى الإسلام حقوق المرأة في حرية التعبير فهذه أسماء بنت عميس رضي الله عنها تحاور عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم محمد صلى الله عليه و سلم و هي تروي القصة بمفردها و دون علم زوجها، قال عمر لأسماء سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت و قالت كلا و الله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يطعم جائعكم و يعظ جاهلكم، و كنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة ذلك في سبيل الله و في رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أيم الله لا أطعم طعاما و لا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس بأحق بي منكم و له و لأصحابه هجرة واحدة و لكم أنتم أهل السفينة هجرتان، قالت فلقد رأيت أبي موسى و أصحاب السفينة

¹ - ينظر. ابن كثير القرشي الدمشقي اسماعيل. تفسير القرآن العظيم. الجزء الرابع، ص 573

يأتونني إرسالا، أي أفواجا ناسا بعد ناس يسألونني عن الحديث.² و من خلال هذا و غيره نؤكد على أن الإسلام قد أبرأها من لعنة الخطيئة الأولى و وصمة بدء حياتها بالغواية و الإغواء، حيث كانت دريعة الشرائع الصينية و الهندية و اليونانية و هم أصحاب حضارات قديمة إلا أنهم تعاملوا مع المرأة بإعتبارها رجس من عمل الشيطان و هي الوباء و الموت و الجحيم و سم الأفعى و النار، و تعرضت للإستهزاء و الظلم المسلط على المرأة و حبسها وراء القضبان و هي التنين. رغم أن الله قد منّ عليها بإعطاءها حقها في الكرامة الإنسانية لقوله سبحانه و تعالى: " فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " سورة القصص آيات 25-26، قالت إحدى بنتي شعيب عليه السلام إستأجره، و هذا رفع شأن حرية المرأة في تأدب و إبداء الرأي بكل حرية في الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و ما أنكر عليها في شيء بل إستأجر القوي الأمين من هذا الإشكال، لا مانع للمرأة أن تبدي آراءها و تهدب أخلاقها و تحسن النصيحة بعيدة عن المكاييد و إختراع الحيل، فيتبين لنا أنه منذ القرون الأولى كانت المرأة تمتاز بسعة الأفق و الحكمة حينما تشارك في أندية المشاورة و التعاون بين النساء و الرجال بالنسبة للحوار البناء من أول الخليقة لقوله عزوجل: " إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ " ثم يقول: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" سورة النمل الآيات 23 - 33، فإن نظرنا و تأملنا موقف سليمان عليه السلام حين علم بخبر الملكة بلقيس لم يستنكر عليها الملك كإمرأة سياسية و إنما إستنكر العقيدة و هي عبادة كوكب

² - ينظر. الواء الدكتور، بودادي حسين المحمدي. مصدر سبق ذكره ص 61

الشمس، و نلاحظ أن هذه المرأة تطبق مبدأ الشورى بهذا نفهم أن المرأة ذات عقل و حكمة و تدبير في سياسة الملك بالنسبة لملكة سبأ، و نرى أن الأفضلية ترجع لحسن التصرف في أمور السياسة و إدارة الأزمات بالحكمة و الحنكة و درجة الثقافة السياسية و الوعي، لدى المرأة لا تنحصر في كونها ملكة سبأ و هي القائلة أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمر حتى تشهدون في التعامل مع بعض المشكلات السياسية قبل إتخاذ القرار الذي يتم الإتفاق عليه لمناقشة سبل منع الحرب و الحفاظ على الشعب و الوطن الذي يتطلب التنسيق و التفاعل بين جميع الأطراف، و بناء علاقة الحوار و إحترام الآراء و مصير و مستقبل الأمة و إيجاد الحلول اللازمة و تفاهم أفضل من قبل أهل الحل و العقد، و يجلو لنا بمناسبة الحديث عن حقوق المرأة و إستقلالها في إبداء الرأي و إحقاق الحق و إصلاح الخطأ قوله سبحانه و تعالى: " وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنَا خُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا " سورة النساء الآية 20، هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قام يلقي خطابا أمام جمع من المسلمين حول الغلو في صداق النساء و قال ألا تغالو في صداق النساء فإنها لو كانت مكرومة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه و سلم، ما أصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم إمراة من نساءه و لا أصدقت إمراة بين بناته أكثر من إثني عشرة أوقية، و إن كان الرجل ليبتلي بصدقة إمراة حتى تكون عداوة في نفسه و حتى يقول كلفت إليك علق القربه¹ و هذه المغالات في مهور النساء لم تمنع إمراة من الحاضرين في معارضة أمير المؤمنين و صاحبت به ما ذاك لك؟ الله يعطينا بالقنطار و أنت تعطينا بالدينار، و يعلن خليفة المسلمين عن رجوعه عن رأيه و يقول كلمته المشهورة " أصابت إمراة و أخطأ عمر " هذه هي قمة الحرية الديمقراطية فانبرة إمراة في وجه الخليفة فلم يرى أي حرج أو غضاضة في نفسه و لم يرسل لها زوار الفجر لأن الإسلام حررها و كرمها و إحترم رأيها و مشاورتها في الأمور السياسية للدولة و منحها حق الإعتراض، حيث حصلت على حقوق

¹ - ينظر . بن كثير الدمشقي . تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، ص230

سياسية و شاركت في نشر الدعوى الإسلامية على أن المرأة مثل الرجل لأتھما من جنس واحد و يشتركان في الإنسانية، بل أباح لها لبس الحرير و الذهب و الفضة و اللؤلؤ و المرجان و حرمهم على الرجل، و قد نالت شرف بيعة الرضوان فقال الله سبحانه و تعالى: " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " سورة الفتح الآية 18، و قد كفل الإسلام للمرأة حق الإجارة و الدور التي تؤديه في إقامة السلام، فقد إستجار بأم هانيء رجل فأجارته فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يريد قتله فمنعته و حاكمته إلى محمد صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " قد أجرنا من أجزت أم هانيء "، هذه الدلالة الواضحة على دور المرأة في حرية إبداء الرأي على إحترام شخصيتها المعنوية و سواها بالرجل في الأهلية و الوجوب و الأداء، و أعطاهما حق التصرف و مباشرة جميع العقود كإجارة و حق البيع و حق الشراء و حق الدائن و المدين و الرهان و الإشراف على مالها الخاص، و حق المتاجرة و إستعمال من ترغب و تشاء عليه و لها الحق في الهبة و تهب من رزقها و مالها لما شاءت، و تتصرف و تتصدق على من تشاء و كيف تشاء و لها الحرية في الإستقلال الشخصي، حيث لا تفقد و لا تحرم المرأة من شخصيتها و لها الحق بالإحتفاظ بنسبها و الإسم العائلي بالنسبة إلى أسرة زوجها خلاف الأديان الأخرى التي تلغي شخصيتها نهائيا و تسير تابع إلى أسرة الزوج و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إنما النساء شقائق الرجال " - رواه أبو داود -، و بالنسبة للإشتغال بالسياسة فالإسلام لا يمانع و لا يحرم المرأة بالإشتغال بالأمر السياسية فلها الحق في الإنتخاب أي تنتخب و تنتخب، و أن تتولى بعض الوظائف التي هي من أهليتها و ما يتطلب علما بالدين و معرفة حاجات المجتمع كتربية الأطفال و تطبيب النساء و التعليم و الرعاية الصحية الكاملة و الخدمة الإجتماعية و الإبتكار و تحمل المسؤولية، و لها حق حرية إختيار الزوج و لا يجوز إكراهاها على ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، و لا البكر حتى تستأذن قالو: يا رسول

الله، كيف إذن؟ قال: ان تسكت"، و عن خنساء بنت خدام أن أباه زوجها - و هي ثيب دون أن تعرف رأيها، فأنت رسول الله - تشكو - فرد زواجها، لأن رضا المرأة لا بد منه حتى يكون عقد الزواج صحيح، ومن حقها الاعتراض إذا رفضت و رأت أن الرجل ساقط المروءة و ربما يسيء معاملتها، و إنما قصده قضاء لشهوة عابرة أو نزوة طائشة. و الإسلام حرر المرأة و غير نظرة المجتمع إلى أنوثتها و صفاتها، و جعلها تتساوى بالرجل في الصفات والقدرات العقلية و في مقاييس الابتكار مع الحشمة و الأناقة و توظف المرأة في جهاز الدولة و الإدارة و كافة المرافق العامة حيث تستطيع الإتقان و الإجداد و لكن بعيدة كل البعد عن أبصار الذئاب، ولهذا نجد أن المرأة سبقت الرجل إلى الإسلام منذ الوهلة الأولى، لقد حررها من الإستغلال و الإمتلاك إلى مقومات الشرف والعدالة الاجتماعية التي جعلت الرجل و المرأة سواء في حقوق الحرية مع الضوابط الشرعية .

ب- المرأة و حقوقها الاجتماعية و الاقتصادية :

المرأة في الإسلام تشارك الرجل في الحقوق الاجتماعية و الإقتصادية كما تشارك في الحياة السياسية لقوله سبحانه و تعالى : " **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " سورة التوبة آية 71، و على هذا أكد الإسلام إحترام حقوق المرأة الاجتماعية و الإقتصادية و حقوق عديدة، و التي ما زالت القوانين الوضعية تعمل جاهدة للوصول إلى ما أعطى الإسلام للمرأة منذ خمسة عشر قرناً، أعطاهما حق البيعة و هذا دليلاً على إهتمام الإسلام بالمرأة منذ ظهوره بالنسبة للسياسة و إتخاذ القرار بنفسها، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأخذ البيعة من المرأة بشكل علي و ثبات الطاعة لله و لرسوله و الخروج من ملة الكفر و الشرك، والبيعة تعتبر أمر إلهي لا بد من إثباته قبل الإنضمام و الإنخراط في المجتمع الإسلامي، لقوله سبحانه و تعالى: " **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ**

يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بُهْتَانٍ يُفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " سورة الممتحنة الآية 12، إن في مبايعة النساء لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حق إنصاف و إستقلال شخصية المرأة و حرياتها و دورها في المساواة، فهي
تبايع كما يبايع الرجل و مشاركة المرأة في العمل السياسي كونها عضو فعال في المجتمع
الإسلامي، بل إن المرأة المسلمة سبقت الرجل في الدخول للإسلام فهذه أم حبيبة سبقت
أباها و أخاها - أبا سفيان و معاوية - و كانت ممن هاجر إلى الحبشة، و لأم حبيبة موقف
شجاع مع أبيها عندما قدم المدينة المنورة ليمد في صلح الحديبية بعدما قرر الرسول صلى الله
عليه و سلم فتح مكة المكرمة فلم يقبل منه رسول الله، و ذهب أبو سفيان بن حرب لزيارة
إبنته أم حبيبة رضي الله عنها فلما توجه ليجلس على فراش رسول الله اسرعت و طوته حتى لا
يجلس عليه، فقال أبو سفيان يا إبنتي إرغبتي بهذا الفراش عني؟ فقالت بل هو فراش رسول الله
صلى الله عليه و سلم وأنت إمرؤ نجس مشرك¹، يتجلى من هذا الموقف قوة المرأة المؤمنة التي
تعمل عمل شريف حتى مع الأب المشرك. و مما تقدم نرى أن الإسلام منح المرأة حق التعليم،
و الإسلام علم ونور لذا كانت المرأة كالرجل في تلقي العلم والمعرفة من حيث الأمر بالتكليف
و لذا منح المرأة رخصة الخروج لطلب العلم، وإن تقبل عليه مناشدة العلماء في شتى مجالاته و
الحفاظ على عفتها كما كانت المسلمات في الصدر الأول من ظهور الإسلام، كنّ نابغات في
مختلف العلوم فقد ورد في حديث مسلم أن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم و هو مع أصحابه فقالت: بأبي أنت و أمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ان
لله عزوجل بعثك إلى الرجال و النساء كافة فأمننا بك و بالله نحن معشر النساء محصورات،
مقصورات قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع
والجمعات و عيادة المرضى و شهود الجنائز والحج بعد الحج و أفضل من ذلك الجهاد في سبيل

¹ - ينظر. بودادي حسين محمدي ، مصدر سبق ذكره ، ص 183

لله عز و جل و إن أحدكم إذا خرج حاجا، أو معتمرا، أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم و غزلنا أثوابكم و ربينا أولادكم أفنشارككم في هذا الأجر و الخير؟

فالتفت رسول الله صلى الله عليه و سلم بوجهه الكريم ثم قال: " هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه، قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا! فالتفت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: " أعلمي أيتها المرأة، و أعلمي من خلفك من النساء أن حسن إتباع المرأة لزوجها، و طلبها مرضاته، و إتباعها موافقته يعدل ذلك كله" و من هذا الحديث نرى حرص الإسلام على تعليم المرأة، و في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله ذهب الله بمدينتك و في رواية غلبنا علينا الرجال- فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: إجتمعنا في يوم كذا و كذا، في مكان كذا و كذا فإجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلمهن مما علمه الله ثم قال " ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار" فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنين قال فأعادتها مرتين، ثم قال (واثنين واثنين واثنين) - رواه البخاري و مسلم - في صحيحهما و المرأة كانت تسأل في الدين فقد جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم: فقالت إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا إحتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم نعم إذا رأت الماء " - رواه البخاري - وطلب العلم و التفقه و الإستنباط مباح للمرأة بشكل عام، بل هو فريضة من فرائض الدين الإسلامي الحنيف في هذا المجال، حيث تساوي المرأة و الرجل في المسؤولية والعمل الاجتماعي في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ترى المؤمنين في تراحمهم و توادهم و تعاطفهم كمثل الجسد إذا إشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر و الحمى - رواه البخاري و المسلم - و إحقاقا بالحقيقة ذكر المؤرخون المنصفون أن الإسلام كان من أوائل المطالبين بإستقلال المرأة في مباشرة التصرفات المالية، و التجارية و

ما يتبعها من بيع و شراء و مساقاة، فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج محمد صلى الله عليه وسلم، كانت تعمل في دباغة الجلود وحياتها قبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد زواجها منه، وكانت تتصرف في نتاج عملها من أموال كيفما تشاء، لأن النفقة ملزم بها الزوج دون الزوجة، و إذا حدث و قدمت المرأة العاملة لزوجها بعض المال أي مالها الخاص بها فهو على سبيل الهبة أو الصدقة، ولهذا فالمرأة العاملة لها كل الحرية في التصرف إذا أرادت المشاركة في الأعباء المنزلية لأن لها إستقلال الدمة المالية، و هي كزوجة و أم للصبيان تتصدى فيما يسمح لها من الأعمال المنزلية و تصرف أوقاتها في التربية أو أن تقوم بأعمال الرجل من أجل كسبها الخاص المستقل عن الزوج، و في هذا الصدد يقول جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : من غرس هذا النخل ؟ أم مسلم أم كافر؟ فقالت بل مسلم، فقال : لا يغرَس مسلم غرسا و لا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان و لا دابة و لا شيء إلا كانت له صدقة " - رواه مسلم -

فالمرأة تمارس النشاط الذي لا يتنافى مع طبيعتها كأنثى و لا يكون عائقا بينها و بين مسؤولية البيت و الإهتمام بالأسرة، فوظيفة المرأة و الرجل هو الإنجاب و ليس الإرتواء الجنسي لأن علاقة المرأة بالرجل يجب أن تكون علاقة حب يتشترط فيه التكافؤ، و ليس قائما على الأسباب المالية و الإقتصادية و الجاه و المركز الإجتماعي أي الإكفاء في الدين و المحافظة الكاملة على المساواة بين الرجل و المرأة، فتكون المرأة مسؤولة عن البيت و تربية الأولاد و يكون الرجل مسؤول على الإنفاق على الأهل حتى تكون المساواة الحقوقية و الواجبات الشخصية و الودية، إضافة لذلك أن ترتدي اللباس الشرعي و عدم الإختلاط و التبرج أو السفور أو الخلوة فهذا هو أهم الأهداف في حياة المرأة و الرجل على حد سواء فعن ثابت البناتي عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: و الله ما مثلك يا أبا طلحة يرد و لكنك رجل كافر و أنا امرأة مسلمة و لا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهري و

لا أسألك غيره، مع أنه كان أكثر مالا من الأنصار في المدينة فأسلم فكان ذلك مهرها قال ثابت البناتي : فما سمعت بإمرأة قط كانت أكرم مهرا من أم سليم - رواه النسائي - من خلال هذا الحديث يتبين لنا أن المرأة كانت لها الكلمة في الحياة الإجتماعية العامة و تتحمل المسؤولية لنشر الإسلام، و تزداد مشاركتها في النشاطات الإجتماعية التي تجري داخل المجتمع الإسلامي فهذه زينب زوجة عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما كانت تنفق عبدالله بن مسعود و إيتام في حجرها فقالت لعبدالله زوجها : سل رسول الله صلى الله عليه و سلم أيجزي عني أن أنفقت عليك و على أيتام في حجري من الصدقة ؟ فقال : سلي أنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنطلقت إلى النبي فوجدت إمرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا سل النبي أيجزي على أن أنفق على زوجي و أيتام في حجري؟ و قلنا لا تخبر بنا! فدخل فسأله فقال : من هما؟ قال زينب قال : أي الزيانب ؟ قال : قال إمرأة عبدالله قال : قال نعم و لها أجران أجر القرابة و أجر الصدقة " - رواه البخاري و مسلم - .

نرى حرص عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على توجه إمرأته بنفسها لتتعلم و إعطائها الحرية في ذلك دون وصاية من أحد، و مثال آخر على رأي المرأة في مجال السياسة و الأخذ به كما فعل صلى الله عليه و سلم " فعن المسور بن محزمة و مروان يصدق كل منهما حديث صاحبه قالا ... فلما فرغ من قضية الكتاب في صلح الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: قوموا فإنجروا ثم إحلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله و تحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ و تدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه و دعى حالقه قحلقه، فلما رأو ذلك قاموا فنحروا و جعل بعضهم يحلق بعضا ... " - رواه البخاري - و ها هي المرأة مستشارة في قضايا سياسية خطيرة أشارت على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يتلقى الوحي من السماء و لكن الله سبحانه و تعالى يحترم عقل الإنسان أم سلمة و يأخذ

النبي برأيها و كان صائبا و سديدا و هذا ما أيده أفعال صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ليس مؤتمر بكين الذي إمتن على المرأة و تكرم بإلغاء الفوارق بين الذكورة و الأنوثة و تحويل الإنسان الذي كرمه الله تعالى و إستخلفه في الأرض إلى مسخ لا هو بالذكر و لا هو بالأنثى، و قد إعترف هذا المؤتمر بل طالب من الأبوين بالتغادي عن النشاط و الممارسات الجنسية للأبناء مع الإيهام للتدليل ببراءة البنية الجنسية التي يدور حولها مؤتمر بكين لترقية المرأة، و لكن إلى فعل الفاحشة بجرأة و جهارا من خلال رفض مفهوم الدين الذي هو إستلاب لحقوق المرأة و هو شكل من أشكال الأوهام الذي تصاب به المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة للشرف و للعفة و الأخلاق. فمؤتمر بكين يستأصل الدين لأنه لا يقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف فئات المجتمع، إذ يشترط الدين أن تكون العلاقات بين المرأة و الرجل بعقد شرعي داخل إيطار الزواج القائم على الفرض و السنة و الكبش و الحنة و يحارب الشواذ، و قد سعى واضعو و منظمو مؤتمر بكين إلى تدمير الأسرة الإسلامية بإعتبارها الوحدة الأساسية لتماسك المجتمع العربي رغم الإستعمار الذي تميز الوطن العربي في عهده بالتقاليد البالية الراكدة التي كانت تعوق حقوق المرأة المسلمة الإجتماعية و الإقتصادية و التي تبوأته الأهلية الكاملة تحت ظل الإسلام لمباشرة النشاط الإسلامي في سياق رسالة التجانس بين ما هو روحي و ما هو مادي، فضلا عن التشريع الإسلامي الإجتماعي الرائع القادر على صناعة مجتمع متماسك و مدجج بالأخلاق الحميدة، و كذلك رسالة الإسلام إسلام الأبناء و التآلف و الوئام الإجتماعي الذي منح للمرأة المرتبة الأولى لقوله صلى الله عليه و سلم " إن الجنة تحت أقدام الأمهات " تلك هي الحقائق المرأة المسلمة المقررة في صورة قدسية ألم يقل رسول الله صلى الله عليه و سلم للأعرابي الذي سأله : من أحق بصحبتى و في حديث آخر بمحبتى يا رسول الله؟

- قال: أمك

قال الأعرابي: ثم من؟

الإسلام

- قال أمك

قال الأعرابي: ثم من ؟

- قال أمك

قال الأعرابي: ثم من

قال أبوك

و هكذا إنقشعت الظلماء و سطع الضياء ضياء حق المرأة المسلمة و عندئذ برزت حقوقها الاجتماعية و الإقتصادية برعاية الإسلام، حيث أعطاهما نصيب في الميراث كما سنرى وقد ساوى بين المرأة و الرجل في حق الملكية والحقوق اللصيقة بالشخصية أو الحقوق الملازمة للشخصية، فقد كانت تصلي خلف الرجال و تشارك في الفتوحات كمرضة و مضمدة للجراح وساقية للعطاش و مقاتلة في ساحة الجهاد، كما كانت تاجرة و تشارك في الجمعيات و المجتمعات السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية و عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكية تقول: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع به خسيسته و أنا كارهة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الأب و نهاه عما فعل فترك الأب الأمر إلى إبنته و قال معتدرا: يا رسول الله أنني إتبع ما صنع أبي فقالت الفتاة إني أجزت ما صنع أبي و لكنني أردت أن أعلم النساء إن ليس للأبأء من الأمر شيء، و قال في هذا صلى الله عليه وسلم " النساء شقائق الرجال "، و بذلك نرى أن المرأة نالت حقوقها كإنسان قبل أن تكون أنثى بينما كانت المرأة اليونانية معزولة تماما و خارجة عن المجتمع و مهانة و مدلة، وكذلك المرأة الرومانية كانت محل إستهتار من طرف المجتمع والحضارة الرومانية حيث كان من حق الرجل (الزوج) أن يحاكمها عندما تتهم بجريمة ما و من حقه أن يعاقبها حتى عقوبة الإعدام ويقوم بتنفيذ الحكم هو بنفسه!، وفي هذا الوقت بالذات في القرن السابع الميلادي أجرى الإسلام تغييرا جذريا عظيما في حياة المرأة العربية، إذ أعطاهما حقوقا كبيرة تفوق في حقيقتها الحقوق التي منحتها الجمعية العامة في 10 ديسمبر 1948 بعد إنجازها من

طرف الأمم المتحدة، كانت دعوة الإسلام قد حررت حتى العبيد في الجزيرة العربية و جعلتهم على مستوى واحد مع الناس الأحرار، فهذا زيد ابن حارثة يعهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيادة العامة لأول جيش يرسل إلى خارج الجزيرة العربية وفي الجيش أشرف الطبقة الأرستقراطية كعمر و أبو بكر و غيرهم من شبان قريش الأحرار التي كانت ترى نفسها فوق جميع الناس، وقد تعهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل قيادة الجيش تحت إمرة زيد ابن حارثة ولا يجعلها لعمر أو علي أو أبو بكر أو جعفر بن أبي طالب حيث أعلن سياسته الجديدة بأن العبد السابق و الذي هو الكفاء المخلص كإنسان يستطيع أن يتولى قيادة الجيش حتى و لو كان بين من يأتمرون بإمرأة العبد في الجاهلية من أعرق الناس نسبا و من صميم عائلة محمد صلى الله عليه و سلم نفسا، و هذا بلال الحبشي رضي الله عنه و سلمان الفارسي و صهيب الرومي و غيرهم كثير هو مثال ساطع على محاربة الإسلام للتمييز على أساس الجنس و اللون و العنصر و العرق، فهذه أم عطية الأنصارية تقول: غزوت مع رسول الله سبعة غزوات كنت أحرص متاع الجيش و أصنع له الطعام و أناول المحارب الإسلامي السيف و الرمح، و ممرضة أدوي الجرحى و أسقي العطاش، و هكذا كانت مكانة المرأة المسلمة السامية عند الله و عند الناس و قد إستقامت في عهد الرسالة و هي إحدى نهوض أسباب العرب و قيام حضارتهم.

ج- الرد على الشبهات على وضع المرأة من طرف دعاة العولمة:

لقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقا واسعة فمنحها حق التمتع بزينة الحياة الدنيا و المساواة مع الرجل في طلب العلم و الكرامة الإنسانية و المساواة في التكليف الشرعية لقوله سبحانه و تعالى: " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ " سورة النور الآية 2 و هذه المساواة في تحمل المسؤولية و المساواة في أصل التوارث و في أصل الشهادة و القيام بالعمل الصالح و المساواة في الحقوق المدنية و السياسية، حق المرأة في قانون العمل أثناء الوضع مع إجازة أجر كامل لمدة ثلاثة شهور، حق المرأة في القانون الجنائي الذي لا يتولى تفتيش المرأة

الإسلام

المتهمة إلا امرأة، حق المرأة في الإستفتاء والترشح في المجلس الشعبي الوطني و المحليات الشعبية، و لن تستقيم أمور الدول العربية و الإسلامية إلا بإتباع تعاليم الإسلام في جميع الميادين و في كل شيء لأن المنظور الإسلامي جاء بالحرية الكاملة و أخرج المرأة من العبودية إلى التكريم، و ليست البروتوكولات الدولية لحقوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة و لا حتى الإعلام العالمي لحقوق الإنسان في 10 ديسمبر 1948 الذي يعتبر أول بيان دولي أساسي تناول حقوق كافة أعضاء الأسرة الإنسانية، و جعل الحقوق المدنية و السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافية يستحقها الناس على أساس أنهم ولدوا أحرارا متساوين دون تميز في الكرامة و الحقوق و الحريات الأساسية، و حرية التنقل و الإقامة والإنصاف القضائي، و حرم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التعذيب أو المعاملة السيئة أو الإسترقاق أو الإستعباد أو التعسف، إذ أدت المرأة في عهد الرسالة الإسلامية دورا مشرفا فكانت بين العشر الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة ثلاثة نسوة هن : رقية بنت محمد صل الله عليه و سلم هاجرت مع زوجها عثمان ابن عفان، و سهلة بنت سهيل زوجة أبي حديفة ابن عتبة، وأم سلمة بنت أبي أمية زوجة أبي سلمة بن عبد الأسد¹ و كانت المرأة من أوائل من بايعن بيعة العقبة الثانية إمرأتان من الأنصار هما: نسيبة بنت كعب و أسماء بنت عمر و بن عدي تعاهدتا كبقية الرجال على نصر الدعوة الإسلامية، بينما كانت المرأة اليونانية و الرومانية في حالة الإنكفاء و الإستبعاد من الحياة العامة و الإقصاء و القهر و التعسف. كانت خديجة زوجة محمد صلى الله عليه و سلم قائمة بالإنفاق على النبي صلى الله عليه و سلم يوم خدله الناس و أعطته يوم حرمه الناس و أمنت به يوم كفر به الناس و صبرت يوم خدله الناس و كانت واعية على مستوى التفكير و التدبير، و الشخصية القوية التي أهلتها و تؤهلها لدورها الريادي لإقامة جيل في مستوى التحدي للنفرة الطبيعية. و يرى المهتمون

¹ - ينظر أرقدانه صلاح الدين . التخلف السياسي في الفكر الإسلامي المعاصر . الطبعة الاولى دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع

بقضية المرأة و دعاة العولمة المهاجمون للمجتمعات العربية و الإسلامية التي تحارب الإلحاد و الفاحشات و ما سلك الغرب الذي تبني السفور بمقتضى إشاعة التثقيف الجنسي في المجتمعات، لاسيما لمن هم في سن المراهقة و ما قبلها بعدها عبر وسائل التعليم و الإعلام بما شمل المرأة و الرجل مع الشواذ و إلغاء دور الدين و لا حاجة لأهميته في حياة النساء، و لا حاجة إلى مناخ أخلاقي الذي يدعو الفتاة أن تبقى عذباء كونها امرأة و لها الحق على جسدها فيما يتصل بجميع الأشكال الشاذة من بغاء، سحاق لواط زواج مثلي (رجل برجل و امرأة بامرأة) و الأفعال القبيحة تعتبر أنها تقع في نطاق الحقوق الأساسية للإنسان، و ليست الأصولية الدينية صاحبة الدور الأكبر في قهر المرأة لأنها لم تنل حقوقها في ظل الدين و الأدوار المنوطة بها تعتبرها مشينة في نصوص الدعوة الداعية إلى أن الناس يولدون محايدون و المجتمع هو الذي يظلم بتصنيفهم إلى ذكور و إناث، لذا يرى دعاة عولمة المرأة من الضروري أن تتلقى البنت و هي صغيرة تعليما يقتلع و ينتزع من أعماقها تربية المرأة الزوجة التي تحمل و تلد وترضع، و الأم التي تقوم بالأعباء و تثور على التقاليد التي حملها المجتمع للمرأة دون الرجل، و الانفلات أو تتحاشى من كل الأديان و التقاليد و الأخلاق الحميدة و القيم الإنسانية، و خاصة تلك المرتبطة بالقيم و التقاليد النابعة من القرآن العظيم و السنة النبوية الشريفة و العرف الاجتماعي الذي يقضي بمنع السفور أو إختلاط الرجال بالنساء دون سبب شرعي، و إقتلاع الأم التي تحنو على الرضيع الذي يحتاج الأمومة الواعية و الراعية للصحة في جميع الميادين بالنسبة للشؤون الاجتماعية، حيث تمارس المرأة نشاطات أفضل من الرجل بحيث تستطيع أن تنمي في الطفل الشعور بالحنان و العطف و المحبة للآخرين بنجاح، و المرأة تستطيع أن تعمل أكثر من الرجل بل تحتكر بعض المهن كالتطبيب و التعليم الذي لا يتنافى مع تمسكها بالحشمة و الإحترام و الوقار مع قيم الإسلام النبيلة، بينما دعاة عولمة المرأة يعتبرون أن الأساس في أي علاقة جنسية مهما كانت لا بد من وجود رغبة مشتركة تدعو إلى الإعتراف بالحالات الشاذة في العلاقات الجنسية و توفير الحماية القانونية و المشروعة و الرعاية

الإسلام

و القضاء على الأوهام و الآراء الشائعة حول المرأة ذات الثقافة الإسلامية و حتى الكاتوليكية، أما البغاء و العلاقات الغير الشرعية تعتبر مرفوضة في حالة واحدة هي إكراه المرأة على هذه الرذائل و إلغاء الأدوار بالنسبة للأمم و الأبوّة، حتى تستطيع الإنسانية من إقامة مجتمع متحرر من القيود و الروابط و الأنماط التي تؤكد على الأسرة القائمة على الزوجين المرأة و الرجل اللذين يجمعهما رابط العقد الشرعي الذي يقره الإسلام و الأديان السماوية، بإعتبار أن الأسرة مصدر الرحمة و التبادل و الأفكار و الإحساس بالفرص المتكافئة و الحماية المتساوية و الأمن داخل البيت الذي يحفظ للمرأة و الرجل شخصيتهما المعنوية و الأدبية و الآدمية و الإنسانية ضمن المنظور الإسلامي الذي أحل للرجل المرأة بشرط تكريمها و إحترامها و المحافظة عليها بإعلان النكاح و الإشهار عليه و تقديم نفقات المهر مقابل ذلك، و حرم و نهى عن إتخاذها كحبيبة أو خليلية أو عاشقة أو رفيقة لمدة أو بائعة هوى، و مما يزيد الإنسان إقتناعاً أن لكل إنسان حقوقاً و حرمات لا يجوز هتكهما أو الإعتداء عليها بل من الواجب و من واجب الإنسان حاكماً كان أم محكوماً و رئيساً أو مرؤوساً أن يحافظ على حرمت الآخر، و خاصة المرأة التي تقوم في بيتها و تحافظ على أسرتهما و تقوم بمسؤوليتها المنزلية حيث يتوقف دور العمل عليها تماماً فهي التي تقوم أو تقدم الوجبات التي يأكلها الرجل و الابن، و هي التي تتعهد بكل المهام التي تتعلق بصيرورة الحياة لأفراد الأسرة التي هي مسؤولة عنها كأم أو زوجة، بالإضافة إلى مساعدة الرجل في الأعمال بمختلف أنواعها دون أن تتقاضى عنها أجره، و هذا ما اعتبره دعاة العولمة سلب حرية المرأة كونها خالقة لقوة العمل و لعمليات إعادة تكرار و الإنتاج و القوة البشرية تأتي من المرأة مباشرة لأنها هي التي تلد و تنجب الأطفال و تقوم على رعايتهم و تنشئتهم التنشئة الاجتماعية حتى سن العمل، فلماذا لا تقوم هي على أساس ما قامت به المرأة الغربية العاملة دون إعتبار دور الأم أو ربة البيت مألوفة على الطبخ و رعاية البيت، و هذا النمط هو الوضع الذي يقلل من شأن المرأة و يؤكد على مسؤولية الرجل في الإنفاق على الزوجة و الأسرة و تعفى المرأة من أية مسؤوليات و أعباء مادية تجاه العائلة،

لذا يدعو دعاة العولمة إلى ضرورة اعتماد المرأة على نفسها إقتصاديا بصورة مستقلة عن الرجل و ينبغي أن تعمل جميع النساء خارج البيت و أن تلتزم الحكومات بسن قوانين تتعلق بإقتسام الأعمال المنزلية بين المرأة و الرجل سواء بسواء و المراد بالمرأة هنا المسلمة ذات الشخصية السوية و ليست الشوهاء، المسلمة ذات الرأي و الشورى صاحبة الحقوق المالية و الحقوق العينية و التي كانت تمتلك و تعمل و تتقاضى على عملها أجرا، و كانت الأدبية و الشاعرة و الفقيهة و المحدثه و كانت لها شخصيتها الإنسانية فكانت تستشار و تدلي برأيها، و كانت مفسرة و كانت تبوع و تشتري في كل العصور الإسلامية و عندما إستكملت الدول الغربية قبضتها على العالم العربي و الإسلامي و إغتصاب خيراته عندها أخذت موازين القوى تميل إلى صالح الدول الغربية التي إستعملت إستراتيجية فرق تسد، و تم تطويق العالم العربي و الإسلامي منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي و سقطت الخلافة العثمانية و إستفحل الإستعمار الغربي و بدأ في إستغلال الموارد الطبيعية و توفير المواد الخام لصناعته و الأيدي العاملة الرخيصة و تأمين أسواق الدول المغلوبة و تحويلها إلى أسواق مفتوحة لمنتجاته بدون جمركة، و بعد الحرب العالمية الأولى و الثانية تمخضت عدة مؤسسات التي شكلت في مجملها الركائز التي يقوم عليها الإقتصاد العالمي و هي :

- صندوق النقد الدولي الذي يقوم بدور الحارس الأمين على النظام النقدي الدولي (الدولار الأمريكي) .

- البنك الدولي للإنشاء و التعمير¹ و يعمل على تخطيط التدفقات المالية طويلة المدى .

- الإتفاقيات العامة للتعريفات و التجارة العالمية و التي يرمز لها بإسم (الجات) و نادي باريس و نادي لندن .

كما سلف تم تطويق العالم العربي و الإسلامي من الناحية الإقتصادية، وبقية المرحلة الروحية و هي المرحلة الأخيرة، تأتي العولمة لتصفيتها من طرف الرجل الأبيض حامل لواء الليبرالية و

¹- جيريل بيار. البنك الدولي دراسة نقدية. الطبعة الأولى : ترجمة أحمد فؤاد بليغ: دكتور رمزي كن. القاهرة 1994, ص 78

لتكريس هيمنته على المستعمرات و المحميات القديمة و التي أصبحت ما يسميه "الصدقة" و الغرب يعلم علم اليقين بأن الإسلام منذ ظهوره دين واضح المعالم بأنه دين عالمي جاء برسالة لكافة الإنسانية، غايته إنقاذ الشعوب من الإستبداد و الإستغلال الإقتصادي و إلغاء نظام الأشراف و عتق الرقيق و تحرير المرأة و لا فرق بينها و بين الرجل إلا في بعض المسائل نص عليها القرآن العظيم و بينتها السنة الشريفة تختص بالمرأة كزوجة أو أما لما جبلت عليه من خصائص جسمية و نفسية، و القاعدة العامة في القرآن هي مساواة المرأة بالرجل في الحقوق و الواجبات فكل حق لها على الرجل يقابله واجب عليها نحوه و كل حق له عليها يقابله واجب عليه نحوها² ويقول الله عز وجل : "... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" سورة البقرة الآية 228، و الآيات القرآنية محكمة تعني أن الرجال و النساء شركاء في سياسة المجتمع بعد ما كانت المرأة تعاني الكثير من الإضطهاد الاجتماعي قوبلت من القرآن الكريم بالإعتراف بحقوقها و تحريرها من المعاملات الظالمة، و نظير ذلك قول دعاة العولمة و يفترون على المرأة المنكر أحيانا بإسم الحرية و الإجتهد في الإباحية و أخرى بتحطيم الحواجز الأخلاقية و التقاليد الراسخة، و لقد بلغت الجرأة بدعاة عولمة المرأة و واضعي برنامج القاهرة و بكين و نيويورك إلى التطاول و الإستهجان و تمادوا في غيهم يعمهون و إزدادوا في لجاجتهم موغلين عندما نادوا في جرأة فاحشة بأن مفهوم الدين و ما يقره ليس إلا مفهوما عقيما، حيث لا يجير و لا يقبل العلاقات الجنسية بين مختلف فئات الشباب و الأعمار، و الدين يشترط و يجيز إرواء غريزة الجنس إلا عن طريق النكاح المشروع بين المرأة و الرجل فقط، و دعاة عولمة المرأة يناقضون الإسلام و سائر الأديان السماوية التي ترمي إلى وطأ المرأة داخل الإطار الشرعي " ...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ..." سورة يوسف الآية 21 .

1- عدم مساواة المرأة للرجل في الميراث :

² ينظر عبد المنعم فؤاد أحمد . مبدا المساواة في الإسلام. مصدر سبق ذكره ص 168

سلك أهل الأهواء و دعاة العولمة مسلك هيغل عندما وصف المجتمع البورجوازي بأنه مملكة العقل الحيوانية فمن الممكن القول أن مؤتمرات إستئجار الأرحام، و المساواة في الميراث بين الرجل و المرأة و دعوى السفور و الإختلاط و الإنحلال الخلقي و خصوصا و نحن في العقد الأول من الألفية الثالثة التي تم فيها الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، و المرأة حرة تفعل ما تشاء في نفسها و ملابسها و زينتها، حتى دعاة عولمتها و هم المؤيدون و المشجعون لها في جميع وسائل الإعلام و حقوق الإنسان يرون من حقها في الإرث المستحق مثل الرجل مخالفين النظم الطبيعية التي تستند إلى نزعة ثانية عند الإنسانية منذ الإنسان الأول الذي كافح من أجل الحصول على الثروة كفاحا في سبيل المال الذي هو غريزة في الإنسان يتميز بها عن الكائنات الموجودة في محيط الحياة الأرضية التي يعيشها و يتحكم في إرادتها و الإنسان من خصائص غرائزه التي تنتقل من الواحد إلى آخر كالميراث الذي يتوارثه أهل الأرض هما غريزتا : النسل و الإقتناء و في سبيلهما و إنتفائهما، يعمل كل ما أمكنه من الجهد لتحقيقهما و ربما حياة الإنسان قائمة بالدرجة الأولى عليهما فهو أصلا يحي حياة كفاح و صراع و مقاومة من أجلهما، و هدفه و وجوده على هذه الأرض هو النسل و الإقتناء و إن كان يتظاهر في بعض الأحيان بالوقوف إلى جانب الحق و الإنصراف عن الإغواء و الإضلال . لذلك فقد أخذ منذ القدم و إلى وقت ليس ببعيد بنظام الإرث الذي عرفه بحكم الجاهلية فإنه ما كان يورث المرأة و الطفل و يقول : إنما يرث من يحارب و يدب عن الحوزة

1

و عليه فالإرث كان مقصورا على من يركب الفرس و يحمل الرمح و القوس و يقاتل الأعداء من الرجال، أما المرأة و الأطفال الصغار فقد كان ينظر إليهم على أنهم قصر و لا تسمح لهم ظروف البيئة بالإرث كونهم لا يملكون الذود و الدفاع و الحرب و العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفوا مبدأ المساواة، فالمرأة يجب أن تحترف غزل الصوف و الوبر و صنع الخيام و تقوم

¹ - ينظر. الألوسي ، الفضل شهاب الدين السيد محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني . ضبطه و صححه علي الباري . منشورات محمد علي بيضون للنشر كتب السنة و الجماعة دار الكتب الجامعية بيروت 2001. المجلد الثاني ، ص 220

بشؤون الأسرة ثم لها مهام الحمل و الولادة و الرضاعة و التربية و غيرهم و هو الحال لدى اليونان و الرومان و الهنود، وعلى أية حال فإن العرب في الجاهلية كانوا يميزون على غيرهم بالأصول و الأنساب و الغنى و الفقر و الذكورة و الأنوثة الخاضعة للعادات و التقاليد حتى جاء الإسلام ملة الأنبياء قاطبة و إن اختلفت و تنوعت شرائعهم و مناهجهم لقوله سبحانه و تعالى: " ... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... " سورة المائدة آية 48، و منهاج الإسلام جاء بالتوريث لأولاد الأولاد مع وجود الأولاد سواء كانوا كبارا أو صغارا و من الأقربين الموروثون و من الوالدين أي الجد و الجدة، و المراد أن الميراث² كان معروفا عند العرب في الجاهلية لكن ليس بمقدور صغار المتوفى الظفر بشيء من التركة و لا الزوجة حتى وفاة أوس بن ثابت الأنصاري في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم تاركا زوجته و ثلاث بنات و ابن عم و قام أبناء عمه يقال لهما سويد و عرفجة فأخذوا ماله و لم يعطيا شيئا لإمرأته و بناته رغم أن إمرأته قالت لهما: تزوجا بالإبتين و كانت بهما دمامة فأبيا فأنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " ما أدري ما أقول؟ فنزلت " للرجال نصيب " الآية فأرسل صلى الله عليه و سلم إلى ابن العم فقال: لا تحركا من الميراث شيئا فإنه قد أنزل علي فيه شيء أخبرت فيه أن للذكر و الأنثى نصيبا ثم نزل بعد ذلك " وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا " سورة النساء الآية 127، ثم نزل " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ... " سورة النساء الآية 11، فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم أبناء عم المتوفى وقال لهما أن أعطيا

² - ورت: الميراث اصله مورات إنقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها و التراث اصل التاء فيه واو تقول: ورتت ابي و ورتت الشيء من ابي ارثه بالكسر فيهما ورتا و وراثته و إرثا الالف منقلبة من الواو ورتة الهاء عوض من الواو الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية لابي نصر إسماعيل مرجع سبق ذكره ص. 276

زوجة ابن أوس الثمن و لبناته الثلثين و لكما بقية المال،¹ لذا يمكن القول أن القرآن الكريم أنصف المرأة عندما إعترف لها بمجموعة من الحقوق و على رأسها الميراث الذي سبق بمئات السنين التشريعات و المؤتمرات و الأفكار الداعية إلى الإعتراف بحقوق المرأة التي كانت إلى غاية القرن التاسع عشر تتمثل في إنكار أي شخصية قانونية للمرأة فلا حقوق لها، و لا أمل لها في التمتع للمساواة مع الرجل، في البلاد الغربية التي تدعي الآن الرقي الكامل للمرأة في ميدان حقوق الإنسان لكن المعايينة الواقعية اليومية تشهد غير ذلك، فإن المرأة الغربية تبقى في هذه البلاد رغم الإعلانات الرنانة و الطنانة بعيدة كل البعد أمام وضعية المرأة المسلمة و منزلتها القانونية التي تدل على الإرتقاء الفعلي إلى الدرجة العليا، و المرتبة الاجتماعية الأولى في الحياة عندما وهب القرآن الكريم للمرأة الحق في كل شيء و حفظ حقوقها في قبول الزواج أو رفضه و أن تشرط ما تشاء في عقد الزواج لأن "العقد شريعة المتعاقدين"، و حفظ للمرأة المتزوجة حقوقها و الإحتفاظ بأموالها و التصرف فيها بكل حرية و دون تدخل الرجل أو الأب أو الأخ و بذلك يكون الإسلام قد أعطى منذ خمسة عشر قرناً مبدأ الميراث للمرأة مما قل أو كثر حيث جاء بتشريع أبرز فيه حق الميراث و جعل منه قيمة عليا يتساوى في التمتع بها الرجل و المرأة على حد سواء، لأن القرآن الكريم يرمي إلى تحرير المرأة و الإعتراف بحقوقها لأنها عانت الكثير من الإضطهاد الاجتماعي من طرف شيوخ القبائل و زعماء العشائر الذين كانوا يحكمون بمقتضى العرف و لا يراعون الحالة الإنسانية للمرأة .

يتضح مما سبق أن حق المرأة في الميراث بمنظار عصرنا أصبح واجب إلزامي بسبب القرابة الزوجية فيكون للمرأة الإمتياز و التفوق الحاصلان من لا شيء إلى الحق في نصيب المتوفى و تحولت حقوق المرأة إلى نصف حق الرجل أو بعبارة أخرى يكون للرجل الثلثان و للمرأة الثلث الواحد، و المرأة من طبيعتها أن تكون زوجة في كفالة زوجها من ناحية النفقة على الأسرة و

¹ - ينظر. الالوسي البغدادي السيد محمود. روح المعاني تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني . الطبعة الأولى ضبطه و حققه علي عبد البار عطية . دار الكتب العلمية بيروت 2001 المجلد الثاني ص 421.

ذلك سواء كانت في بيت أبيها أو أخيها فالنفقة على ولي أمرها، و في هذا السياق يقول الله تعالى: " الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا " سورة النساء اية 34، القوامه هي الرئاسة و ليست تفضيل الرجال على النساء و إنما التفاوت الاجتماعي و الإقتصادي الظاهر بين الإنسانية و هذا التفاوت خاضع لقوانين الحراك الاجتماعي، و هذا من شأنه أن يقلل السلطة المطلقة العمياء التي كانت تخضع لها النساء أو بعبارة أخرى التحكم و الإستهتار و إتخاذ القرار من جانب الرجال و وجوب طاعة النساء، إلا بقدر ما تحمل المسؤولية الاقتصادية و الاجتماعية قصد إجتناّب التحقير و تحقيقا للمساواة الأصلية، فالدرجة التي للرجال على النساء هي على أصل قوله سبحانه وتعالى: "... وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "سورة البقرة آية 228، ذلك حسب تقاليد المجتمع و الأعراف المستقرة فيه، و المعيار و القيم التي تتقارب أو تتعاصر¹ أما التقنيات الحاسوبية فتركوها لأهل الإختصاص ذلك أن الآيات المتعلقة بالإرث و بتقسيمه التي في نظرنا لم تقتصر على الإعتناء بالمرأة و بحقوقها بل أولت نفس الإهتمام لطبقات أخرى عانت من الظلم و الإضطهاد و الإستضعاف مثل الصبية و الأجنة من الورثة أو الأقرباء بصلة الرحم، فالصبية من الأطفال و الأبوان و الأخ و الأخت و حتى الأقرباء و هي قرابة أصول الآباء و الأمهات و الأجداد و الجدات من الجانبين و إن علوا، و قرابة الفروع الأولاد و أولاد الأولاد ذكورا و إناثا و إن نزلوا و الأصل في المرأة المتزوجة و لو كانت طائلة الثراء تحب على زوجها النفقة لقوله صلى الله عليه و سلم لهند

¹ - ينظر.أ.د. الصادق. القران و التشريع قراءة جديدة في آيات الاحكام. منشورات الحلبي الحقوقية الطبعة الثالثة منمحة بيروت

زوجة أبي سفيان لما إشتكت إليه شح أبي سفيان و تقتيره في الإنفاق على الأسرة: "خذي ما يكفيك و ولدك بالمعروف"، و لعل التضعيف بالنسبة للذكر لا يعني التفضيل فإنه يأخذ ضعف الأنثى من نصيب المال و تأخذ الأنثى أقل من نصيبه كونها تنفقه على شهواتها فقد يصير المال في يدها سببا لكثرة الطامعين فيها، و من عظمة المنظور الإسلامي لم يفرق بين المرأة و الرجل في شيء إلا في حق الرئاسة أي قوامة الرجل على المرأة فله القرار و لها المشورة الأخيرة، في كل شؤون المنزل و العائلة و الحياة الأسرية و المعاش و التدبير و التفكير في الإصلاحات و إلغاء القرار الذي كان يستضعفها في المجتمع و إن كان الرجل يحمل كل مسؤوليات الحياة عن العائلة كلها و هو مطالب بسعي و بكد و نكد من أجل حاجيات العائلة و الحصول على مطالب العيش الكريم، فإن المرأة مطالبة بالحفاظ على الأسرة و على كرامتها و عرضها و صون شرفها و عفتها، و هذا من مفاخرها الإسلامية في تقرير حريتها في شتى مناحي الحياة، في هذا السياق يقول ابن العربي في الآية 11 من سورة النساء التي يسميها بعضهم آية الفرائض و هي ركن من أركان الدين و عمدة من عمد الأحكام و من أمهات الآيات، فإن الفرائض عظيمة القدر و حتى أنها ثلث العلم و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " العلم ثلاث آية محكمة، و سنة قائمة و فريضة عادلة " ¹، و بالنسبة للمرأة فقد أعطاها الإسلام الميراث و رفع شأنها و مكانتها و أعلى قدرها و جعلها شقيقة الرجل .

2- عدم مساواة المرأة للرجل في نصاب الشهادة :

تبين لنا من خلال الدراسة السابقة عدم المساواة في أصل التوارث بين المرأة و الرجل و الذي يحلو و لدعاة الغرب أي تقليده، فيما يتعلق بحق المرأة في الميراث، فهم يدعون أن الإسلام يحط من شأن المرأة، إذ يعطيها نصف ما يعطى للرجل في الميراث و الحقيقة أن الرجل يتحمل الأعباء الإقتصادية و الاجتماعية أكبر بكثير من تحمل المرأة، فرأى المنظور الإسلامي القائم على الحق و العدل فحدد نصيب كل وارث تحديدا عادلا دقيقا حكيما لا يعرف الظلم أو

¹ - ينظر. أ.د. الصادق . مرجع سبق ذكره ص 132

المحابة، حيث أعفى المرأة من تبعات كثيرة مما جعل نصيب المرأة و ما تحصل عليه من الميراث يتضاعف و نصيب الرجل يتضائل و يتلاشى بسبب الإنفاق الذي ينفقه الرجل على الأسرة، و المرأة بالدرجة الأولى إبتداء من المهر و إنتهاء بالأعباء المنزلية و تكاد تنطبق عدم مساواة المرأة للرجل في نصاب الشهادة لقول الله سبحانه و تعالى: **".. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى .."** سورة البقرة آية 282، و الآية هنا تتحدث عن أصل الشهادة التي تحق الحق و تبطل الباطل في مجال الحقوق التالية الواجبة على المرأة و الرجل وقد نهي الله سبحانه و تعالى عن كتمانها إذ قال: **"...وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ..."** سورة البقرة آية 283، و تقبل شهادة المرأة إذا أضيفت إليها شهادة امرأة ثانية بمعنى أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الرجل الواحد و كفاية الرجل و المرأتين في الشهادة، وهذا لا ينقص من شأن المرأة، و لا يتناقض مع الرجل في الإنسانية و الأهلية و الكرامة و الإحترام و إنما للأمر ما يبرره، و قد يحدث للمرأة إنفعالات نفسية في دورة العادة الشهرية التي تحل بها كل شهر إن كانت ممن تبيض و في فقد الحمل و الولادة و الرضاعة و ما يتصل بها، و من تم فإن المرأة تتأثر بمشاغل و متاعب الحيض و النفاس و الحمل و الوضع و السهر على التربية و مشاغل البيت، و المرأة كما هو معروف تغلب عليها العاطفة و الحنان، وربما تتأثر بأهوائها وأحكامها و لذا فهي تحتاج للأذكار إن كانت ناسية لقوله تعالى: **" فَتُذَكَّر "** و المعنى أن تضل إحدى الشهادتين أي تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى منهما، أي يتذكران الحق في ما بينهما و النسيان و الضلال غالبان على طبائع النساء و ذلك راجع لكثرة الرطوبة في أمزجتهن، و لقوة عاطفتهم و لشدة إنفعالهم بالحوادث و لكثرة أشغالهم و إهتمامهم بالأولاد الذين بين يديهم و تربيتهم و المحافظة عليهم بما يفوق إهتمامهم بتفاصيل العقود المالية، و المرأة ربما لا تستطيع أن تتماسك عند رؤية الجرائم وقت ارتكابها و حدوثها إذ تضطرب و ما يتبع ذلك من إرباك لغيرها، هذا ماعدا

الصراخ و العويل فكيف تستطيع أن تتذكر شيئاً مما حدث، وقد تظهر عليها الإضطرابات و النبض القلبي و هذا حكم الله سبحانه و تعالى، هو العليم بالنفوس و ستبقى المرأة امرأة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، و المرأة لها خصائص خلال الحمل كالغثيان و الميل في غالب الأحيان إلى القيء و الإضطرابات النفسية، و نحوها كإزدياد الريح في المعدة و الأمعاء، فكيف يسمح بالشهادة لوحدها لابد من الإنتظام بدل التوهم وليكن رجل و إمرأتان شهودا و المرأة لها مسؤولية أكبر و هي الغذاء الروحي الذي تعطيه لأطفالها و لصالح أسرتها في ميدان تنمية أجسامهم، فالمرأة المرضعة للمولود الذي يربي و يكبر في حنان حضانتها و رعايتها الصحية يكون كاملا من كل جانب، النمو الجسمي و العقلي و النفسي و التهذيبي، و هذا العمل يليق للمرأة. ولا شك أن لكل هذه الأعمال ما يشغل المرأة عن التذكر إن ضلت، لابد من الإيماء إليها إلى شدة الإهتمام بشأن الأذكار و لكن تجوز شهادة المرأة لوحدها في الولادة و البكارة و الثبوبة، و الرضاعة و نحوها من الأمور الخاصة بالمرأة، و قد إتضحت حكمة الله سبحانه و تعالى أن يجعل للرجل خصائص و للمرأة خصائص خاصة بها من أجل التعاون الذي يؤدي إلى سعادة الإنسانية و رقيها و خيرها .

3- تعداد الزوجات :

لعل قضية تعدد الزوجات لها صلة بقضايا تحرير المرأة، كما جاء في ملتقى سنتيجديو في باروفا - فينيسيا شهر أكتوبر 1997، و قد تبنى منظموه عنوان (الإسلام و المرأة الجديدة) حيث أن المشاركات في الملتقى قمنا بمناقشة ملامح و شخصية المرأة المسلمة و أوضاعها الاجتماعية، و ما تبع ذلك،¹ من مسألة تعدد الزوجات بالنسبة للرجل المسلم حيث يرى أعداء الإسلام و دعاة عولمة المرأة إن مبررات تعدد الزوجات في نظرهم و حماقتهم قائم على طلب اللذة، و هو ما يفسر جهلهم بالإسلام الذي جاء بتشريع جديد إنفرد به، لقوله سبحانه و تعالى: " وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

¹ ينظر د. العطار الناصر توفيق . تعدد الزوجات من النواحي الدينية و الإجتماعية و القانونية - الطبعة الرابعة 1977 م دار

مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... " سورة النساء آية 3، و من المعلوم أن الإسلام وجد تعدد الزوجات عند العرب و اليهود و المسيحيين و غيرهم، و لكن بدون تنظيم حيث كان يهدم الروابط الأسرية و الاجتماعية، فالرجل يتزوج ما يشاء من النساء بينما المرأة لا تستطيع إلى ذلك سبيل، فكانت القبائل العربية تسرف في هذا النظام فتبيح للرجل أن يتزوج بالعشرات أو بالعشرين أو أكثر، و ربما في قبائل أخرى لا يستطيع الرجل الحصول على امرأة للزواج بها، و الحالة هذه ظاهرة تاريخية ثابتة في جميع الأمم و الشعوب و على أساس هذه الظاهرة و ما قضتها ظروف الحياة الاجتماعية و الإقتصادية و الحروب نظم و شدد الإسلام هذه الظاهرة التي كانت منتشرة بلا حدود و لاقيدود، و بصورة غير إنسانية قيدها بشروط خاصة :

- يجوز تعدد الزوجات إذا كانت الزوجة الأولى عاقر و كان الرجل ذا مسيرة مظنة قدرته في العدل و عدم الإضرار بالزوجة السابقة و إحترام المرأة الجديدة، و عدم الإعراض مع الإستطاعة بالنسبة للرجل في توزيع النوبات بين زوجاته في المعاشرة الشرعية و العدل في الكسوة و التبعات المادية من الإنفاق عليهن .

- أزمت الحروب و الثورات، كالثورة الجزائرية و ما أعقبها من الزيادة في عدد النساء بسبب إستشهاد الرجال و أصبح عندنا بعد الإستقلال عدد النساء أضعاف عدد الرجال فماذا نصنع حين يختل التوازن؟، هل يقتصر الرجل الجزائري على امرأة واحدة، و تحرم الأرملة من نعمة الزواج و تكوين أسرة، أو نرمي بها في الشارع لتسلك طريق الدعارة و الفاحشة و الرذيلة، أم نلزمها النكاح و نفسها تستجيب له متى طابت فالحق الذي لا محيص عنه أن إباحة تعدد الزوجات للرجل الواحد حتى يصون شرف المرأة و كرامتها و عفتها و طهارتها، و هذا حل مقبول و أسلم و أكرم. هكذا نجد أن الإسلام لم ينشئ تعدد الزوجات بل جاء لحل المأزق الذي تقع فيه المرأة و إصلاح المجتمع و صيانتها، و المرأة في الإسلام لا تساق كرها إلى الزواج فهي صاحبة الإختيار و الإبتزال، فلا تغمض عينيها عن الضرة إلا برضاها و تحقيق

مصلحتها و القرآن الكريم عندما يخاطب بإباحة شيء، أن يقال مثلاً: " **لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** " و " **أَحَلَّ لَكُمْ** " و غير ذلك من الأساليب الدالة على الإباحة، و الرجل إذا كان أو قد جاز له أن ينكح إمرأتين أو ثلاث أو أربع لقوله سبحانه و تعالى: **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ** " شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة و بأموالهم تبعاً لما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سألتها عروة بن الزبير عن قوله تعالى: " **و إن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى** " فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله، و يعجبه مالها و جمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فهو عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فامروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن و إن الناس إستفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد هذه الآية فأنزأ الله " **و يستفتونك في النساء** " **سورة النساء الآية 1، 1**¹ كان الوصي أو القيم على يتامى النساء اللاتي يحجرهن و يرغب في ما لهن و رغبة له فيهن و ربما يسئ صحبتهن إذا تزوجهن أو يتربص بهن عاريات الزمن كالموت فيرثوهن " فوعظوا في ذلك، و هذا هو الإسلام فإنه صريح كما يقال للذكور وللإناث، و المراد أن اليتيمة و هي الصغيرة لا تتزوج إلا إذا بلغت سن النكاح و إستطابت نفسها لذلك، و إستمالت إليه و رغبت فيه على الوجه الأكمل و ما يصلح حالها فلها الإختيار إليه مطلق، و يرفع عنها الحجر، ثم إن مشروعية نكاح النساء غريزة إنسانية متى طابت له المرأة أو الرجل الذي تتوق نفسه إليه و يجد التبعات المالية فيستوجب له النكاح بالمرأة الواحدة لقوله سبحانه و تعالى: " **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ إِيْمَانُكُمْ...** " هذا الخطاب يتوقف على العدل بالقياس مع تعدد الزوجات و بالمعاملة الحسنة خشية الجور و الظلم، و الأمر هنا على سبيل التأديب أو الإرشاد أو الإعلام، و من المؤسف أن مسألة تعدد الزوجات المنسوب إلى الإسلام قد تشوه سمعته لدى دعاة عولمة المرأة، حتى

¹ ينظر، الشيخ الصابوني محمد علي - صفوة التفاسير - الجزء الأول قصر الكتاب، شركة الشهاب الجزائر 1990، ص 260

كاد ترادف في أذهانهم إن الرجل المسلم يحق له في تعدد الزوجات مع ما يصحب ذلك من الممارسات و السلبيات المتناقضة و التضييقات في حقوق المرأة هي وضع بعض الفئات في البوادي و الأرياف الخاضعة لشيوخ القبائل، و زعماء الشعائر الذين يحكمون بمقتضى العرف و لا يراعون الشرع، إلا في حدوث ضيقة و ظاهرة تعدد الزوجات لا تمثل إلا نسبة ضئيلة في المجتمع الإسلامي كرس لها الغرب وسائل الإعلام بصورة مخجلة حتى و إن كان أصحاب الترف و الثراء من المنتسبين للإسلام تبجحوا، فهي لا تمت إلى الإسلام بصلة و إنما هي مسؤولية أمراء النفط و ما يقدمونه من المبررات الاجتماعية و النفسانية و الإقتصادية و غيرها للإستمرار في ممارسة التعددية، و غير أن كتب التفسير و السنة و الفقه نقلت إلينا نصوص تقييد تعدد الزوجات في هذا الإتجاه و هذا حارث بن قيس يقول: "أسلمت و عندي ثماني من النسوة فأتيت إلى صلى الله عليه و سلم فذكرت له ذلك فقال (إختر منهم أربعة) كذلك روى عن عبدالله بن عمر أنه قال : (أسلم غيلان الثقفي و تحته عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه، فأمره النبي صلى الله عليه و سلم أن يختار منهن أربعة .. كذلك نوفل بن معاوية يقول أسلمت و تحت خمس نسوة فقال لي النبي صلى الله عليه و سلم: (فارق واحدة منهن) " و النص على أربعة هنا دليل على تقييد تعدد الزوجات بهذا الحد الأقصى، و على هذا عرف المسلمون و أخذ جمهور علمائهم منذ أيام رسول الله صلى الله عليه و سلم و حتى الألفية الثالثة الميلادية، يبقى بعد ذلك أن نسأل الزوجة التي تزوج عليها زوجها، هل كانت قد إشتطت عليه في العقد ألا يتزوج عليها، إن كانت قد فعلت يحق لها أن تطلب التفريق بينها و بينه ما لم ترض صراحة، و حتى الزوجة الجديدة هل كانت تعلم أو قد فهمت من الزوج أنه متزوج سواها، حتى ينحصر هذا العدد في زوجة واحدة و لا يتجاوزها و خاصة في حالة الخوف من الجور لقوله سبحانه و تعالى : " وَ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ... " سورة النساء آية 129، و مع إن الإسلام أباح تعدد الزوجات فقد اشترط العدل و أعطى للمرأة حريتها في

قبول الزوج أو رفضه، أي أن تنزل على ضرة و لها حق الرفض، و لكن في عدم التعدد مع كثرة النساء جاء الإسلام بالحل و أباح تعدد الزوجات في حالة الإحتلال الاجتماعي، بينما وقفت الأديان الأخرى موقف المتفرج، حيث صار الرجل الغربي يصاحب مئات من النساء بطريق المخادبة و يبيح له عرفه العيش مع أي امرأة شاء و ينفعل متى شاء و أصبحت الفتيات أمهات بدون زواج شرعي، و قد إعترفت الدول الغربية بمشروعية العلاقات الجنسية البهيمية الآثمة بين الرجل و الرجل و المرأة و المرأة تحت ستار الحرية الجنسية و حقوق الإنسان و تدهور أخلاق الغرب، و دب الفساد بين الزوجين حيث صار الرجل يستطيع أن يطرد الزوجة متى شاء دون أن يتقيد تجاهها بأي حق من الحقوق، كما تستطيع أن تطرده بعكس الطريقة لأن العلاقة القائمة بينهما علاقة تجارية جسد مقابل جسد لا علاقة المودة و الرحمة الأسرية الزوجية فلا إستقرار و لا توازن يربط و يرتبط بالمصالح الاجتماعية الحيوية، هذا بالإضافة إلى المخالطة الجسدية التي وقعت بين الرجل و المرأة لا تعتبر زنا بالنسبة للغرب علاقة جنسية برضاها، و ما ينتج عنها من أولاد يكونون غير شرعيين و يتم كفالتهم من طرف الدولة، كفرنسا و بريطانيا و ألمانيا و أمريكا و غيرها، التي توفر الرعاية، الكاملة لهؤلاء الأطفال غير الشرعيين، مما يشجع المطلقات و الأرامل و العانسات و القامعات بالإنحراف الاجتماعي و الإنحراف الخلقي و من ثم شيوعية المعاشرة الجنسية في غير زواج بأعراف معينة، حتى يتم القضاء على بطالة الحياة الجنسية و الغرب ينادي لهذا الإتجاه بواسطة المؤتمرات و الندوات، و لكن في عدم إهتمامه بالروابط الاجتماعية و النفسية و الخلفية بين بني الإنسان، فهو يتصور المرأة كالدابة لا يعينها كثيرا أو قليلا أن يركبها كل من هب و دب، من أجل هذا أباح الإسلام تعدد الزوجات للرجل في الحالات الضيقة و مشروط بمرض أو عقم، لقوله سبحانه و تعالى: " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً " قال الشوكاني في تفسيرها :¹

¹ ينظر. زينو محمد بن جميل . كيف نقرأ القرآن . أنواع التفسير و شرح بعض آيات القرآن . دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة بدون

و المعنى : فإن خفتهم ألا تعدلوا بين الزوجات في القسم و نحوه فانكحوا واحدة، و فيه المنع من الزيادة على الواحدة إذا كان المجتمع موازن مع العدل، لأن العدل في المفهوم القرآني هو النفقة و المبيت بحيث ينفق على كل زوجة مثل ما ينفق على الأخرى، و أن يعدل في المبيت و النوبة بحيث يبيت عند كل زوجة ليلة أو أكثر حسب الإتفاق، أما الحب القلبي و الجماع فلا يملكه الإنسان، فلا بد من الميل و لا يستطيع الرجل العدل بين الزوجات على الوجه الذي لا ميل البنة لما حبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه و زيادة هذه المحبة، و نقصان هذه، و ذلك بحكم الخلقة، حيث لا يملكون قلوبهم، و لا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية، و لهذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه و سلم يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: " الله هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك و لا أملك: يعني القلب

إن الإسلام الحكيم لم يشرع توسعه على الذواقين و الذوقات بل أباح تعدد الزوجات، فهو مصلحة للنساء قبل الرجال، حتى يكفل الفتيات و البنات و العانسات و الأرامل العيش العزيز في بيوت أزواجهن بدلا من أن يكن عالة على المجتمع الذي لا يرحم، فدعاة عولمة المرأة و أعداء الدعوة الإسلامية يدعون إلى عدم تعدد الزوجات لتقليل عدد الأسر الإسلامية و بالتالي تقليل النسل الذي يسعى الله إليه، كما أنه يسبب كثرة العوانس من الفتيات و البنات و الأرامل في البيوت مما يعرضهن للفتنة و الفساد لأن النساء أكثر عددا من الرجال حسب الإحصاء، و لاسيما حينما يتعرض الرجال للقتل كما هو جاري الآن في العراق و أفغانستان و فلسطين و العشرية و السوداء عندنا بالجزائر و الصومال و لبنان و غيرها من البلاد الإسلامية، من أجل هذا فإن تعدد الزوجات يوافق الألفية الثالثة بالنسبة للإسلام و يقوى شوكته.

4- إستئثار الرجل و حده في حق الطلاق :

لقد سائر الإسلام منطق خاص و سائر الطبيعة البشرية و جاء متفق مع الغرض من الزواج عندما أباح تعدد الزوجات و حرم الزينة تحريماً كلياً بل يعاقب عليه أشد العقاب إذا كان الزاني متزوجاً بالرجم (أي القتل رمياً بالحجارة)، من أجل هذا سائر طبائع البشر في باحة تعدد الزوجات فالمرأة ليست مستعدة في كل وقت لإتيان الرجل إياها، لأنها تحيض كل شهر فترة زمنية معينة، ثم تلد و قبل الولادة مدة الإثقال بالحمل، و غشيانها في هذه المراحل يصعب و مدة النفاس كذلك، أما الرجل يختلف عن المرأة من حيث الاستعداد للعملية الجنسية و قوة غرائزها، حيث لا يستطيع أن يكتبها أو يقاومها لفترات طويلة، و الرجل في الغالب يخضع لسلطان الغريزة أكثر مما يخضع لسلطان العقل فساير الإسلام فطرته في إباحة تعدد الزوجات بالعدل لدفع الضرر و رفع الحرج، و لتحقيق المساواة بين المرأة و الرجل و لرفع مستوى الأخلاق، فأباح للرجل حق الطلاق سواء دخل بالمرأة أم لم يدخل بها، و أن يكون ملتزماً، و أن يكون ملتزماً بالإسلام و لديه معرفة كافية بالتعليم الإسلامي، و مؤمناً بالله تعالى، و متوكلاً عليه حيث لا يجوز الطلاق على هوى أو وسوسة أو هاجس لا مبرر له، مع أن الإسلام أوجب الصلح بين الزوجين قبل إيقاع الطلاق و ذلك عن طريق الحكمة و تعيين حكم من أهل الزوج و حكم من أهل الزوجة ممن يصلح للحكم و يستطيع أن يقوم بالعدل و يحكم به خير حكم، إذا تعرضت الرابطة الزوجية لهزات و خلافات كبيرة و مشاكل بين الزوجين إذا إستنفدت الوسائل المستطاعة لعلاج الحالة إبتداءً من المصارحة بين الزوجين، و بدل النصيحة الحسنة و على الزوج أن يعالج خلافه مع زوجته إذا أحس التفرقة منها بدون قطيعة في البيت، و قد حدد الإسلام مراحل العلاج حيث يقول الله سبحانه و تعالى: " وَالْآتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً." سورة النساء آية 35، و المفهوم من الهجر هو العقوبة البدنية و النفسية بغير

إيذاء أو كراهية و بغضاء، حتى تستجيب الزوجة لمسكنات زوجها في صميم كنانه، و هي قادرة عليها و راغبة فيها، و خاصة إذا كانت فتنتها لا تقاوم و إذا لم يشعر بفتنتها و سحرها ثم لم يبال بإغرائها فالدواء هو التحكيم من أهل الزوج و أهل الزوجة من الأقربين للزوجين لقوله سبحانه و تعالى: " وَ إِنْ إِمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ". سورة النساء آية 128، و بما أن الرجل هو القوام على المرأة و جب عليه الصبر بالتقليد الفطري في استعمال حق الطلاق و الذي يتحمل وحده تبعاته و أعبائه، فهو ملزم بمهر الزوجة و الرئاسة فيما يتعلق بشؤون الأسرة بحيث يتأذى شعوره تجاه الأطفال و تجاه المجتمع على أساس الإستئثار بحق الطلاق و لا يتلفظ به و لو كان هازلا، و ذلك أن الخطأ أمر باطني لا يعرف الأمن جهة صاحبه، و لو كان على وجه اللهو و اللعب لقوله صلى الله عليه و سلم: " ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الكفاح و الطلاق و الرجعة "¹ و الأساس بين الرجل و المرأة في الإستئثار بحق الطلاق أن الرجل له حق القوامة و الرئاسة فلا يحلف بالطلاق لأتفه الأسباب، في المقابل مسؤوليات جسيمة و هذا حتى لا يستهين بالمحرمات فيحترمها و يدخل هذا الإحترام في مصلحة الزوجة من وجه آخر، لأن إلزام الرجل بإحترام المعاشرة الزوجية لتسيير العلاقة الودية بين الزوجين مع عدم تلوين سمعة المرأة و المحافظة على الآداب الاجتماعية حتى يعيش الرجل و المرأة عيشة هنيئة يعتقدان حرمتها و المحافظة و الحفاظ على كرامتها، تحت ظلاله إما رضية في المهد فلها حنان الأم و عطف الأب و الرحمة و الرعاية الاجتماعية الكاملة و عندما تصبح فتات تكون مهذبة شريفة النفس عفيفة الشرف تحتفظ على القيم الإسلامية و عندما تصبح زوجة تبني مع زوجها أسرة سعيدة، و مستقبلا زاهرا صحيحا من الأمراض الاجتماعية، و تعلق فيه الأم الفاضلة و السيدة الكريمة التي تقوم بالتعاون الكامل مع زوجها هو كل السعادة التي يتسم فيها نظام الأسرة بطابع إسلامي، سواء من الناحية الاجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية و التي تتعلق

¹ ينظر. دكتور أحمد فراج حسين . أحكام الأسرة في الإسلام، الطلاق - الخلع - و حقوق الأولاد- نفقة الأقارب وفقا لأحدث

التشريعات القانونية . الإسكندرية 2004، ص 50

بالوضع الطبيعي للمجتمع المنشأ للصفات الطبيعية أو العائلية في معاملات المرأة، بالإحسان في عشرتها و الرفق في تكليفها بالمسؤولية، و ذلك إسناداً لمبدأ المساواة بين الرجل و المرأة يقتضي وحدة مسؤولية شؤون البيت و الأسرة و الحياة الزوجية، و يتضح لنا مما سبق إلى أي مدى ينشر الإسلام التريث بالنسبة للطلاق أو ينشأ بين المرأة و الرجل من النفرة بينهما، عسى حدوث تراض منهما و تشاور فلا جناح عليهما فيما يتعلق بإستمرار الحياة الزوجية، كنظام للعلاقة الزوجية بحيث يحفظ للمرأة شخصيتها و كرامتها فالزوج أولاً و قبل كل شيء واجب إجتماعي من وجهة نظر المجتمع، و راحة و سكن بالنسبة للرجل و مودة و رحمة بالنسبة للمرأة¹، فالزواج رابط مقدس بين الزوجين يربط إثنين من البشر إحداهما بالآخر أو شريك حياته في السراء و الضراء، و يظله الإسلام في كل خطوة من خطواته لقوله سبحانه و تعالى: " ... وَ أَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا". سورة النساء آية 21 و قد خص الإسلام هذا الميثاق الغليظ بإهتمام كبير وحدده بأصول و قواعد أشبه ما تكون محظورة، حتى إذا أصبح الخلاف على أشده بين الزوجين و أصبحت الحياة الزوجية مستحيلة بينهما و لا ينفع معها هجر و لا صلح و لا تحكيم، أباح الإسلام للرجل الإستئثار بالطلاق رغم أنه أبغض الحلال عند الله الطلاق و في قوله سبحانه و تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أُجْرًا عَظِيمًا ". سورة الأحزاب آية 29، نساء رسول صلى الله عليه و سلم يتطلعن إلى الحياة و زنتها و يطلبن معيشة أفضل و رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يعيش عيشة الفقراء و مع أنه كان باستطاعته أن يأخذ من مال الغني ما يصلح حاله و يرضي عياله، إلا أنه كان يفضل أن يعيش عيشته الكفاء و ينفق المال على الأمة¹ و هو القائل صلى الله عليه و سلم " اتقوا الله في النساء فأنحن عندكم

¹ ينظر. بيومي محمد احمد. علم اجتماع ديني و مشكلات العالم الاسلامي. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1997. ص 409

¹ ينظر. الدكتور رواس قلعجه جي محمد. دراسة تحليلية لشخصية الرسول صلى الله عليه و سلم. دار النفائس بيروت 1996 ص

عوان و لكم عليهن إلا يوطنن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح و لهن رزقهن و كسوتهن بالمعروف" من خطبة حجة الوداع، قد أباح الإسلام الطلاق بعد ما ضيق حدوده، كما ذكرنا لضرورة ملزمة و ذلك كالإنحراف الاجتماعي و الإنحراف النفسي كون المرأة غير مناسبة للرجل في الطباع و أن الرجل تكون لديه الإنحرافات الجنسية و الإدمان على الخمر و المخدرات، قد أهدع بها المرأة قبل الزواج أو قد يظهر عيب في المرأة (أو العكس) حيث تصبح الحياة غير مقبولة و لا يمكن إحتمالها، كما يظهر الآن في المجتمعات الغربية المسيحية و الأوروبية نتيجة الحرية الجسدية و الإلتماسات التي قدمتها القوانين الوضعية و تعقيد شؤون الحياة الاجتماعية كلما تقدمت الإنسانية و تقدمت الحضارة الغربية المادية و من لف لفها و إبتعد عن حكمة التشريع الإسلامي الذي يعمل على إستبقاء الحياة الزوجية لقوله سبحانه و تعالى: " .. لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا " سورة الطلاق آية 1، و حكمة من إبقاء المطلقة في البيت لعل الله سبحانه و تعالى يخلق في قلب الزوج المودة و تتحول إلى ندم على طلاقها و يسرع إلى رجعتها، في هذه الحالة تكون الأمور أسهل و أيسر و هكذا تظهر حكمة التشريع الإسلامي في كل شأن من شؤون الحياة الاجتماعية كلما تطورت و تقدمت الأيام، و حتى تنزوي الزوجة في بيت الزوج و لا تذهب إلى بيت أهلها كما هو الحال بالنسبة للطلاق في أيامنا هذه، مما يولد القسوة بين الزوجين و القادرين في هذا الأمر على الهداية و الإصلاح، و المفهوم أن الإسلام جعل إجراء الطلاق بيد الرجل، حيث يتحلى بالحكم و الصبر حتى لا تخرج الزوجة من عصمته إلى غير أمر محدود، فأوجب الإسلام على الرجل أن يثوب إلى رشده وهذا إجراء حكيم حافظ عليه الإسلام، حتى تهدأ نفسه المطمئنة و يحيهاها إلى قوى الخير فالصراع الذي ينشأ بين المرأة و الرجل، تتأثر به المرأة أكثر من الرجل، و ذلك لخلقة فيها و في تصرفاتها فهي في أنماط سلوكها لا تقدر الأمور قبل التدبر فيها، و ربما لغلبة الهوى عليها و قلة صبرها و ضعف تفكيرها في عواقب الأمور، كما هو شاهد عندنا في أغلب الحالات و الفضل الذي جعل إستئثار الرجل بالطلاق

دون المرأة ليس نقصا من حقها و إنما هو حكمة و هي تحقيق مصلحتها بالدرجة الأولى نحو مصلحة الرجل الذي يحكم العقل و المنطق، في عواقب الأمور لأن الطلاق تخدم به الأسرة و يشتت شمل الأطفال، و تأكل الضعينة الحب الذي كان بين الرجل و المرأة فيؤدي إلى تخريب ما كان بينهما من صفاء و حسن المعاشرة من نفقة و كسوة و سكن، إلى إنحيار في العلاقة الزوجية بمجرد إيقاع الطلاق. بالإضافة إلى ذلك فإن للمرأة الخلع إذا تركها زوجها بدون نفقة و غذا ضربها بدون سبب شرعي و إذا تزوج عليها امرأة أخرى بدون موافقتها و رضاها، و إذا كان بالزوج العنة و الجنون و البرص و ما شابه ذلك، فعند ذلك ترفع المرأة للقاضي شكوى (بعد الإثبات) بإيقاع الطلاق.. و هو التسريح بإحسان كما روى الإمام مالك في كتابه الموطأ أن حبيبة بنت سهل الأنصاري، امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت إلى الرسول صلى الله عليه و سلم و ذكرت أنها راغبة عن زوجها و أن الحياة لا تستقيم بينهما فلما جاء زوجها قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله لها إن تذكر فقالت حبيبة يا رسول الله كل ما أعطاني عندي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أتريدين عليه حديقته فقالت نعم فقال النبي صلى الله عليه و سلم : أقبل الحديقة و طلقها تطليقة، و الحديقة هي المهر الذي دفعه الزوج.¹ و إذا كان الإسلام قد أباح للرجل حق الطلاق فإنه قد فرض عليه في مقابل ذلك واجبات معينة تخدم مصلحة المرأة، لا مفر منها في حالة تعسف الزوج في الطلاق، يؤديها للمرأة و هذه الواجبات هي الإلتزامات التي تعتبر تعويضا للمرأة بما يقتضيه العرف، أي بمعنى تجعل الرجل يفكر كثيرا في الإستئثار بحق الطلاق و على الرجل بعد ذلك أن يقوم بالنفقة على المرأة حتى تنتهي عدتها و تصبح بعد ذلك صالحة للزواج من رجل آخر، و هذا ما يتفق مع طبيعة الإنسان و هو المخير دون سائر المخلوقات الأخرى قد يتزوج و قد يتطلق، و لهذا قد قرر الإسلام حق الطلاق للزوجين منذ خمسة عشر قرنا أو إحاطه بضمانات قوية عادلة حمى بها الزوجة و الزوج من التعسف من

¹ ينظر. غادة الخرساني . المرأة و الاسلام. الجزء الثاني مصدر سبق ذكره: ص 61.

إستعمال حق الطلاق في حدود ضيقة، و لأسباب معينة كفشل الزواج في تحقيق السعادة و إحداث الآلام النفسية و سوء العشرة و الأخطاء و وساوس إبليس للمرأة و للرجل، أباح الإسلام حق الطلاق و سارت على طريقه الدول الغربية في قوانينها الوضعية و إن كانت تختلف في مدى الأخذ بمبدأ الطلاق فالبعض منها يتوسع في تطبيق المبدأ، و البعض الآخر يضيق من الدائرة التي يطبق فيها، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبيح بعض القوانين للرجل و للمرأة معا حق طلب الطلاق إذا أثبت الطالب أن الطرف الآخر يضاره ضررا ماديا أو أدبيا، فهذه القوانين تأخذ بالمبدأ الذي قرره الإسلام حقا للمرأة و تطبقه على الرجل معا¹. هكذا إزدادت أهمية التشريع الإسلامي بالنسبة للإنسانية بإعتباره صالح لكل زمان و مكان .

5- الحجاب :

رأينا أن إستئثار الرجل بالطلاق دون المرأة لا يعني بأنه هو السيد المتحكم في مناحي الحياة الزوجية و المرأة تجهل كل شئ من حولها، حق أنه يملأ منزله بالحواري و الزوجات، و هي خاضعة للرجل لأنه رجل و لأنها امرأة، و يمنعها حتى من زيارة أهلها و جارتها و يضيق عليها بحيث لا تستنشق إلا هواء منزله الذي أحاطه بسياج من الطوب أو الإسمنت المسلح فتفسد أخلاقها و تشل حركتها، و لا تغادر منزله إلا على النعش و إلى قبرها. و كان دائما يعبر عن عدم ثقته بها و يستول عليها و يلهوا بها متى شاء متاعا للذته، و يحول بينها و بين الحياة الاجتماعية، من أجل ذلك رفع الإسلام مكائنها و أعلى قدرها بجلاء داخل الأسرة الإنسانية، و الذي تستحقه و الزي الذي إمتازت به منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام و حتى جاء

¹ ينظر. عبد القادر عودة. التشريع الجنائي الاسلامي مقارنة بالقانون الوضعي. الجزء الاول، مكتبة الدار التراتية القاهرة 2002، ص

الإسلام كان الحجاب موجودا في الأمم السابقة من يونان و رومان و فرس و غيرهم كانوا يضربون الحجاب على نسائهم كما هو موجود في التوراة و الإنجيل² و ليست الأوهام الشائعة بين الغربيين الذين يعتقدون أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام، و هذا خطأ من الأخطاء و الأوهام الكثيرة التي تعددت فيها الرؤى فالبعض يعد الحجاب ظاهرة تورث و تورث كما يورث الثرات الثقافي و هي عنده للحرائر المتميزات بميزة دينية، و ظن الدين لا يعرفون عن الإسلام إلا ما يسمونه (Islamophobie) معاداة الإسلام من أهل الأهواء القائمون على الأمن القومي الأمريكي في خطابات المجتمع الصناعي بشكل خاص، حيث يتم عرض حوادث العنف و قضايا القتل كما هو الشأن في الإعلام الأمريكي و الأوروبي و ما يشعه حول الإسلام من قوالب جاهزة و من إتهامات تافهة تستهدف المقدسات الإسلامية و الطقوس الدينية و الرمزية و الحجاب يرمز بالمخيال الجماعي إلى الإسلام، فمن المتعارف أن الإسلام لم يفرض على المرأة زيا معيناً لقوله سبحانه و تعالى: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ...". سورة النور آيات 30 - 31، هذا أمر من الله سبحانه و تعالى للنساء و المؤمنات و غيره منه عزوجل لأزواجهن عباد المؤمنين و تمييزهن عن حالة نساء الجاهلية المعاصرة، و لكن الذي يجب الإشارة إليه في السنوات الأخيرة هو تنامي التيارات السياسية التي لها رؤيتها في التعامل مع السلطة بعد إنتصار الثورة الإسلامية و قيام الجمهورية الإسلامية في إيران بنجاح باهر و سقوط نظام المشاه بسبب الثورة التي خاضتها الجماهير

² ينظر الشيخ أحمد محمد عساف . الحلال و الحرام في الإسلام. الطبعة الأولى، دار أحياء العلوم بيروت 1983، ص 516

ضد الليبرالية و الإشتراكية معا، و كان لباس و زي المرأة المسلمة هو غطاء الرأس و النقاب بشكل معروف و هو من أهم العلامات و الرموز التي جاءت بها الثورة الإسلامية الإيرانية و التي إعتبرها الغرب تحدي لثقافته التي إرتبط بها نظام المشاه، الشيء الذي جعل قضية الحجاب قضية دولية عندما رفضت المنضومة التربوية الفرنسية السماح للطالبات المسلمات اللاتي يغطين رؤوسهن بمزاولة الإنتظام في المدارس الفرنسية بحجة أن هذا الحجاب و زي اللباس يمثل نوعا من التمييز الديني، و هذا غير مسموح به في فرنسا، و كان رد الفعل العربي و الإسلامي غضب كبير تزامنا مع الحرب الأهلية في البوسنة و الهرسك في البلقان و خاصة العاصمة سراييفو حيث أقدم الصرب على قتل النساء المسلمات المتحجبات و الإعتداءات الجنسية و الوحشية على الفتيات المسلمات بل عمد جنود الصرب إلى إدلال المسلمات لدرجة لم يعرفها تاريخ الحروب البشرية، حيث قام الصرب بإستخدام مني الكلاب في رحم النسوة المتحجبات، أدركنا مدى التطهير العرقي القائم على الفكر العنصري و الصرب يذبجون المسلمين ذبحا في البوسنة و الهرسك و الأمم المتحدة تتقاعس كما تقاعست دائما على حماية الفلسطينيين من الصهاينة الظالمين، و الضلال من الغربيين الذين أساءوا فهم الإسلام، جهلا حتى ينون أمرهم في ذلك على الباطل لأجل التشويه على الإسلام الذي أخرج الناس من الظلام إلى النور و من الباطل إلى الحق و لهذا فإن الحجاب ليس مجرد غطاء و إنما ستر لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤَدِّي النَّبِيُّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ.." سورة الأحزاب آية 53 هذه آية الحجاب و فيها أحكام و أداب شرعية¹ للمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي و اللواتي إتبعن كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و ما إتفقت

¹ ينظر تفسير بن كثير. مرجع سبق ذكره : ص 488

عليه الأمة، و هذا ما توضحه الآية الكريمة " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَ بَنَاتِكُمْ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " سورة الأحزاب آية 59، و معنى الآية الكريمة أن الله عز وجل يأمر محمد صلى الله عليه و سلم أن يأمر و يكلف زوجاته و بناته و نساء المؤمنين بالحجاب الذي فرضه الله سبحانه و تعالى عليهن، و هذا الجلباب الذي هو بمنزلة الملحفة اليوم، هو صيانة و ستر للمرأة و دليل على الحشمة و الوقار. و المرأة إذا إحتجبت عرفت بالعفة و الوقار، أما المرأة العارية المستهتره المتبرجة فقد تغري الرجل الفاسق فيتعرض لمعاكستها و مضايقتها بالسيارة و الإغراءات، و ما يحدث بينهما بعد ذلك ما لا تعرض عنه الأخلاق و لا يحمد عقباه² و الحجاب هو مانع للتبرج و حاجب للفتنة و الغواية، فهو لا يحجب المرأة عن مزاوله عملها و هي مضطرة إلى السير و المشي في الأسواق و الطرقات، و ركوب الحافلات و السيارات و الطائرات و ما جرت عليه العادة من مزاوله الأشياء بيدها و هي مضطرة إلى مخالطة الرجل أثناء العمل و خلال الدراسة، حيث لا فراق بين الجنسين إلا فارق الزينة و اللباس ثم أن المرأة لها شواغلها و صوالحها و تكاليفها المعيشية و خاصة إذا كانت فقيرة، فلا بد عليها من الدخول في الحياة الاجتماعية بمفاهيمها و ثقافتها و لكن تكون مزودة بالقيم الإسلامية لتمارس عملها في آداب و عفة و حياء لأن الرجل هو الآخر مطالب بغض البصر لقوله سبحانه و تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ.. " سورة النور آية 30، بمعنى أن الرجال مطالبون بغض أبصارهم عن المحارم فلا ينظرون إلى محاسن النساء الأجنبية بغرض الشهوة لأن الخطاب موجه للنساء و الرجال لقوله تعالى: " و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن " فلا يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة الأجنبية بشهوة و لا يجوز للمرأة أن تنظر للرجل الأجنبي بشهوة و لا يغير شهوة غير زوجها و زوجته أصلا، بما رواه أبو داود و الترميدي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة رضي الله عنها أنه حدثته أم سلمة أنها كانت عند الرسول

² ينظر. الشيخ احمد محمد عساف. الحلال و الحرام في الإسلام. نفس المرجع:ص 518.

صلى الله عليه و سلم و ميمونة قالت بينما نحن عبدة أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه و ذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إحتجبا منه " فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا و لا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أو عميا و إن أنتما ألتتما تبصرانه " ¹ فغض البصر للمرأة و الرجل، و المرأة تضع الحجاب عندما تلقى الأجانب و لا تبرج تبرج الجاهلية الأولى و المعاصرة، و مفهوم الحجاب لا يعني حبس المرأة و إنما إخفاء بعض من زينها فالنساء قد خرجن في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى ميادين القتال و لمزاولة شؤون المسلمين كالتمريض و سقي العطاش و نقل المرضى و الجرحى، و مزاولة التجارة و مرافق الحياة للنساء و الرجال، فلا عائق يعيقها به الحجاب في مصالحة الأزمة، و لا غضاضة عليها فيه ² إنما الغضاضة عندما تتشامخ و تمشي تتمايل غامزة بعينيها ممدودة عنقها عارية مائلة مميلة متجملة في لباس غير محتشمة متبرجة، من أجل هذا فالحجاب للمرأة المسلمة ستر لها و زينتها غير الوجه و الكفان، و لكن هناك أمور إستحدثها الناس إحتياطاً منهم و سدا للذريعة في نظرهم، و أما الإحتجاب هو عدم إختلاط الرجال بالنساء لقوله تعالى: " وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَأَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " سورة يوسف آية 24، الآية تشير إلى التحذير من إختلاط الرجال و النساء و خاصة في عصرنا هذا حيث أصبح الكل يبحث عن الثروة و الأسباب المؤدية إلى طريقها و هو إجتذاب النساء إلى التنظيمات الإقتصادية التي تفرضها العولمة ضمن الخلوة معهن.

6- العقوبات القاسية مما يتصل بالمرأة و حقوق الإنسان :

و لقد ذكرنا من قبل أن المرأة منحها الإسلام حقوق مطلقة إستتمتت بها بمركز إجتماعي في عهد البعثة النبوية الميمونة، و لم يكن ذلك رأفت بالمرأة العربية داخل الجزيرة و إنما كان للمرأة كجنس بصفتها الشخصية و الأهلية القانونية و الحق في التمسك و التصرف بمثل حظ

¹ ينظر. تفسير بن كثير نفس المرجع ص 88

² ينظر. عباس محمود العقاد . المرأة في القرآن . مرجع سبق ذكره ص 61

الرجل، و تتكامل شخصية المرأة التي منحها لها الإسلام و التي تكاملت مع شخصية الرجل و إستقامت الحياة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و الإصلاحات التي جاء بها القرآن الكريم كانت بالأساس تمس المناخ الاجتماعي و الثقافي في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و شطر من الخلافات الراشدة حيث تحررت المرأة من المعانات الكثيرة و الإضطهاد الاجتماعي و تولت كعضو جديد لتنصهر تماما في صلب الدين الإسلامي الجديد، الذي أعطاها عناية ممتازة، و التي كانت أول من أسلم و أول من ضحى بالحياة في سبيل الدعوة المحمدية حيث عاشت في ظل الإسلام الأول حياة إحترام و عزة، غير أن الأمور تغيرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما عرف المجتمع الإسلامي تطورات متناقضة و غير متوقعة، فهو يبقى من حيث العقيدة و المراجع الثقافية على ما كان عليه خلال البعثة المحمدية و لم يظهر أي تطور يغير أو يبدل القيم الاجتماعية و الأوضاع التشريعية و كذلك المسائل القانونية لمختلف الطبقات الاجتماعية و المعطيات الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و التي لم تكن عائقا و حاجزا في وجه التشريع الإسلامي الجديد في زمن محمد صلى الله عليه و سلم أو حتى بعد وفاته، و إذا كانت المعارضة قد ظهرت و أخذت تشكل حرب الردة أي الثورة العارمة ضد كل ما قام به الرسول صلى الله عليه و سلم و شيده لصالح الأمة الإسلامية و كان الذين إرتدوا يعلنون أنهم مستمرون في إقامة الصلاة لكنهم لا يؤتون الزكاة، و حجتهم في ذلك أن الزكاة كانت لشخص رسول الله صلى الله عليه و سلم ما دام حيا، فلا مسوغ لتقديمها بعد موته، و كان جواب أبي بكر قاطعا: " لو منعوني عقالا لجاهدتم عليه"¹ حيث سلك أبو بكر رضي الله عنه مسلكا حسنا بمقتضى الآية " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " سورة الأحزاب آية 21، و لعل خير ما يعبر عن هذه الأسوة كلمة لأبي بكر رضي الله عنه يقول فيها: " لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعمل به إلا عملت به و

¹ و² ينظر. ادونس الثابت و المتحول . بحث في الإبداع و الإتياع عند العرب . الطبعة الثامنة . الجزء الأول . دار الساقى . بيروت

إني أحشى إن تركت شيئاً من أمره إن زيغ " 2 و لهذا فإن المرأة عاشت زمن الخلافة الراشدة حرة متسترة بالحجاب الذي هو أنوثتها و ضرورة منع مفاتها عن إثارة شهوة الرجل، و إذا كان الحجاب و حق الإنتقاب من المشروعات الإسلامية الفاضلة التي قام عليها فصل المرأة عن الرجل بغطاء الرأس للمرأة و للرجل أحياناً هو حبا للخير و الصلاح و إيماناً بواجبهما نحو المجتمع، بل نحو العفة و التبعد و الأدب و إذا كان الإسلام أمر بالحجاب و نهي عن الخلوة بالمرأة، فإنه لم يمنعها من الخروج إلى مجالس العلم و المساجد و القيام بالأعمال الخيرية المفيدة و شعائر الحج و عندما إبتعد المسلمون زنيا عن عصر الرسالة الإسلامية كانوا يبالبغون و يتجادلون في لباس المرأة هل يليق بها أن تظهر أيديها و أقدامها؟، في ضرب نطاق التضييق على المرأة و التشدد في منعها بممارسة ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد سمح لها به و أباحه فإزداد إنحطاط المرأة في العصر الأموي و العباسي، و ظلت المرأة على إمتداد قرون عدة رمزا لإضطهادها و المركز المتدني الذي إحتله في المجتمع حيث عاشت بين أسواره عديد الأمراء و الخلفاء محجوبة، و برز الجوارى و الفتيان يزين و يخطر في بهاء القصور و إتخذ الخلفاء من الأثيرات منهن أمهات لأولادهم، فرقين إلى أعلى المستويات في المجتمع، بل كان لهن دور في الأمور السياسية و القيادة، فهذه الخيزران جارية المهدي و أم ولديه الهادي و الهارون الرشيد تأمر و تنهي و تنافس الحرائر التي إقتضت بهن الظروف الطارئة على المجتمع الإسلامي إلى أن يقرن في بيوتهن و عزلن عن الحياة الاجتماعية و ممنعن من الخروج إلاّ متجلببات و مقنعات لا يظهر من وجههن إلا العين اليسرى غير متزينات بزينة و لا متطيبات بطيب¹ . و إن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أدرك هذا من قبل و قام بمحاربته و محاربة التقاليد و العادات الاجتماعية الجاهلية و ضرب على هذه الحياة الجاهلية بقوة و بصورة فجائية، و جاء بأفكار و عقيدة في مجملها مناهضة للمؤسسات المعروفة في المجتمع الجاهلي

¹ ينظر. دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه و سلم. من خلال سيرته الشريفة . مصدر سبق ذكره ص 171

² ينظر. الدكتور كمال الدين عبد الغني المرسي. الأسرة المسلمة و الرد على ما يخالف أحكامها و آدابها . دار الوفاء لدنيا النشر و

الذي يرفض التعامل مع كل جديد، عاج رسول الله صلى الله عليه و سلم ما هو متعارف عليه دفعة واحدة و لا يترك الشيء على حاله، بل يعمل على التغيير كنتيجة لصراع بين الحق و الباطل و العناصر المكونة للمضمون عينه، كالزواج فأقر بأن الجنس و ما غرسه الله في قلب المرأة و الرجل من حب، و قد عبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذا الحب بقوله: " حبين إليه النساء و الطيب و جعلت قرّة عيني في الصلاة " ² و ليس عيباً على الرجل أن يحب المرأة في الحلال بل يعتبر هذا من فطرة كمال الرجولة، و ليس عيباً على المرأة أن تحب الرجل بل يعتبر هذا من فطرة كمال الأنوثة و الله سبحانه و تعالى هو الذي وضع في قلب المرأة و الرجل شهوة الحب و إحتياج كل منهما لصاحبه إلا الحكمة يريد أن يحققها بشكل دائم و هو الإنجاب في إطار الزواج، حيث يجب أن يكون هذا الإتصال بين المرأة و الرجل ليس تحصيل اللذة لذاتها، و إنما الهدف أكبر من هذا ألا و هو تأمين الإستقرار و الحياة السعيدة و المحبة لمصلحة الزوجين، و الفائدة بخصوص بناء الأسرة لإرساء قاعدة التساوي بين المرأة و الرجل و هذه كلها قيم جديدة تشكل الباعث الإسلامي للزواج و بما أن الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، رغب رسول الله صلى الله عليه و سلم شباب المسلمين في الزواج فقال: " النكاح من سنتي فمن أحب فطرتي فليبتن بسنتي " ¹ و قال أيضاً: " يا معشر الشباب من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " حيث كانت الأسرة في حياة النبي صلى الله عليه و سلم تستمد كيانها و قوة وجودها من كون تنظيماتها إلهية المصدر لقوله تعالى: " وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ " سورة النور آية 32، إن الزواج هو الطريق الطبيعي للتكامل الجسدي و المواجهة للميولات الجنسية الفطرية، و الراحة البدنية و النفسية، لذلك يأمر الله سبحانه و تعالى بأزواج بالأيامى، و هو الغاية النظيفة للأفراد الأسوياء القادرين على العمل و تحصيل الكسب، ليتمشى و المباىء الأخلاقية

¹ ينظر. الشيخ سعيد فايز الدخيل. موسوعة فقه عائشة ام المؤمنين حياتها و فقهها. مراجعة الدكتور محمد رواس. صاحب سلسلة موسوعات فقه السنن . دار النفائس . الطبعة الأولى 1989 ، ص 651

و القيم التي إنطلقت منها حقوق المرأة و التي تتجسد مع سياق الدعوة الإسلامية القائمة على رضا الوالدين و إحترام رأيهما و عدم غضبهما و ما يشين لهما، و يؤذيانهما لأن رضا الله من رضاهم، و الطاعة لهما و الأولوية فيما يتعلق بالتكافل المعاشي لتحقيق لهما المعيشة الكريمة، من أجل هذا توخى الاسلام للمرأة وسيلة الخير في الميراث لقوله سبحانه و تعالى : " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " سورة النساء آية 11، و نالت في الشهادة لقوله سبحانه و تعالى : " .. وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ إِمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ إِنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى " سورة البقرة اية 282 و نالت أيضا حظ في تعدد الزوجات لقوله سبحانه و تعالى : " فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ " سورة النساء آية 3، و مما هو جدير بالملاحظة أن المرأة حضيت بحظ كبير بالنسبة لكافة العلاقات المتبادلة في إطار الأسرة، و هذه العلاقات مؤسسية مفروضة بإسم الدين الإسلامي، لصالح المرأة على طول الخط لأن المنظور الإسلامي قد أولى العلاقات الاجتماعية عناية خاصة، عندما أقامها على أساس الإحترام و سمح للمرأة في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم بطلب العلم الغزير، حيث كان صلى الله عليه و سلم يستعين بعائشة في شرح ما يتعلق بشؤون المرأة و كانت مصدرا من مصادر الحديث و الفقه و شرحه، و المرأة مأمورة بأن تتستر و أن تلتزم بالتعاليم الإسلامية كالرجل و التوجيهات النبوية الشريفة التي تحفظ لها و عليها أخلاقها و عفتها و حياءها و مروءتها التي جاءت بها الشريعة الإسلامية حتى تقوم بدورها في المجتمع الإسلامي الذي رفع مكانتها و حررها من كل قيود العبودية و ساوى بينها و بين الرجل و حتى لا تتعرض المرأة إلى من يحط من قدرها و منزلتها الرفيعة و بهيتها في المجتمع، من أجل ذلك وضع الإسلام جل إهتمامه بها في عصر النبوة¹ ، حتى تثمر جهوده في تكوين جيل

¹ ينظر تفسير ابن كثير . مرجع سبق ذكره ص 530

صالح يقيم العلاقات بين الرجل و المرأة على أساس المحبة و ليس لمجرد الشهوة التي تشترك فيها البهائم التي تتوالد في أوقات معينة من السنة، لأن غرائز الحيوانات تنطلق دون وعي .

و نستخلص مما سبق أن المرأة نالت حقوقها الشخصية في جميع مراحل حياتها المشروعة تحت ظل الأفق الإلهي. صحيح أن العالم الإسلامي يعيش اليوم عصرا من أحلك عصوره و ذلك راجع إلى الأنانية السياسية بين الحكام مما جعل خصومهم من قبل وهم الغربيون يشعرون بالراحة و يجمعون ثروة العالم الإسلامي، لأن الثروة هي القوة الاجتماعية الوحيدة التي يسيء توزيعها أو يسيء الإشراف عليها من طرف العالم الإسلامي عندما بدأ جنوحه عن الشريعة الإسلامية و من السخف أن يرغب العالم الإسلامي في تحديد المرأة بدون الرجوع إلى القيم التي تركز على الكتاب و السنة، و بالأخصى الدول العربية التي تعلم ما صنعه الإسلام للمرأة من تكريم و إنقاذها مما كانت تعانيه من المذلة و الهوان و الإضطهاد الاجتماعي بسبب غلاء مهرها و تشدد وليها في طلب الأكفء، و لم يعد الدين الأخلاق و لا العفاف، بل أصبح الدينار و الجاه و المركز الاجتماعي و الدور و القصور و البهة و البذخ هي المعايير مما أدى إلى الكساد على المرأة .

(د) طغيان نظام العولمة :

تمتعت المرأة في ظل الإسلام بالأهلية في جميع الميادين بالعزة و التحرر من كافة القيود و التهم المتعلقة بالخطيئة الأولى التي التصقت بحواء و ركز عليها اليهود و غيرهم أسباب تعاسة البشرية، مما أدى إلى تحطيم المرأة و حبسها وراء الجدران، و تتخذ ضدها أقصى العقوبات لأتفه الأسباب وإذا كانت زوجة أصبحت ملكا لزوجها يستمتع بها و يقف منها موقف الإستهتار، إذ يسخرها لخدمته و خدمة أفراد عائلته بوصفها وظيفة بلا أجر و عاملة دون مقابل، و إنتهت عقدة حواء و النظرة الدونية ضدها و الروايات و الأساطير أخرى عندما وصلت بها الشريعة الإسلامية إلى المرتبة الأولى، و المكانة السامية التي برأتها من لعنة الجسد و من جميع ما لحق بها تنقص و تميل إلى السلوك السوي بسبب نضج الرجل و المرأة و القدرة

على بناء الذاتية القائمة على التخلص من الإحساس بالنقص، و الرجوع إلى الطمأنينة و الإنشراح الإسلامي الذي يحدد علاقة المرأة بربها و البعد الروحي الذي يحدد العلاقة بين الرجل و المرأة لقوله سبحانه و تعالى: " وَ إِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ ءَامَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى "، ثم إهتدى أي لزم الإسلام و إستقام على السنة و الجماعة و لم يتبع العولمة التي تدعو إلى تكتل الدول و تعمل على تفتت دويلات بقصد الهيمنة على ثرواتها و التحكم في أذواقها و أفكارها كشكل للإستعمار الإقتصادي الذي يربط بمقوم العولمة التي تسعى جاهدة لإلغاء الآخر و ثقافته تماما و بسط سيادة نماذج الحضارة الغربية و التي تتجلى بالذات و بالطبع الأمريكي على الخصوص المتمثل في هيمنة الولايات المتحدة في صندوق النقد و البنك الدوليين، و صارت الدول العربية أو العالم العربي اللامكان له، إذ صار الأمر يتعلق بإستعراض العضلات و السريع يأكل البطيء¹ و في ذلك يتضح لنا أن طغيان العولمة و طوفانها و رهابها يلقي بظلاله في كل مكان عقب إنهيار الإتحاد السوفياتي و تشرذ و تمزق العديد من الدول المتأخرة، أو التي أصبحت مبتورة الطابع القائم على تناقض داخلي و ظاهرة الفساد الاجتماعي و سيادة ثقافة الكابوي و الجينز، و تقليص سيادة الدولة الوطنية بسبب الإختراق الأمريكي للثقافة المحلية و فرض التعددية الثقافية بشكل يسمح للأقليات ممارسة شعائرها حسب ما تراه و بالإستعانة للنموذج الغربي ذا الدلالة الرفض للتقاليد و العادات و الأعراف، كما هو الحال بالنسبة لبعض الدول العربية التي تتآكل سيادتها الوطنية بفعل الشركات المتعددة الجنسية بشكل إلى أن تصبح غير قادرة و عاجزة عن إيجاد الحلول و الوفاء بالتزاماتها تجاه رعاياها الأوفياء، و من ثم لا تستطيع أن ترسم سياسة تنموية مستقبلية حتى تواجه تحديات أو مشكلات أو أزمات صندوق النقد و البنك الدوليين و التهديدات للأمن الوطني، إذا هي لم تصبح حارسة للبرالية الغربية و حامية مصالحها و تشتري مشترياتها من جميع المومنين الموجودين على الصعيدين الأمريكي و الأوروبي و تميل في سياستها

¹ ينظر. الدكتور مؤيد عبد الجبار. العولمة الإعلامية. الطبعة الأولى. الأهلية للنشر و التوزيع. عمان الأردن 2002 ص 64

الخارجية إلى زحف و حفز طلب الشركات الأمريكية و الإنفتاح بوتيرة أسرع، و تزيد من الإستيراد الأمريكي و تعمل على تدمير فرص العمل الجيدة و غلق القطاعات التصنيعية الدائبة التي كانت تنافس السلع المستوردة، و تعمل جادة على غلق أو حرق قطاع التصنيع الذي كان ذات يوم يوفر عدة وظائف لملايين العمال في العهد الإشتراكي ممن لم يكونوا بأكثرتهم حاصلين و متمتعين بمستويات تفوق مستوى الشهادة الإبتدائية، كذلك قطاع الزراعة الذي كان يشكل العمود الفقري للإقتصاد الوطني تعرض لكثير من التخلف مما أدى إلى سد الطريق أمام أي تطور يساهم في إعادة أسلوب الإنتاج في المجتمع الذي كانت تسوده الزراعة و التي كانت تربط العلاقات الثابتة بملكية الأرض و لاسيما بالنسبة لسكان الأرياف الذين تدهورت محاصيلهم الزراعية بشكل كبير، ففي الفترة التي أعقبت الإستقلال مباشرة شهدت الزراعة إنتاجية محسوسة و ملموسة و ما لبثت أن بدأت في التدهور بعد التأميمات الكبرى بسبب العولمة و النمو البطيء في التصنيع مصحوبا بنمو سريع ديمغرافيا، و عدم عقلنة الإستهلاك تضاعف في الوقت نفسه التهافت على السلع المصنعة و الإقدام على شرائها بوتائر أسرع مع تنامي فتح الأسواق و إغراقها بالواردات، و النجاح المتواصل للشركات ذات الجنسية المتعددة و التي تعمل على تقويض السيادة الإقتصادية للدول و إختزال قدرة المواطن العربي و هجرانه للإقتصاد الوطني تشويها في قيمة السلع و الخدمات التي يبيعها المنتجون المحليون، و السعي وراء المنتجات الأمريكية و الآسيوية في أسواق ما وراء البحار، و هكذا أفادت العولمة الثقافية الأمريكية عن طريق الثورة الإتصالية و الإيديولوجية الإستعمارية التي تقف خلفها النوايا الصهيونية التي تعمل بأكبر سرعة ممكنة و المؤدية لأكثر ربح مادي على حساب بلدان الدول العربية التي لا تراعي البضاعة المتدفقة، و القنوات التي تبث السموم عن طريق الصورة و الصوت و هذا ما تؤكده الأحداث في مجال التلفزيونات و البث بواسطة ثقافة تكنولوجية الإعلام التي ترسم الآن حدود المجال الإقتصادي و السياسي التي ترسمها وسائل الإتصال الإلكترونية المتطورة قصد أمركة الثقافة و الأذواق في ظل سيادة نظام الليبرالية الهمجية عقب

إنهيار المعسكر الإشتراكي و تكور العديد من الدول المتأخرة، و ظهور العولمة الآن بشكل واضح يتميز بوجود سوق مندمجة للمنتجات الغربية و لرؤوس أموالها دون إدماج سوق العمل، بالنسبة للدول المتأخرة و بإستخدام متميز للأقمار الصناعية و بفرورية الإعلام المنقول الهائل و بإستمرار على جميع المستويات السياسية و الإقتصادية و الثقافية و العسكرية بفضل التكنولوجيا التي تتحكم فيها الولايات المتحدة الأمريكية و تتولى فيها الزعامة عبيء المستوى العالمي بثورتها المعلوماتية و بمؤسساتها المالية المسيطرة، و ممارستها بإنتهاك حقوق الإنسانية و خاصة الدول العربية و الإسلامية و مجموعات أفراد الجالية الإسلامية المقيمة على التراب الأمريكي بأنهم ضحايا إنتهاك حقوق الإنسان بإرتكاب أشنع أساليب التعذيب و الممارسات الممحجة التي أودت بأرواح الكثير من الأبرياء العزل، تحت ستار محاربة الإرهاب و حماية الأمن القومي، و تسييد مفاهيم القوة المادية و العسكرية التي بدأت في الألفية الثالثة، و يكفي هنا أن نتذكر ما تعمل عليه الولايات المتحدة في إطار العولمة حيث جعلت العالم يشبه قرية كبيرة، هو الانفجار المعلوماتي أو الثورة المعلوماتية و تبنى التسويق الاجتماعي لترويج مفاهيم الإستقرار و الرخاء لتغيير بعض الأنظمة السياسية كما هو الحال في العراق و أفغانستان حيث تم إستخدام مهارات و مبادئ الديمقراطية و السلوكيات ذات الطابع الإنساني عكس الإعلان الحقيقي، حيث قدمت الولايات المتحدة الأمريكية معلومات خاطئة رسخت في الأذهان؛ بهدف تحسين و تحرير الناس من التحقير و إحداث التغيير و التحديث الإيجابي و ضمان إحترام حقوق الإنسان في ظل نطاق الحرية و الخلاص من العبودية بواسطة الحملات الإعلامية التي تستخدمها و تحتكرها. كانت سببا في نجاح الحروب و الصراعات و المعاناة و العذاب الذي يعاني منه الشعبان العراقي و الأفغاني على كافة المستويات، و إنتشار الانفلات الأمني و بروز الكيانات الطائفية، و حدث التخلخل الهائل في طبيعة المجتمع العراقي و بهذا المعنى فإن مقومات الممارسة الإعلامية للعولمة تنبع من الهيكل الطغياني الأمريكي الذي يسعى لتذويب الثقافات عبر وسائل الإعلام مع تكتيف و

إجتذاب الأدمغة و الثروات بإتجاه الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في المرحلة الراهنة في النظام العالمي الجديد الذي ينطوي على مغالطات تدفع الدول العربية و الإسلامية إلى ما تحدده الدبلوماسية الأمريكية من أهداف، أو بتعبير أدق ينظر إلى الدول العربية و الإسلامية بمنظار الإرهاب و إنتشاره في ظل إستمرار التعصب الديني في أقاليم كثيرة من الدول العربية التي من حقها أن تعيش و تحيا و تستمر و تنمو و تتأزر فيما بينها لاسيما بعد إحتلال العراق، و ما ينتابها من الخوف و الفرع من الغزو الأمريكي لأسباب مختلفة من بينها حقوق الإنسان .

هـ - لطائف التشريع الاسلامي فيما يتعلق بحقوق المرأة :

لقد شارك طغيان العولمة المعادي للإسلام في طمس الأهلية الكاملة للمرأة، فالمرأة إنسان موفور الكرامة من الجانب الإنساني مخلوق كالرجل، و على قدم المساواة معه، فهي تتمتع بشخصيتها الإعتبارية و لها كامل الحرية في إبداء الرأي بدون تحفظ و إقتسامها تبعات الحياة الزوجية و مسؤولية البيت مع الرجل، بالإضافة المهام السياسية و المسؤوليات المدنية و الجنائية، و الإسهام و التكامل الإقتصادي و الاجتماعي لمؤسسات المجتمع المدني و المشاركة الفعالة في إحداث التغيير المجتمعي في مواجهة التغيرات على الساحة الوطنية و الدولية، و على هذا النحو إكتملت أهلية المرأة في ظل الإسلام، غير أن العولمة سعت منذ بدأ الإهتمام بالمرأة بعد الحرب العالمية الثانية عام 1946، حين أنشأت هيئة الأمم المتحدة مركز المرأة و هي هيئة رسمية دولية تتألف من خمسة و أربعين من الدول الأعضاء تجتمع سنويا بهدف عمل مسودات و توصيات و تقارير خاصة بالمرأة، و تقويم تلك الأعمال¹ بغية وضع قوانين الإباحة و الرذيلة و تعميم حالات الشذوذ الجنسي بإسم حقوق الانسان و المساواة التي أصبحت الشغل الشاغل للدول الغربية و المنظمات غير الحكومية من خلال أجهزة و هيئات الأمم المتحدة الأمريكية كصندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، و المعهد الدولي للبحث و

¹ ينظر. فؤاد بن عبدالكريم آل عبد الكريم " الأنترنت 2007 "

التدريب من أجل النهوض بالمرأة، و لجنة مركز المرأة التابع للأمم المتحدة و غيرها من الأجهزة و المنظمات التي تستعين بصندوق النقد و البنك الدوليين، و هذا ما ظهر في المؤتمرات النسوية التي لا تزال تستغل طغيان العولمة، بإقامة مؤتمرات من خلال هيئة الأمم المتحدة خاصة بالمرأة قصد تعزيز قدراتها و إمكانياتها في إشاعة تفويض الأسرة لأنها تربط المرأة بالبيت و تربية الأطفال و هي قعيدة و حبيسة العادات و القيود و معقودة اللسان، و هذه الأعراف هي أكبر عائق بنظر الحضارة الغربية في إعاقه التقدم و الرقي و الرفاهية بالنسبة للمرأة، بوصفها ربة البيت و تتقي محارم الله و تطيع أوامره، و لا متبختره متمائلة و لا متبرجة و لا تضرب الأرض بأقدامها تكبرا، فقد قال تعالى: " **وَ لَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**" سورة الإسراء آية 37 و من هنا جاء لطف التشريع الإسلامي الذي وضعه الله سبحانه و تعالى و له في النفوس القداسة العظمى و الخضوع المطلق، و الله هو الذي وهب الحياة التي سارت عليها البشرية منذ النفحة الأولى، التي تشترك فيها المرأة و الرجل و هي الحقيقة الطبيعية للحياة و ليس إطلاق إسم الأنوثة على المرأة يتبعها ضعف في البدن و في الكيان، و إسم الذكورة للرجل تتبعها القوة و بعد النظر كما تخيله الأقدمون، و سادت العادات أن الرجولة و الفحولة و القوة خاصة بالذكر دون الأنثى، حتى صار الرجل إذا كان ضعيفا و سفيها هزيلا غير ذكي و غير كامل الرشد و مغفل قالوا عنه: تربية امرأة! و إذا قام بتصرفات فاسدة أو أدلى برأي غير سديد قالوا عنه رأى امرأة، و وضعت المرأة في أحسن و أحقد منزلة في المجتمع فكانت تورث كما يورث المتاع، و تحبس و تفضل إهمالا و إمتهانانا و ضاعت حقوقها بين السفاح و المخادنة بإعتبارها ناقصة عقلا و دينا و ما يشوبها من ضعف، و ذلك راجع للعاطفة التي توجه نشاطها العقلي و إتجاهاتها النفسية. و لكني لا أتفق مع هذا إذا كان التشريع الإسلامي يدعو إلى التراحم و التعاطف و يضع المرأة موضع القوة في تحمل المسؤوليات و التي تؤهلها في ما تفرضه الحاجة و ما يتطلبه العمل مع

مراعاة الظروف البيئية حتى لا تخرج عن فطرتها الأنثوية أو تتعرض للقليل و القال¹، و أوجب عليها المعاونة و الإحسان إلى الأسرة بإعتبارها اللبنة الأولى التي هي فيها، بل هي الأسرة و الدعامة الأولى أليست في النهاية هي الأم التي تنجب الأولاد بصورة أنثوية و هي طبيعة الفطرة البشرية، و تمشي وفق الميول الفطرية الثابتة في النفس البشرية التي فطر الناس عليها.

نخلص إلى القول أن التشريع الإسلامي رفع مكانة المرأة قياسا مع مظاهر المؤتمرات و منظمة الأمم المتحدة للتربية و التعليم و الثقافة و التي تعرف بإسم *منظمة اليونسكو* منذ خمسة عشر قرنا في عهد الإجحاف الجاهلي الباطل، و الخارج عن الفطرة البشرية السليمة بالإيثار المتحيز الكبير للذكور و الإهمال الشنيع للإناث و كأن الأنوثة كانت السبب في ظلم المرأة و حرمانها من كل شيء، و من أجل ذلك شرع الله تعالى الإرث و قدره² : " لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا، وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قَالُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا " سورة النساء آيات 7-8، و بهذا المبدأ منح التشريع الإسلامي المرأة منذ خمسة عشر قرنا حق الإرث كالرجل، منحها و أعطها نصيبا مفروضا مما قل أو كثر، و التشريع الإسلامي يقوم على أساس التكافل الاجتماعي في الحقوق و الوجبات، و لا ينظر للإنسان حسب مركزه الاجتماعي و قيمته الإقتصادية و السياسية بل حسب قيمته الإنسانية لذا إستنكر فعل الجاهلين في وأد البنت عندما تضعها أمها، من هذا القبيل رسم التشريع الإسلامي حقوق المرأة تأكيد للعدالة و تحقيق للإنصاف و حكما من الله سبحانه و تعالى و هو العليم الحكيم، في التملك أو الإنماء أو الإقتناء و المال مال الله سبحانه

¹ ينظر. الإمام الأكبر محمد شلتوت . ضروب من العبادات " من توجيهات الإسلام تصحيح بعض المفاهيم الدينية و توضيح موقف

الإسلام من مشاكل الأخلاق الإسلامية . الطبعة الرابعة . دار الشروق ، بيروت 1983 ص 177

² ينظر. على محمد سلام . عظمة القرآن و السنة . مركز الإسكندرية للكتاب 2005. ص 98

و تعالى يصيب به من شاء من عباده و رحمته و سعت كل شيء، حيث كرمت المرأة و إعتزف التشريع الإسلامي بفضلها و إستحقاقها بعدل، مع التذکر أن الله سبحانه و تعالى عليم شاهد على ما يفعل الإنسان في هذه الحياة، و إذا ما نجا من عقاب الدنيا بسبب التسلط البشري، أو رئاسته للناس و غير تأدية حق الناس و هو مستبد و مفرط بالأمانات غير قائم بحقها خير قيام، إلا كان له حزيا و ندامة و عقاب أخروي يدركه لا محالة. فمعظم لطائف التشريعي الإسلامي فيما يتعلق بحقوق المرأة وارد في أسلوب الوعظ و الإرشاد و الهداية و هي موجهة إلى الضمير أساسا، و هي تطهير في الأخلاقيات التي تربي في النفوس طهارة القلب، و الشعور بالواجب الذي يدعو إلى المصلحة عن طريق توثيق الصلة بين الإنسان و خالقه ثم بينه و بين الأسرة في المجتمع الإنساني، الذي تكثر فيه الممارسات اليومية و التقنين المناسب لها، فالتشريع الإسلامي الإلهي هو مجموعة الأوامر و النواهي و القواعد و الإرشادات التي شرعها الله سبحانه و تعالى لمصلحة الإنسانية و لا يتأثر بعوامل العرف و التقاليد و العادات و الزمان و المكان، يتلاءم مع الخاصيات الثقافية للإنسانية منذ خمسة عشر قرنا أعطى للمرأة حق الإرث كالرجل لإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع المرأة من التوريث حيث يقول الله سبحانه و تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما تركا و إن كانت واحدة فاهن النصف و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له واحد وورثه أبوه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية سوصى بها أو دين آباؤكم و أبناءكم لا تدرون أيهم اقرب نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما و لكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن من بعد وصية يوصين بها أو دين و لهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين و إن كان رجل يورث كلاله أو امرأة و له أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهو شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله

و الله عليم حليم " سورة النساء آيات 11-12، جعل الله سبحانه و تعالى إرث الأنثى هو الأصل و إرث الذكر محمول عليه يعرف بالإضافة إليه و إختيار التعبير القرآني (للذكر مثل حق الأنثيين)¹. إن التشريع الإسلامي أنار دنيا المرأة و ملأها ضياءً بصفتها إنساناً بشرياً و الإعتراف لها بحقوقها و الإعتناء بها و الإهتمام بصورتها المشرفة، و فتح أمامها مجالات الإبداع و التقدم و التحرير من عبودية المادة و الرجس، و رفعها إلى سمو الإيمان بغض النظر عن أنوثتها و جنسها و سنّها خلافاً للشريعة الغربية في القرون الوسطى و حتى بعد الثورات العصرية فيها، فالقانون الفرنسي كان يحرم المرأة من الحقوق و يقضي بالأعراف الجرمانية التي تعطي الأهمية الكبرى للملكية العقارية و تتجنب تقسيمها و تشتيتها .

و - ضرورة التحرير الحقيقي:

مما لا شك فيه أن التشريع الإسلامي حرر المرأة من قيود العبودية قبل أن يفكر العالم العربي في هذا الشأن منذ خمسة عشر قرناً، بعد أن حول الفكر الغربي المادي المرأة عبداً للآلات و الأرقام و يتعامل معها بقسوة، و حملها فوق طاقتها و لم يقيم لها وزناً، حيث توالى مؤتمرات في أنحاء العالم مثلت فيها المرأة أشكال القهر و التمييز في المجالات السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية تحت إشراف الأمم المتحدة. و دعاة عولمة المرأة الذين دأبوا و عملوا على إخراجها من البيت لتأخذ مكانها بجانب الرجل مستعينين بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة سنة 1948، و تمرير كثير من القضايا و الإتفاقيات الخاصة بالحقوق السياسية و المدنية للمرأة، و الإعلانات الخاصة بالقضاء على التمييز ضد المرأة، و خرجت المرأة لتزاحم الرجل في الأعمال الخطيرة كعملها في أفران الصلب

¹ للذكر: جار و مجرور، و هو خير مقدم .

مثل: مبتدأ مؤخر، و هو مضاف .

حظ: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

الأنثيين: مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى

قال ابن مالك في خلاصته: و لا اخبر بضرّف او بحرف جر و الجملة الظرفية مثل: فوق الطاولة كتاب

و الحديد و النحاس أي أجاج نارية خطيرة للغاية لا تتناسب و الجنس اللطيف و صارت تقود مترو الأنفاق و تراحم الرجل في الأتوبسات و العربات و الطائرات، و بهذا و غيره جمعت المرأة و إحتلت جميع مناصب الشغل، و تخلت عن واجباتها التي تتمثل في الأمومة و الحضانة و رعاية الأطفال اجتماعيا، و تنمية مواهبهم و قدراتهم و تهيئتهم بدنيا و ثقافيا و نفسيا و أخلاقيا، و نشر الوعي بينهم و تنشئتهم تنشئة سليمة و تقوية و تنمية روح الروابط الاجتماعية بين الأسرة و المدرسة و الإسهام بكفاءة في مجالات الإنتاج و الخدمات و إستكمال التعليم بجميع أطواره و ذلك على أساس تكافؤ الفرص للجميع و ذلك من أجل إعداد الإنسان لكي يكون مواطنا منتجا في بيئته و مجتمعه بدل وظيفة تجعل الأطفال مشردون في الشوارع، أو في دور الحضانة و يتربون تربية سيئة من طرف الحضانات أو الخدمات، بينما الأم تقضي جل وقتها في الشوارع و الطرقات أو في الحانات و أمامها أكواب البيرة و المشارب الرخيصة و هي متبرجة، و لا تدفع يد طالب بحجة أنها امرأة عصرية و من حقها أن تفعل ما تريد من أفعال شاذة و قبيحة، فهي ترى أنها خير مما كانت عليه في جيل الحریم و جيل الأمهات و الجدات، حتى صارت البيوت مفككة و صار الطلاق و بصورة مخزية أنهلك المرأة و الرجل معا، بسبب عولمة المرأة و تيسير حرية العلاقات الجنسية و سلب قوامة الرجل على المرأة، لم يبق بينها و بينه إلا وظيفة ذكر النحل، هذا هو فكر العولمة الغربية التي تخيلت أن أنوثة المرأة تتعولم بنشر الإباحة و تصدير التشريعات الوضعية التي تجيز و تبيح الزني و الشذوذ الجنسي و نشر هذه الذائل من خلال المؤتمرات تحت مظلة الأمم المتحدة التي تسيطر عليها الصهيونية، لذلك نجد الولايات المتحدة الأمريكية تقدم التسهيلات و الإمكانيات لتزييف الصورة المشرفة للإسلام، و لم يعد خافيا على أحد أن العدو الصهيوني يعمل على الإستفادة بصورة واسعة تهدف إلى تصوير معدات المسلمين للمرأة بداية بالحجاب الذي ما زال يدعم النظرة الإيجابية للمرأة، تلك النظرة التي ميزت المرأة العفيفة بستر العورة، إلا الوجه و الكفين

لقوله

سبحانه

و تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.." سورة الاحزاب آية 59، و هذا تأكيد على أن مبادئ التشريع الإسلامي هي وحدها التي يجب الرجوع إليها و الأخذ بها عالمياً، فهي تشمل المرأة و الرجل و السير بها، في الطريق الصحيح، حيث يدخل كل من المرأة و الرجل تحت حكم التشريع الإسلامي و نظامه الذي وضع الأنثى على وجه عام هو من نوع وضع الذكر، و من السهل على المرأة و الرجل العودة إلى التشريع الإسلامي الذي ساوى بينهما في الحقوق و الواجبات منذ خمسة عشر قرناً، بينما القوانين الوضعية لم تسمح بالتسوية بين المرأة و الرجل إلا في القرن التاسع عشر، و يمكننا أن نلاحظ أن الوضع العام للحياة في أعمالها و متطلباتها و مقتضياتها و مسؤولياتها و تبعاتها سايرت تطور المرأة و الرجل إستضاءاً بنور التشريع الإسلامي و إهتماماً بهدى الشريعة الإسلامية لقوله سبحانه و تعالى: " إِذْ قَالَتْ إِمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَ أَنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا.." سورة آل عمران آيات 35-37، رضي الله سبحانه و تعالى بمریم أن تقوم بشؤون العبادة مكان الرجل و بقبول الأنثى لما جرت عليه العادة حيث كان الذكر يقوم بخدمة الأماكن المقدسة¹ فأبطل الله هذه العادة، و لا يخفى أن المرأة كانت في هذه الحقبة الزمنية غير مرغوب فيها بخلاف الذكر الذي هو مقبول دون الأنثى² غير أن الله سبحانه و تعالى: "وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" سورة ال عمران الآيتان 42-43، هذه هي سيدتنا مریم العذراء قد كرمها الله تعالى في محكم القرآن العظيم الذي يتلى إلى يوم

¹ ينظر. الإمام الأكبر محمود شلتوت. من توجيهات الإسلام. مرجع سبق ذكره ص 62

² ينظر. روح المعاني تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني. مصدر سبق ذكره، ص 433

الدين بأن نسب عيسى عليه السلام إلى أمه مريم و هو أحد أنبياء الله، الذي علمه الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل، و رسولا إلى بني إسرائيل، و يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذن الله و هذه هي مشيئة الله سبحانه و تعالى و قدرته على إستعلاء الحقائق الغامضة، و إختيار المرأة في تصريف شؤون الحياة على أسس متينة، كما إصطفى من الرجال لقوله عز وجل: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ... " الآيتان من سورة آل عمران 33-34، نلاحظ صفة الإصطفاء و الأفضلية تشترك فيهما المرأة و الرجل المصلحين اللذان يشتركان في الإيمان و عبادة الله تعالى و توحيده، و البشرية قاطية مأمورة بالإيمان بمن جاء من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم، لأن نبينا عليه الصلاة و السلام هو بمنزلة الأنبياء كلهم فضلا عن آل إبراهيم الذي هو شيخ الأنبياء¹ ثم أن صفة زوجة عمران كانت ترغب أن يكون الحمل ذكر حسب ما جرت به العادة لخدمة الهيكل، و ليست الأنثى كالذكر لأن مقصودها هو تنقيص دور الأنثى بالنسبة للذكر الذي يصلح للغرض، و الظاهر هو ترجيح الذكر على الأنثى (وليس الذكر كالأنثى) الآية و لا نخوض نحن في صفة التفسير بل في صفة التحرر لأن الله سبحانه و تعالى يتقبل المرأة كما يتقبل الرجل و هو الذي خلق الذكر و الأنثى و الأمثلة التي تبين فضل المرأة على الرجل و ثقتهما بالله سبحانه و تعالى، كما أنبأنا القرآن العظيم أن زكريا عليه السلام كان قد كفل مريم بعد ما أصبحت تقوم بخدمة الهيكل و إحتلت المرتبة التي إصطفاها الله لها و أصبحت مقبولة لدى الأحبار و على رأسهم نبي الله زكريا عليه السلام الذي تولى شأنها منذ أول وهلة من ولادتها، بقبول حسن و ما أظهر الله سبحانه و تعالى من الكرامة فيها حينئذ تعصب زكريا قال الله تعالى: " وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " سورة ال عمران

¹ ينظر. السيد محمود الأوسي أبي شهاب الدين. مرجع سبق ذكره ص 126

الآية 37، و الظاهر من الآية الكريمة أن مريم توجه نبي الله زكريا لما إحتصت به من الإكرام و العطايا و الرضا من الله سبحانه و تعالى، إلى الله عز وجل بالالإلتجاء إلا إليه في شأن الرزق الذي كان يجهل مصدره لأن عطاء الله عز وجل للمرأة أو الرجل لا يتقيد بدعاء أو سنة معروفة، و لا يخضع أو يتوقف على طاعة أو إبتهاال منوط بإتباع سبب معين في تحقيق الغرض و الله يرزق من يشاء و يمنع إن شاء، و يفعل ما يريد و لا يسأل عما يفعل و البشر يسأل فيما يفعل و كما يخفي توجهه، الشيخ الكبير و هو أمر العارفين بالله تعالى إليه بالدعاء و التواضع و بنيران الشوق و كان يطمع في أن يرزقه الله بولد و لكن إمرأته عاقر و الله يفعل ما شاء لقوله سبحانه و تعالى: " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَ إِمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ" سورة آل عمران الآيات 38-40، و كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مريم قضت صباحها في المحراب عاكفة خادمة عابرة داخلية تحت رحمة الله، حتى أضاء الله عز وجل أنوارها و رقاها فيما تكمل به شأنا عظيما و هو إختصابه إياها من دون سائر النساء جميعا بإضافته سره الأكبر و التبشير إليها و هي في خلوتها المشيئة الإلهية و هي النفحة المباشرة لقوله سبحانه و تعالى: " و إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا و الآخرة و من المقربين" سورة ال عمران آية 45، هذا السر اللطيف الخافي الإدراك البشري و الإفهام هو سر الله عز وجل حيث و هب لزكريا يحي عليه السلام بسبب توجيه مريم العذراء الدعاء إلى الله سبحانه المستغني عن الكونين، المنفرد بالعبودية يهب لمن يشاء الذكور و يهب لمن يشاء الإناث و يجعل من يشاء عقيما و يغفر لمن يشاء و يعاقب إن شاء، و نلاحظ مكانه و سمو مريم على سر الهيكل، حيث تأهلت بالعبادة و التطهر كان مظهرها البارز و القنوت، و لسانها الذاكر المحرر من عمل الحياة الدنيا

و الخادم للبيعة لا يخالطه شيء من أمر هذه الحياة الفانية، و لا تمتلكه الأخلاق الرديئة و البذئة و الرذائل الدنيوية، بل عيسى كلمة الله القاها إلى مريم و حدها، و فازت و إختصت بها المرأة الأنثى، دون الذكر الرجل الذي ليس له دور في هذا الأمر أو نصيب، هكذا كانت الأسبقية للتشريع الإسلامي في تأكيده على التحرر الحقيقي عسى أن يكون فيه تحفيز للهمم، و تنشيط للعزائم كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم - ظهر نساء فضليات : آسيا امرأة فرعون، مريم ابنة عمران و خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و سلم، عائشة رضي الله عنها. و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران و آسيا امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و فضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام" ¹ ينبثق التحديد الحقيقي بالتشريع الإسلامي الذي أثبت قدرته على أن يجمع تحت ظله مختلف الأمم و الشعوب و القوميات و المواطن و اللغات، و هكذا يتبين لنا عالمية الدين الإسلامي الذي يلبي حاجة البشرية من غير إخلال و لا إلتواء و لا طي للحياة العقلية لما إبتدعته قرائح الأمم خصوصا في حقل العلوم الفلسفية و الطبيعية و الرياضيات و الطب و الكيمياء و علم الفلك، لذلك كان تركيز الإسلام ينصب على حقوق المرأة و يتضح ذلك بما ورد في القرآن الكريم عندما تناولت الآيات القرآنية المرأة توجه الخطاب إلى المؤمن - أي أن الخطاب للرجل و المرأة على السواء، فكلا الجنسين يعاملان معاملة متساوية². و هكذا نرى عالمية الإسلام الذي كان نصيرا للمرأة و الداعي إلى منحها حقوقها التي تسمو و ترفع بها إلى مستوى يجعل منها سيدة حقيقية تستلهم كرامتها على صورة الله الذي خلق ذكرا و أنثى خلقهما و باركهما لقوله سبحانه و تعالى: "مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" سورة النحل اية 97، هذه الآية الكريمة ترفع من شأن الجنسين الذكر و الأنثى

¹ ينظر. الدكتور أحمد رشوان حسين عبد الحميد . علم إجتماع المرأة. الكتاب الجامعي . الإسكندرية 1998. ص 26 و 58

² ينظر. الدكتور أحمد رشوان حسين عبد الحميد . مرجع سبق ذكره . ص 26 و 58

الإسلام

بصورة مباشرة و في نفس الوقت هما متساويان لمن عمل صالحا يشمل الإيمان فسوف يحياه الله حياة طيبة في الدنيا، و الإطمئنان و السعادة و ويثاب في الآخرة لقوله صلى الله عليه و سلم: " إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعصى بها في الدنيا و يثاب عليها في الآخرة و أما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى الآخرة لم تكن له حسنة يعصى بها خيرا"¹ و من تمام حقوق المرأة التي جاء بها الإسلام هي المساواة بين الذكر و الأنثى في الحقوق و الواجبات العامة و أن المرأة و الرجل سواسية أمام التشريع الإسلامي .

¹ ينظر.إبن كثير . مرجع سبق ذكره ص 224

الباب الثاني

حقوق الإنسان و تحديات
العولمة من المنظور افسلامي

الفصل الأول

مفهوم الإنسان بين العولمة

و الإسلام

الفصل الثاني

حقوق الإنسان في الإسلام

دراسة مقارنة

الفصل الثالث

حقوق المرأة و العولمة

في ظل الإسلام

الفصل الختامي

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس